

بجاني اللؤلؤ
في
حدائق العرب

المطبعة السكاكونية - بيروت

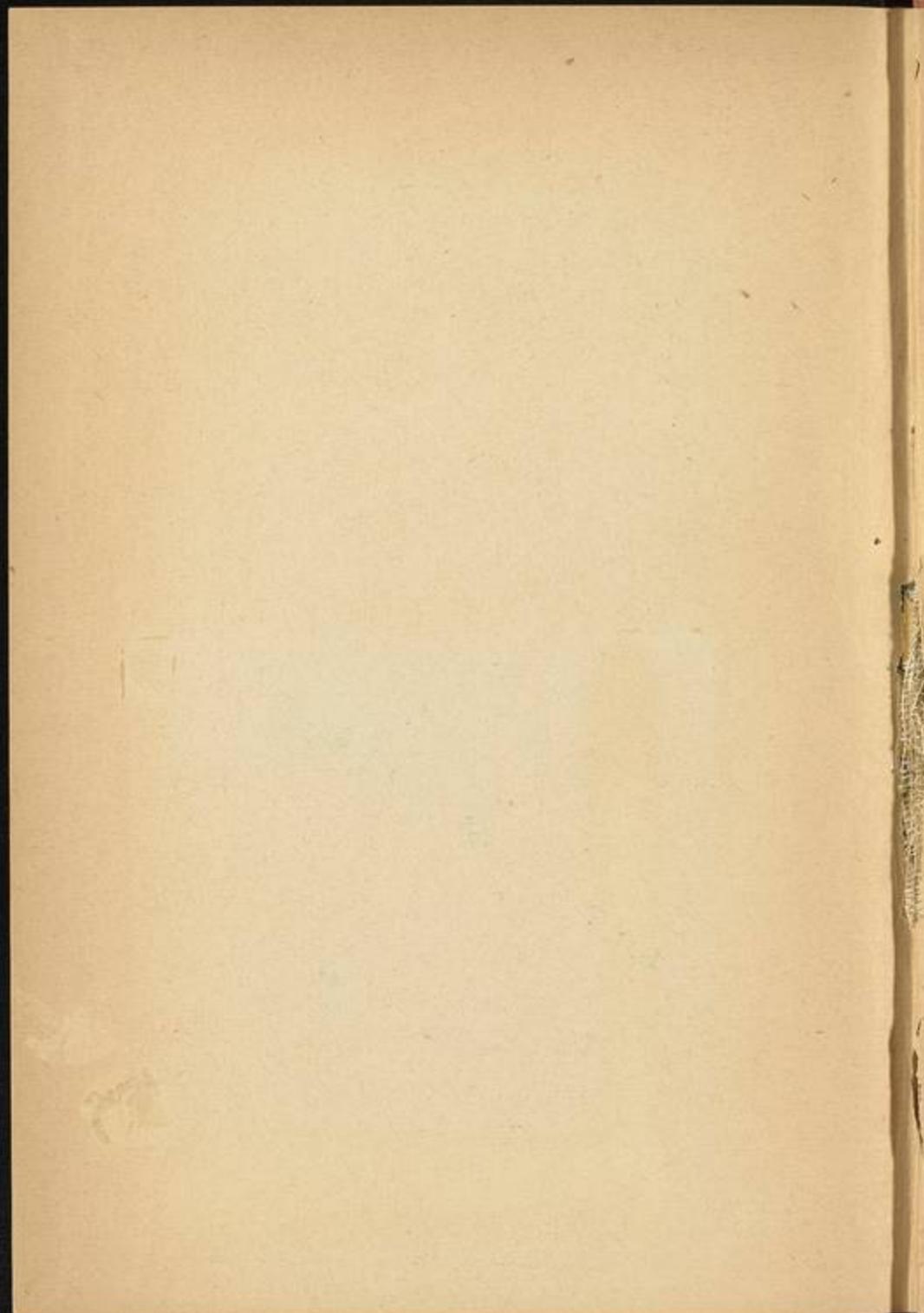
2260
• 252
• 11

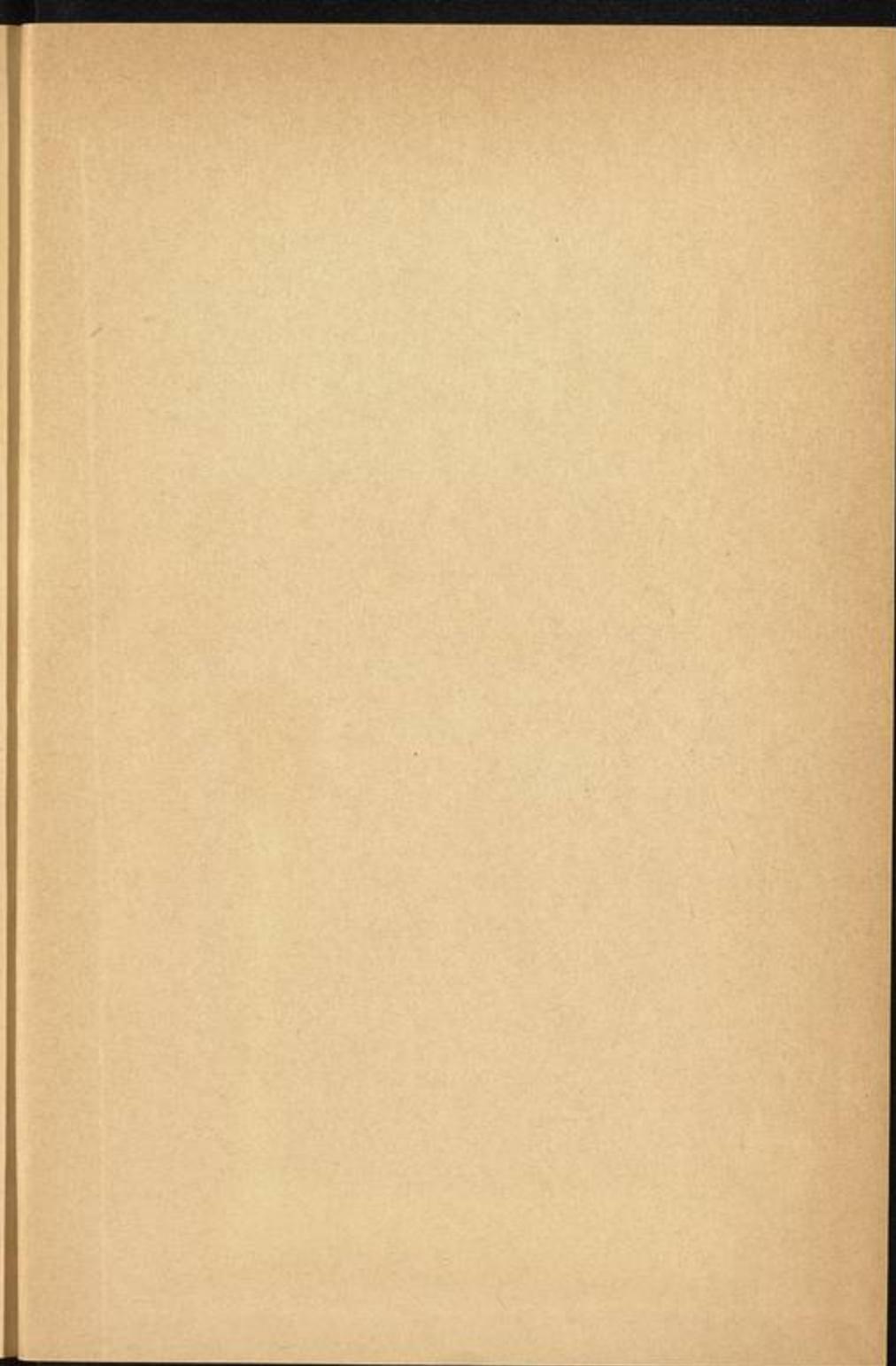
v.5

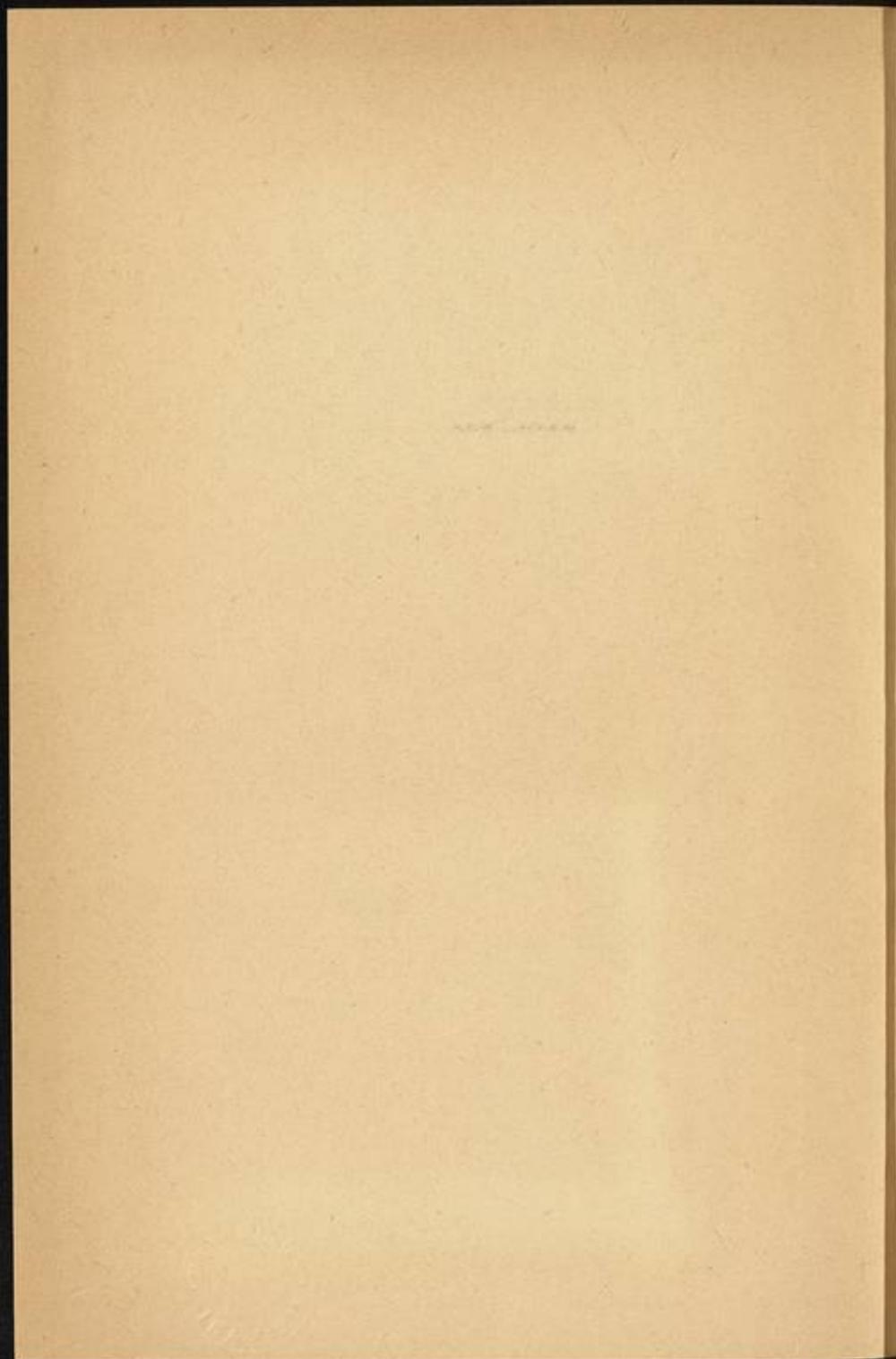
Princeton University Library
32101 043490349

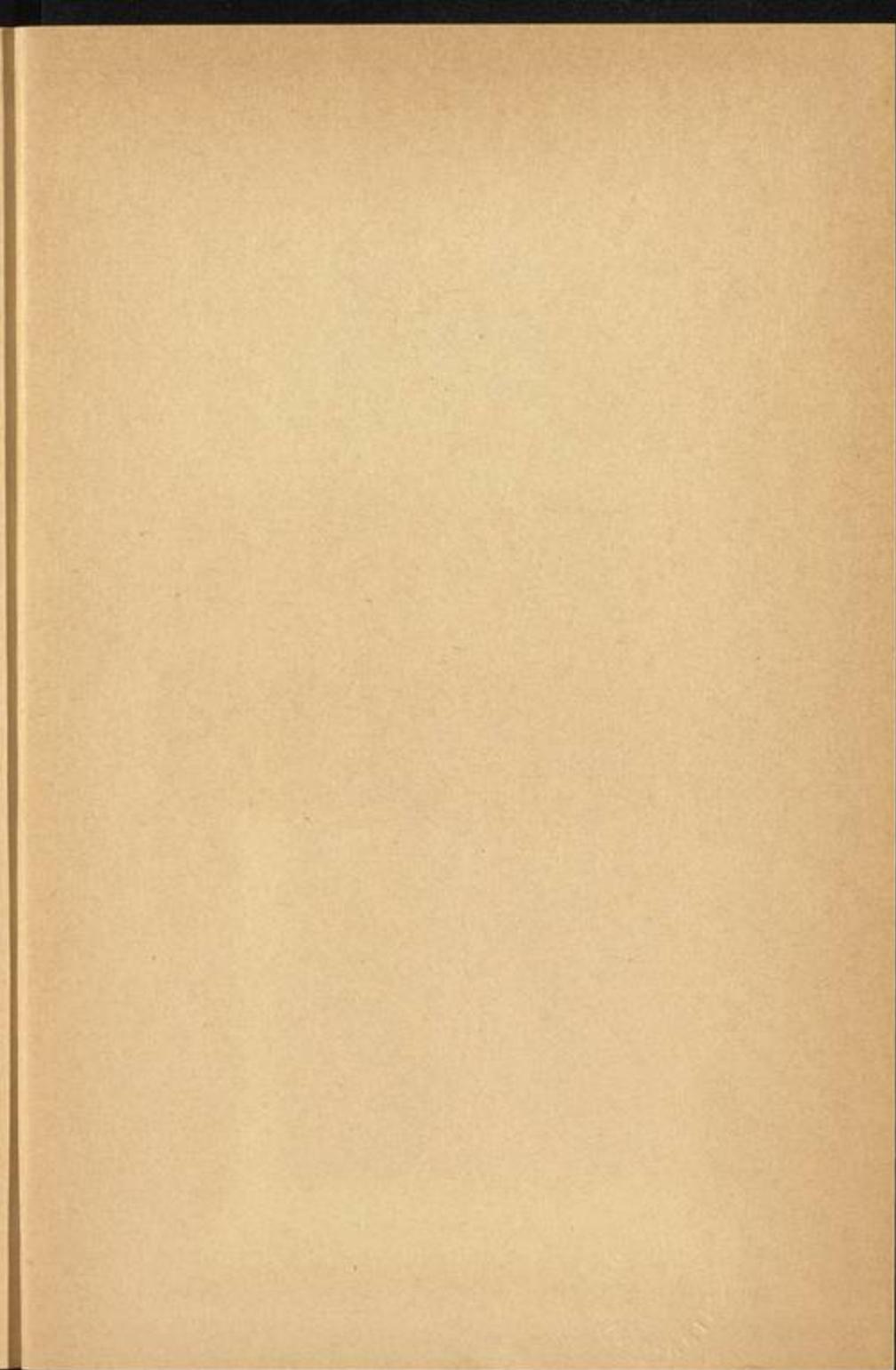
DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE				
							

Wages Hall Library
Princeton University
Princeton, New Jersey 08540









Cheikho, Louis, 1859-1927, ed.

بجاني اللادب
في
حمد الق العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الخامس



المطبعة الكاثوليكية
بيروت

2260

.252

.11

v.5



كل الحقوق محفوظة

الباب الأول في الستين

عظمة الخالق وجبروته والاخلاق له تعالى

١ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ شَأْنُهُ الْقَوِيُّ سُلْطَانُهُ. الظَّاهِرِ إِحْسَانُهُ.
 الْبَاهِرِ حُجَّتُهُ وَبُرْهَانُهُ. الْمُعْتَجِبِ بِالْجَلَالِ. وَالْمُنْفَرِدِ بِالْكَمَالِ.
 وَالْمُتَرَدِّي بِالْمَعْظَمَةِ فِي الْأَبَادِ وَالْأَزَالِ. لَا يُصَوِّرُهُ وَهُمْ وَخِيَالُ.
 وَلَا يَحْصِرُهُ حَدٌّ وَمِثَالُ. ذِي الْعِزِّ الدَّائِمِ السَّرْمَدِيِّ. وَالْمَلِكِ الْقَائِمِ
 الدِّيمُومِيِّ. وَالْقُدْرَةِ الْمُتَمَتِّعِ إِذْرَاكَ كُنْهَهَا. وَالسُّطُورَةِ الْمُسْتَوْعِرِ طَرِيقِ
 اسْتِيفَاءِ وَصَفْهَا. نَطَقَتِ الْكَائِنَاتُ بِأَنَّهُ الصَّانِعُ الْمُبْدِعُ. وَوَلَّاحَ مِنْ
 صَفْحَاتِ ذَرَّاتِ الْوُجُودِ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ الْمُخْتَرِعُ. وَسَمَّ عَقْلَ الْإِنْسَانِ
 بِالْحِجْرِ وَالنَّقْصَانِ. وَأَلْزَمَ فَصِيحَاتِ الْأَلْسُنِ وَصَفَ الْحَصْرِ فِي حَلْبَةِ
 الْيَانِ. وَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ أَجْمَعَةَ طَائِرِ الْقَهْمِ. وَسَدَّتْ
 تَعْرُزًا وَإِجْلَالًا مَسَالِكَ أَوْهَمِ. وَأَطْرَقَ طَامِحُ الْبَصِيرَةِ تَعْظِيمًا
 وَإِجْلَالًا. وَلَمْ يَجِدْ مِنْ فَرْطِ الْقَيْبَةِ فِي فَضْلِ الْمُبْرُوتِ بِجَالًا. فَعَادَ
 الْبَصْرُ كَلِيلًا. وَالْعَقْلُ عَلِيلًا. وَلَمْ يَسْتَهْجِ إِلَى كُنْهِ الْكِبْرِيَاءِ سَيْلًا.
 فَسَبَّحَانَ مَنْ عَزَمَ مَعْرِفَتَهُ لَوْلَا تَعْرِيفُهُ. وَتَعَدَّدَ عَلَى الْعُقُولِ تَحْدِيدُهُ
 وَتَكَيْفُهُ. ثُمَّ أَلْبَسَ قُلُوبَ الصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِهِ مَلَابِسَ الْعِرْقَانِ.
 وَخَصَّصَهُمْ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ بِمَخْصَصَاتِ الْإِحْسَانِ. فَصَارَتْ ضَمَائِرُهُمْ مِنْ

مَوَاهِبِ الْأَنْسِ مَمْلُوءَةً . فَتَهَيَّاتِ لِقَبُولِ الْأَمْدَادِ الْقُدُسِيَّةِ . وَاسْتَعَدَّتْ
 لَوُرُودِ الْأَنْوَارِ الْعَالَوِيَّةِ . وَاتَّخَذَتْ مِنَ الْأَنْفَاسِ الْعَطْرَةَ بِالْأَذْكَارِ
 جَلَّاسًا . وَأَقَامَتْ عَلَى الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مِنَ التَّقْوَى حُرَّاسًا . وَأَشَعَلَتْ
 فِي ظُلْمِ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْعَيْنِ نَبْرَاسًا . وَاسْتَحَقَرَّتْ قَوَائِدَ الدُّنْيَا وَلَذَائِمَهَا .
 وَأَنْكَرَتْ مَصَائِدَ الْهَوَى وَتَبَاعَتَهَا . وَأَمْتَطَتْ عَوَارِبَ الرَّعْبُوتِ
 وَالرَّهْبُوتِ . وَاسْتَفْرَشَتْ بَعْلُوهُمَهَا بِسَاطِ الْمَلَكُوتِ . وَأَمْتَدَّتْ إِلَى
 الْمَالِ أَعْنَاقَهَا . وَطَلَعَتْ إِلَى الْأَلَمِ الْعَالَوِيِّ أَحْدَاقَهَا . وَاتَّخَذَتْ مِنَ
 الْمَلَأِ الْأَعْلَى مُسِيرًا وَمُحَاوِرًا . وَمِنَ الثُّورِ الْأَغْرَ الْأَقْصَى مَزَاوِرًا وَمُجَاوِرًا .
 أَجْسَادُ أَرْضِيَّةٍ يَقْلُوبُ سَمَاوِيَّةٍ وَأَشْبَاحُ قَرَشِيَّةٍ . بِأَرْوَاحِ عَرَشِيَّةٍ .
 نُفُوسُهُمْ فِي مَنَازِلِ الْخِدْمَةِ سَيَّارَةٌ . وَأَرْوَاحُهُمْ فِي فِضَاءِ الْقُرْبِ
 طَيَّارَةٌ . مَذَاهِبُهُمْ فِي الْعُبُودِيَّةِ مَشْهُورَةٌ . وَأَعْلَامُهُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ
 مَشْهُورَةٌ . يَقُولُ الْجَاهِلُ بِهِمْ فَقِدُوا وَمَا فُقِدُوا . وَلَكِنْ سَمَتْ أحوالُهُمْ
 فَلَمْ يُدْرِكُوا . وَعَلَامَاتُهُمْ فَلَمْ يَعْلَمُوا . كَانَيْنِ بِالْجِثْمَانِ . بَانَيْنِ يَقْلُوبُهُمْ
 عَنْ أَوْطَانِ الْجِدْنَانِ . لِأَرْوَاحِهِمْ حَوْلَ الْعَرْشِ تَطَوُّافٌ . وَلِقُلُوبِهِمْ مِنْ
 خَزَائِنِ الْبِرِّ إِسْعَافٌ . يَتَعَمَّنُونَ بِالْخِدْمَةِ فِي الدِّيَارِ . وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْ
 وَهَجِ الظَّمَا بِظَمِّ الْهَوَا جِرِّ . سَلَوُوا بِالصَّلَوَاتِ عَنِ الشَّهَوَاتِ . وَتَعَوَّضُوا
 بِجَلَاوَةِ التَّلَاوَةِ عَنِ اللَّذَاتِ . يُلُوحُ مِنْ صَفْحَاتِ وُجُوهِهِمْ بِشَرِّ الْوُجِدَانِ
 وَيَنْبَغِي عَلَى مَكْنُونِ سَرَائِرِهِمْ نَضَارَةُ الْعِرْقَانِ . لَا يَدَالُ فِي كُلِّ عَصْرِ
 مِنْهُمْ عَلَامُونَ بِالْحَقِّ . دَاعُونَ لِلْخَلْقِ . مُخَوِّجِينَ الْمُتَابِعَةَ رَتَبَةَ الدَّعْوَةِ

وَجُمَلُوا لِلْمَتَّقِينَ قُدْوَةً فَلَا يَزَالُ تُظَهَّرُ فِي الْخَلْقِ آثَارُهُمْ . وَتَزَهَّرُ فِي
 الْأَفَاقِ أَنْوَارُهُمْ . مَنْ أَقْتَدَى بِهِمْ أَهْتَدَى . وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ ضَلَّ
 وَأَعْتَدَى . فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى مَا هَيَّا لِلْعِبَادِ . مِنْ بَرَكَةِ خَوَاصِّ حَضْرَتِهِ مِنْ
 أَهْلِ الْوَدَادِ (عوارف المعارف للسهروردي)

٢ قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي الْخَالِقِ سُجْدَانَهُ :

إِلَهُ الْعَالَمِينَ وَكُلِّ أَرْضٍ وَرَبُّ الرَّاسِيَاتِ مِنَ الْجِبَالِ
 بَنَاهَا وَأَبْتَى سَبْعًا شِدَادًا بِلَا عَمَدٍ يُرِينُ وَلَا رِجَالِ
 وَسَوَاهَا وَزَيْنَهَا بِنُورٍ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ وَالْهَلَالِ
 وَمِنْ شُهْبٍ تَلَالُأُ فِي دُجَاهَا مَرَامِيهَا أَشَدُّ مِنَ التَّصَالِ
 وَشَقَّ الْأَرْضَ فَانْتَجَسَتْ عَيْونَا وَأَنْهَارًا مِنَ الْعَذْبِ الزُّلَالِ
 وَبَارَكَ فِي نَوَاجِيهَا وَرَكِّي بِهَا مَا كَانَ مِنْ حَرْثٍ وَمَالِ
 فَكُلُّ مُعَمَّرٍ لَا بَدَّ يَوْمًا وَذِي دُنْيَا يَصِيرُ إِلَى زَوَالِ
 وَيَفْنَى بَعْدَ جِدَّتِهِ وَيَبْلَى سِوَى الْبَاقِي الْمُقَدَّسِ ذِي الْجَلَالِ
 وَيَسِيْقُ الْعَجْرُمُونَ وَهُمْ عُرَاهُ إِلَى ذَاتِ الْمَقَامِعِ وَالنَّكَالِ
 فَكَادُوا وَيَلْتَنَا وَيَلَا طَوِيلًا وَتَجَبَّوْا فِي سَلَالِيهَا الطِّوَالِ
 فَلَيْسُوا مَتِينِينَ فَيَسْتَرِيحُوا وَكُلُّهُمْ بِبَحْرِ النَّارِ صَالِي
 وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بِدَارِ صِدْقٍ وَعَيْشِ نَاعِمٍ تَحْتَ الظِّلَالِ
 لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمَنَّوْا مِنَ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

صفاته تعالى

٣ هُوَ اللَّهُ الظَّاهِرُ بِآيَاتِهِ . الْبَاطِنُ بِذَاتِهِ . الْقَرِيبُ بِرَحْمَتِهِ . الْبَعِيدُ
 بِعِزَّتِهِ . الْكَرِيمُ بِآلَانِهِ . الْعَظِيمُ بِكِبَرِيَّاتِهِ . الْقَادِرُ فَلَا يُمَانَعُ . وَالْقَاهِرُ
 فَلَا يُنَازَعُ . وَالْعَزِيزُ فَلَا يُضَامُ . وَالْمُنِيعُ فَلَا يُرَامُ . وَالْمَلِكُ الَّذِي لَهُ
 الْأَقْضِيَّةُ وَالْأَحْكَامُ . الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ . وَتَوَحَّدَ بِالْعِزَّةِ وَالسَّنَاءِ .
 وَأَسْتَأْتَرُ بِأَحَاسِنِ الْأَسْمَاءِ . وَدَلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ بِخَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ .
 كَانَ وَلَا مَكَانَ وَلَا زَمَانَ وَلَا بُيَانَ . وَلَا مَلَكَ وَلَا إِنْسَانَ . فَأَنْشَأَ
 الْمَعْدُومَ إِبْدَاعًا . وَأَحْدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ إِنْشَاءً . وَأَخْتَرَعًا . جَلَّ وَتَعَالَى فِيمَا
 خَلَقَ عَنِ اخْتِدَاءِ صُورَةٍ وَأَسْتِدْعَاءِ مَشُورَةٍ . وَأَقْتَفَاءِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ .
 وَأَقْتِفَارٍ إِلَى نَظَرِ قِيَاسٍ وَأَسْتِدْلَالٍ . فَبَقِيَ كُلُّ مَا أَبْدَعَ وَصَنَعَ وَقَطَّرَ
 وَقَدَّرَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ بِلَا ظَهِيرٍ وَالْقَادِرُ بِلَا نَصِيرٍ . وَالْعَالِمُ بِلَا
 تَبْصِيرٍ وَتَذْكَيرٍ . وَالْحَكِيمُ بِلَا رُؤْيَةٍ وَتَفْكَيرٍ . وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ
 وَيَبْدَهُ الْخَيْرُ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . رَفَعَ السَّمَاءَ عِبْرَةً لِلنَّظَارِ . وَعِلَّةً
 لِلظُّلْمِ وَالْأَنْوَارِ . وَسَبَبًا لِلغَيْوِثِ وَالْأَمْطَارِ . وَحِمَاةً لِلْمُحْوِلِ وَالْقَارِ .
 وَمَعَاشًا لِلوُحُوشِ وَالْأَطْيَارِ . وَوَضَعَ الْأَرْضَ مَهَادًا لِلْأَبْدَانِ . وَقَرَارًا
 لِلْحَوَانِ . وَفِرَاشًا لِلْجُنُوبِ وَالْمَضَاجِعِ . وَبَسَاطًا لِلْمَكَايِبِ وَالْمَنَافِعِ .
 وَذُلُولًا لِلطَّلَابِ الرَّزْقِ وَأَرْبَابِ الصَّنَائِعِ . وَأَشْخَصَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا
 رَاسِيَةً وَأَعْلَامًا بَادِيَةً . وَعِيُونًا جَارِيَةً . وَأَرْحَامًا لِأَجْنَةِ الْأَعْلَاقِ
 حَاوِيَةً . وَجَعَلَ الْجِبَارَ مَغَايِضَ لِفُضُولِ الْأَنْهَارِ . وَمَغَايِرَ لِسُيُولِ

الأمطار. ومراكب لرفاق التجار. ومضارب لمصالح الأمصار.
ومناجح الأوطار. تحوي من الدر والرجان نباتا. وتنتج من بين العليج
الأجاج عذبا فراتا. وتذف للاكلين لحما طريا. وتعمل للايسين
جواهر وحليا. واستخلف على عمارة عالمه من انتخبهم من خلقه
واثرهم بالهامه. ودرهم باؤمره واحكامه (لاي نصر العتي)

قصيدة ابي محمد بن السيد الطليسي في التوحيد

الإهي إني شاكر لك حامدُ
وإني لساع في رضاك وجاهدُ
وإنك مهما زلت النعل بالفتى
على العائد التواب بالمغو عائدُ
تباعدت مجدا وأدنت تعظفا
وحلما فانت المدني المتبايدُ
وما لي على شيء سواك معلُ
إذا دهمني المضلات الشدايدُ
أغيرك أدعو لي إلهما وخالفا
وقد أوصح البرهان أنبك واحدُ
وقدما دعا قوم سواك فلم يقم
على ذلك برهان ولا لاح شاهدُ
وبالفلك الدوار قد ضل معشرُ
وللنيرات السبع داع وساجدُ
وللعقل عباد وللنفس شيعة
وكلهم عن منهج الحق حائدُ
وكيف يضل القصد ذو العلم والنهي
ونهج الهدى من كان نحوك قاصدُ
وهل في الذي طاعوا له وتعبدوا
لأمرك عاص أولئك جاجدُ
وهل يوجد المعلول من غير علته
إذا صح فكر أورأى الرشد راشدُ
وهل غبت عن شيء فينكر منك
وجودك أم لم تبد منك الشواهدُ
وفي كل معبود سواك دليل
من الصنع تبدي أنه لك عابدُ

وَكُلُّ وُجُودٍ عَنِ وُجُودِكَ كَائِنٌ
 سَرَّتْ مِنْكَ فِيهَا وَحْدَةٌ لَوْ مَنَعْتَهَا
 وَكَمْ لَكَ فِي خَلْقِ الْوَرَى مِنْ دَلَائِلِ
 كَفَى مَكْذِبًا لِلجَّاحِدِينَ نَفْسُهُمْ
 قَوَّاجِدُ أَصْنَافِ الْوَرَى لَكَ وَاجِدُ
 لَأَصْبَحَتْ الْأَشْيَاءُ وَهِيَ بَوَّابِدُ
 يَرَاهَا الْقَتَى فِي نَفْسِهِ وَيُشَاهِدُ
 تُخَاصِمُهُمْ إِنْ أَنْكَرُوا وَتَعَانِدُ

○ لَأُمَّةٌ بِنِ أَبِي الصَّلْتِ النَّصْرَانِي فِي الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ

لَكَ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا
 مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمِنٌ
 عَلَيْهِ حِجَابُ النُّورِ وَالنُّورُ حَوْلَهُ
 فَلَا بَصَرَ يَسْمُو إِلَيْهِ يَطْرَفُهُ
 مَلَائِكَةٌ أَقْدَامُهُمْ تَحْتَ عَرْشِهِ
 قِيَامٌ عَلَى الْأَقْدَامِ عَائِنٌ تَحْتَهُ
 وَيَسْبُطُ صُفُوفٌ يَنْظُرُونَ قَضَاءَهُ
 أَمِينٌ لُوْحِي الْقُدْسِ جَبْرِيْلٌ فِيهِمْ
 وَحِرَاسُ أَبْوَابِ السَّمَاوَاتِ دُونَهُمْ
 فَنِعْمَ الْعِبَادُ الْمُصْطَفَوْنَ لِأَمْرِهِ
 مَلَائِكَةٌ لَا يَفْتُرُونَ عِبَادَةَ
 فَسَاجِدُهُمْ لَا يَرْفَعُ الدَّهْرُ رَأْسَهُ
 وَرَأْيُهُمْ يَحْضُرُهُ الدَّهْرُ خَاشِعًا
 وَمِنْهُمْ مُلَفٌّ فِي الْجَنَاحِينَ رَأْسَهُ
 فَلَأَشْيَاءُ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَاجِدُ
 لِعِزَّتِهِ تَعْنُو أَوْجُوهُ وَتَسْجُدُ
 وَأَنْهَارُ نُورٍ حَوْلَهُ تَتَوَقَّدُ
 وَدُونَ حِجَابِ النُّورِ خَلَقَ مُوَيْدُ
 يَكْفِيهِ لَوْلَا اللَّهُ كَلَّوْا وَأَبْدَوْا
 فَرَأَيْتَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ تَرَعَدُ
 يُصَيِّخُونَ بِالِاسْتِمَاعِ لِلُوْحِيِّ رُكَّدُ
 وَمِيكَالُ ذُو الرُّوحِ الْقَوِيِّ الْمَسْدَدُ
 قِيَامٌ عَلَيْهَا بِالْمَقَالِيدِ رُصْدُ
 وَمِنْ دُونِهِمْ جُنْدٌ كَثِيفٌ مَجْدُ
 كَرُوبِيَّةٌ مِنْهُمْ رُكُوعٌ وَسُجْدُ
 يُعْظِمُ رَبًّا فَوْقَهُ وَيُجْمَدُ
 يَرُدُّ الْآلَاءَ الْإِلَهِ وَيُجْمَدُ
 يَكَادُ لِذِكْرِي رَبِّهِ يَقْصَدُ

مِنَ الْخَوْفِ لَأَذُوسَامَةِ عِبَادَةٍ
 وَدُونَ كَثِيفِ الْمَاءِ فِي غَامِضِ الْهَوَا
 وَبَيْنَ طَبَاقِ الْأَرْضِ تَحْتَ بُطُونِهَا
 فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ
 وَمَنْ لَمْ تَنَازِعْهُ الْخَلْقُ مُلْكَهُ
 مَلِكُ السَّمَاوَاتِ الشَّدَادِ وَأَرْضِهَا
 هُوَ اللَّهُ بَارِي الْخَلْقِ وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ
 وَأَنْ يَكُونَ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي
 وَلَيْسَ لِخَلْقٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدَّةٌ
 وَنَفْنَى وَلَا يَبْقَى سِوَى الْوَاحِدِ الَّذِي
 تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَائِحُ فِي الْخَفِيِّ
 وَمَنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا
 وَسَبَّحَهُ النَّيْنَانُ وَالْبَحْرُ زَاخِرًا
 إِلَّا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى
 عَنِ الْحَقِّ كَالْأَعْمَى الْمَيْطُوعِ مِنَ الْهَدَى
 وَحَالَاتِ دُنْيَا لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا
 إِذْ أَنْقَلَبَتْ عَنْهُ وَرَأَى نَعِيمَهَا
 وَفَارَقَ رُوحًا كَانَ بَيْنَ جَنَانِهِ
 فَأَيُّ فَتَى قَبْلِي رَأَيْتُ مُخَلَّدًا
 وَلَا هُوَ مِنْ طُولِ التَّمَبُّدِ يَجْهَدُ
 مَلَائِكَةٌ تَحْطُ فِيهِ وَتَصْعَدُ
 مَلَائِكَةٌ بِالْأَمْرِ فِيهَا تَرَدُّدُ
 وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
 وَإِنْ لَمْ تَفْرِدْهُ الْعِبَادُ فَمُفْرَدُ
 وَلَيْسَ لَشَيْءٍ عَنِ قَضَائِهِ تَأْوُدُ
 إِمَاءٌ لَهُ طَوْعًا جَمِيعًا وَأَعْبُدُ
 يَدُومُ وَيَبْقَى وَالْحَلِيقَةُ تَنْفَدُ
 وَمَنْ دَاعَى إِلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ يَخْلُدُ
 يَمِيتُ وَيُحْيِي دَابًّا لَيْسَ يَهْمُدُ
 وَإِذْ هِيَ فِي جِوِّ السَّمَاءِ تَصْعَدُ
 وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أَبَدُ
 وَمَا ضَمَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُقْلِدُ
 إِلَى أَيِّ حِينٍ مِنْكَ هَذَا التَّصَدُّدُ
 وَلَيْسَ يَرُدُّ الْحَقُّ إِلَّا مُفْنِدُ
 وَبَيْنَا الْفَتَى فِيهَا مَيْبُ مُسْوَدُ
 وَأَصْبَحَ مِنْ تَرْبِ الْقُبُورِ يُوَسَّدُ
 وَجَاوَرَ مَوْتِي مَا لَكُمْ مُتَرَدِّدُ
 لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَا يَتَوَدَّدُ

وَمَنْ يَتَّبِعْهُ الدَّهْرُ مِنْهُ بَعَثَةٌ
 فَلَمْ تَسْلَمْ الدُّنْيَا وَإِنْ ظَنَّ أَهْلُهَا
 أَلَسْتَ تَرَى فِيهَا مَضَى لَكَ عِبْرَةٌ
 فَكُنْ حَازِنًا لِلْمَوْتِ وَالْبَعَثِ بَعْدَهُ
 فَإِنَّكَ فِي دُنْيَا غُرُورٍ لِأَهْلِهَا
 وَفِيهَا عَدُوٌّ كَأَشْيَخِ الصَّدْرِ مُوقَدٌ

وسيلة الى الله تعالى لعبد الرحيم البرعي

٦

لِي فِي نَوَالِكَ يَا مَوْلَايَ آمَالٌ
 أَوْصِي إِلَيْكَ لِعِلْمِي أَنْ لُطْفَكَ بِي
 فَأَرْضِعْ عَنِّي خُصُومِي وَأَقْضِ يَا أَمَلِي
 وَلَمْ يَضِقْ بِي مِنْكَ الْعَفْوُ أَنْ خَتَمْتَ
 كُنْ لِي إِذَا انْعَمَضُوا عَيْنِي وَأَنْصَرَفُوا
 وَأَمْسِنُ بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ عَلَيَّ إِذَا
 وَجَاءَ بِي مَلَكُ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلُ بِي
 وَأَسْتَخْرِجُ النَّفْسَ أَمْلَاكَ مُطَهَّرَةً
 جَاؤَا إِلَيْكَ بِهَا يَا رَبُّ يُشَدُّهَا
 ثُمَّ أَنْتَلْتَ عَن قَرِيبٍ نَحْوِ مُغْتَسَلٍ
 وَلَيْسَ لِي وَلِيْلِي غَيْرُ جُودِكَ يَا
 أَصْبَحْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْيَوْمَ مُطْرَحًا
 فَأَوْلِي بِي يَا غَفُورُ الْعَفْوِ مِنْكَ فَلَا
 مِنْ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ الْأَهْلُونَ وَالْمَالُ
 دُونَ الْوَرَى لَمْ يَحُلْ عَنِّي إِذَا حَالُوا
 دَيْنِي فَإِنَّ حُفُوقَ الْخَلْقِ أَثْقَالُ
 لِي بِالشَّهَادَةِ أَقْوَالُ وَأَفْعَالُ
 بَاكِينَ أَسْمَعُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا قَالُوا
 ضَاقَ الْخِنَاقُ فَهَوْلُ الْمَوْتِ أَهْوَالُ
 وَبِالنَّفُوسِ فَلِأَعْمَارِ آجَالُ
 لَهَا إِلَى لُطْفِكَ الْمَأْمُولِ تَرْحَالُ
 لِحَضْرَةِ الْقُدْسِ جِبْرِيلُ وَمِيكَالُ
 فِي حَيْثُ يَرْجُوكَ مَغْسُولٌ وَعَسَالُ
 مَنْ لَا يُدَانِيهِ أَشْيَاهُ وَأَمْثَالُ
 وَلِي بِنَفْسِي عَنِ الْأَغْيَارِ إِشْقَالُ
 يَبْقَى عَلَيَّ مِنَ الْأَوْزَارِ مِثْقَالُ

وَإِنْ تَرَلْتُ إِلَى بَيْتِ الْحَرَابِ وَلَا أَبَ هُنَاكَ وَلَا عَمَّ وَلَا خَالَ
 أَلْهِنِي يَا خَالِقِي ذِكْرَ الْجَوَابِ قَمِي ذَاكَ الْمَقَامِ جَوَابَاتُ وَتَسْأَلُ
 هُنَاكَ لَا أَمَلٌ يُرْجَى وَلَا عَمَلٌ يُجْزِي وَلَا حِيلَةٌ عِنْدِي فَأَحْتَالُ
 فَأَفْتَحُ لِرُوحِي إِلَى الْفِرْدَوْسِ بَابَ رِضَا يُهْدِي رِيَّاحُ رِيَّاضِ ظِلِّهَا ضَالُ
 وَالطُّفَّ وَرَأَيْي يَأْطِقَالُ وَأَمَّهُمْ إِنْ كَانَ خَلْفِي أَوْ يَلَادُ وَأَطْفَالُ
 حَتَّى إِذَا نُشِرَ الْأَمْوَاتُ وَأُرْتَعِدَتْ فَرَائِصُ الْخَلْقِ مِنْ بَعْضِ الَّذِي نَالُوا
 وَعَادَتْ الرُّوحُ فِي الْجِسْمِ الضَّعِيفِ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ مِنْهُ أَعْضَاءُهُ وَأَوْصَالُ
 فَجَدَعَلِي وَلَا طَفَنِي بِعَفْوِكَ عَن ذَنْبِي فَشَأْنُكَ إِنْعَامٌ وَإِفْضَالُ
 وَقُلْ كَفَيْتُكَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ أَدَى الدَّامِ رَيْنِ فَاتْرُلْ حَمِي مَا فِيهِ إِهْمَالُ
 يَا وَاسِعَ اللَّطْفِ قَدْ قَدَّمْتَ مَعْدِرَتِي إِنْ كَانَ يُغْنِي عَنِ التَّنْصِيلِ إِجْمَالُ
 جَنِّبْنِي الْعُجْبَ وَالشَّحَّ الْمُطَاعَ وَمُرْ نَفْسِي مُخَالَفَ هَوَاهَا فَهَوَ قَتَالُ
 وَعُدْ عَلَيَّ بِنُورِ مِنْكَ مُبْتَهَجِ يَرْكُوبِهِ بَصْرِي وَالسَّمْعُ وَالْبَالُ
 وَأَرْحَمِ بَنِيَّ وَأَبَائِي وَحَاشِيَتِي يَعْمَهُمْ يَا إِلَهِي مِنْكَ إِقْبَالُ
 مَاذَا أَقُولُ وَمَتِي كُلُّ مَعْصِيَةٍ وَمِنْكَ يَا سَيِّدِي جِلْمٌ وَإِهْمَالُ
 وَمَا أَكُونُ وَمَا قَدْرِي وَمَا عَمَلِي فِي يَوْمٍ تُوَضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَعْمَالُ
 لَكِنْ أَيَّاسُ مِنْ رُوحِ الْإِلَهِ فِدَى عَبْدٌ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ سِرْبَالُ
 رَبَّاهُ رَبَّاهُ أَنْتَ اللَّهُ مُعْتَمِدِي فِي كُلِّ حَالٍ إِذَا حَالَتْ بِي أَحْطَالُ

وله في التوحيد

٧

تَجَلَّتْ لَوْحَدَانِيَّةِ الْخَلْقِ أَنْوَارٌ قَدَلَّتْ عَلَيَّ أَنْ الْخُحُودَ هُوَ الْعَارُ

وَأَعْرَتِ لِدَاعِيِ الْحَقِّ كُلِّ مُوَحِّدٍ
 وَأَبَدَتْ مَعَانِي ذَاتِهِ بِصِفَاتِهِ
 تَرَأَى لَهُمْ فِي الْغَيْبِ جَلَّ جَلَالُهُ
 مَعَانَ عَقْلَانِ الْعَقْلُ وَالْعَقْلُ ذَاهِلٌ
 إِذَا هُمَّ وَهَمُ الْفِكْرِ إِدْرَاكَ ذَاتِهِ
 وَكَيْفَ يُحِيطُ الْكَيْفُ إِدْرَاكَ حَدِّهِ
 وَأَيْنَ يَجُلُّ الْآيِنُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ
 وَلَا شَيْءٌ مَعْلُومٌ وَلَا الْكَوْنُ كَائِنٌ
 وَلَا الشَّمْسُ بِالنُّورِ الْمُبِيرِ مُضِيَّةٌ
 فَأَنْشَأَ فِي سُلْطَانِهِ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ
 وَزَيْنَ بِالْكَرْسِيِّ وَالْعَرْشِ مُلْكَهُ
 فَسُبْحَانَ مَنْ تَعَنَّى الْوُجُوهَ لَوَجْهِهِ
 عَظِيمٍ يَهْوَنُ الْأَعْظَمُونَ لِعِزِّهِ
 لَطِيفٍ يُلَطِّفُ الصَّنْعَ فَضَّلْنَا عَلَى
 مَرَى حَرَكَاتِ النَّمْلِ فِي ظِلْمِ الدُّجَى
 وَيُخَصِّصِي عِدِيدَ النَّمْلِ وَالْقَطْرَ وَالْحَصَى
 أَضَاءَتْ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ نُبُورِهِ
 وَشَقَّ عَلَى أَسْمَانِهِمْ مِنْ عَلَا أَسْمُهُ
 فَذَاكَ الَّذِي يُنْجَا إِلَيْهِ تَوَكُّلاً

بِمَعَدِّ صِدْقٍ حَبْدًا الْجَارُ وَالِدَارُ
 فَلَمْ يَحْتَمِلْ عَقْلُ الْمُحِبِّينَ إِنْكَارُ
 عِيَانًا فَلَمْ يُدْرِكْهُ سَمْعٌ وَأَبْصَارُ
 وَإِقْبَالُهُ فِي يَرْزَخِ الْبَحْثِ إِدْبَارُ
 تَعَارَضَ أَوْهَامٌ عَلَيْهِ وَأَفْكَارُ
 وَلَيْسَ لَهُ فِي الْكَيْفِ حَدٌّ وَمَقْدَارُ
 مَعَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ عَيْنٌ وَأَنَارُ
 وَلَا الرَّزْقُ مَشْسُومٌ وَلَا الْخَلْقُ إِفْطَارُ
 وَلَا الْقَمَرُ السَّارِي وَلَا النَّجْمُ سَيَّارُ
 لِيَخْلُقَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ
 فَمِنْ نُورِهِ حُجْبٌ عَلَيْهِ وَأَسْتَارُ
 وَيَلْقَاهُ رَهْنُ الدَّلِيلِ مَنْ هُوَ جِبَارُ
 شَدِيدِ الْقُوَى كَافٍ لِذِي الْقَهْرِ قَهَّارُ
 خَلَّاقٌ لَا تُحْصَى وَذَلِكَ إِشَارُ
 وَلَمْ يَخْفِ إِعْلَانُ عَائِهِ وَإِسْرَارُ
 وَمَا اشْتَمَلَتْ نَجْدٌ عَلَيْهِ وَأَغْوَارُ
 فَبَاحَتْ بِأَحْوَالِ الْمُحِبِّينَ أَسْرَارُ
 عَلَى الْأَصْلِ فَهُوَ الْبَرُّ وَالْقَوْمُ أَبْرَارُ
 عَلَيْهِ وَيُعْصَى وَهُوَ بِالْحِلْمِ سِتَّارُ

فَأَذِنِي الرَّجَا لِلخَلْقِ مِنْ بَابِ فَضْلِهِ
 لَسَّحُ ذَرَاتُ الْوُجُودِ بِحَمْدِهِ
 وَيَبْكِي نَمَامُ الْغَيْثِ طَوْعًا لِأَمْرِهِ
 فَيَأْتِسِرُ لِلْإِحْسَانِ عُوْدِي فَرُبَّمَا
 إِلَهِي أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَهْدِنِي
 لِسُحَى إِسْمَاءَاتٍ وَتُقَمَّرِ أَوْزَارِ
 وَيَسْجُدُ بِالْتَعْظِيمِ نَجْمُ وَأَشْجَارِ
 فَتَضْحَكُ مِمَّا يَفْعَلُ الْغَيْثُ أَزْهَارِ
 أَقْلَتِ عَثَارًا قَابُنُ آدَمَ مِعْشَارِ
 إِلَيْكَ بِمَا بَرَضِيكَ فَالْدَهْرُ عَرَارِ

قصيدة علي بن ابي طالب في الابهال الى الله

٨

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى
 إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَحِرْزِي وَمَوْلِي
 إِلَهِي لَيْنَ خَيْتِي أَوْ طَرَدْتَنِي
 إِلَهِي لَيْنَ جَلَّتْ وَجَهَتْ خَطِيئَتِي
 إِلَهِي لَيْنَ أَعْطَيْتُ نَفْسِي سَوْهَا
 إِلَهِي تَرَى حَالِي وَقَفْرِي وَفَاقَتِي
 إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تَرْغُ
 إِلَهِي أَجْرَنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنِّي
 إِلَهِي فَالْأَسْنَى يَتَلَقَّنِي حُجَّتِي
 إِلَهِي لَيْنَ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ
 إِلَهِي إِذَا لَمْ تَرْعِنِي كُنْتُ ضَائِعًا
 إِلَهِي إِذَا لَمْ تَغْفُ عَنْ غَيْرِ مُحْسِنٍ
 إِلَهِي لَيْنَ قَصَّرْتَنِي فِي طَلَبِ التَّقَى
 تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتُمْنَعُ
 إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيَسْرِ أَفْرَعُ
 فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَنْ أَسْتَشْعُ
 فَعَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
 فَهَذَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
 وَأَنْتَ مَنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
 فُوَادِي فُلِي فِي بَابِ جُودِكَ مَطْمَعُ
 أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
 إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوَى وَمَضْجَعُ
 فَحَبْلِ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَنْقَطَعُ
 وَإِنْ كُنْتَ تَرَعَانِي فَلَسْتُ أَضِيعُ
 فَمَنْ لَيْسَ بِالْمَهْوَى يَتَمَتَّعُ
 فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ

إلهي ألقني عثرتي وأمخ حوبتي
 إلهي لمن خبتني أو طردتني
 إلهي حليف الحب بالليل ساهر
 وكلهم يذجون نوالك راجيا
 إلهي يميني رجا في سلامة
 فإني مقر خائف أتضرع
 فما حيلتي يا رب أم كيف أصنع
 يناجي ويبكي والمنقل يجمع
 لرحمتك العظمى وفي الخلد يطمع
 وقبح خطيائي علي يشنع

من قصيدة للبرعي في الرجا

إليه به سبحانه أتوسل
 وأحسن قصدي عن خضوعي وذاتي
 وأصعب أمالي إلى فضل جوده
 فسبحانه من أول هو آخر
 وسبحان من تعنو الوجوه لوجهه
 ومن هو فرد لا نظير له ولا
 ومن كلت الأفهام عن وصف ذاته
 تكمل فضلا لا وجوبا برزقه
 ولم يأخذ العبد المسيء بذنبه
 حليم عظيم راحم متكرم
 جواد مجيد مشفق متعطف
 له الرايات الشم تهبط خشية
 وأنشأ من لاشي سحبا هو أطلا
 وأرجو الذي يرجي لديه وأسأل
 له وعليه وحده أتوكل
 وأزل حاجاتي بمن ليس ينحل
 وسبحانه من آخر هو أول
 ومن كل ذي عز له يتدلل
 شبيهه ولا مثل به يتمثل
 فليس لها في الكيف والأين مدخل
 على الخلق فهو الرازق المتكفل
 ولكنه يرجي لأمره ويمهل
 رؤوف رحيم وأهب متطول
 جليل جميل منعم متفضل
 وتشرق عن ماء يسبح ويغسل
 يسبح فيها رعدا وهليل

وَأَحْيَا نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
يُحِيطُ بِمَا تُخْفِي الضَّمَانُ عِلْمُهُ
فِيَا غَافِرَ الزَّلَّاتِ وَهِيَ عَظِيمَةٌ
أَجِبْ دَعْوَتِي يَا سَيِّدِي وَأَقْضِ حَاجَتِي
وَلَا يَرْتَجِي مِنْ عِنْدِ غَيْرِكَ رَحْمَةٌ
فُحِّقْ رَجَائِي فِيكَ يَا غَايَةَ الْمُنَى
وَإِنْ فَتَحْتَ جَنَاتِ عَدْنٍ لِدَاخِلِ
فَجُودِكَ يَا ذَا الْكِبْرِيَاءِ مُؤَمِّلٌ
وَحَبْلُكَ لِلرَّاجِينَ بِالْخَيْرِ يُوصَلُ

وله أيضاً في الرجاء من قصيدة

١٠

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ عَاجِلًا
فَمِنْ مَحَنِ الْأَيَّامِ قَلْبِي مُعَذَّبٌ
فَكَمْ هُمْ صَرَفَ الدَّهْرِ يَصْرِفُ نَابَهُ
وَلَمْ أَعْتَصِمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَمَدَّ لِي
وَإِنِّي لَمُسْتَعْنٍ بِفَقْرِي وَفَاقَتِي
فَكَمْ رَاحَ رُوحُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَكَمْ
يُقَدِّرُ مَنْ شَدَّ أَلْهَوَا وَبَنَى السَّمَاءَ
وَأَلْقَى الْجِبَالَ السَّمَّ فِيهَا رَوَاسِيًا
وَأَلْبَسَهَا مِنْ سُنْدُسٍ نَبَتَتْ بِهَجْمَةٍ
وَسَخَّرَ مِنْ لَشْرِ السَّحَابِ لَوْاحِيًا
يَسْرُ بِهِ الْمُهَوِّفُ إِنْ عَمَّهُ الْهَلَفُ
أَلَمْ يَرْوِحِي قَبْلَ حَتْفِ الْفَنَاءِ حَتْفُ
عَلِيٍّ فَجَاءَ الْعَوْتُ وَأَنْصَرَفَ الصَّرْفُ
مِنْ الْبَرِّ ظِلًّا فِي رِضَاهُ لَهُ وَكُفُّ
إِلَيْهِ وَمُسْتَقْوَى وَإِنْ كَانَ لِي ضَنْفُ
عَدَا قَبْلُ أَنْ يَرْتَدَّ لِلنَّاطِرِ الطَّرْفُ
طَرَا نِقَاقُ فَوْقِ الْأَرْضِ فَهِيَ لَهَا سَفُ
فَلَيْسَ لَهَا مِنْ قَبْلِ مَوْعِدِهَا نَسْفُ
مِنْ النَّبْتِ مَا صَنَفَ يُشَابِهُهُ صَنْفُ
إِذَا انْتَشَرَتْ دَرَّتْ سَخَابِهَا الْوُطْفُ

وَكَمْ فِي غَرِيبِ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ مِنْ
 وَلَمْ يُحِطِ السَّتُّ الْجِهَاتِ بِذَاتِهِ
 إِلَهِي أَقْلِنِي عَثْرَتِي وَتَوَلَّنِي
 خَلَعْتُ عِذَارِي ثُمَّ جِئْتُكَ عَامِدًا
 وَأَنْتَ غِيَاثِي عِنْدَ كُلِّ مُلَمَّةٍ
 عَجَائِبَ لَا يُحْصَى لِأَيْسَرِهَا وَصْفُ
 فَايُنْ يَكُونُ الْأَيْنُ وَالْقَبْلُ وَالْخَلْفُ
 يَغْفُو فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا عَنَفُ
 بَعْدَرِي فَإِنْ لَمْ تَغْفُ عَنِّي فَمَنْ يَغْفُو
 وَكَهْفُ إِذَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الْوَرَى كَهْفُ

ومن قصيدة له في الدعاء

١١

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا أَنْتَ أَهْلُهُ
 إِلَهِي تَعَمَّدَنِي بِرَحْمَتِكَ الَّتِي
 وَقَوَّ بِرُوحٍ مِنْكَ ضَعْفِي وَهَمَّتِي
 وَضَنَّ مَاءً وَجِئِي فَالسُّؤَالُ مَذَلَّةٌ
 وَلَا طِيفَ أَطْفَالِي وَإِخْوَتَهُمْ فَقَدْ
 وَهَمُّ يَا لَفُؤُنِ الْخَيْرِ وَالْخَيْرُ وَاسِعٌ
 رَبُّوَانِي رَبِّي رَوْضِ النِّعَمِ وَظَلَمِ
 وَبَعْدَ حَيَاتِي فِي رِضَاكَ تَوَفَّنِي
 وَفِي الْقَبْرِ أَيْسَ وَحَشَّتِي عِنْدَ وَحْدَتِي
 وَإِنْ ضَاقَ أَهْلُ الْحَشْرِ دَرْعًا لِمَوْقِفِ
 فَقُلْ فُزْتُ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ بِرَحْمَتِي
 عَلَى كُلِّ حَالٍ يَشْتَلُ السَّرَّ وَالْجَهْرًا
 وَسَعَتْ وَأَوْسَعَتْ الْبَرَآيَا بِهَا بَرًّا
 عَلَى الْفَقْرِ وَأَغْفِرْ زَلَّتِي وَأَقْبَلِ الْمَذْرَأَ
 وَعَنْ جَوْرِ دَهْرٍ لَمْ يَزَلْ حُلُوهُ مَرًّا
 رَمَتْهُمْ خُطُوبٌ مَا أَطَافُوا لَهَا صَبْرًا
 لَدَيْكَ وَلَا وَاللَّهِ مَا عَرَفُوا شَرًّا
 فَجَدِّدْ لَهُمْ مِنْ جُودِكَ النِّعْمَةَ الْخَضْرَا
 عَلَى الْمَلَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالسَّنَّةِ الزَّهْرَا
 فَإِنَّ زَيْلَ الْقَبْرِ يَسْتَوْحِشُ الْقَبْرَا
 بِهِ الْكُتُبُ تَعْطَى بِالْيَمِينِ وَبِالْيَسْرَى
 وَمَغْفِرَتِي لَا تَخْشُ بُوْسًا وَلَا ضَرًّا

وله في الدعاء ايضا

١٢

مُقِيلَ الْعَاثِرِينَ أَقْبَلِ عِثَارِي وَخُذْ لِي مِنْ بَنِي زَمْنِي بِشَارِي

وَجَلَّنِي بِعَافِيَةٍ وَعَفَوِ مِنْ الْأَمْرَاضِ وَالْعِلَلِ الطَّوَارِي
 وَلَا تَشَيْتَ بِي الْأَعْدَاءَ وَأَنْظِرْ إِلَى بَرَحَةٍ نَظَرَ اخْتِيَارِ
 فَقَدْتَهُمْ كُوجَاهِي وَعَانَدُونِي عَلَى نِعَمٍ تَدِيرُ عَلَى دِيَارِي
 وَإِنَّ تَضْرُرِي وَعَنَائِي مِنْهُمْ نَظِيرُ تَذَلُّلِي لَكَ وَأَقْتِمَارِي
 فَإِنْ يَخْسَرُ بِسُوقِهِمْ أَتْجَارِي قَفْضُكَ سُوقِ أَرْبَاحِ التَّجَارِ
 وَإِنْ يَكُ عَقْنِي صَحْبِي وَجَارِي فَجُودُكَ بِالَّذِي أَرْجُوهُ جَارِي
 فَأَنْتَ بَنِيهَا سَبْعًا شِدَادًا يُزِينُ جَوْهَا شُهْبُ سَوَارِي
 وَمَهَّدْتَ الْأَرْضِي مِنْ نُجُودِ وَعَوْرٍ أَوْ عِمَارٍ أَوْ قِقَارِ
 وَسَخَّرْتَ التَّجَارَ السَّعْ تَجْرِي بِهَا الْأَفْلاكُ مِنْ غَادٍ وَسَارِ
 سَخَّرْتَ الشَّمْسَ خَلْفَ الْبَدْرِ تَسْمَى كَسَمِي اللَّيْلِ فِي طَرْفِ النَّهَارِ
 وَتَمَسَّكَ فِي الْهَوَاءِ الطَّيْرَ بَسْطًا وَقَبْضًا فِي رَوَاحٍ وَأَتِيكَارِ
 وَتَكْفَلَ كُلَّ وَحْشٍ فِي الْبَرَارِي وَرَزَقُ كُلِّ حُوتٍ فِي الْبِحَارِ
 إِلَهِي عَافِنِي وَأَصِحَّ جِسْمِي وَصَلْ وَأَقْبَلْ بِرَحْمَتِكَ أَعْتِدَارِي
 وَطَهَّرْ قَالِبِي وَتَعَشَّرْ قَلْبِي بِأَنْوَارِ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ
 وَإِنْ كَرَّرْتَ مَسْئَلَتِي فَكَلْبِي إِلَى كَرَمٍ يَفِيضُ بِإِلَا انْحِصَارِ
 فَتَحَّ يَدَيَّ أَطْفَالِ صِعَارِ فَهَنِي لِلْأَطْفَالِ الصِّغَارِ
 أَجَاهِدْ فِيكَ مُحْتَسِبًا عَلَيْهِمْ وَأَبْذُلْ فِيكَ جَهْدِي وَأَقْتِدَارِي
 وَتَيْسِيرُ الْأُمُورِ عَلَيْكَ دُونِي فَفَرِّجْ هَمَّ عُسْرِي بِالْيَسَارِ

الباب الثاني في الخطب والمواعظ

نخبة من كتاب اطباق الذهب لعبد المؤمن المغربي الاصبهاني

المقالة الاولى

١٣ يَا اَرْبَابَ الْقُوَّةِ وَالطَّاقَةِ . اَنْظُرُوا بِعَيْنِ الْاِفَاقَةِ . اِلَى اَهْلِ الْفَاقَةِ .
وَيَا رُكْبَانَ النَّاقَةِ . رِفْقًا بِضِعْفَاءِ السَّاقَةِ . وَيَا حَمَلَةَ الْاَوْزَارِ وَخَزَنَةَ الْمَالِ
الْمُسْتَعَارِ . لَا تَجْرُوا ذَيْلَ الْاِفْتِخَارِ عَلَى اَرْبَابِ الْاِفْتِقَارِ . فَقُلُوبُهُمْ خَيْرٌ
مِنْ قُلُوبِكُمْ . وَمَطْلُوبُهُمْ اَعَزُّ مِنْ مَطْلُوبِكُمْ شِفَاكُمُ الْجَوْلُ بِالْاَسْوَاقِ .
عَنْ تَسْمِ قَبُولِ الْاَشْوَاقِ . وَالْمَلَأُكُمْ حُبَّ الرِّزْقِ عَنِ الرِّزَاقِ . وَيَا عُمَّارَ
الْحُرَابِ وَشَرَّابِ الشَّرَابِ لَا تَعْمُرُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ الْمُجْتَمَاءَ . وَلَا تَسْكُنُوا
هَذِهِ الْمَهْلِكَةَ الْفَيْجَاءَ . لَا تَتَّخِذُوا الدُّنْيَا الْقَائِيَةَ سُوقًا . إِنَّ الْبَاطِلَ
كَانَ زَهُوقًا

المقالة الثانية

١٤ اِبْنُ اَدَمَ مَعْجَنٌ مِنَ الصَّلْصَالِ . ثُمَّ تَاهَ بِشَرَايِفِ الْخِصَالِ . وَمَا
دَرَى اَنْ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةَ مِنْ مَوَاهِبِ الرَّحْمَانِ . لَا مِنْ مَكَاسِبِ
الْاِنْسَانِ . بِمَا الْعَقْلُ الْاَعْطِيَّةُ مِنَ عَطَايَاهُ . وَمَا النَّفْسُ الْاِمْطِيَّةُ مِنَ
مَطَايَاهُ . فَاِنْ شَاءَ زَمَّهَا بِزِمَامِ الْهُدَى . وَاِنْ شَاءَ تَرَكَهَا سُدَى . فَمَنْ
يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ حَفْضًا اَوْ رَفْعًا . قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اَللّهِ شَيْئًا اِنْ اَرَادَ
بِكُمْ ضَرًّا اَوْ اَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا

المقالة الحادية عشرة

١٥ العَاقِلُ قَصِيٌّ مَرَامِي النَّظَرِ . فَسَبَّحُ مَوَامِي الْعَبْرِ . عَلِيٌّ مَرَامِ الْخَطْرِ .
يَقْرَأُ مَكْتُوبَ أَسْرَارِ الْعَدَمِ مِنْ عُنْوَانِ الْيَوْمِ . وَيَقْطِفُ ثَمَارَ الْغَيْبِ مِنْ
صُنْوَانِ النَّوْمِ . يَرَى مَوْعُودَ اللَّهِ نَاجِزًا . وَمَكْنُونَهُ بَارِزًا . فَكُنْ يَقْظًا
حَازِرًا . وَمَثَلُ الْغَيْبِ حَاضِرًا . وَإِذَا مَلَكَتْ فَادْذِكِرِ الْقَادِرَ وَقُدْرَتَهُ .
وَإِذَا بَعَثَتْ فَادْذِكِرِ الصَّائِدَ وَقُفْرَتَهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَسْرَاتِ الْأَيَّامِ مَقْرُونَةٌ
بِالنِّعَمِ . وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَعْجُونَةٌ بِالسَّمِّ . وَالْحِجْرُ الدَّهْرَ بَيْنَ الدَّكَا .
وَإِذَا صَحَّكَتْ فَاجْهَشِ لِلْبُكَاءِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْنَعَ مِنَ الْعُلُومِ بِالْقُشُورِ .
وَمِنَ الرِّقِّ الْمُنْشُورِ بِالْذَوَائِرِ وَالْعُشُورِ . أُولَئِكَ قَوْمٌ تَرَلَّوْا هَذِهِ الثَّنِيَّةَ .
وَعَفَلُوا عَنِ الْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ . وَسُغِلُوا بِالدُّنْيَا الدَّيَّةَ عَنِ الْقُطُوفِ
الدَّانِيَةِ . فَهَمُّ فِي مَهَابِطِ الْغِيِّ سَافِلُونَ . وَفِي مَبَادِلِ الْعَيْشِ رَافِلُونَ .
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ غَافِلُونَ

المقالة الخامسة عشرة

١٦ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَطِيبُ رُكُوبَ الْأَخْطَارِ وَوَرُودَ النَّيَّارِ . وَحُلُوقِ
الْعَارِ وَالشَّنَارِ لِأَجْلِ الدِّيَّارِ . وَيَسْتَلِذُّ سَفَا الرَّمَادِ وَنَقْلَ السَّمَادِ . لِأَجْلِ
الْأَوْلَادِ . وَيَصْبِرُ عَلَى نَسْفِ الْجِبَالِ . وَتَجَشُّمِ الْأَهْوَالِ لِشَهْوَةِ الْمَنَالِ .
يَبْدُلُ الْإِيمَانَ بِالْكَفْرِ . وَيُخْفِرُ الْجِبَالَ بِالظَّفْرِ لِلدَّنَائِرِ الصَّفْرِ . وَيُلْجُ
عَرِينَ الْأَسْوَدِ . لِلدَّرَاهِمِ السُّودِ . لَا يَكْرَهُ صُدَاعًا . إِذَا نَالَ كُرَاعًا .
وَيَلْقَى النَّوَابِ بِقَلْبِ صَابِرِهِ . فِي طَاعَةِ الشَّيْخِ أَبِي جَابِرٍ . يَا بَنِي الْعِزِّ

طَبِيعَةً . وَيَرَى الذَّلَّ شَرِيعَةً . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُخْتَارُ الْعَفَافَ . وَيَعَافُ
 الْإِسْفَافَ . يَدْعُ الطَّعَامَ طَاوِيًا وَيَذَرُ الشَّرَابَ صَادِيًا . وَيَرَى الْمَالَ رَائِحًا
 وَعَادِيًا . يَتْرُكُ الدُّنْيَا لِطَالِبِيهَا . وَيَطْرَحُ الْحَيَفَةَ لِكَلَابِيهَا . لَا يَسْتَرْزِقُ لِلنَّامِ
 النَّاسِ . وَيَقْنَعُ بِالْحُبْزِ النَّاسِ . يَكْرَهُ الْمَنَّ وَالْأَذَى . وَيَعَافُ الْمَاءَ عَلَى
 الْقَدَى . إِنْ أَثَرَى جَعَلَ مَوْجُودَهُ مَعْدُومًا . وَإِنْ أَقْوَى حَسِبَ قِفَارَهُ
 مَادُومًا . جَوْفُ خَالٍ . وَتَوْبُ بَالٍ . وَمُحَدُّ عَالٍ . وَتَوْبُ أَسْمَالٍ . وَرَاءَهُ
 عِزٌّ وَجَمَالٌ . وَعَقِبُ مَرْزُوقٍ . وَذَيْلُ مَقْتُوقٍ . يَجْرُهُ قَتَى مَقْبُوقٌ

لِلَّهِ تَحْتَ قِبَابِ الْعِزِّ طَائِفَةٌ أَخْفَاهُمْ فِي رِدَاءِ الْفَقْرِ إِجْلَالًا
 هُمْ السَّلَاطِينُ فِي أَثْوَابِ مَسْكَنَةٍ اسْتَعْبَدُوا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ أَقْيَالًا
 غُبْرٌ مَلَاسِهِمْ شَمٌّ مَعَاطِسُهُمْ جِرْوَاعِي قَلَّلَ الْخَضْرَاءَ أَذْيَالًا
 هَذِي السَّعَادَةَ لَا ثَوْبَانَ مِنْ عَدَنِ خِيَطًا قَيْصًا فَصَارَا بَعْدُ أَسْمَالًا
 تِلْكَ الْمَنَاقِبُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنِ شَيْبًا يَمَاءَ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا
 هُمْ الَّذِينَ جَبَلُوا أَبْرَاءَ مِنَ التَّكْلِيفِ . يُحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفِيفِ

المقالة الحادية والعشرون

١٧ يَا مَنْ يَسْعَى لِقَاعِدٍ وَيَسْهَرُ لِرَاقِدٍ . وَيَأْمَنُ بِجُرْسٍ لِرَاصِدٍ وَيَذَرُ
 لِحَاصِدٍ . وَيَجْعَلُ لِبَازِلٍ . وَيَجْمَعُ لِأَكْلٍ . تَبْنِي الْإِيوَانَ وَعَنْ قَلِيلٍ
 يَنْهَدِمُ رُكْنَانِكَ . وَتَسْطُرُ الرِّوَاقَ وَفِي الْجِدْثِ سَكْنَانِكَ . قَلْبُ كَقُلُوبِ
 الْكُفَّارِ وَحَرَضُ كَحَرَضِ الْقَارِ . يَثْبُ بِالْأَطْفَارِ وَلَا يَنْبِي عَلَى الْمَادُومِ
 وَالْقَارِ . قُلْ لِي إِذَا وَقَمَتِ الْوَاقِعَةُ . وَقُرِعَتِ الْقَارِعَةُ . وَأَزِفَ لَكَ

الرَّحِيلُ. وَاجْتَمَعَ الطَّيِّبُ وَاللَّيْلِيُّ. وَاخْتَلَفَ الْغَسَّالُ وَالنَّعْسِيُّ. وَالْعَائِدُ
يَغْمُزُ عَيْنَهُ وَالطَّيِّبُ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ. حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ نَفْسُكَ. وَخَفِيَ
جَرَسُكَ. أَيْنَعُكَ حِينَئِذٍ حَلَالُ أَصْبَتِهِ. أَمْ حَرَامُ عَصَبَتِهِ. أَمْ تَشَبَّ
حَرَشَتَهُ. أَوْ وَلَدَ حَضَنَتَهُ أَوْ رِبْعَ أَسْسَتِهِ أَوْ نَبْعَ غَرَسَتِهِ. أَوْ حُطَّامُ
حَرَسَتِهِ أَوْ قَفْرُ حَرَثَتِهِ. أَوْ وَفْرُ أَوْرَثَتِهِ. كَلَّا لَا يَنْفَعُكَ فِي قَدْ غَنَمَتَهُ.
وَلَا يَضُرُّكَ شَيْءٌ عَدِمَتَهُ. وَلَا يُنْجِيكَ إِلَّا خَيْرُ أَمْضِيَّتِهِ. أَوْ خَصْمُ أَرْضِيَّتِهِ.
فَأَنْتَبِهْ يَا نَائِمُ. وَاسْتَقِمْ يَا هَائِمُ. لَقَدْ تَهْتَفِي بِبَادِيَةِ لَا يَبْلُغُكَ نِدَائِي.
وَتَرَدِّيْتِي فِي هَاوِيَةٍ لَا يَبْلُغُنِي رَدَائِي. تَعِيمُ هَوَاؤُكَ وَسَيِّضِي حِينَ لَا
يَنْفَعُكَ نَضِي. وَلَا تَعَصُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِ سَوْءٍ إِذَا حَضَرَكَ أَلْمُوتُ غَابُوا.
وَمَا حَزِنُوا لِمَا أَصِيبُوا بَلْ فَرِحُوا بِمَا أَصَابُوا. وَإِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا
دُعَاكَ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا

من ديوان خطب الامام ابرهيم بن بدوي القاسم

الخطبة الاولى لشهر محرم

١٨ أَحْمَدُ لِلَّهِ قَسَمَ الزَّمَانُ أَعْوَامًا. وَقَسَمَ الْأَعْوَامَ شُهُورًا وَأَيَّامًا.
عَلَى مَا اقْتَصَتُهُ الْحِكْمَةُ وَالتَّدْبِيرُ. وَأَفْتَحَ كُلَّ عَامٍ بِشَهْرِهِ الْمُحَرَّمِ.
وَجَمَلَهُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ الْمُجْمَلِ الْمُعْظَمِ الَّذِي فَضَلَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِ شَهِيرُ. أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ
وَأَسْتَعِذُّ بِهِ وَأَسْتَجِيرُ. أَمَا بَعْدُ فَيَا عِبَادَ اللَّهِ هَذَا عَامٌ جَدِيدٌ قَدْ نَزَلَ
بِكُمْ فَأَكْرِمُوا نَزْلَهُ. وَحَلِّ فِكْمَ بِحُلِّ الْإِقْيَاطِ قَالِبَسُوا حُلْمَهُ. فَإِنَّهُ لَكُمْ

مَوْقِفٌ وَنَذِيرٌ . مَا مِنْ يَوْمٍ يُرَى إِلَّا وَهُوَ يُنَادِيكُمْ بِلسَانِ حَالِهِ . هَا أَنَا
 مُؤَذِّنٌ كُلِّ رَاحِلٍ بِقُرْبِ أَرْحَالِهِ . فَلْيَتَأَهَّبْ لِلْمَسِيرِ . إِلَى دَارِ الْمَصِيرِ .
 يَا أَيُّهَا الْمَسْرُورُ بِتَجْدِيدِ الْأَعْوَامِ . الْمَغْرُورُ بِقُدُومِ الْأَهْلَةِ وَتَتَابِعِ الْأَيَّامِ .
 أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا تَقْصِرُ عُمُرَكَ الْقَصِيرَ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ تَتَابِعَ الْمُلُوكِ . وَتَتَابِعَ
 النَّبِيِّينَ . لَمْ يُبْقِيَ مِنْ عُمُرِكَ إِلَّا الْيَسِيرَ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي تَصَرُّمِ الْأَيَّامِ
 بِالْغَفْلَةِ وَالنَّمَامِ أَشَدَّ حِرْمَانٍ وَتَحْسِيرٍ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي أَنْقِرَاضِ
 الْأَعْمَارِ بِمُرُورِ الذُّهُورِ وَالْأَعْيَارِ أَعْظَمَ عِبْرَةٍ وَتَذْكَيرٍ . أَتَنْظُنُّ أَنَّ
 عَمْرَكَ الرَّاحِلَ عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْمُقِيمُ . أَوْ أَنَّ مَنْ أَخَذَ غَيْرَكَ يَتْرُكَكَ
 فِي كُلِّ وَادٍ تَهِيمٍ . لَا وَاللَّهِ بَلْ لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُسَلِّكَ فِي سَبِيلِهِمْ وَيَلْتَحِقَ
 النَّظِيرُ بِالنَّظِيرِ . فَأَنْتَبِهْ يَا مُسْكِينُ فَالِدُنْيَا أَضْعَافُ أَحْلَامٍ . وَدَارُ الْفَنَاءِ
 لَا تَصْلُحُ لِلْمَقَامِ . وَكَأَنَّكَ بِهَا وَقَدْ كُفِّ بِدَرْهَا الْمُنِيرُ وَاعْتَبِرْ بِغَيْرِكَ
 فَالْمَاقِلُ مَنْ بَغِيْرِهِ اعْتَبِرَ . وَتَرَوُّدٌ مِنَ التَّقْوَى لِطَوْلِ السَّفَرِ . فَإِنَّهُ وَاللَّهِ
 سَفَرٌ خَطِيرٌ وَدَرٌ مُحَارِمٌ وَقَمٌّ عَلَى أَقْوَمِ سَنَنِ . وَشَمْرٌ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ فِي
 آدَاءِ الْقَرَائِضِ وَالسَّنَنِ . وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالتَّقْصِيرِ وَقَدِمَ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
 بَيْنَ يَدَيْكَ . وَاجْعَلِ الْمَوْتَ دَائِمًا نُصَبَ عَيْنِكَ . وَلَا تَنْسَهُ فَنَسْيَانَهُ
 ضَلَالٌ كَبِيرٌ . وَاعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ أَوْ يَرَاكَ . وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ وَأَنْ يَرَاكَ
 حَيْثُ نَهَاكَ . فَيَشْتَدَّ عَلَيْكَ لِلنَّكِيرِ . وَهُوَ وَإِنْ اسْتَرْتَّ مَطْلَعُ عَايِكَ .
 وَأَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ الَّتِي بَيْنَ جَنبَيْكَ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ حَقَّقَ وَهُوَ
 اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ . يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا . وَمَا يَنْزِلُ

مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ عَنْهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ

خطبة لشهر صفر

١٩ أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي عَمَّ الْوُجُودَ بِرَحْمَتِهِ . وَأَقَاضَ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ
سِجَالَ نِعْمَتِهِ . وَعَمَّرَ الْأَنَامَ . بِنَجْرِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ الْمُتَلَاطِمِ . سُجَّانَهُ
لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ . إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مِنْهُ وَإِلَيْهِ . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَحْكَمُ
حَاكِمٍ وَأَرْحَمُ رَاحِمٍ . أَحْمَدُهُ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ
وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَالْمَآثِمِ . أَمَا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا
أَجْهَلَكَ نِعْمَ مَوْلَاكَ وَأَنْسَاكَ . مَعَ أَنَّكَ غَرِيقٌ فِي لَحْجِ بَحْرِهَا مُذْ
أَوْجَدَكَ وَأَنْسَاكَ . وَلَوْ تَدَبَّرْتَ الْوُجُودَ . لَرَأَيْتَهُ سَاعِيًا فِي مَصَالِحِكَ
كَالْخَادِمِ . أَخْرَجَكَ مِنْ خِصَّةِ الْعَدَمِ إِلَى شَرَفِ الْوُجُودِ . وَعَمَّرَكَ فِي
تِيَارِ بَحَارِ الْفَضْلِ وَالْجُودِ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْيَقِينِ
أَلْجَازِمِ . ثُمَّ مَا زَالَ يُرِيكَ وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ بِرِزْقِهِ الْمُسْتَرَايِدِ . وَأَنْتَ
تَشْكُوهُ لِحَلْفِهِ شِكَايَةَ الْمُضْطَرِّ الْفَاقِدِ . كَأَنَّكَ مِنْ وَرْدِ مَنْهَلِهَا غَيْرُ شَرِيبٍ
أَوْ أَنْتَ لَهَا عَادِمٌ . وَالْعَجَبُ أَنَّكَ تُعَدُّ النِّقَمَ وَالْحَسَنَ . وَتَنْسَى مَا لِلَّهِ
عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ وَالْمِنَّةِ . وَرَبَّمَا كَانَتْ الْعِغْنَةُ مِنْهُ عِنْدَ الْفَهْمِ الْعَالِمِ . كَمْ
فِي الْفَقْرِ مِنْ أَجْرٍ وَكَمْ فِي الضَّرِّ مِنْ تَكْفِيرٍ وَزُرْ . فَمَارَبُّكَ بِظِلَامِ الْعَبِيدِ
بَلْ عَدَلٌ فِي كُلِّ مَا هُوَ بِهِ حَاكِمٌ . فَادْيُمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ شُكْرَ الْمُنْعَمِ بِخَالِصِ
التَّقْوَى وَصَالِحِ الْعِبَادَةِ . وَأَحْسِنُوا فَإِنَّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً .

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءَ سِنِيَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

(من ديوان خطب الشيخ زكريا الانصاري)

خطبة لربيع الآخر

٢٠ أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي عَزَّتْ مَعْرِفَتُهُ فَلَا يُدْرِكُ بِالْمَعْقُولِ خَافِيَهَا . وَجَلَّتْ صِفَتُهُ فَلَا يَتَكَدَّرُ بِالْمَنْقُولِ صَافِيَهَا . وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ فَلَا يُرَدُّ حُكْمُ قَاضِيَهَا . وَدَامَتْ أَرْزَلِيَّتُهُ فَمَنْ ذَا يُضَاهِيهَا . أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا يُكُنُّ تَنَاهِيَهَا . أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَدْرِكُوا مَا قَاتَ مِنْ أَعْمَارِكُمْ بِالتَّوْبَةِ قَالِدُنَا كَمِثْلِ الْمَنَامِ . وَحَصِّلُوا التَّوْبَةَ فَقَدْ قَرَّبَ الرَّجِيلُ وَالْإِنْصِرَامُ . فَمَا أَسْعَدَ مِنْ بَادِرِ بَقِيَّةِ عُمْرِهِ بِالْإِغْتِمَامِ . وَمَا أَحْسَنَ مِنْ دَعَاةِ مَوْلَاهُ فَأَجَابَهُ بِالذَّلِّ وَالْأَحْسِنَامِ . وَمَا أَبْرَكَ مِنْ خَلَعَ عَلَيْهِ خَلَعِ الْقَبُولِ وَالْإِنْعَامِ . وَمَا أَشَقَّ مِنْ ذَهَبَتْ فِي الْبَطَالَةِ شُهُورُهُ وَالْأَيَّامُ . وَكَبَّ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ الْقَبَاحُ وَالْآثَامُ . وَمَا أَقْسَى قَلْبَ مَنْ عَصَى الْمَلِكَ الْعَلَامُ . يَسْمَعُ الْمَوَاعِظَ فَكَانَهَا أَضْعَافَ أَحْلَامِ . وَتَمْضِي عَلَيْهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ . وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الْآثَامِ . وَيَطْمَعُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَقَدْ ضَرَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِسُورِلَهُ بَابٌ . وَيَتَصَنَّعُ بِعِمَارَةٍ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنُهُ خَرَابٌ . وَيَتَعَفَّفُ عَنِ الْقَلِيلِ وَهُوَ لِلْكَثِيرِ نَهَابٌ . فَمَا عَذْرُ هَذَا إِذَا اجْتَمَعَتِ الْخُلَاقُ . وَتَحَقَّقَتِ الْحَقَائِقُ . وَوُزِنَتِ الْأَعْمَالُ بِالذَّقَائِقِ . وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا شَهِيدٌ وَسَاقِقٌ . وَوُضِعَ الْكِتَابُ . وَنُوقِسَ الْحِسَابُ . وَلَمْ يَدْرِ

مَا الْجَوَابُ . وَأَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ . يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَمَلَهَا .
وَتَسْأَلُ عَنْ قَوْلِهَا وَفِعْلَهَا . يَوْمَ يُسْأَلُ الْعَالَمُونَ عَنْ عِبَادِهِمْ . وَالْحَاكِمُونَ
عَنْ حُكْمِهِمْ . يَوْمَ تَطْهَرُ الْأَسْرَارُ . وَتُكْشَفُ الْأَسْتَارُ . وَيُحْجَى الْمَلِكُ
الْجَبَّارُ . فَكَيْفَ تَعْمُونَ اللَّهَ وَقَدْ أَقْرَضْتُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ . وَكَيْفَ تَسْخَطُونَهُ
وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَمَالَ عَظَمَتِهِ . فَيَا عِبَادَ اللَّهِ أَطِيعُوا اللَّهَ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَعْطِفْ عَلَيْكُمْ الْقُلُوبَ . وَاجْتَنِبُوا مَعْصِيَةَ اللَّهِ فَالْوَعِيدُ غَيْرُ مَكْذُوبٍ

خطبة له لجمادى الأولى

٢١ الْحَمْدُ لِلَّهِ مُظْهِرِ الْحَمْدِ وَمُبْدِيهِ . وَمُنْجِزِ الْوَعْدِ وَمُوفِيهِ . وَمُسْعِدِ
الْعَبْدِ وَمُشْقِيهِ . وَمُرْسِلِ السَّحَابِ وَمُنْشِيهِ . الَّذِي يُجِيبُ دَعْوَةَ دَاعِيهِ .
وَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَاصِي وَإِنْ كَثُرَتْ مَعَاصِيهِ . أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَمْدًا
يُؤَافِي إِعْنَامَهُ وَيُكَافِيهِ . أَيُّهَا النَّاسُ دَارِكُوا مَا فَرَطَ مِنْ أَيَّامِ الْبَطَالَةِ .
فَسَلِّقِي كُلَّ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَعْمَالَهُ . يَوْمَ يَسْتَقْبَلُ فَلَا يُجَابُ إِلَى الْإِقَالَةِ .
يَعِضُ أَنْامِلَهُ عَلَى الضَّلَالَةِ . يَوْمَ تُحْشَرُ فِيهِ لِلْعَرْضِ . عَلَى دِيَانِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . يَوْمَ تَرْدَجِمُ فِيهِ الْخَلَائِقُ قَوِيًّا وَضَعِيفًا . وَدَنِيًّا
وَشَرِيفًا . وَيَصِيرُ عَلَى كُلِّ قَدَمٍ أَلْفُ قَدَمٍ . فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ عَنْ نَفْسِهِ
دَفْعًا وَلَا تَخْفِيفًا . وَتُنْشَرُ الدَّوَابُّ . وَتَطَارُ الصُّحُفُ وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ .
وَالْمَلَائِكَةُ قَدْ حَفُوا بِالْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَقَدْ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ .
وَقَدْ تَحْجَى الْمَلِكُ الدِّيَانَ . هُنَالِكَ تَشِيبُ الْأَطْفَالُ . وَتَوْضَعُ فِي الْأَعْنَاقِ
الْأَعْغَالُ . وَيُقَادُ الْعَجْرَمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَأَهْلُ الضَّلَالِ . فَمَهَذَا مَا خُودُ

بِنَاصِيَتِهِ . وَهَذَا مَسْتُوبٌ عَلَى جِبَّتِهِ وَوَجْهِهِ وَهَذَا قَدْ سَامَحَهُ رَبُّهُ وَتَجَادَهُ .
 وَهَذَا يَقُولُ وَأَفْضَحَتَاهُ وَأَسْوَأُ تَأَهُ . وَهَذَا أَلْفُ غِشٍّ فِي الْحِسَابِ . وَهَذَا
 يَدْعُو فَلَا يُجَابُ . وَهَذَا رَجْمُهُ الْمَلِكُ التَّوَابُ . وَهَذَا قَرَبَهُ رَبُّ الْأَرْبَابِ .
 وَهَذَا أَبَدَهُ وَأَنْقَطَعَتْ عَنْهُ الْأَسْبَابُ . فَكَيْفَ حَالُ الْعَاصِي قَلِيلَ
 الْأَعْمَالِ . كَثِيرِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ . فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّدِيدِ النَّكَالِ .
 الْكَثِيرِ الْأَهْوَالِ . فَيَا عِبَادَ اللَّهِ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَقَدِّمُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ .
 وَأَقْلَعُوا عَنِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ لِيَتَلَسُّوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَكْرِيماً وَتَشْرِيفاً .
 وَلَا تَتَّبِعُوا كَيْدَ الشَّيْطَانِ إِنْ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً

نخبة من ديوان خطب ابن نباتة

خطبة لشهر صفر

٢٢ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّقِيبِ عَلَى عِبَادِهِ . الْقَرِيبِ مِنْ أَهْلِ صُحْبَتِهِ وَوَدَادِهِ .
 الْقَاهِرِ مِنْ حَارِبِهِ مِنْ عِبَادِهِ . الْقَامِعِ مِنْ نَازِعِهِ وَدَافِعِهِ عَنْ مُرَادِهِ . أَحْمَدُهُ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَا أَوْلَانَا مِنْ مَنْنِهِ وَإِمْدَادِهِ . إِبْنِ آدَمَ كَمْ لِلَّهِ عَلَيْكَ
 مِنْ نِعْمَةٍ أَنْتَ لَهَا كَاتِمٌ . وَكَمْ لَهُ لَدَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْتَ مَعَ مَوْجِدَتِهَا كَاطِمٌ .
 لَوْ تَفَكَّرْتَ فِي أَحْوَالِهَا لَرَأَيْتَهَا مَشْحُونَةً بِالْعِظَانِمِ . وَلَوْ تَدَبَّرْتَ فِي
 الْوُجُودِ لَرَأَيْتَهُ سَاعِياً فِي مَصَالِحِكَ كَالْحَادِمِ . فَوَاعِجِبْ تَعُدُّ النِّعَمَ . وَتَنْسَى
 النِّعَمَ . وَرَبِّمَا كَانَتْ النِّعْمَةُ نِعْمَةً عِنْدَ فَهْمِ الذَّكِيِّ الْعَاقِلِ الْعَالِمِ . كَمْ فِي
 الْفَقْرِ مِنْ أَجْرٍ وَكَمْ فِي الضَّرِّ مِنْ تَكْفِيرٍ سَيِّئَةٍ وَدَفْعٍ مَأْتِمٍ . فَمَارِبُكَ
 يظْلَامُ لِلْعَيْدِ بَلْ هُوَ عَادِلٌ فِي كُلِّ مَا هُوَ بِهِ حَاكِمٌ . فَيَا مَشْفُوعاً

بِالْإِعْرَاضِ عَنْ مَوْلَاكَ أَفْقَ فَإِنَّكَ فِي الْحِسَابِ غَالِطٌ وَفِي دَعْوَاكَ ظَالِمٌ. إِنْ أَحْرَمَكَ مَرَّةً فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَعْطَاكَ. وَإِنْ أَسْقَمَكَ يَوْمًا فَكَمْ مِنْ أَيَّامٍ عَافَاكَ. فَوَاللَّهِ لَوْ لَا رَحْمَتُهُ مَا دَفَعَ عَنْكَ الْمَأْلَمَ. وَلَا أَوْصَلَ إِلَيْكَ الْمَكَارِمَ. كَمْ عَامَلَكُ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ. مَعَ مَقَابَلَتِكَ بِالْعِصْيَانِ. وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ وَعَالِمٌ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدْتَهُ بِالْأَرْكَانِ. وَمَجْدَتُهُ بِاللِّسَانِ. وَوَحْدَتُهُ بِالْجَنَانِ. وَكُنْتَ فِي مَحَبَّتِهِ كَالْمُهَانِمِ فَوَاللَّهِ مَا عَزَّ شَيْءٌ إِلَّا وَهَانَ. وَلَا تَمَّ أَمْرٌ إِلَّا وَآخَذَ فِي النُّقْصَانِ. وَمَا أَطَاعَهُ عَبْدٌ مَعَ الْإِخْلَاصِ إِلَّا وَعَمَّرَهُ بِبَيْعَرِ جُودِهِ الْمُتَلَاطِمِ.

وله من خطبة في الصلاة

٢٣ تَارِكُ الصَّلَاةِ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَأَهْلَى عَلَيْهِ التُّرَابُ بِالسَّخَاةِ يُخَاطِبُهُ الْقَبْرُ بِلسَانِ فَصِيحٍ وَأَلْفَاظٍ مُعْرَبَاتٍ. لَا أَهْلًا بِكَ وَلَا سَهْلًا يَا مَنْ ضَيَّعَ فِي الدُّنْيَا حُقُوقَ رَبِّ الْمَخْلُوقَاتِ. يَأْطُولُ مَا مَشَيْتَ عَلَى ظَهْرِي وَتَرَكْتَ الصَّلَاةَ. وَسَهَوْتَ عَنْهَا بِالشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ. الْيَوْمَ تَنْظُرُ مِنِّي عَذَابًا لَا تُطِيقُهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ. فَيَضْمُهُ الْقَبْرُ ضَمَّةً وَاحِدَةً. فَتَصِيرُ أَضْلَاعُهُ مُخْتَلِفَاتٍ. فَأَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ

وله من غيرها

٢٤ أَيُّهَا النَّاسُ قُرْبَ الرَّحِيلِ وَأَنْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ غَافِلُونَ. وَأَنْقَصْتِ الْأَجَالَ وَأَنْتُمْ عَلَى الْمَعَاصِي عَاكِفُونَ. وَتَرَادَفْتِ الْأَهْوَالَ وَأَنْتُمْ فِي طُغْيَانِكُمْ تَمْتَهُونَ. فَمَهْلُ أَنْتُمْ عَلَى بَيْعَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْقَرَارِ. أَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ

اللَّهُ عَهْدُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي هَذِهِ الدَّارِ . كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّكُمْ مِنْهَا رَاحِلُونَ وَلِنَعِيمِهَا
 مُفَارِقُونَ . أَمَا تَتَّبِعُونَ بَيْنَ مَضَى مِنَ الْأَمْوَاتِ . أَمَا تَحْأَفُونَ مِنْ
 الْعَرْضِ عَلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ . أَمَا تَرَوْنَ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ تَوَارَدَتْ .
 أَمَا تَرَوْنَ الْقُلُوبَ مِنَ الْحَسَدِ عَنْ بَعْضِهَا تَنَافَرَتْ . أَمَا تَرَوْنَ الْقَوَاحِشَ
 وَقَدْ أَصْبَحَتْ ظَاهِرَةً . أَمَا تَرَوْنَ الْهَمَمَ عَنِ الْحَيَاتِ قَاصِرَةً . أَمَا
 تَرَوْنَ أَنَّ الْبِدَعَ قَدْ كَثُرَتْ وَغَمَّتْ . أَمَا تَرَوْنَ الْفِتَنَ غَلَبَتْ وَطَمَّتْ . أَمَا
 تَرَوْنَ الْأَمَانَةَ قَدْ ذَهَبَتْ وَضَاعَتْ . أَمَا تَرَوْنَ الْحَيَاةَ قَدْ كَثُرَتْ
 وَشَاعَتْ . فَكَايِي بِكُمْ وَقَدْ طَرَقَكُمْ طَارِقُ الْمُنُونِ . وَأَخْذُكُمْ بِنِعْتِهِ وَأَنْتُمْ
 لَا تَشْعُرُونَ . فَتَبَهُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ قَبْلَ هُجُومِ الْمَوْتِ . وَتَرَوُدُّوا لِآخِرَتِكُمْ
 قَبْلَ الْقَوْتِ . قَبْلَ الْعَرْضِ عَلَى الْمَلِكِ الْجَبَّارِ . قَبْلَ كَشْفِ الْأَسْرَارِ . قَبْلَ
 يَوْمِ الْقِصَاصِ . قَبْلَ تَعَذُّرِ الْخَلَاصِ . قَبْلَ دُنُوبِ الشَّمْسِ مِنَ الرُّؤُوسِ . قَبْلَ
 هَلَاكِ الْأَرْوَاحِ وَالنُّفُوسِ

خطبة لابن زندقه الطرطوشي

٢٥ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ (وَكُنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ) أَتَقَى إِلَيَّ تَتَمَعًا وَاعْرِفَنِي لُبًّا
 فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي مَتَى الْمَوْتُ فَأَعْلَمَنَّ بِأَنَّكَ لَا تَتَّبِعُنِي إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ .
 أَيْنَ آدَمُ أَبُو الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . أَيْنَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
 أَيْنَ الْأُمَمُ الْمَاضِيَةُ . أَيْنَ الْمُلُوكُ السَّالِقَةُ أَيْنَ الْقُرُونُ الْحَالِيَةُ . أَيْنَ الَّذِينَ
 نُسِبَتْ عَلَيْهِمْ مَفَارِقُهُمُ السَّيِّئَانُ . أَيْنَ الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِالْأَجْنَادِ وَالسُّلْطَانِ .
 أَيْنَ أَصْحَابِ السُّطُورِ وَالْوِلَايَاتِ . أَيْنَ الَّذِينَ خَفَّتْ عَلَيْهِمُ الرُّؤُوسُ مِنَ الْأَلْوِيَةِ

وَالرَّايَاتُ . أَيْنَ الَّذِينَ قَادُوا الْجِيُوشَ وَالْعَسَاكِرَ . أَيْنَ الَّذِينَ عَمَرُوا
 الْقُصُورَ وَالِدَسَاكِرَ . أَيْنَ الَّذِينَ أَعْطَوْا النَّصْرَ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ
 وَالْمَوَاقِبِ . أَيْنَ الَّذِينَ أَقْتَحَمُوا الْخَطِيطَ وَالْمَخَافِيفَ . أَيْنَ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمْ
 الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ . أَيْنَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا فِي اللَّذَاتِ وَالْمَنَارِبِ . أَيْنَ الَّذِينَ
 تَاهَوْا عَلَى الْخَلَائِقِ كِبْرًا وَعُتْيًا . أَيْنَ الَّذِينَ رَاحُوا فِي الْحُلَلِ بَكْرَةً
 وَعَشِيًّا . أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَلَّوْا الْمَلَابِسَ أَنَاثًا وَرِيًّا . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ
 قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنَاثًا وَرِيًّا . أَيْنَ الَّذِينَ مَلَأُوا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ عِزًّا . أَيْنَ
 الَّذِينَ فَرَّشُوا الْقُصُورَ خِزًّا وَقَرًّا . أَيْنَ الَّذِينَ تَضَعَّضَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ
 هَيْبَةً وَهَزًّا . أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَدَلُّوا الْعِبَادَ قَهْرًا وَرِزًّا . هَلْ تُحْسِبُهُمْ مِنْ أَحَدٍ
 أَوْ تَسْمَعُهُمْ رِكْزًا . أَفَنَاهُمْ وَاللَّهِ مُفْنِي الْأُمَمِ . وَأَبَادُهُمْ مُبِيدَ الرِّمَمِ .
 وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ . وَأَسْكَنَهُمْ فِي صَنْكِ الْقُبُورِ . تَحْتَ الْجِنَادِلِ
 وَالصُّحُورِ . فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ فَعَاثَ الدُّودُ فِي أَجْسَامِهِمْ .
 وَأَتَّخَذَ مَقِيلًا فِي أَيْدَانِهِمْ . فَسَالَتِ الْعَيْونُ عَلَى الْحُدُودِ . وَأَمْتَلَاتِ تِلْكَ
 الْأَفْوَاهُ بِالدُّودِ . وَتَسَاقَطَتِ الْأَعْضَاءُ وَتَمَزَّقَتِ الْجُلُودُ . فَلَمْ يَنْقُصْهُمْ مَا
 جَمَعُوا وَلَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا . أَسْلَمَكَ الْأَجِبَةُ وَالْأَوْلِيَاءُ . وَهَجَرَكَ
 الْإِخْوَانُ وَالْأَصْفِيَاءُ . وَتَسِيكَ الْقُرْبَاءُ وَالْبُعْدَاءُ . فَأَنْسَيْتَ وَلَوْ نَطَقَتْ
 لِأَنْشَدَتْ قَوْلَنَا عَنْ سُكَّانِ الثَّرَى . وَرَهَائِنِ الثَّرْبِ وَالْبَلِي :

مُقيمٌ بِالْحَجُونَ زَهِينِ رَمْسٍ وَأَهْلِي رَائِحُونَ بِكُلِّ وَادٍ
 كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُمْ حَبِيبًا وَلَا كَانُوا الْأَجِبَةَ فِي السَّوَادِ

فَعُوجُوا بِالسَّلَامِ فَإِنْ أَيْتَمَ فَأَوْمُوا بِالسَّلَامِ عَلَى بَعَادِ
 فَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَصَفَا حَلِيلٌ سِوَانَا فَادْكُرُوا صَفْوَ الْوَدَادِ
 وَذَلِكَ أَقَلُّ مَا لَكَ مِنْ حَبِيبٍ وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ
 فَلَوْ أَنَا بِمَوْقِفِكُمْ وَقَفْنَا سَقَيْنَا التُّرْبَ مِنْ مُهَجِ الْفُؤَادِ

وله ايضا

٢٦ (يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ) أَعْتَبِرْ بَيْنَ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ . وَخَلَا
 مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ . وَكَيْفَ بَسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَأَنْسَبَتْ لَهُمُ
 الْأَجَالَ . وَأَفْسَحَ لَهُمُ فِي الْمَنَى وَالْأَمَالِ . وَأَمِدَّوَابَالَاتِ وَالْعَدَدِ
 وَالْأَمْوَالِ . كَيْفَ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْمُنُونُ . وَأَخْتَدَعَهُمْ بِزُخْرُفِهِ
 الدَّهْرُ الْحَوُونُ . وَأَسْكَنُوا بَعْدَ سَعَةِ الْقُصُورِ . بَيْنَ الْجِنَادِلِ وَالصُّحُورِ .
 وَعَادَ الْعَيْنُ اثْرًا . وَالْمَلِكُ خَيْرًا . فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ ذَهَبَ صَفْوُ الزَّمَانِ
 وَبَقِيَ كَدْرُهُ . فَالْمَوْتُ تُخْفَةُ لِكُلِّ مَرءٍ كَانَ الْخَيْرُ أَصْبَحَ خَامِلًا وَالشَّرُّ
 أَصْبَحَ نَاصِرًا . وَكَانَ النَّعْيُ أَصْبَحَ ضَاحِكًا وَأَدْبَرُ الرُّشْدُ بَاكِيًا . وَكَانَ
 الْعَدْلُ أَصْبَحَ غَائِرًا وَأَصْبَحَ الْجُورُ عَالِيًا . وَكَانَ الْعِلْمُ أَصْبَحَ مَدْفُونًا
 وَالْجَهْلُ مَشْهُورًا . وَكَانَ اللُّؤْمُ أَصْبَحَ بَاسِقًا وَالْكَرَمُ ذَاوِيًا . وَكَانَ الْوَدَّ
 أَصْبَحَ مَقْطُوعًا وَالْبَغْضُ مَوْضُولًا . وَكَانَ الْكِرَامَةُ قَدْ سَلِبَتْ مِنَ
 الصَّالِحِينَ وَنُوحِي بِهَا الْأَشْرَارُ . وَكَانَ الْحُبُّ أَصْبَحَ مُسْتَقْطًا وَالْوَفَاءُ
 نَائِمًا . وَكَانَ الْكُذْبُ أَصْبَحَ مُشْرًا وَالصِّدْقُ قَاحِلًا . وَكَانَ الْأَشْرَارُ
 أَصْبَحُوا يُسَامُونَ السَّمَاءَ وَأَصْبَحَ الْأَخْيَارُ يَرِدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ . أَمَا تَرَى

الدنيا ثقیلاً إقبال الطالب . وتدير إداراً الهارب . وتصل وصل الملول .
وتفارق فراق الجول . فخيرها يسير . وعيشها قصير . وإقبالها خديعة .
وإدارها فجيعة . ولذاتها فانية . وتبعاتها باقية . فأغتنم غفوة الزمان .
وأنتهز فرصة الأمان . وخذ من نفسك لنفسك . وتروذ من يومك
لنفسك . ولا تنافس أهل الدنيا في خفض عيشتهم . ولين ريشهم .
ولكن أنظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم

من خطبة للسان الدين ابن الخطيب في ذم الكسل

٢٧ الكسل مزلة الریح . ومسخرة الصبح . إذا رقدت النفس في
فراش الكسل استقرتها نوم الغفلة . لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في
أصحاب السعير . الندامة في الكسل . كالتسم في العسل . الكسل
آفة الصانع . وأرصة في البصانع . العجز والكسل . يفتحان الخمول
ولا تسئل . الفلاح إذا ملل الحركة . عدم البركة

ظهران لا يبلغان المرء إن ركبنا باب السعادة ظهر العجز والكسل
وفي اعتنام الأنام من أضع الفرصة . تجرع الغصة . إن كان لك
من الزمان شيء فالحال . وما سواه فحال . تارك أمره إلى غده . لا يفلح
للأبد . الإنسان ابن ساعته . فليحطها من إضاعته . التسويف سم
الأعمال . وعدو الكمال . لم يجرم المبادر . إلا في التأدير . ما درجت
أفراخ ذل إلا من وكر طماعة . ولا بسقت فروع ندم إلا من جرثومة
إضاعة . العزم سوق . والتاجر الجسور مرزوق . من وثق بهد الزمان .

عَلَيْتُ يَدَاهُ بِجَبَلِ الْحِرْمَانِ . الرِّيحُ فِي ضِمْنِ الْجَسَارَةِ . وَالْمَضِيعُ أَوْلَى
بِالْحِسَارَةِ
(نفع الطيب للمقري)

خطبة للخلفاء

خطبة ابي بكر عند ما يوبع بالخلافة

٢٨ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِمُخَيِّرِكُمْ . وَالضَّعِيفُ
فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أَخَذَ الْحَقُّ لَهُ . وَالْقَوِيُّ مِنْكُمْ الضَّعِيفُ عِنْدِي
حَتَّى أَخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ . لَا يَدْعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَإِنَّهُ لَا
يَدْعُهُ قَوْمٌ إِلَّا ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالذَّلِّ . وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا أَعَمَّهُمُ
اللَّهُ بِالْبَلَاءِ . وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ . فَإِنِ اسْتَمْتُمْ فَتَابِعُونِي .
وَإِن زَعْتُمْ فَتَقْوَمُونِي . وَإِنَّكُمْ تَرُدُّونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غِيبَ
عَنْكُمْ عِلْمُهُ . فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ الْأَيْمُضِي هَذَا الْأَجَلَ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ
صَالِحٍ فَافْعَلُوا . وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهَهُ .
فَأُرِيدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ وَإِنَّمَا أَخْلَصْتُمْ لِلَّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ قَطَاعَةَ أَيْتُمُوهَا
وخطأ ظفرتم به وضراب أديتموها وسلف قدتموها من أيام قانية
لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم . إعتبروا عباد الله بمن مات منكم
وتفكروا فمين كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم . أين
الجبَّارون . أين الذين كان لهم فُكْرُ الْقِتَالِ وَالْعَلَّةِ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ .
قَدْ تَضَعَّعَ بِهِمُ الدَّهْرُ وَصَارُوا رَمِيًّا . قَدْ تَرَكْتَ عَلَيْهِمُ الْقَالَاتُ
الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ . وَأَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَثَارُوا

الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا قَدْ بَعُدُوا وَأَتَسِي ذِكْرَهُمْ وَصَارُوا كَلَا شَيْءٍ . أَلَا
 وَقَدْ أَبَقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّسْعَاتِ وَقَطَعَ عَنْهُمْ الشَّهَوَاتِ . وَمَضَوْا
 وَالْأَعْمَالُ أَعْمَالَهُمْ وَالذُّنُوبُ دُنُوبًا غَيْرَهُمْ . وَبَقِينَا حَلْفًا بَعْدَهُمْ . فَإِنْ نَحْنُ
 أَعْتَبَرْنَا بِهِمْ نَجُونَا وَإِنْ أَعْتَرَزْنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ . أَيْنَ الْوِضَاءُ الْحَسَنَةُ وَجُوهُهُمْ
 الْمُعْجِبُونَ بِشَأْنِهِمْ . صَارُوا تَرَابًا وَصَارَ مَا قَرَّطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ . أَيْنَ
 الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِالْحَوَائِظِ وَجَعَلُوا فِيهَا الْأَعْجَابَ قَدْ
 تَرَكُوهَا لِمَنْ حَلَفْتَهُمْ . فَتَلَّكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةً وَهُمْ فِي ظِلْمَاتِ الْقُبُورِ .
 هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ نَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا . أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ
 أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ قَدْ أَتَيْتَ بِهِمْ أَجَالَهُمْ . فَوَرُدُّوهُ عَلَى مَا قَدَّمُوا
 فَحَلُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا لِلشُّعُورَةِ وَالسَّعَادَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ . أَلَا إِنْ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ حَلْفِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا وَلَا يُصْرِفُ بِهِ عَنْهُ سُوءًا
 إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَسِيدٌ مَدِينُونَ وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ
 لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . أَمَا إِنَّهُ لَا خَيْرَ يُخَيِّرُ بَعْدَهُ النَّارُ وَلَا شَرَّ بَشَرٍ
 بَعْدَهُ الْجَنَّةُ

(من تاريخ الطبري باختصار)

خطبة لعلي بن ابي طالب

٢٩ (حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ) : أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَهْوَى
 اللَّهِ وَكُرُومِ طَاعَتِهِ وَتَقْدِيمِ الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْأَمَلِ . فَإِنَّهُ مَنْ قَرَّطَ فِي
 عَمَلِهِ . لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ . أَيْنَ التَّعَبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . الْمُتَقْتِمُ
 لِلْحَيْجِ الْجِبَارِ . وَمَقَاوِزِ الْفِقَارِ . يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ الْجِبَالِ . وَعَالِجِ الرِّمَالِ .

يَصِلُ الْغَدُوَّ بِالرَّوَّاحِ وَالْمَسَاءَ بِالصَّبَاحِ . فِي طَلَبِ مَحَقَّرَاتِ الْأَرْبَاحِ .
 هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ . فَعَظَمَتْ بِنَفْسِهِ رَزِيَّتَهُ . فَصَادَ مَا جَمَعَ بُورًا . وَمَا
 أَكْتَسَبَ غُرُورًا . وَوَفَى الْقِيَامَةَ مُحْسُورًا . أَيُّهَا الْأَلَهِيُّ الْغَاذُ بِنَفْسِهِ
 كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أَنَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَفْرَعُ لَكَ بَابًا . وَلَا يَهَابُ لَكَ
 حِجَابًا . وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا . وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا . وَلَا يَرْحَمُ لَكَ
 صَغِيرًا . وَلَا يُوقِرُ فَيْكَ كَبِيرًا . حَتَّى يُودَّيكَ إِلَى قَعْرِ مُظْلَمَةٍ . أَرْجَاؤَهَا
 مُوَحِّشَةٌ . كَفَعَلِهِ بِالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ . وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ . أَيْنَ مِنْ سَمَى
 وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ . وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخَّرَفَ وَتَجَدَّدَ . وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعُ .
 وَبِالْكَثِيرِ لَمْ يَمْتَنِعْ . أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ . وَنَشَرَ الْبُيُودَ . أَضْحَوْا رِفَاتًا . تَحْتَ
 الثَّرَى أَمْوَاتًا . وَأَنْتُمْ بِكَأْسِهِمْ شَارِبُونَ . وَلِسَبِيلِهِمْ سَالِكُونَ . عِبَادَ اللَّهِ
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ وَأَعْمَلُوا لِلْيَوْمِ الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ الْجِبَالُ . وَتَشَقُّقُ
 السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ . وَتَطَايُرُ الْكُتُبِ عَنِ الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ (لابن عبد ربه)

خطبة أخرى له حماسية

لما أغار سُفْيَانُ بْنُ عَوْفِ الْأَسَدِيِّ عَلَى الْأَنْبَارِ فِي خِلاَفَةِ عَلِيٍّ وَعَلَيْهَا حَسَنُ الْبَكْرِيِّ فُقِتْلَهُ
 وَأَزَالَ تَلْكَ الْحَيْلَ عَنْ مَسَارِحِهَا . فَفَرَجَ عَلِيٌّ حَتَّى جَلَسَ عَلَى بَابِ السِّدَّةِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ
 ثُمَّ قَالَ :

٣٠ . أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ . فَمَنْ تَرَكَهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ
 ثَوْبَ الذُّلِّ وَأَسْمَلَهُ الْبَلَاءَ . وَأَلْزَمَهُ الصَّغَارَ وَسَامَهُ الْحَسْفَ . وَمَنَعَهُ
 الْتِصْفَ . أَلَا وَإِنِّي دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا
 وَإِعْلَانًا . وَقُلْتُ لَكُمْ : اغزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغزَوْكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غَزِي قَوْمٌ

قَطُّ فِي عُمْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا . قَتَوَا كَلْتُمْ وَتَخَادَتُمْ وَتَقَلَّ عَلَيْكُمْ قَوْلِي .
 فَأَتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا حَتَّى شَتَّتْ عَلَيْكُمْ الْفَارَاتُ . هَذَا أَخُو عَامِدٍ
 قَدْ بَلَغَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَتَلَ حَسَانَ الْبَكْرِيِّ . وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ
 مَسَارِحِهَا وَقَتَلَ مِنْكُمْ رَجُلًا صَالِحِينَ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَأَفْرَيْنَ مَا كَلِمَ رَجُلٌ
 مِنْهُمْ . فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفَمَا كَانَ عِنْدِي مَلُومًا
 بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا . فَوَاعْجِبَا مِنْ جِدِّ هَوْلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ وَفَشَلِكُمْ عَنْ
 حَقِّكُمْ . فَتُجِبَا لَكُمْ وَتَرَحَّاجِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُعَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ .
 وَتَغْرُونَ وَلَا تَغْرُونَ . وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضُونَ . فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ
 فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قَلْتُمْ : حَمَارَةٌ الْقَيْظِ أَهْلُنَا حَتَّى يُسَبِّحَ عَنَا الْحَرُّ . وَإِذَا
 أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ضَمَعِي فِي الشِّتَاءِ قَلْتُمْ أَهْلُنَا حَتَّى يَنْسَلِجَ عَنَا هَذَا
 الْقُرُّ . فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالُ .
 وَيَا أَحْلَامَ أَطْفَالٍ وَعُقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ . وَدِدْتُ أَنْ اللَّهُ أَخْرَجَنِي مِنْ
 بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ وَقَبَضَنِي إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ وَأَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ
 مَعْرِفَةً . وَاللَّهِ حِرْتُ وَهَنَا وَوَرَيْتُمْ وَاللَّهِ صَدْرِي غَيْظًا . وَجَرَّ عَنِّي
 الْمَوْتُ أَنْفَاسًا . وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْحِدْلَانِ حَتَّى قَالَتْ
 قُرَيْشٌ : إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ . لِلَّهِ
 أَبُوهُمْ وَهَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَطْوَلُ تَجْرِبَةً مِنِّي لَقَدْ مَارَسْتَهَا
 وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ . فَهَذَا إِذَا قَدْ نَفَتْ عَلَى السِّتِينَ . وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ
 لَا يُطَاعُ

(عن نهج البلاغة والعقد الفريد والإغانى)

خطبة عمر بن عبد العزيز مجنصرة

٣١ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَفُوا عَبَثًا وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدىً . وَإِنَّ لَكُمْ
 مَعَادًا يُحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَكُمْ فِيهِ . فَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَحَرَّمَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ
 الْأَمَانَ عَدْلًا لِمَنْ يُخَافُ الْيَوْمَ وَيَبَاعُ قَلِيلًا بِكَثِيرٍ وَقَانِيًا يَبْقَى . الْآتِرُونَ
 أَنْتُمْ فِي أَصْلَابِ الْمَلَائِكِينَ . وَسَيُخْلَفُهَا مِنْ بَعْدِكُمُ الْبَاقُونَ حَتَّى يُرَدُّوا
 إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُسْمَعُونَ غَادِيًا وَرَاحِيًا إِلَى
 اللَّهِ قَدْ قَضَى نَجْبَهُ وَبَلَغَ أَجَلَهُ . ثُمَّ تُنْفِئُونَهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ
 تَدْعُونَهُ غَيْرَ مُوسِدٍ وَلَا مُمَهِّدٍ . قَدْ خَلَعَ الْأَسْبَابَ . وَفَارَقَ الْأَحْبَابَ .
 وَوَجَّهَ الْحِسَابَ . غَنِيًّا عَمَّا تَرَكَ قَصِيرًا إِلَى مَا قَدِمَ . وَإِيمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ
 لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي . وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
 لِي وَلَكُمْ وَمَا تَبَلَّغْنَا حَاجَةً يَتَسَّعُ لَهَا مَا عِنْدَنَا إِلَّا سَدَدْنَا نَاهَا . وَلَا أَحَدٌ مِنْكُمْ
 إِلَّا أَوَدِدْتُ أَنْ يَدُهُ مَعَ يَدِي وَلِحْمِي الَّذِينَ يَلُونِي حَتَّى يَسْتَوِيَ عَيْشُنَا
 وَعَيْشُكُمْ . وَإِيمُ اللَّهِ إِنِّي لَوْ أَرَدْتُ غَيْرَ هَذَا مِنْ عَيْشٍ أَوْ غَضَارَةٍ لَكَانَ
 اللِّسَانُ بِهِ نَاطِقًا ذُلُولًا عَالِمًا بِأَسْبَابِهِ . وَلَكِنَّهُ مَضَى مِنْ اللَّهِ سَنَةً عَادِلَةً
 دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ

خطبة الخليفة المهدي

٣٢ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ارْتَضَى الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ وَرَضِيَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ . أَحْمَدُهُ عَلَى

الْآيَةَ . وَأُجِدُهُ لِبَلَانِهِ . وَأَسْتَعِينُهُ وَأُؤَمِّنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ تَوَكَّلَ رَاضٍ
 بِقَضَائِهِ وَصَابِرٍ لِبَلَانِهِ... أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ الْأَقْتَصَارَ
 عَلَيْهَا سَلَامَةٌ . وَالتَّرْكَ لَهَا نَدَامَةٌ . وَأَحْكُمُوا عَلَى إِجْلَالِ عَظَمَتِهِ وَتَوْقِيرِ
 كِبَرِيَّاتِهِ وَقُدْرَتِهِ . وَالْإِتِّهَاءَ إِلَى مَا يُقَرِّبُ مِنْ رَحْمَتِهِ . وَيُنْجِي مِنْ
 سُخْطِهِ وَيُنَالُ بِهِ مَا لَدَيْهِ مِنْ كَرِيمِ الثَّوَابِ . وَجَزِيلِ الْمَأْتِ . فَاجْتَنِبُوا
 مَا خَوْفُكُمْ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ . وَالْإِلِمِ الْعَذَابِ . وَوَعِيدِ الْحِسَابِ .
 يَوْمَ تَوْقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ . وَتُعْرَضُونَ فِيهِ عَلَى النَّارِ . يَوْمَ لَا تَكَلِّمُ
 نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . يَوْمَ يُفَرُّ الرَّءِ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ
 وَأَبِيهِ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . يَوْمَ
 لَا يُجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ . يَوْمَ لَا يُجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارِعٌ عَنْ
 وَالِدِهِ شَيْئًا . إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ
 الْغُرُورُ . فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ وَبَلَاءٍ وَشُرُورٍ . وَأَضْحَكَلَالٍ وَزَوَالٍ . وَتَقَلُّبِ
 وَأَنْتَقَالٍ . قَدْ أَفْتَمَنْ كَانَتْ قَبْلَكُمْ وَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ .
 مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَعَتْهُ . وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَانَتْهُ . وَمَنْ أَمَلَهَا كَذَبَتْهُ . وَمَنْ
 رَجَاهَا خَذَلَتْهُ . عِزُّهَا ذُلٌّ وَغِنَاهَا فَقْرٌ . وَالسَّعِيدُ مَنْ تَرَكَهَا وَالشَّقِيُّ فِيهَا
 مَنْ آثَرَهَا . وَالْمُعْبُونُ فِيهَا مَنْ بَاعَ حَظَّهُ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا . فَاللَّهُ اللَّهُ
 عِبَادَ اللَّهِ وَالتَّوْبَةُ مُقْبُولَةٌ وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ . وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ
 الزَّكِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْحَالِيَةِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِالْكُظْمِ وَتَنْدُمُوا فَلَا

تَأْلُونَ النَّدَمَ يَوْمَ حَسْرَةٍ وَتَأْسَفُونَ كَأَنَّهُمْ وَيْلٌ لَّكُمْ لَمِمْ لَيْسَ كَالْيَوْمِ
وَمَوْقِفُكُمْ الْمَقَامِ

من خطبة هارون الرشيد

٣٣ الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدُهُ عَلَى نِعَمِهِ وَاسْتَعِينَهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَاسْتَصْرَهُ عَلَى
أَعْدَائِهِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ حَقًّا وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ مُفَوِّضِينَ إِلَيْهِ . أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ
بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ فِي التَّقْوَى تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ . وَتَضْمِينَ الْحَسَنَاتِ وَفَوْزًا
بِالْجَنَّةِ وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ . وَأَحْذَرُكُمْ يَوْمًا تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . وَتُبَلَى
فِيهِ الْأَسْرَارُ . يَوْمَ الْبَعْثِ وَيَوْمَ التَّعَابُنِ وَيَوْمَ التَّلَاقِ وَيَوْمَ التَّنَادِي . يَوْمَ
لَا يُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئَةٍ وَلَا يَزِدُّادُ فِي حَسَنَةٍ . يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ
لَدَى الْخَنَاجِرِ كَاطِّينٍ . مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ . يَعْلَمُ
خِيَانَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفَى الصُّدُورُ . فَاتَّقُوا يَوْمًا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ .
ثُمَّ تَوْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ . حَصِّنُوا إِيمَانَكُمْ بِالْأَمَانَةِ وَدِينَكُمْ بِالْوَرَعِ
وَصَلَاتِكُمْ بِالزَّكَاةِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْأَمَانِي فَتَدَعُرَتْ وَأُورِدَتْ وَأُوبِقَتْ
كثِيرًا حَتَّى أَكْذَبْتَهُمْ مَنَائِمُهُمْ . فَتَنَّاوَشُوا التَّوْبَةَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَحِيلَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ قَرِيبَ رَبِّكُمْ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالْوَعْدِ وَقَدَّمَ
إِلَيْكُمْ الْوَعِيدَ . وَقَدَّرَ أَيُّمَ وَقَائِعَهُ بِالْقُرُونِ الْخَوَالِي جِيلًا فَجِيلًا . وَوَعَدْتُمْ
الْآبَاءَ وَالْأَبْنَآءَ وَالْأَجِبَةَ وَالْعَشَارَ بِاخْتِطَافِ الْمَوْتِ إِيَّاهُمْ مِنْ
يَوْمِكُمْ وَمِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ لَا تَدْفَعُونَ عَنْهُمْ وَلَا تَحُولُونَ دُونَهُمْ . فَزَالَتْ
عَنْهُمُ الدُّنْيَا وَأَنْقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ فَاسْلَمْتَهُمْ إِلَى أَعْمَالِهِمْ عِنْدَ

المواقف والحساب . لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى

خطبة المأمون في الفطر

٣٤ (قَالَ بَعْدَ التَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ) : أَلَا وَإِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ وَسَنَةٌ
وَأْتِيهَا لِرَغْبَةٍ . يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَفْتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ
الْحَرَامِ . فَعَمَلُهُ أَوَّلُ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَجِّ وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ
وَمُتَّقِلًا قِيَامِكُمْ . فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ وَأَسْتَغْفِرُواهُ بِتَهَرُّبِكُمْ . فَإِنَّهُ
يُقَالُ : لَا كَثِيرَ مَعَ نَدَمٍ وَأَسْتَغْفَارٍ . وَلَا قَلِيلَ مَعَ تَأَدٍّ وَإِصْرَارٍ . (ثُمَّ قَالَ) :
اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي لَمْ يُخْضِرِ الشَّكُّ فِيهِ أَحَدًا
مِنْكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ . فَإِنَّهُ لَا يُسْتَأَلُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ وَلَا
تُحْطَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقُهُ وَلَا يُعِينُ عَلَى
جَزَعِهِ وَعَكْرِهِ وَكَرْبِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَظَلَمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ وَضَيْفِهِ وَهَوْلِ
مَطْلَعِهِ وَمَسْئَلَةِ مَا كَيْفِهِ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَمَنْ
زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ . وَفَاتَتْهُ أَسْتِقَامَتُهُ . وَدَعَا مِنْ
الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ وَبَدَلَ مِنَ الْفَدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ . فَاللَّهُ
اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ كُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا إِذْ مُنِمَهَا الَّذِينَ
طَلَبُوهَا . فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتِمَّنِي الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْأَجَلَ الْمَبْسُوطَ
لَكُمْ . فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ اللَّهُ مِنْهُ وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ .
لِيُوضَعَ مَوَازِينُكُمْ وَتُنشَرُ صُحُفُكُمْ الْخَافِظَةُ لِأَعْمَالِكُمْ . فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا
يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ وَمَا يَمِيلُ فِي صَحِيفَتِهِ الْخَافِظَةَ لِمَا عَلَيْهِ ...

وَلَسْتُ أَنهَاكُمُ عَنِ الدُّنْيَا بِأَكْثَرِ مِمَّا نَهَيْتُكُمْ بِهِ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا . فَإِنْ سَلَكَ
 مَا يَهَا يُحْذِرُ مِنْهَا وَيَنْهَى عَنْهَا وَكُلَّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا . وَأَعْظَمُ مَا
 رَأَتْهُ أَعْيُنُكُمْ مِنْ فِتَايِمِهَا وَزَوَالِهَا ذَمُّ اللَّهِ لَهَا وَالنَّهْيُ عَنْهَا فَإِنَّهُ يَقُولُ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى : فَلَا تَفْرَنَّاكُمْ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنَّاكُمْ بِاللَّهِ العُرُورُ .
 وَقَالَ : إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
 الأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ . فَانْتَفِعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهَا وَاعْلَمُوا
 أَنَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَدْرَكْتَهُمْ عَصْمَةُ اللَّهِ . فَحَذِرُوا مَصَارِعَهَا وَجَانِبُوا
 خَدَائِعَهَا . وَآثُرُوا طَاعَةَ اللَّهِ فِيهَا وَأَدْرَكُوا الحِجَّةَ بِمَا يَتْرُكُونَ مِنْهَا

خطبة قطري بن النخاعة التميمي في منبر الأزارقة في ذم الدنيا

٣٥ أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات
 وراقت بالقليل . وتجلبت بالعاجل وغمرت بالآمال . وتكثت بالأماني
 وزينت بالغرور . لا تدوم زهرتها ولا تؤمن فجعنها . غرارة ضارة .
 وحائلة زائلة . ونافذة بائدة . لا تعدو إذا تناهت إلى أمانة أهل
 الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قيل : كما أنزلناه فأختلط به
 نبات الأرض فأصبح هشيما . مع أن أمر ألم يكن منها في حبرة إلا أعقبته
 بعدة عبرة . ولم يلق من سرانها بظنا . إلا امتحنه من ضرانها ظهرا .
 ولم تطله منها ديمة رخاء . إلا هطلت عليه مزرنة بلاء . وحرى إذا أصبحت
 له منتصرة أن تسمي له خاذلة متكبرة . وإن جانب منها أعدوذب
 وأحلولى أمر عليه منها جانب فأوبا . وإن ليس أمرؤ من غضارتها

وَرَفَاهِيهَا نِعْمًا أَرْهَقْتَهُ مِنْ نَوَائِبِهَا عَمَّا . وَلَمْ يَمَسْ أَمْرُؤُهُ مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ
 إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا فِي قَوَادِمِ خَوْفٍ . غَرَادَةٌ غَرُورٌ مَا فِيهَا بَاقِيَةٌ فَإِنْ مَا عَلَيْهَا
 لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى . مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْرَمَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ .
 وَمَنْ اسْتَكْرَمَ مِنْهَا لَمْ يَدُمْ لَهُ . وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ اسْتَكْرَمَ مِمَّا يُؤْيِفُهُ . كَمْ
 وَاتَّقِ بِهَا قَدْ فَجَعْتَهُ وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعْتَهُ . وَكَمْ مِنْ أَحْتَالٍ بِهَا
 قَدْ خَدَعْتَهُ . وَكَمْ ذِي أُهْبَةٍ فِيهَا قَدْ صَبَّرْتَهُ حَقِيرًا وَذِي نُخْوَةٍ فِيهَا قَدْ
 رَدَّتَهُ ذَلِيلًا . وَذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّتْهُ لِلدَّيْنِ وَالنِّعَمِ . سُلْطَانُهَا دَوْلٌ
 وَعَيْشُهَا رَيْقٌ . وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ . وَحَلْوُهَا مَرٌّ وَغَدَاؤُهَا سِيَامٌ . وَأَسْبَابُهَا زِحَامٌ
 وَقَطَافُهَا سَلْعٌ . حَيًّا بَعْرَضٍ مَوْتٍ وَصَحِيحًا بَعْرَضٍ سُقْمٍ . وَمَنْعِيهَا
 بَعْرَضٌ اهْتِضَامٌ . مَلِكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ . وَضَعِيفُهَا وَسَلِيمُهَا
 مَنْكُوبٌ . وَجَارُهَا وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ . مَعَ أَنْ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ سَكْرَاتُ
 الْمَوْتِ وَزَفْرَاتِهِ وَهَوْلُ الْمَطْعِ وَالْوُفُوفُ بَيْنَ يَدَيْ الْحُكْمِ الْعَدْلِ .
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤًا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . أَلَسْتُمْ فِي
 مَسَاكِينٍ مِنْ كَانَ مِنْكُمْ أَطْوَلُ أَعْمَارًا . وَأَوْصَحَ آثَارًا . وَأَعَدَّ عَدِيدًا
 وَأَكْتَفَى جُنُودًا . وَأَعْتَدَ عِتَادًا . وَأَطْوَلَ عِمَادًا . تَعَبَدُوا الدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُدِ
 وَآثَرُهَا أَيَّ إِثَارٍ وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكَرْهِ وَالصَّغَارِ . فَهَلْ بَلَغْتُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
 سَحَتْ لَكُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ . وَأَعْنَتْ عَنْهُمْ مِمَّا قَدْ أَمَلْتُمْ بِهِ بِحُطْبِ بَحِيلَةٍ .
 بَلِ أَرْهَقْتُمْ بِالْقَوَادِحِ وَضَعَعْتُمْ بِالنَّوَابِ وَعَفَرْتُمْ لِلْمَنَاجِرِ .
 وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَبِيبُ الْمُنُونِ وَأَرْهَقْتُمْ بِالْمَصَائِبِ . وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكَّرَهَا

لِنَ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا. حَتَّى ظَنَعُوا عَنْهَا لِقِرَاقِ الْأَبَدِ. إِلَى
آخِرِ الْأَمَدِ. هَلْ زَوَدْتَهُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ وَأَحْلَتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ. أَوْ تَوَرَّتْ لَهُمْ
إِلَّا الظُّلْمَةَ وَأَعَقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ أَقْبَدَهُ تُوْرُونَ. أَوْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُونَ
أَوْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُونَ. فَبَسَّتِ الدَّارُ لِمَن لَمْ يَتَمَهَّلْ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ
مِنْهَا. اِعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْكُمْ تَارِكُوهَا الْأَبَدَ فَأَمَّا هِيَ لَبٌ وَلَهُوَ
وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ. فَاتَّعْظُوا فِيهَا
بِالَّذِينَ يَبْئُثُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ
تُخْلَدُونَ. وَبِالَّذِينَ قَالُوا: مِنْ أَشَدِّ مَنَا قُوَّةٍ. وَاتَّعْظُوا بِمَن رَأَيْتُمْ مِنْ
إِخْوَانِكُمْ كَيْفَ خَلُّوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا. وَأَنْزِلُوا فَلَ
يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا. وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَكْثَانٌ. وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ.
وَمِنَ الرُّفَاتِ حَيْرَانٌ. فَهُمْ حَيْرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا. إِنْ
أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا. وَإِنْ فَحَطُوا لَمْ يَقْنَطُوا. جَمْعٌ وَهُمْ آحَادٌ. حَيْرَةٌ
وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَنَاوُونَ وَهُمْ يَزَارُونَ وَلَا يَسْتَرِيدُونَ. حُلْمًا قَدْ ذَهَبَتْ
أَضْفَانُهُمْ. وَجَهْلًا قَدْ مَاتَ أَحْقَادُهُمْ. لَا يُخْشَى فَجْمُهُمْ. وَلَا يُرْجَى
دَمْعُهُمْ. وَهُمْ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ. اسْتَبَدَّلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا وَبِالسَّعَةِ
ضَيْقًا وَبِالْأَلِ غُرْبَةً وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً. فَجَاوَوْهَا حَفَاةً عُرَاةً فُرَادَى غَيْرَ أَنْ
ظَنَعُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ إِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ. فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ
اللَّهُ وَانْتَمِعُوا بِمَوَاعِظِهِ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ
وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكُمْ آدَاءَ حَقِّهِ

(لابن عبدربه)

نسخة من كتاب تراجم الاعياد السنية لابن الحديثي المعروف بابي الحليم (٥)

خطبة للصوم الكبير المبارك للقس رويل الدينسري

٣٦ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُخْبِرِ الَّذِي لَا يُجَارُ عَلَيْهِ . الْقَدِيرِ الَّذِي لَا تُجَا مِنْهُ إِلَّا
إِلَيْهِ . مُبْدِيِ الْخَلْقِ وَمُعِيدِهِ . وَمُنْشِيِ الرِّزْقِ وَمُفِيدِهِ . مُسِيرِ مُشْرِقَاتِ
النُّجُومِ وَمُغْبِرِهَا . وَمُدِيرِ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاقِ وَمُدِيرِهَا . الْمُدْرِكِ الْمُقَيَّتِ .
الْمُهْلِكِ الْمُمَيَّتِ . الَّذِي صَوَّرَ أَصْنَافَ الْخَلْقِ فَابْدَعَ تَصْوِيرَهَا . وَقَرَّرَ
أَخْتِلَافَ أَجْنَاسِهَا فَأَحْسَنَ فِي تَقْدِيرِهَا . وَنَشَرَ رَحْمَتَهُ عَلَى ضَعْفِهَا
وَقَوَّيَهَا . وَصَغَّرَهَا وَكَبَّرَهَا . الَّذِي لَا يُرَادُ فِي حُكْمِهِ وَلَا يُرْجَعُ
سَامِكِ السَّمَاءِ . بغيرِ عَمْدٍ فِي الْهَوَاءِ . وَسَاطِحِ الْأَرْضِ طَافِيَةً عَلَى
تِيَارِ الْمَاءِ . أَحْمَدُهُ وَالْحَمْدُ مِنْ نَعْمِهِ . وَأَعُولُ فِي الْقَبُولِ عَلَى كَرَمِهِ . حَمْدًا
لَا يَكُونُ لِيُتَّصَلَهُ أَنْفِصَالٌ . عَلَى مَا لَا يُدْرِكُ شُكْرُهُ وَلَا يُنَالُ . لَا شَرِيكَ
لَهُ وَلَا ضِدٌّ . وَلَا عَدِيلٌ وَلَا نِدٌّ . الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَبُلَى . الْقَيُّومُ
الَّذِي لَا يُسَمَّى بِمَا سَمِيَ نَفْسُهُ وَلَا يُكْنَى . أَيُّهَا النَّاسُ أَسْمُوا الْقُلُوبَ فِي
هَذَا الصَّوْمِ الْمُبَارَكِ فِي رِيَاضِ الْحِكْمِ . وَأَدِيمُوا النُّحْبَ عَلَى أَنْبِيَاءِ
اللَّهِ . الزَّمُوا التَّقْوَى يَلْزَمُكُمْ وَقَارُهَا . وَأَحْتَمُوا الدُّنْيَا يَحْتَمِكُمْ صَغَارُهَا .
أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَإِيَّايَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا عُرْوَةٌ مَا لَهَا أَنْفِصَامٌ .
وَذُرْوَةٌ مَا لَهَا أَنْهَادٌ . وَقُدْوَةٌ يَوْمُ إِلَيْهَا الْكِرَامُ . وَجَذْوَةٌ تُضِيءُ بِهَا
الْأَفْهَامُ . مَنْ تَمَلَّقَ بِحِلْمِهَا حَمَتَهُ مَحْذُورَ الْعَاقِبَةِ . وَمَنْ تَحَقَّقَ بِحَمَلِهَا وَقْتَهُ

(٥) قد طبع هذا الكتاب حديثاً في مطبعة حضرات الآباء الدوبنيكانين في الموصل وله

من بلاغة العبارة وعلو المنهج وطلاوة الفصاحة ما يبحث على اقتنائه

شُرُورٍ كُلِّ نَائِبَةٍ . قِيدُوا أَلْسِنَتَكُمْ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ . وَاقْطَعُوا
 عَنِ النَّطْقِ بِنَيْبَةٍ كُلِّ غَافِلٍ . أَلَا وَإِنَّ عَثْرَةَ الرَّجُلِ سَرِيعٌ أَنْدِمَ لَهَا . وَعَثْرَةَ
 اللِّسَانِ قَطِيعٌ وَبَالِهَا . وَمَنْ أَبْصَرَ عِيُوبَ نَفْسِهِ عَمِيَ عَنْ سِوَاهُ . وَمَنْ
 هَتَكَ عِرْضَ أَخِيهِ كَانَ خَصْمَهُ اللهُ . قَدْ عَمَّتْكُمْ رَحْمَةُ اللهِ مِنَ الصَّوْمِ
 النِّعْمَةُ السَّابِقَةُ . وَلَزِمَتْكُمْ مِنَ اللهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ . أَلَا وَإِنَّهُ صَوْمٌ
 جَعَلَهُ اللهُ مُصْبِحَ الْعَامِ . وَوَاسِطَةَ النَّظَامِ . وَأَشْرَفَ قَوَاعِدِ النَّصْرَانِيَّةِ
 نُورِ الصِّيَامِ . فَتَاهَبُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ
 وَلَا تَعْتَمِدُوا وَرَدِّهَا . فَكَمْ طَلِقَ فِيهَا مِنْ وَثَاقِ الذُّنُوبِ . وَحَقِيقَ بَيْتِ
 كُلِّ مَطْلُوبٍ . يَنْزِلُ اللهُ لَكُمْ فِيهَا الْأَرْزَاقَ . وَيَجْعَلُ بِرِكَّتِهَا فِكَكَكَ
 الْأَعْنَاقِ . فَاهْرُبُوا إِلَى اللهِ يَا عِبَادَ اللهِ فِيهَا مِنْ سُوءِ الْاجْتِرَاحِ . وَاطْلُبُوا
 مِنْهُ حَوَائِجَكُمْ تَطَفَّرُوا بِالنَّجَاحِ . فَلَا دَعَاءَ فِيهِ إِلَّا مَسْمُوعٌ . وَلَا عَمَلٍ فِيهِ
 إِلَّا مَرْفُوعٌ . وَلَا خَيْرَ إِلَّا تَجْمُوعٌ . وَلَا ضَرَّ إِلَّا مَدْفُوعٌ . يَا أَيُّهَا الْعَاقِلُ
 هَذَا أَوْانُ أَرْذِيَادِكَ وَاسْتِمَاعِكَ . وَيَا أَيُّهَا الْعَافِلُ هَذَا وَقْتُ تَقْطُوكَ
 وَافْتِلَاعِكَ . مَا سَأَلَ اللهُ فِيهَا سَائِلٌ إِلَّا أَعْطَاهُ . وَلَا اسْتَجَارَ بِهِ مُسْتَجِيرٌ
 إِلَّا أَعَزَّهُ وَكَفَّاهُ . فَرَحِمَ اللهُ أُمَّراً تَقْطُقُ قَلْبَهُ مِنْ سِنَةِ هَوَاهُ . وَاخْتَارَ
 لِنَفْسِهِ مَا يَحْمَدُهُ مِنْ سِوَاهُ . قَبْلَ أَنْ تَتَرَامَى بِهِ الْأَقْدَارُ . وَيَجِلُّ بِهِ الْحِذَارُ .
 وَتُوحَشُ مِنْهُ الدِّيَارُ . وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُ إِلَّا عِتْدَارُ . وَلَا يُفْصِحُ بِحِطَابٍ .
 وَلَا يَسْمَعُ بِجَوَابٍ . مُحْتَطَفًا مِنَ الْأَحْبَابِ مُرْتَهَنًا بِالْإِكْتِسَابِ . وَحِيدًا
 فِي مَنْزِلِ الْأَعْتِرَابِ . مُوجَّهًا يَوْمَ الْحِسَابِ . أَذِي الْأَهْلِ وَأَقْرَبَ

الْأَصْحَابِ . تَهَجَّرُوا فَقَدْ ضُرِبَ فِيكُمْ بُوقُ الرَّحِيلِ . وَيَرِزُوا فَقَدْ قَرَّبَتْ
لَكُمْ نُوقَ التَّخْوِيلِ . وَدَعُوا التَّمَسُّكَ بِجَدْعِ الْآبَاطِيلِ . وَالرُّكُونَ إِلَى
التَّسْوِيفِ وَالتَّعْلِيلِ . أَظَلَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِظُلِّ عَرْشِهِ .
وَوَقَانَا وَإِيَّاكُمْ حُلُولَ الْيَمِّ بِطُشِهِ . وَعَدَلْنَا بِكُمْ إِلَى سَبِيلِ السَّلَامَةِ .
وَحَمَلْنَا عَنْكُمْ أَعْيَابَ الظُّلَامَةِ . وَجَعَلْنَا الْإِخْلَاصَ بِتَوْجِيهِهِ نُورًا لَنَا
وَلَكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْقِيَامَةِ . وَزَرَعْنَا مِنْكُمْ غِلَّ الْقُلُوبِ وَرَفَعْنَا
وَعَنْكُمْ ذُلَّ الذُّنُوبِ . وَجَمَعْنَا لَكُمْ فِي الدَّارَيْنِ كُلِّ مَحْجُوبٍ . وَأَيَّدْنَا
وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَسْتَبْصَارِ بِتَصَاريفِ أَقْدَارِهِ . وَأَسْعَدْنَا
وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ الْإِنْبِعَاثِ بِجَوَارِهِ

(دُعَاءُ لِلْآبَاءِ) . اللَّهُمَّ أَحْرُسْ أَيَّامَ أَبِي الْآبَاءِ الْجَائِلِقِ الْفَطْرَكَ
الْكَبِيرِ الْمُجَبَّدِ وَأَحْجِبْهُ بِحِجَابِ الْعِصْمَةِ . وَخَلِّصْهُ مِنْ قَوَارِعِ كُلِّ نِقْمَةٍ .
وَأَسْئَلُ عَلَيْهِ سُورَ الرَّاقَةِ وَالرَّحْمَةَ . وَبَلِّغْهُ أَقْصَى الْمَرَادِ وَالْهَيْمَةَ . آمِينَ
اللَّهُمَّ وَأَسْعِدِ الْمَوْلَى فَلَنَا بِسَعَادَةٍ تُبَسِّطُهَا آمَالُ أَوْلِيَائِهِ .
وَتُقْبِضُ آجَالَ أَعْدَائِهِ وَأَقْتَحْ لَهُ أَقْفَالَ الْقُلُوبِ . وَأَنْجِحْ لَهُ السُّؤَالَ
فِي الْمَطْلُوبِ . وَأَحْصِنْهُ مِنَ الدُّنْيَا وَخَوْفِهَا . وَسَلِّمْهُ مِنْ مَوَارِدِ خُسُوفِهَا
اللَّهُمَّ وَجِدْ عَلَى بَنِي الْمُعْمُودِيَّةِ بِعِصْمَةِ مَانِعَةٍ مِنْ أَقْتِرَافِ السَّيِّئَاتِ
وَنِعْمَةِ جَامِعَةِ لِمَنُوفِ الْخَيْرَاتِ . وَرَحْمَةِ مَاضِيَةٍ لِسَوَافِ الْخَطِيئَاتِ .
اللَّهُمَّ وَإِذَا انْقَضَتْ مِنَ الدُّنْيَا أَيَّامُنَا . وَأَرَفَ عِنْدَ الْمَوْتِ جِهَامُنَا .
وَأَحَاطَتْ بِنَا الْأَقْدَارُ . وَتَخَصَّصَتْ إِلَى قُدُومِ الْمَلَائِكَةِ الْآبْصَارُ . وَعَلَا

الْأَيْنِ . وَعَرِقَ الْجَبِينُ . قُمْ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمَوْتِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِنَا شَفِيقًا .
 وَبِنَزْعِ نُفُوسِنَا رَوْوِقًا رَفِيقًا . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا أَسْرَرْنَاهُ وَمَا أَعْلَنَاهُ . وَمَا
 قَدَّمْنَا وَأَخَّرْنَاهُ . وَمَا أَحْصَيْتَهُ وَسَيَّنَاهُ . وَعَلِمْتَهُ وَجَهَلْنَاهُ . وَلَا تَدْعُ لَنَا
 أَمَلًا إِلَّا وَبَلَّغْتَاهُ . وَلَا سُؤَالَ إِلَّا وَأَنْتَسَاهُ . وَلَا أَسْرًا إِلَّا وَكَفَيْتَاهُ .
 يَا خَيْرَ مَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ عَبْدُهُ وَرَجَّاهُ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . آمِينَ

لذكر السيدة مريم العذراء الواقع بين عيد الميلاد وعيد الظهر

٣٧ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنَارَ بِأَنْوَارِ الْحِكْمِ مَصَابِيحَ الْعُقُولِ . وَكَشَفَ
 عَنْهَا أَسْتَارَ الظُّلَامِ فَعَرَفَتْ سِرَّ الْعَقْلِ وَالْعَاقِلِ وَالْمَعْقُولِ . الَّذِي تَنَزَّهَ
 بِالْعِزَّةِ الْقُدْسِيَّةِ عَنِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ وَالْفُضُولِ . وَتَقَدَّسَ
 بِسُلْطَانِ الْأَحْدِيثِ عَنِ مُشَابَهَةِ الْمَوْضُوعِ وَالْمَحْمُولِ . الَّذِي أَطْلَعَ
 شَمْسَ الْبَرَارَةِ مِنْ مَشْرِقِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ الطَّاهِرَةِ الْبُتُولِ . وَدَرَعَ
 الْكَلِمَةَ الْأَزَلِيَّةَ هَيْكَلًا نَاسُوتِيًّا أَظْهَرَهُ فِي الْعَالَمِ الْكُونِيِّ عَلَى هَيْئَةِ
 الرَّسُولِ . تَحْمَدُهُ حَمْدًا يَفُودُهُ رَائِدُ التَّوْفِيقِ إِلَى أَبْوَابِ الْقُبُولِ .
 وَنَشْكُرُهُ شَرْمَدًا عَلَى إِبْلَاءِ الْأَلَاءِ الضَّافِيَةِ الْأَهْدَابِ وَالذُّيُولِ . أَيُّهَا
 الْمُؤْمِنُونَ أَنْتَمَلَتْ أَلْبَعَةَ الْأَرْنَادُ كَسِيَّةَ ابْنَةِ النُّورِ . مِنْ شَرَفٍ إِلَى
 شَرَفٍ وَمِنْ نُورٍ إِلَى نُورٍ . وَمِنْ الْجُبُورِ بِالْمِيلَادِ الْغَرِيبِ . إِلَى السُّرُورِ
 بِذِكْرِ وَالِدَةِ السِّرِّ الْعَجِيبِ . مِنْ بَكْرِ الْأَعْيَادِ الْخُصُوصَةِ بِالْوَلَدِ . إِلَى
 عِيدِ الْبِكْرِ حَافِظَةِ الْبِكْرِيَّةِ إِلَى الْأَبْدِ . مِنْ الْأَفْرَاحِ بِعِيدِ مُنِيرِ الْعُقُولِ .
 إِلَى طَرْبِ الْأَرْوَاحِ بِعِيدِ السَّيِّدَةِ الْبُتُولِ . هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي خُصَّ

بِالْفَنَاءِ وَالْخِدْمَةِ . وَأَهْدِي فِيهِ هَدَايَا السَّلَامِ لِلطَّاهِرَةِ الْمَلَأَتْهُ مِنْ
التَّنْعَمَةِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي قَرَّتْ بِبَهْجَتِهِ الْعُيُونُ . وَسُرَّتْ بِفَرَحَتِهِ
قُلُوبُ الْأَبْكَارِ وَالْعُيُونِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَوَقَّرَتْ فِيهِ الْحُسْرَةُ
الْيَهُودِيَّةُ . وَافْتَحَرَتْ بَيْنَ مَطْلَعِهِ الْأَيْرَةُ الدَّائِدِيَّةُ . هَذَا الْيَوْمُ
الَّذِي صَدَقَتْ فِيهِ الْحَمَائِلُ . وَأَعْطِيَتْ التَّبُولُ الطُّوبَى مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ
وَقَاطَبَةِ الْقَبَائِلِ . الْيَوْمُ تَشَرَّفَ قَبِيلُ النَّسَاءِ . قَدِمَتْ رَكَابُ
الْأَفْرَاحِ عَلَى النَّسَاءِ . تَحَلَّى الْجِيدُ التَّبُولِيُّ بِدُرِّ الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ . خَرَّتْ
سَاجِدَةً فِي الْإِيوَانِ الْمُغَارِيِّ جِبَاهُ الْأَسَاوِرَةِ الرَّؤَسَاءِ . الْيَوْمَ تَحَدَّثَ
جَمْرَاتُ النَّوَارِ . هَمَدَتْ حَرَارَاتُ الشُّكُوكِ النَّوَارِ . أَشْرَفَتْ بُيُودُ
الْمَسِيحِ أَبْصَارُ الْبَصَائِرِ . تَأَرَّجَتْ أَنْوْفُ الْخَلْقِ بِأَرَاجِ التَّهَانِي
وَالْبَشَائِرِ . الْيَوْمَ صَفَّتِ الْمَنَاهِلُ وَالْمَوَارِدُ . تَأَنَسَتْ قُلُوبُ الشُّوَارِدِ .
أَذْعَنَ بِالْعَفَافِ الْمَرْيَمِيُّ كُلُّ ضَالٍّ وَمَارِدٍ . نَظَرَ الْأَعْدَاءُ سَيِّدَةَ
النِّسَاءِ نَظَرَ الْأَسْوَدِ الْحَوَارِدِ . الْيَوْمَ طَرِبَتْ آفَاقُ الْقُبْرَاءِ . ابْتَهَجَتْ
نَفْسُ السَّيِّدَةِ الْعِذْرَاءِ . لَاحَ صَبَاحُ الْمُنْقَبَةِ الْغَرَاءِ . تَفَطَّرَتْ مَرَارِ
الْيَهُودِ الْأَغْرَاءِ . الْيَوْمَ حَقَّقَتْ بُيُودُ السَّمَادَةِ . نُشِرَتْ أَعْلَامُ الْإِفَادَةِ .
صَبَّتْ عَلَى شَعْبِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ بَرَكَاتُ الْوِلَادَةِ . وَضَعَتْ عَلَى الْمَفْرُقِ
الْمَرْيَمِيِّ إِكْلِيلَ الْمُجْدِ وَيَسَّانَ السَّمَادَةِ . الْيَوْمَ قَرَّتِ الْعَيْنُ الْمَرْيَمِيَّةُ .
إِفْتَحَرَتْ الْجَبَلَةُ الْأَدْمِيَّةُ . تَشَرَّفَتْ الْقَرْيَةُ الْبَيْتِ الْحَمِيَّةُ . فَتَتْ بُيُودُ
الْمَسِيحِ أَبْصَارَ الْخَلْقِ الْعَمِيَّةِ . الْيَوْمَ افْتَحَرَتْ الْأَنَامُ وَأَقْطَارُ الْوَرَى .

فَهَمَّتِ الْأَيْتَامُ وَالْأَوْزَارُ إِلَى الْوَرَا . تَخَرَّصَتْ أَقْوَاهُ الْأَنْعَامِ
 بِالْقَوْلِ الْهَرَا . رَشَقَ الْيَهُودُ الْأَغْيَاءَ ذَاتَ التَّقَى وَالطَّهَارَةَ بِسِهَامِ
 الْهَرَى . الْيَوْمَ ظَهَرَتْ آيَاتُ الْعَجِيبَةِ . بَهَرَتْ الْمُعْجَزَاتُ
 الْغَرِيبَةَ . ذَلَّتْ كَوَادِبُ الظُّنُونِ عَنِ الْخُطْبَةِ . أَزَالَتْ
 الْآيَاتُ الْبَوَاهِرُ عَنِ قَلْبِ يُوسُفَ مَوَاقِعِ الشُّكُوكِ وَالرَّيْبَةِ .
 فَالْوَجِبُ عَلَيْنَا الْآنَ يَا أُمَّةَ السِّدِّ الْمَسِيحِ أَنْ نَذْنُو بِالْهَيْمِ
 وَالْوَلَاءِ إِلَى خِدْمَةِ أُمِّ الْمَسِيحِ وَنَبِيْلِ الْإِكْرَامِ عِيدِ الدَّرَةِ
 الْيَسِيمَةِ . نَتَلَقَى بِالْأَعْظَامِ ذِكْرَ اللُّوْلُوَةِ الْعَالِيَةِ الْقَهِيمَةِ . نَشَاهِدُ فِي أَيَّوَانِ
 الْمَغَارَةِ . ذَاتِ التَّقَى وَالطَّهَارَةِ . نُحْدِقُ إِلَى سَكِينَةِ الْقُدْسِ وَالرَّحْمَةِ .
 سُرَادِقِ الْعِزِّ وَالْمَعْظَمَةِ . خِزَانَةِ الْأَسْرَارِ السَّمَاوِيَّةِ . صَدَفَةِ دُرَّةِ الْحَيَاةِ
 الْأَبَدِيَّةِ . مَشْرِقِ الشَّمْسِ الْأَزَلِيَّةِ . السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ الْعَلِيَّةِ . هَيْكَلِ
 الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ . مَمْصُورَةِ النِّعْمَةِ الْجَسِيمَةِ . بَابِ الْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ .
 حِجَابِ الْأَنْوَارِ الْهَيْمَةِ . دَرَجَةِ الشَّرَفِ الْإِنْسِي . أَوْجِ الْكُوكَبِ
 الْقُدْسِيِّ . دَقِيقَةِ الرَّحْمَةِ الْغَزِيرَةِ . حَقِيقَةِ الْحِكْمَةِ الْمُنِيرَةِ . ذَاتِ
 الْمُبَاهِي وَالْمُفَاخِرِ . نَجْمَةِ الْبُرَّةِ الْأَطْهَارِ وَالشَّرَفِ الْفَاخِرِ . مَرِيَمِ الْعَدْرَاءِ
 الصَّفِيَّةِ . مُتَّكئةً عَلَى السُّدَّةِ الْمَعْلَقِيَّةِ . وَهِيَ مُجَلَّلَةٌ بِالنُّورِ وَالْبَهَاءِ .
 أَذِنَتْ لِمَنْ رَامَ الدُّخُولَ وَتَقَدِّمَ هَدَايَا الْهِنَاءِ . تَنَامَلُ بِعُيُونِ الْبَصَائِرِ
 شَرَفَ الْوِلَادَةِ . وَتَلْمَحُ سَيِّدَةَ النِّسَاءِ مُعْتَمِرَةً بِرَدَاءِ الْبَهَاءِ وَالسَّعَادَةِ .
 قَدِ اخْتَفَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِسِلَّتِيهَا . وَأَصْطَفَتْ أَجْنَادُ الْعِلَاءِ لِحِدْمَتِهَا .

رَى صَبِيَّةً حَامِلَةً الذِّكْرِ مِسْكِينَةً . نَشَاهِدُ مُحْيَاً قَدْ مُدَّ عَلَيْهِ قِصَاعُ
 الْحَيَاءِ وَالسَّكِينَةِ . فَقِيرَةٌ فِي الْعَالَمِ . أَثْرَتْ بِفَقْرِهَا أَبْنَاءَ آدَمَ . حَامِلَةٌ
 تَحْدُمُهَا الزُّمَرُ الْمَلَائِكِيَّةُ . حَامِلَةٌ لِعَاقِدِ التَّيْجَانِ عَلَى الْمَفَارِقِ الْمَلَكِيَّةِ .
 يَتِيمَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي فَسِجِ الْأَرْضِ مَأْوَى . صَنِيلَةٌ أَفْتَحَتْ
 بِضَالَتِهَا أُمَهَا حَوًّا . نَنْظُرُ إِلَى مُلُوكِ الْمَجُوسِ وَقَدْ وَضَعُوا
 التَّيْجَانَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَأَدْتُوا أَصْنَافَ الْهُدَايَا وَالْقَرَابِينَ إِلَى
 مَلِكِهِمْ وَقُدُوسِهِمْ . شَدُّوا مِنْ قُطْبِهِ عَلَى أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ بُنُودًا
 وَأَعْلَامًا . وَأَسْتَكْتَبُوا مِنْ دِيْوَانِ رَحْمَتِهِ لَهُمْ أَمَانًا وَذِمَامًا . نَشَاهِدُ
 يُوسُفَ الشَّجَّ الْعُدُولَ . وَاقِفًا عَلَى قَدَمِ الْأَفْرَاحِ أَمَامَ الْبَتُولِ .
 قَدْ أزالَ عَنْ مَكَامِنِ قَلْبِهِ الْهُوَاجِسَ وَالْخَطَرَاتِ . وَأَسْتَنْصَلَ
 مِنْ زَلَّةِ الظُّنُونِ السَّوَالِفِ وَالْأَوْهَامِ الْخَطِرَاتِ . قَدْ أَشْحَتْ زَوَايَا
 قَلْبِهِ بِالْبَهْجَةِ وَالْمَسْرَةِ . وَوَلَّاحَ عَلَى وَجْهِهِ الْبَهِيُّ نُورَ الْبُشْرِ وَالْإِبْتِسَامِ
 مِنْ أَثْنَاءِ الْأَسِرَّةِ . يَتَعَجَّبُ مِنَ الْآيَاتِ الْقَرَابِ . وَيَتَعَجَّبُ لِلْمُلُوكِ
 الْفَرَسِ بِإِدْنَاءِ السَّلَامِ وَتَقْدِيمِ الْحَقَائِبِ . وَقَدْ أَشْعَرَ نَفْسَهُ بِالْهَيْبَةِ .
 وَتَرَقَّرَتْ دُمُوعُ الْأَفْرَاحِ عَلَى وَقَارِ الشَّيْبَةِ . فَلَنْسَجْ نَحْنُ لِهَذِهِ الرَّاقَةِ
 الْعَمِيمَةِ . وَنَشْكُرُ تَرَادُفَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ الْجَسِيمَةِ . نَمَلًا الْأَفْوَاهَ مِنْ
 التَّهْلِيلِ وَاللِّسْبِخِ . وَنَضْفِرُ أَكْالِيلَ الْمَدَائِحِ لِأَمِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . مَحْمَلِ
 هَذِهِ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ عَلَى صِدْقِ الْيَقِينِ . وَنُؤْمِنُ بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ
 إِيمَانِ الْمُصَدِّقِينَ . تَرْفُضُ مَلَابِسَ الْأَوْزَارِ وَالذُّنُوبِ . وَتَرْحَضُ بِمَاءِ

التَّوْبَةِ أَوْصَارَ الْقُلُوبِ نُوْطِنَ النُّفُوسَ عَلَى الصَّحْخِ وَالْإِعْضَاءِ .
 وَتَسْتَدِمُّعَ الْأَبْكَارِ الْحُمْسَ بِالْمَصَابِيحِ وَالْأَضْوَاءِ . وَتَلْتَبِعُ مِنَ الْقَنَائِيَا
 الْبَائِدَةَ مَيْمَنَةَ الْمَسِيحِ . وَتَتَقَبَّلُ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ فِي التَّقْدِيسِ وَالسَّبِيحِ .
 وَتَنْشَفَعُ بِصَلَاةِ زَهْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ . الزَّاهِرَةِ بِالْأَنْوَارِ الْبِهِيَّةِ . عِمَامَةِ
 الْأَسْرَارِ الْعَلِيَّةِ . الَّتِي أَوْمَضَتْ مِنْهَا بُرُوقُ الْبُتُولِيَّةِ . ذَاتِ الْوَضَاءِ
 الْأَشْرَفِ . وَالنَّشَاءِ الْأَقْبَحِ الْأَعْبَقِ . السَّيِّدَةِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ .
 سَكِينَةِ الْقُدْرَةِ الْعَلِيَّةِ . أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ عَنْمَوَارِدِ النِّعَمِ بِصَلَاتِهَا . وَيَجْمَعُ
 لَنَا سُورِدَ النِّعَمِ بِدُعَائِهَا وَبِرَكَاتِهَا . وَيُوفِّقُنَا لِلتَّلَقُّقِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 بِأَهْدَائِهَا . وَتَكُونُ فِي مَجْمَعِ الْأَبْرَارِ مِنْ خَوَاصِهَا وَأَصْحَابِهَا . وَيُوهِنُنَا
 لِفِعْلِ نَحْوِزِ بِهِ رِضَاهُ فِي طَاعَتِهَا . وَيَجْعَلُنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ بِصَلَاتِهَا
 وَشَفَاعَتِهَا . وَيَمِزُجُنَا بِزُمرَةِ الْأَبَاءِ الْمُؤَيَّدِينَ . وَجَمِيعِ الشُّهَدَاءِ وَالْقَدِيسِينَ .
 بِرَحْمَتِهِ الَّتِي نَعْمُ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ . وَيُسَبِّحُ سَجَّالَهَا عَلَى الْخَلْقِ كَافَّةً أَجْمَعِينَ
 لعيد السلاق (اي الصعود)

٣٨ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَوَضَعَ مِنْهَا جِهَ . وَفَتَحَ
 لَنَا بَابَ الْمَلَكُوتِ بِإِقْلِيدِ شَرْعِهِ الْفَضْلِيِّ . بَعْدَ إِغْلَاقِهِ وَإِرْتَاجِهِ . وَتَقَفَ
 نَوْعَنَا الْبَشَرِيَّ بِالْأَوَامِرِ وَالتَّوَاهِي مِنْ رُتْبِهِ وَأَعْوَجَاجِهِ . وَقَادَهُ
 بِأَرْزَمَةِ الْعِنَايَةِ إِلَى الْحُظَائِرِ الْقُدْسِيَّةِ بَعْدَ إِبَاءِ تَيْهِ وَجَلَّاجِهِ . وَأَرْسَلَ
 مُخْلِصَ الْكُلِّ ظَاهِرًا بِصُورَةِ النَّسُوتِ لِإِبْرَاءِ حَبْلَةِ آدَمَ وَعَاجِلِهِ .
 فَرَّتْ لَهُ مِنْ قَوَانِينِ شَرْعِهِ الْإِخْتِصَاصِيِّ دَوَاءً أَفْضَى إِلَى صِحَّتِهِ وَتَعْدِيلِ

مِزَاجِهِ . وَشَرَفَ مَفْرِقَهُ بِإِكْلِيلِ الْمَلِكِ الْأَبَدِيِّ وَتَاجِهِ . وَأَصَدَدَهُ سِرًّا
 إِلَى قِيمِ السَّمَاءِ يَوْمَ سُلَاقِهِ وَمِعْرَاجِهِ . نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَقْدُ فِي ظَلَمَاءِ
 الْقُلُوبِ أَضْوَاءَ سِرَاجِهِ . وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا تَزْهُو كَوَاكِبُ الْإِخْلَاصِ فِي
 أَفْقِهِ وَأَبْرَاجِهِ . أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ أَسْنَى الْأَيَّامِ الْعِظَامِ . وَأَبْهَى الْمَوَاسِمِ
 وَأَحْلَى الْمَوَاقِفِ الْكِرَامِ . الَّتِي تَفْتَرُّ لَهَا الْمُضَاحِكُ وَالْمُبَاسِمُ . عِيدُ عَيْتِ
 بِأَرْجِهِ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ . وَتَحَلَّتْ بِإِلَائِي فَخْرِهِ الْفَارِيقُ وَالْمُنَاسِمِ . يَوْمَ
 خْتَمَتْ بِهِ مَعَاقِدُ الْأَعْيَادِ الْمَسِيحِيَّةِ . وَسَلِمَتْ قَوَاعِدُ الْكُنُوتِ إِلَى الزَّمْرِ
 الْمُسْلِمِيَّةِ . يَوْمَ رَقِيتَ فِيهِ صَفْوَةُ الْجِبَلَةِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَحَلِّ الشَّامِخِ .
 وَاسْتَوَطَّاتِ صَهْوَةَ الْعِزِّ الْأَبَدِيِّ وَالشَّرْفِ الْبَازِخِ . يَوْمَ تَوَقَّلَ مُخْلِصُ
 الْبَرَايَا أَشْمَخَ الذَّرَوَاتِ الْعَلِيَّةِ وَأَسْمَى الْقَلْبِ الْعَوَاصِمِ . هَذَا الْيَوْمُ
 الْعَظِيمُ وَالْمِلَقَاتِ النَّبِيَّةِ . وَالْعَمِيدِ الَّذِي جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ عَنِ النَّظَائِرِ
 وَالْتَشْبِيهِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَشْرَقَ فِيهِ هَالَالُ الْحَقِّ مِنْ سَدَفِ السَّرَارِ .
 وَتَحَلَّتْ فِيهِ نُحُورُ الْعَقَائِدِ بِقَلَانِدِ الْأَمْرَارِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي
 تَحَقَّقَتْ فِيهِ بَرَاهِينُ الرَّجَاءِ . وَتَضَوَّعَتْ يُبْشِرِي سُلَاقِ الْمَسِيحِ كُلِّ
 النَّوَاجِي وَالْأَرْجَاءِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي رَأَتْهُ الْأَبْصَارُ فِيهِ صَاعِدًا عَلَى
 الْمَنَازِلِ الْأَكْرُوبِيَّةِ . وَتَحَمَّتْهُ الْأَفْكَارُ قَاعِدًا عَلَى مَنْصَةِ الرَّتَبِ
 الْعَلِيَّةِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي رَشَّ فِيهِ طَلُّ الْخَيْرَاتِ مِنْ عَمَامِ مَعِينِهِ .
 وَآمَطَرَ سَحَابَ الْبَرَكَاتِ عَلَى الْأَنْصَارِ مِنْ يَمِينِهِ . الْيَوْمُ فَتَحَتْ
 أَبْوَابَ مَدِينَةِ الْأَطْهَارِ . نُضِيتْ سُورُ الْأَمْرَارِ عَنْ بَيْعَةِ الْأَبْكَارِ .

طَرِبَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِرَيْسِ الْأَخْبَارِ . تَبَوَّأَ مَقْعَدَ الْعِزِّ الْأَبَدِيِّ
 عَلَى مَنبَرِ الْأَنْوَارِ . الْيَوْمَ بَرِحَتْ الْأَسْرَارُ وَالْحَفَايَا . مُنَحَّتِ الْأَذْخَارُ
 وَالْعَطَايَا . صَفَحَتْ الْأَوْزَارُ وَالْخَطَايَا . صَعِدَ الْمَسِيحُ إِلَى الْعِلَاءِ وَسَبَى
 السَّبَايَا . الْيَوْمَ أَقْلَتْ رَجَاءَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ . أُرْتَجَتْ أَرْجَاءُ
 السَّمَاوَاتِ . حُقَّ النَّجَاءُ لَذَوِي الْخَطَايَا وَالْمَهْفَوَاتِ . وَاسْتَقْفَرَ الْمُخْلِصُ
 لِأُمَّتِهِ كُلِّ الْخَطَايَا وَالزَّلَّاتِ . الْيَوْمَ انْحَسَرَتْ عِثَّةُ الْعُبُودِيَّةِ . اُكْتُبَتْ
 الْأُمَّةُ الْيَهُودِيَّةُ . صَحَّتِ الْكَلِمَةُ الدَّائِوُدِيَّةُ . رَقِيَ الْمَسِيحُ بِالْمَجْدِ وَأَصْوَاتِ
 الْقُرُونِ إِلَى سُدَّةِ الْأَبَدِيَّةِ . الْيَوْمَ أَخْفَقَتْ أَدَلَّةُ الضَّلَالِ . أَشْرَقَتْ
 أَهْلَةُ الْإِقْبَالِ . أَوْرَقَتْ عُصُونُ الْأَمَالِ . رَقِيَتْ صُورَةُ آدَمَ مِنْ قَمَرِ
 الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ إِلَى ذُرُوَاتِ الْكَمَالِ . الْيَوْمَ هَبَّتْ نَسَائِمُ الرِّضَاءِ
 وَالِاخْتِصَاصِ . هَبَّتْ نَوَائِمُ آمَالِ التَّلَامِيذِ الْخَوَاصِ . الْيَوْمَ قَرَّتْ
 عِيُونُ الْأَمَلَاكِي . تَشَرَّفَتْ مُتُونُ الْأَفْلاكِ . سَكَنَ الشُّوقُ الْأَدْمِيُّ
 وَاسْتَرَاحَ . مُلِئَتْ قُلُوبُ أَهْلِ السَّمَاءِ بِالْبَهْجَةِ وَالْأَفْرَاحِ . مَلَكَ صَفْوَةٌ
 جَنِسِهِ إِقْلِيمَ السَّمَاءِ . شُرِفَ بِأَخْصِ الْأَلْقَابِ وَأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ .
 رَقِيَتْ قِلَاعَتُهُ إِلَى قَلَّةِ السَّمَاءِ الْعَلِيَّةِ . اسْتَوَطَّنَتْ أَرَائِكَ النُّورِ فِي
 قُصُورِ الْأَرْزَلِيَّةِ . اسْتَبَشَّرَ سُكَّانُ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى بِبَابِيهِ . تَعَلَّقَتْ
 الزُّمُرُ الْمَلَائِكِيَّةُ بِذُبُولِهِ وَأَهْدَابِهِ . تَبَرَّكَتِ السَّمَاءُ بِوَطْءِ أَقْدَامِهِ . بَرَزَ
 الْإِذْنَ مِنْ سَرَادِقِ الْأَرْزَلِيَّةِ بِتَعْظِيمِهِ وَإِكْرَامِهِ . سُمِعَتْ صَوْبَةُ الْمَلَائِكَةِ
 بِتَقْرِيبِهِ وَمَدِيحِهِ . تَعَالَتْ لَجَّةُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِتَعْجِيدِهِ وَتَسْبِيحِهِ .

تَسْتَبِيرُ نَحْنُ مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَلَاقِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . نَقِيلُ بِأَصْنَافِ
الْمَلَائِكَةِ فِي السُّجُودِ وَالنَّسِيحِ . زَرَعُ الْهَمِّ عَنِ مَسَاقِطِ الشَّهَوَاتِ
الْأَرْضِيَّةِ . نَقُودُ الْقُلُوبِ بِأَزْمَةِ الْغَزَائِمِ إِلَى الطَّرَائِقِ الْمُرِضِيَّةِ .
نَقُضُ عَنِ الْأَبْدَانِ قُشُورَ الْكُثَافَةِ . وَنَسْرِبُ الْأَذْهَانَ بِسُورِ
اللِّطَافَةِ . زَقَى إِلَى قَلْبِ الْعُلَى بِأَقْدَامِ الْفِكْرِ . وَنَلْحَظُ بِأَبْصَارِ النُّهَى
مُخْلِصَنَا ابْنَ الْبَشَرِ . رَأَاهُ عَلَى سُدَّةِ النُّورِ جَالِسًا . وَبِالْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ
مُسْتَأْنَسًا . وَفِي خُذُورِ النُّورِ مَرْفُوقًا . وَبِأَجْنَادِ السَّمَاءِ مَحْفُوقًا . نَكْتَفُ
بِظِلِّهِ الظَّلِيلِ الْوَارِفِ . وَنَشْكُرُ أَنْعَمَهُ التَّوَالِدِ وَالطَّوَارِفِ . نَتَشَبَّثُ
بِأَهْدَابِ أَنْوَابِهِ . وَنُلْصِقُ الْخُدُودَ خَاصِعَةً عَلَى أَعْتَابِ أَنْوَابِهِ . وَنَطْلُبُ مِنْ
مَظَانِ رَحْمَتِهِ . وَدِيُونَ إِحْسَانِهِ وَرَأْفَتِهِ . أَنْ يُسَبِّلَ سُورَ الرِّضْوَانِ عَلَى
بَوَادِي عِيُونِكُمْ . وَدُيُونِ بِمَاءِ الْفُغْرَانِ صَوَادِي قُلُوبِكُمْ . وَيَجْعَلَ عِيُونَكُمْ
بِالرُّؤْيَةِ الْمَسِيحِيَّةِ قَرِيرَةً . وَقُلُوبَكُمْ بِأَنْوَارِ الْبَهْجَةِ الْعَيْدِيَّةِ فَرِحَةً
مُسْتَبِيرَةً . وَوُجُوهَكُمْ يَوْمَ قِيَامَتِهِ بِأَدْيَةِ السُّفُورِ مُشْرِقَةً الْوَضَاءِ .
وَمَصَابِيحِ أَعْمَالِكُمْ مُسْتَعْرَةً بِأَلْأَنْوَارِ زَاهِرَةِ الْأَضْوَاءِ . وَلَا بَرِحَتْ
عَمَائِمُ الْبَرَكَاتِ عَلَيْكُمْ وَكَفَّةً . وَنَسَائِمُ الْخَيْرَاتِ مُتَابِعَةً الْهُبُوبِ
مُرَادِقَةً . وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ لِدَعْوَاتِكُمْ مَفْتُوحَةٌ . وَخَطَايَاكُمْ وَأَنَامِكُمْ
بِالْعَفْوِ وَالْفُغْرَانِ مَصْفُوحَةٌ . وَإِذَا مَا أَبْخُلِّصَكُمْ مِنْ سَمَاءِ عِزَّتِهِ .
وَأَشْرَقَ نُورُ لَوَانِهِ الْأَزْهَرِ عَلَى أَشْخَاصِ أُمَّتِهِ . يَجْمَعُكُمْ مَعَ الْأَصْفِيَاءِ فِي
زَمْرَتِهِ . وَيُعِيدُكُمْ عَلَى سُدِّ النُّورِ مَعَ أَهْلِ الْأَصْطِفَاءِ عَنِ مِيمَتِهِ . آمِينَ

الباب الثالث في الأمثال

نخبة من أمثال العرب للسيداني

٣٩ آخر الدَّوَاءِ الْكَيِّ ١ * آفَةُ الْمَرْوَةِ خُلْفُ الْمَوْعِدِ * آكَلُ
لَحْمِي وَلَا أَدْعُهُ لِأَكَلِ * آكَلُ مِنَ السُّوسِ * آكَلُ مِنْ
ضُرْسٍ * آكَلُ مِنْ نَارٍ * آفُ مِنْ حَمَامٍ مَكَّةَ * آفُ مِنَ الْحُمَى *
آفُ مِنْ غُرَابٍ عُقْدَةٌ ٢ * آفُ مِنْ كَلْبٍ * آمَنُ مِنَ الْأَرْضِ ٣ *
آبُ وَقْدِحِ الْقَوْزَةِ الْمَسِيحُ ٤ * آبَتِ الدَّرَاهِمُ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ أَعْنَاقُهَا ٥ *
أَبْجَلُ مِنْ ذِي مَعْدَرَةٍ ٦ * أَبْجَلُ مِنْ صَبِيٍّ ٧ * أَبْجَلُ مِنَ الضَّنِينِ بِنَائِلِ
غَيْرِهِ * أَبْجَلُ مِنْ كَلْبٍ ٨ * أَبْدَاهُمْ بِالصَّرَاخِ يَفِرُّوهُ ٩ * أَبْرَدُ مِنْ
بَرْدِ الْكَوَانِينِ * أَبْرَدُ مِنْ جَرِيَاءٍ ١٠ * أَبْرَدُ مِنْ عَضْرَسٍ * أَبْرَدُ مِنْ
غَبِّ الْمَطْرِ * أَبْرَدُ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ النَّخْوَ فِي الْحِسَابِ * أَبْشَعُ مِنْ

- ١ مثل يضرب لامرئ شديد لاصبر عليه
٢ عقدة أرض كثيرة النخل
٣ لأنها تؤذي ما تؤدع
٤ أي لا يستطيع صاحب الفئان يكتسبها وهذا المثل كقولهم إن الفئان طوبل الذيل يعود بجنيته
٥ يحسدون لقي الضيف بالقرى قبل الحديث ويعيون مئاس
٦ تلقية بالحديث والالتجاء إلى المعذرة والشمال والتخف والعرب تقول: المعذرة طرف من البجل
٧ يكون في يده أدنى شيء فيشخ به
٨ قال الشاعر: ومن طلب الحوائج من لئيم
٩ يضرب للظالم يتظلم لبيكته عنه
١٠ الجربياء اسم للشمال والريح بين الجنوب والصبأ

مَثَلٌ غَيْرِ سَائِرٍ * أَبْصَرَ مِنْ عُقَابٍ مَلَاعٍ ١ * أَبْصَرَ مِنْ فَرَسٍ بَيْنَهُمَا
 فِي عَالَسٍ * أَبْطَأَ مِنْ غُرَابٍ نُوحٍ * أَبْغَضُ مِنَ الشَّيْبِ إِلَى الْفَوَائِي *
 أَبْقَى مِنَ الْعَجْبَرَةِ * أَبْغَضُ مِنْ وُجُوهِ التُّجَّارِ يَوْمَ الْكَسَادِ * أَبْقَى عَلَى
 الدَّهْرِ مِنَ الدَّهْرِ * أَبْقَى مِنْ وَحْيٍ فِي حَجَرٍ ٢ * أَبْكَى مِنَ الْيَتِيمِ *
 إِبْرِي لَمْ أَيْعَ وَلَمْ أَهَبْ ٣ * ابْنُ آدَمَ حَرِيصٌ عَلَى مَا مَنَعَ عَلَيْهِ * ابْنُهُ
 عَلَى كَتْفِهِ وَهُوَ يَطْلُبُهُ * أَبَيْنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ * أَتَبِعَ الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ
 تَحْمَهَا ٤ * أَتَتْ عَلَيْهِ أُمُّ اللَّهِيمِ ٥ * إِتَّخَذَ الْبَاطِلُ دَخَلًا * أَتْرَبَ
 فَدَحَ ٦ * أَتْرَفُ مِنْ رَبِيبٍ نِعْمَةٌ * أَتْرَكَ الشَّرَّ يَتْرُكُ * إِتَّكَلْنَا
 مِنْهُ عَلَى خُصِّ ٧ * أَتَمَّكَ مِنْ سَنَامٍ * أَتَى عَلَيْهِمْ ذُو أُنَى ٨ * أَتَيْهُ مِنْ
 قَوْمِ مُوسَى ٩ * أَتَبْتُ فِي الدَّارِ مِنَ الْجِدَارِ * أَتَيْتُ مِنْ أَصَمِّ رَأْسًا ١٠ *
 أَتَيْتُ مِنَ الْوَشْمِ * أَتَقَفُ مِنْ سِنُورٍ ١١ * أَثْقَلُ مِنْ طُودٍ * أَثْقَلُ
 مِنَ الْمُنْتَظَرِ * الْأَيْثَمُ حَزَّازُ الْقُلُوبِ * أَجْدَى مِنَ الْغَيْثِ فِي أَوَانِهِ *
 أَجْرًا مِنْ أَسَامَةٍ * أَجْرُدُ مِنْ صَلْعَةٍ ١٢ * إِجْلِسْ حَيْثُ تُؤْخَذُ بِيَدِكَ

- ١ ملاح الصحراء قالوا: ان عقاب الصحراء ابصر واسرع من عقاب الجبال
 ٢ كانت عرب اليمن تكتب الحكمة في الحجارة طلباً لبقائها . والناس يقولون: التأديب في
 الصغر كالنقش في الحجر ٣ يضرب للظالم بخاصك في لاحقٍ له فيه . قال بعضهم:
 يا قيس درعي لم أبع ولم أهب ولم أكن يا قيس ممن يقتصب
 ٤ يضرب في الانابة بعد الاجتهاد ٥ اهلكته الداهية ويقال المنية
 ٦ يضرب المثل لمن غني فوسع عيشه وبذر ماله مسرفاً ٧ هو جدار القصب (كذا في الاصل)
 ٨ أي حوادث الدهر ٩ أرادوا به مكث بني اسرائيل في التيه اربعين سنة
 ١٠ يعنون الجبل ١١ التقف الآخذ بسرعة . يقال رجل تقف تقف اذا كان
 ١٢ الصلعة الصخرة المساء

يد المخذر في القتال . ويقال هو سريع الطعن

وَتَبْرُهُ لَا حَيْثُ تُؤْخَذُ بِرِجْلِكَ وَتَجْرُ * أَمْعُ مِنْ ثَمَلَةٍ * أَجْوَعُ مِنْ ذَنْبٍ ١ *
 أَجْهَلُ مِنْ قَرَأَشٍ ٢ * مَجْرِي بُلَيْقٌ وَيَذْمُ ٣ * جَدَحُ جَوِينٍ مِنْ سَوِيْقٍ
 غَيْرِهِ ٤ * أَسْمَعُ جَمْعَةٌ وَلَا أَرَى طِحْنًا ٥ * مَالٌ سَرَجُهُ ٦ * فُلَانٌ لَا
 تَدَدَى صَفَاتُهُ ٧ * أَحَدَ حِمَارِيكَ فَازْجُرِي ٨ * أَحْرَصُ مِنَ الذَّرَّةِ *
 أَحْسَنُ مِنْ بَيْضَةِ فِي رَوْضَةٍ * أَحْسَنُ مِنَ الدُّهْمِ الْمُوقَفَةِ ٩ * أَحْسَنُ
 مِنْ زَمَنِ الْبَرَامِكَةِ * أَحْسَنُ مِنْ شَنْفِ الْأَنْضْرِ ١٠ * إِحْفَظْ مَا فِي
 الْوِعَاءِ يَشَدُّ الْوِكَاءَ ١١ * أَحْكَمُ مِنَ لُعْمَانَ * أَحْكَى مِنْ قِرْدٍ * أَحَلُّ
 مِنْ لَبَنِ الْأَمِّ * أَحْلَبُ حَلْبًا لَكَ شَطْرُهُ ١٢ * أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ *
 أَحْلَى مِنْ نَيْلِ الْمُنَى * أَحْمَضُ مِنْ صَفْعِ الذَّلِّ فِي بَلَدِ الثَّرْبَةِ * أَحْمَقُ
 بَلَعٌ ١٣ * أَحْمَقُ مِنَ الْمَمْتَحِطِ بِكُوعِهِ * أَحْمَلُ مِنَ الْأَرْضِ * أَحْيَرُ مِنَ

١ ومنه داء الذئب وتقول العرب: رماه الله في داء الذئب ٣ دواب مثل
 البعوض تطير وتتهافت على السراج ٣ بليق فرس سباق كان يسبق الخيل وكان
 مع ذلك يُعاب. يُضْرَبُ لِلْمُحْسِنِ الَّذِي يُدْمُ مَعَ أَحْسَانِهِ ٤ يُضْرَبُ لِلْبَخِيلِ
 يَجُودُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ٥ يُضْرَبُ لِلْجَبَانَ يُوْعَدُ وَلَا يُوْقَعُ وَلِلْبَخِيلِ يَبْعِدُ وَلَا يُبْعِزُ
 ٦ يُضْرَبُ فِي اضْطِرَابِ الْأَمْرِ وَفُشْلِ الرَّاي. ومنه قول الربيع بن زياد العبسي:
 فكننا فوارس يوم الحرير إذا مال سرجك فاستدما
 ٧ الصفاة الحجر الصلب الضخم. يُضْرَبُ فِي شِدَّةِ الْحِرْصِ وَالْإِمْسَاكِ
 ٨ يُقَالُ لِمَنْ يَتَكَلَّفُ مَا لَا يَنْبَغِي ٩ هي التي في قوائها يابض ١٠ الْأَنْضَرُ
 جمع أنضر وهو الخالص من الذهب. قال (الشاعر):
 وياض وجهه لم تحل أسرارهُ مثل الوذيلة أو كسنتف الانضر
 ١١ يُضْرَبُ فِي الْحَثِّ عَلَى اخْتِذِ الْأَمْرِ بِالْحَزْمِ ١٢ يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُعِينُ
 صاحبه على امر له فيه نصيب ١٣ هذا يحتمل وجهين أحدهما أنه أحق
 ويبلغ ما يريد. والآخر أن حماقته قد بلغت

لَيْلٍ ١ * أَحْيَا مِنْ قَتَاةٍ * أَخْبَرْتُهُ بِبُحْرِي وَبُحْرِي * أَخْبَرْتُهُ خُبُورِي
 وَشُقُورِي وَفُقُورِي * أَخْبَطُ مِنْ عَشَوَاءَ * أَخْبَطُ مِنْ حَاطِبٍ لَيْلٍ ٢ *
 اخْتَلَطَ الْحَاثِرُ بِالزُّبَادِ ٣ * أَخَذَ فِي تَرْهَاتِ الْبَسَائِسِ ٤ * أَخَذَتْ
 الْأَرْضُ زُخَارِيهَا ٥ * أَخَذْنَا فِي الْبَرْقَلَةِ * أَخَذَنِي بِأَطِيرٍ غَيْرِي *
 أَخَذَهُ عَلَى غِلِّ غَيْظِهِ ٦ * أَخْرَجَ الطَّمَعُ مِنْ قَلْبِكَ تَحْلًا الْقَيْدِ مِنْ
 رِجْلِكَ * إِنْ فِي الشَّرِّ خِيَارًا ٧ * إِنْ الْخِصَاصُ يَرَى مِنْ جَوْفِهَا الرَّقْمُ ٨ *
 إِنْ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكُذِبِ ٩ * عَادَتْ إِلَى عَيْرِهَا لَيْسَ ١٠ *
 هَذَا بَرَّضُ مِنْ عِدَّةٍ ١١ * يُبْلَغُ الْحُضْمُ بِالْقَضْمِ ١٢ * لِكُلِّ سَاقِطَةٍ
 لَاقِطَةٌ ١٣ * عَادَ السَّهْمُ إِلَى النَّزْعَةِ ١٤ * هُوَ كَالْكَاتِبِ عَلَى صَفْحَاتِ
 الْمَاءِ ١٥ * أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ ١٦ * إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ

١ من الحَيْرَةِ . واللَّيْلُ وَلِدُ الْحُبَارَى . قال الزمخشري : بل جعلت الحيرة لليل وهي
 في المعنى لاهله ٢ لان الذي يحتطب ليلاً يجمع كل شيء مما يحتاج اليه ومما لا يحتاج
 فلا يدري ما يجمع ٣ للقوم يقعون في التخليط من امرهم ٤ لمن جاء بكلام
 كذب محال وسلك في الطريق الذي لا يُنْفَعُ بِهِ ٥ لمن صلح حاله بعد فساده
 ٦ اي رغما عنه وعلى أثر غيظ أكرمته في قلبه . ويروي : قَلَّ ٧ بعض الشر
 أهون من بعض خير . ويموز ان يكون الخيار الاسم من الاختيار اي في الشر ما يُخْتَارُ
 على غيره ٨ اي الشيء العظيم يرى في الشيء الحقير ٩ لمن يحسب انه يضطر
 الى الكذب ١٠ اي رجعت الى اصلها . يُضْرَبُ لِمَنْ رَجَعَ إِلَى خُلُقِهِ كَانَ قَدْ تَرَكَهُ
 ١١ يُضْرَبُ لِمَنْ يُعْطَى قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ ١٢ اي الغاية البعيدة تُدْرِكُ
 بالرفق . وقيل المراد بالحضم أكل الشيء الرطب والقضم أكل الشيء اليابس . اي الراحة
 والسهولة تحصل باحتمال العناء والمشقة ١٣ اي لكل كلمة سقطت من فم الناطق
 نفس تسمعها فتلقها فتذمها . يُضْرَبُ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ ١٤ اي رجع الحق الى اهله
 ١٥ يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يُؤْتَمَرُ عَمَلُهُ شَيْئًا ١٦ يُضْرَبُ فِي الشُّهُرَةِ

إِعْصَارًا * يَعِلَّةُ الْوَرَشَانِ يَأْكُلُ رُطْبَ الْمَشَانِ ١ * لَا يَعْرِفُ الْهَرَّ
 مِنَ الْبَرِّ ٢ * عِنْدَ الرَّهَانِ تُعْرَفُ السَّوَابِقُ ٣ * لَا تَهْرَفُ بَمَا لَا تَعْرِفُ ٤ *
 أَنْجَزَ حَرْمًا مَا وَعَدَ ٥ * فُلَانٌ يَعْلَمُ مِنْ حَيْثُ تُؤَكَّلُ الْكُتِفُ ٦ * أَلْقَى
 حَبْلَهُ عَلَى غَارِيهِ * إِنَّمَا يُضْنُ بِالضَّيْنِ ٧ * مُخْرَنْقٌ لِيَنْبَاعَ ٨ * هُوَ إِمَاعَةٌ
 وَهُوَ إِمْرَةٌ ٩ * هَمَا زَنْدَانٌ فِي وَعَاءٍ ١٠ * إِذَا أَرْجَحْنَ شَاصِيًا فَأَرْفَعُ
 يَدًا ١١ * هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تَوْلَعُ بِإِشْفَاقِ ١٢ * لَا تَكُنْ حُلُومًا فَتَسْتَرْطِ
 وَلَا مَرَاتِعَافًا ١٣ * يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنِّعَامِ ١٤ * لَيْسَ قَطًّا مِثْلَ
 قُطِيٍّ ١٥ * جَاءَ بَعْدَ الْهَيْطِ وَالْمَيْطِ ١٦ * كَأَلْمَسْتَيْثٍ مِنَ الرَّمَضَاءِ
 بِالنَّارِ ١٧ * لَا آتِيكَ أَوْ يُوَبُّ الْقَارِظُ الْعَنْزِيُّ ١٨ * أَخَذَهُ بِرِمْتِهِ ١٩

- ١ اي ان الصبأ بحجة سميه في اثر الصيد يدخل بين النخل فياكل التمر بحدة العلة . يضرب
 لمن يظهر شيئاً والمراد منه شيء آخر ٢ قيل الهر القط والبر الفارة
 وقيل المراد الشر من الخير . وقيل الحق من الباطل . يضرب في الجهالة
 ٣ يضرب لبيان الامر عند الاختبار ٤ التحرف الاطناب في المدح
 ٥ وهو لانجاز الوعد ٦ للاربع الداهي ٧ للصلة والقطعة
 ٨ هو للظرق حتى يصيب الفرصة ٩ للرجل الذي لا عزيم له
 يتابع كل احد على رايه ١٠ للتساويين في الخير والشر ١١ يقول اذا رأته قد خضع
 واستكان فاكفف عنه ١٢ للصبر على المصائب ١٣ يضرب لتوسط الامور
 ١٤ يضرب لسوء المرافقة . لان مسكن الاروى الجبال ومسكن النعام الرمل
 ١٥ يضرب للغلط في القياس ١٦ اي حاجة مقضية ١٧ للظالم الذي لا يشفق
 ١٨ يضرب لكل غائب لا يرجي اياه . والقارظ رجل من عترة خرج يجني القرمط فلم يرجع
 ولا عرف له خبر ١٩ الرمة قطعة من الحبل . اصل المثل ان رجلاً دفع الى رجل
 بهراً بحبل في عنقه . فقيل لكل من دفع شيئاً بحبلته : دفعة اليه برمته واخذه منه برمته

نخبة من امثال الميداني وابن نباتة وغيرها مع شرحها

٤٠ يَوْمٌ عَيْدٌ (وَيُقَالُ عَيْدٌ)

يُضْرَبُ لِلْيَوْمِ الْمُحْسِنِ الطَّالِعِ . وَكَانَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ تَصَدَّقَ فِيهِ لِلتَّمَانِ فِي يَوْمٍ بُوَسَّ . وَكَانَ لَهُ يَوْمٌ بُوَسَّ مِنْ لَقْبِهِ فِيهِ أَهْلَكَهُ وَيَوْمٌ نَعِيمٌ مِنْ لَقْبِهِ فِيهِ أَكْرَمَهُ . فَقَالَ التَّمَانُ : يَا عُبَيْدُ إِنَّكَ مَقْتُولٌ فَانْشُدْنِي « أَقْرَ مِنْ أَهْلِهِ مُلْحُوبٌ » . فَانْشُدْ :
 أَقْرَ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدٌ فَظَلَّ لَا يُبْدِي وَلَا يُبِيدُ
 ثُمَّ قَتَلَهُ وَصَارَ يَوْمُهُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ . قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

لَمَّا أَظَلَّتْ سِنِي سَاوُكَ أَقْبَلْتُ تِلْكَ الشُّهُودَ عَلَيَّ وَهِيَ شَاهِدِي
 مِنْ بَعْدِ مَا ظَنَّ الْأَعَادِي أَنَّهُ سَيَكُونُ لِي يَوْمٌ كَيَوْمِ عَيْدِي

٤١ صَمَّامَةٌ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِي

مِنْ أَشْهُرِ سِيوفِ الْعَرَبِ وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي كَرَمِ الْجَوْهَرِ وَحَسَنِ الْمَنْظَرِ وَالْمَسْخَبِ وَالْمَضَا . وَكَانَ عَمْرُو فَارِسَ زُبَيْدٍ حَسَنَ الْأَسْعِمَالِ لَهُ فِي الْمَاهِلِيَّةِ . وَفِيهِ يَقُولُ :
 سِنَانِي أَزْرَقُ لَا عَيْبَ فِيهِ وَصَمَّامِي يُصَمِّمُ فِي الْعِظَامِ
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ لِبَعْضِ السَّمَانِيِّينَ : لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمٌ وَمِنَ الْكَلْبَةِ رُكْنٌهَا
 وَمِنَ السِّيُوفِ صَمَّامٌ . يَعْنِي سَهْبَلًا وَالرُّكْنَ السَّمَانِيَّ وَصَمَّامَةُ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ

٤٢ حَدِيثُ خُرَافَةَ

خُرَافَةُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ اسْتَهْوَتْهُ الْجَنُّ . فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ جَمَلَ بِحَدِيثِهِم بِالْأَعْيَابِ مِنْ أَحَادِيثِ الْجَنِّ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا سَمِعَتْ حَدِيثًا لِأَصْلٍ لَهُ قَالَتْ : حَدِيثُ خُرَافَةَ

٤٣ نَخْوَةُ الْعَرَبِ

لَمْ تَزَلْ تَتَمَيَّزُ الْعَرَبُ عَنْ سَائِرِ الْأُمَمِ بِالنَّخْوَةِ لِأَنَّ فِيهَا مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ وَالْفَصَاحَةِ حَتَّى إِنْ التَّمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ امْتَنَعَ عَنْ مِضَاهِرَةِ كَسْرَى أَبِرُويزَ مَلِكِ الْفَرَسِ

٤٤ عُرْوَةُ الصَّعَالِيكِ

هُوَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِيِّ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ عُرْوَةَ الصَّعَالِيكِ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا شَكَأ أَحَدًا إِلَيْهِ الْفَقْرَ أَعْطَاهُ فَرَسًا وَرِحْمًا وَقَالَ لَهُ : إِنْ لَمْ تَسْتَفِنْ جِمْاءَ فَلَا اغْنَاكَ اللَّهُ

٤٥ جَوْفُ حِمَارٍ

مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ هُوَ أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ وَخَلِيٍّ مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ . وَهُوَ ابْنُ مُوْبَلَعٍ مِنْ عَادٍ .

وجوف وادٍ له طول عريض لم يكن ببلاد العرب اخصب منه . وفيه من كل الثمرات فخرج
بنوه يتصيدون فاصابهم صاعقة فلكوا فقال : لا اعبد من اهلك اولادي . فكفروا ودعا قومه
الى الكفر فن خالفه قتلُه . فاخرَب الله تعالى واديه فضرب به المثل في الحراب . فقال امرؤ
القيس : ووادٍ كجوف العير قفر قطعه به الذئب يعوي كالحليع المعيل

حُصْنُ تَيْمَاءَ

٤٦

بلدة بين الحجاز والشام ولها حصن يُسَمَّلُ به في الحصانة ويقال ان سليمان بناه بالحجارة
والكلس فتمتعه العرب . ثم ملكه عادياء اليهودي ثم ابنه السموئل . وفيه يقول الاعشى :

ارى عاديا لم يمنع الموت ماله وفردت لتيماء اليهودي ابلق
بناه سليمان بن داود حِقْبَةً له اَرْحُ صَمٌ وطينٌ موثِقُ
يوازى كبيدات السماء ودونه ملاط ودارات وكلسٌ ويخندقُ

كَعْبَةُ نَجْرَانَ وَقَصْرُ عُمْدَانَ

٤٧

نجران اقدم بلاد اليمن وكان لها كعبة تُحَجُّ فخرت وضرب بها المثل في الحراب
وزوال الدولة . وقال ابو عبيدة : احببت العرب ان تشارك الحج في البنيان وتنفرد
بالشعر . فبنوا عُمْدَانَ وهو قصر شاهق مشهور وكعبة نجران وحصن تيماء ابلق الفرد
وغير ذلك من البنيان . وعُمدان احد الابنية الوثيقة للعرب يُسَمَّلُ به في الحصانة والوثاقة
سكنه ملوك حمير . ثم تنقلت به احوال ادت الى خرابه

إِنَّ الْمُوصِينَ بَنُو سَهْوَانَ

٤٨

قيل هذا معناه : انما يحتاج الى الوصية من يسهو ويفعل فاما انت فغير محتاج اليها
لانك لا تسهو . وقال بعضهم : يريد بقوله « بنو سهوان » جميع الناس لان كلهم يسهو .
والاصوب في معناه ان يقال ان الذين يوصون بالشيء يستولي عليهم السهو حتى كأنه
موكل جم . ويضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به . والسهوان السهو ويجوز ان
يكون صفة اي بنو رجل سهوان وهو آدم حين عهد اليه فيها ونسي . يقال رجل سهوان
وساه اي ان الذين يوصون لا بد ان يسهوا لانهم بنو آدم

أَكْرَمُ مِنْ حَاتِمِ طَيْيِّ

٤٩

جواد العرب المصروب به المثل في الجود وفيه يقول الشاعر :

لما سألتك شيئاً بدلت رُشداً بغيً
عَنْ تَعَلَّمْتَ هَذَا أَنْ لَا تَجُودَ بِشَيْءٍ

أما مرتب بعبد لعبد حاتم طي

وكان يضرب مجود طي المثل حيث منبه حاتم وأوس بن حارثة. ومهما في الجود والكرم على جانب عظيم. وروي ان أوساً وحاماً وفدا على عمرو بن هند. فداوا أوساً فقال له: انت افضل ام حاتم. فقال: ابنت اللعن لو وهبني حاتم وولدي لو هبني في ساعة واحدة. ثم دعا حاتماً فقال له: انت افضل ام اوس. فقال: ابنت اللعن آتمديني باوس ولاحد ولده افضل مني. فقال عمرو: ما ادري ايكما افضل وما منكما الا سيد كريم. ومن محاسن اوس ان النعمان بن المنذر دعا جملة نقيسة وعنده العرب وفيهم كل سيد كريم وفيهم اوس. فقال: احضروا غداً فاني ملبس هذه الحلقة اكرمكم. فحضر القوم الا اوساً. فقيل له: لم تتخلف. فقال: ان كان المراد غيري فاجل الاشياء بي ان لا اكون حاضرًا وان كنت المراد فسا طلب. فلما جلس النعمان ولم ير اوساً قال: اذهبوا الى اوس فقولوا له: احضر آتياً ممأ خفت. فحضر وألبس الحلقة. فحسده قوم من اهله وقالوا للبشر بن ابي حازم: أهجه. فهجاه بشر فاغار اوس على ابيه واكنسها وطلبه فعمل بشر لا يستخير حياً من احياء العرب الا قالوا له: قد اجرناك من الاتس والحن الآ من اوس. وكان في هجائه اياه ذكر أمه. فابلت يسيراً حتى اتي به اسيراً. فدخل اوس الى امه واستشارها في امره. فقالت: اري ان ترد عليه ماله وتفغو عنه وأفعل انامثل ذلك فلا يقيلك هجاءه الا مدحه. فاخبره اوس بما قالت أمه. فقال: لا جرم والله لا مدحت غيرك حتى اموت

٥٠ المَعِيدِيُّ تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ

هذا مثل يضرب لمن يكون خبره خيراً من منظره. وأوّل من قاله النعمان لشقة ابن ضمرة في خير طويل. معناه انه كان يغير على مال النعمان ويطلبه النعمان فلا يقدر عليه الى ان آمنه وكان يجهه ما يسمع عنه من الشجاعة والاقدام. فلما رآه استدرى منظره لانه كان دميم الحلقة فقال: تسمع بالمعدي خيراً من أن تراه. فقال: ايت اللعن ان الرجال ليست يجزروا وانما يعيش المرء باصغريه قلبه ولسانه. فاعجب النعمان كلامه وجعله من خواصه الى ان مات. ومعيد اسم قبيلة

٥١ أَدْبَى الصَّرِيحُ عَنِ الرَّغْوَةِ

أي وضع الأمر وبان. قال بعضهم:
 أَمْ تَسَلُّ الفوارسَ يومَ غولٍ
 بنضلة وهو موتورٌ شُحِ
 وأرؤهُ فازدروه وهو حرٌّ
 وينفع اهله الرجلُ التبيحُ
 ولم يمشوا مصالته عليهم
 وتحت الرغوة اللبنُ الصريحُ
 يقول رأوني فازدروني لدماقي فلماً
 كشفوا غني وجدوا غير ما رأوا ظاهراً

إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَّاجِمِ

٥٢

هو ثمار بن صخر التميمي . والبراجم خمسة من أولاد حفظة والعرب تضرب المثل
بوافد البراجم . وذلك ان الملك عمرو بن هند احرق تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم لثار له
عندهم وكان قد آلى ان يحرق منهم مائة . فبينما هو يلتبس بقية المائة اذ مرَّ رجل من البراجم
يُسمى عماراً قادم من سفرٍ فاشتم رائحة القنار فظن ان الملك اتخذ طعاماً فعدل اليه . فقيل له
ممن انت . قال : من البراجم . فالتقي في النصار . وقيل في المثل ان الشقيَّ وافد البراجم . ومن
هنالك حُيِّرت بنو تميم بحب الطعام

شَقَائِقُ التُّعْمَانِ

٥٣

قال ابو محمد : شقائق التمان منسوبة الى التمان بن المنذر . وكان خرج الى الحضرم وقد
اعتمَّ بنته من بين أخضر وأصغر وأحمر واذا فيه من هذه الشقائق شيء . فقال : ما احسنها
احموها . فغموها فسميت شقائق التمان

أَفْصَحُ مِنْ سَجْبَانَ وَائِلِ

٥٤

هو وائل بن معن بن أعصر وكان خطيباً يُضرب به المثل في الفصاحة . قال الشاعر في
ضيف نزل به :

اتانا ولم يبدله سجبان وائلِ بياناً وعلماً بالذي هو قائلُ
فما زال عنه اللُقم حتى كأنه من العبيِّ لما ان تكلم باقلِ

أَبْرٌ مِنَ الْعَمَلَسِ

٥٥

كان بَرّاً بأمه وكان يحملها على عاتقه حمل اليها غبوقاً من لبن في عُسر . فصادفها فاقمة
فكره انبائها والانصراف عنها . فاقام مكانه قائماً يتوقع اقتبائها حتى اصبح

أَبْطَشُ مِنْ دَوَسِرِ

٥٦

فالوا ان دوسر احدى كتاب التمان بن المنذر ملك العرب . وكانت له خمس كتاب
الرهائن والصنائع والوضائع والاشاهب ودوسر . اما الرهائن فاقم كانوا خمس مائة رجل
رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يبيح بدلهم خمسمائة اخرى وينصرف اولئك
الى احيائهم . فكان الملك يغزو جمع ويوجههم في امور . واما الصنائع فبنو قيس وكانوا
خواص الملك لا يبرحون بابه . اما الوضائع فاقم كانوا الف رجل من الفرس يضمهم ملك
الملوك بالهيرة نجدة ملك العرب . وكانوا ايضا يقيمون سنة ثم ياتي بدلهم الف رجل وينصرف
اولئك . واما الاشاهب فاخوة صلك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من اعوانهم سموا

الاشاهب لاصم كانوا بيض الوجوه . فامأ دوسر فاصا كانت اخشن ككتاييه واشدها بطشا
ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب واكثرهم من ربيعة . سُميت دوسر اشتقاقاً من الدسر
وهو الطعن بالثقال لثقل وطأها . قال الشاعر :

ضربت دوسر فيهم ضربةً اثبتت او تاد ملك فاستقر

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة وذلك ايام الربيع يأتيه وجوه العرب واصحاب
الرهائن وقد صير لهم اكلأ عنده وهم ذوو الآكال . فيقيسون عنده اشراً وبأخذون
اكلهم ويبدلون رهائهم وينصرفون الى احيائهم

٥٧ **أَبَايَ مِمَّنْ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ**

هذا خاقان ملك من ملوك الترك خرج من ناحية باب الأبواب . وظهر على اربنية وقتل
الجرأح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك عليها . وغلظت نكايته في تلك البلاد . فبعث هشام
الياسميد بن عمرو الجرشبي وكان مسلمة صاحب الجيش فوقع سعيد بن جاقان ففض جمعة واحتر
رأسه وبعث به الى هشام . فعظم اثره في قلوب المسلمين ونحمت امره ففخر بذلك حتى ضرب به
المثل

٥٨ **أَبْصَرَ مِنْ زُرْقَاءِ الْيَامَةِ**

هي عذرة اليامة . واليامة اسمها وهما سمي البلد وهي امرأة من جديس . وذكر الجاحظ انها
كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة ايام . فلما قتلت جديس طسماً خرج رجل من طسم الى
حسان بن تبع فاستجابته ورغبه في الفسائم فجهز اليهم جيشاً . فلما صاروا من جو على مسيرة
ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت الى الجيش . وقد امروا ان يحمل كل رجل منهم شجرة
يستتر بها ليلسوا عليها . فقالت : يا قوم اتنكم الاشجار او اتنكم جهمير فلم يصدقوها . فقالت
على مثال رجز :

أقسم بالله لقد دب الشجر او جهمير قد اخذت شيئاً يحير

فلم يصدقوها فقالت : بالله لقد أرى رجلاً ينهش كتفاً او يحضف التعل فلم يصدقوها .
ولم يستعدوا حتى صيهم حسان فاجتاحهم . وكانت أول من اكتمل باللائم من العرب

٥٩ **أَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ**

قس بن ساعدة بن خذافة بن زهير بن اياد بن نزار الايادي اسقف نجران . وكان من
حكاه العرب واعقل من سجع به منهم . وهو أول من كتب من فلان الى فلان . وأول من
اثر بالبعث من غير علم . وأول من قال : امأ بعد . وأول من قال : البيئنة على من ادعى واليبين
على من انكر . وقد عمر مائة سنة ونيفاً

أَحَدِيثُ شُجُونُ

٦٥

وهذا المثل لضية بن أدد. وكان له ابنان سعد وسعيد فخرجا في طلب ابل لهما فرجع سعيد ولم يرجع سعد. فكان ضية لما رأى رجلاً مقبلاً قال: أَسعد أم سعيد فذهبت مثلاً. ثم ان ضية بيناهو يسير يوماً ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فأتى على مكان فقال له الحرث: أترى هذا الموضع فاني لقيت فتى هينته كذباً وكذا فقتلته واخذت منه هذا السيف. فاذا بصفة سعد. فقال له ضية: أربي السيف انظر اليه فتناولهُ فعرفهُ فقال له: ان الحديث شجون. ثم ضربهُ به حتى قتله. فلامه الناس في ذلك وقالوا: أقتلت في الشهر الحرام. قال: سبق السيف العذل. فذهبت مثلاً

أَنَا صَكَّةَ عُمِي

٦٦

عُمي رجل من عدوان وكان يفتي في الملح فاقبل معتمراً ومعه ركب حتى تزولوا بعض للنازل في يوم شديد الحر. فقال عُمي: من جاءت عليه هذه الساعة من غد وهو حرام لم يقض عمرته فهو حرام الى قابل. فوثب الناس في الظهيرة يضربون (اي يسرون) حتى وافوا البيت وبينهم وبينه من ذلك الموضع ليلتان. فضرب مثلاً فقبل: انا صكَّة عُمي اذا جاء في الظهيرة الحارة، وقيل كان عُمي رجلاً مغواراً فغزا قوماً عند قائم الظهيرة وصكهم صكَّة شديدة فصار مثلاً لكل من جاء في ذلك الوقت

كَأَنَّهُ سَنُورُ عَبْدِ اللَّهِ

٦٧

يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَزِيدُ سَنًا إِلَّا أَزْدَادَ نَقْصَانًا وَجَهْلًا. وَفِيهِ يَقُولُ بَشَّارُ بْنُ بَرْدِ الْأَعْمَى:
أَبَا مُخْلَفٍ مَا زِلْتُ سَبَّاحَ عَمْرَةٍ صَنِيراً فَلَمَّا شَبَّتْ خَبِئَتْ بِالشَّاطِئِ
كَسَنُورِ عَبْدِ اللَّهِ بَيْعٌ بِدَرَمٍ صَنِيراً فَلَمَّا شَبَّ بَيْعٌ بِقِيْرَاطِ

فِي مَلَانٍ مِنَ الْمَاءِ

٦٨

يُضْرَبُ لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَكَلَّمَ لَهُ مَا يَجْزُهُ عَنِ الْكَلَامِ. وَفِيهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَقَدْ عَوَّبَ عَلَى قَلَّةِ كَلَامِهِ:
قَالَتْ الضَّفْدَعُ قَوْلًا فَسَّرْتُهُ الْحِكْمَاءُ
فِي فِي مَاءٍ وَهَلْ يَمُ طَلِقٌ مِنْ فِي فِيهِ مَاءٌ

أَحْلَمُ مِنَ الْأَخْفِ

٦٩

هُوَ أَبُو فُحْرٍ الضَّمَّكَ بْنُ قَيْسِ التَّمِيمِيِّ الْأَخْفِ مِنَ التَّابِعِينَ وَمِنْ كَلَامِهِ: رَبِّ غِيْظُ تَجْرَعْتُهُ مَخَافَةٌ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ. وَمِنْ قَوْلِهِ: كَثْرَةُ الْمَزَاحِ تُذَهَبُ بِالْهَيْبَةِ. السُّوْدُودُ كَرَمُ الْأَخْلَاقِ وَحَسَنُ الْفِعْلِ. الدَّاءُ اللَّسَانُ الْبُذِي وَالْحَلَقُ الرَّدِي. وَكَانَ الْأَخْفُ شَهِدَ مَعَ هَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَعَةَ

بصيفين . ولما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه يوماً . فقال له معاوية : والله يا اخف ما أذكر يوم صيفين الأكانت حرازة في قلبي الى يوم القيامة . فقال له الاخف : والله يا معاوية ان القلوب التي ابضنك جالني صدورنا . وان السيوف التي قاتلتك جالني أعقادها . وان تدن من الحرب فترا ندنك منك شهراً . وان تمس اليها محرول اليك . ثم قام وخرج . وكانت اخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت : يا أمير المؤمنين من هذا الذي يتهدد ويتوعده .

فقال : هذا الذي اذا غضب غضب لغضبه مائة الف من بني تميم ولا يدرون لما غضب واخبر الثوري عنه قال : كان معاوية قد كتب الى عماله ان يوفدوا اليه الوفود من الأمصار . فكان فيمن اتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والاحف بن قيس في وقد اهل البصرة . ثم ان معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري : لما تجتمع الوفود اني متكلم فاذا سكنت فكمن انت الذي تدعو الى بيعة يزيد وتحض عليها . فلما جلس معاوية للناس تكلم فعمم أمر الاسلام وحرمة الخلافة وحقاً محمد الله واثني عليه . ثم قال الضحاك : يا أمير المؤمنين انه لا بد للناس من وال يدك فذلك احقن للدماء واصح للدماء وآمن للسيل وخير في العاقبة . والايام عوج كل يوم في شأن يزيد ابن امير المؤمنين في حسن هديه . وهو من أفضلنا علماً وحلماً وأبعدنا رأياً . فغور له عهدك واجمله لنا علماً بمدك ومفرعاً للحجاء اليه ونسكن الى ظله . وتكلم عمرو بن سعيد اللندقي بخور من ذلك . ثم قام يزيد بن المنقذ العذري فقال : هذا امير المؤمنين (واشار الى معاوية) فان هلك فهذا (واشار الى يزيد) ومن أبي فهذا (واشار الى سيفه) . فقال معاوية : اجلس فانت سيد الخطباء . فاذعن من حضر من الوفود . فقال معاوية للاحف : ما تقول يا ابا بحر . فقال : نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا . وانت يا أمير المؤمنين اعلم يزيد في ليله ونهاره وسره وعلايته ومدخله ومخرجه . فان كنت تعلمه لله تعالى ولهذه الأمة رضى فلا تشاور فيه . وان كنت تعلم منه غير ذلك فانت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا

أَحْمَقُ مِنْ أَبِي عَبَّاشَانَ

٦٥

ان حرازة اخذ فيها رت شديد وزعاف عنهم بمكة . فخرجوا منها وتزلوا الظهران . وكان فيهم رجل يقال له حليل بن حبشية وكان صاحب البيت . وكان له بنون وبنت يقال لها حبي وهي امرأة قضي بن كلاب . فمات حليل وكان اوصى ابنته حبي بالحجابه واثرك معها ابا عبشان الملكاني . فلما رأى قضي بن كلاب ان حليل قد مات وبنوه غيب والمفتاح في يدا امرأته طلب اليها ان تدفع المفتاح الى ابنتها عبدالدار بن قضي وحمل بيته على ذلك فقال : اطلبوا الى امكم حجابه جدكم . ولم يزل جاحتي سلمت له بذلك . وقالت : كيف اصنع بأبي عبشان وهو وصي مي . فقال قضي : انا اكفيك أمره . فاتفق أن اجتمع ابو عبشان مع قضي في شرب بالطائف

فقدعه قصي عن مفاتيح الكعبة بان اسكره ثم اشترى منه المفاتيح بزيق خمر واشهد عليه ودفع
 المفاتيح الى ابنه عبد الدار بن قصي وسيره الى مكة . فلما اشرف عبد الدار على دور مكة رفع
 غفيرة وقال : معاشر قريش هذه مفاتيح بيت ابيكم اسماعيل قد ردها الله عليكم من غير غدر
 ولا ظلم . فافاق ابو غبشان من سكره اقدم من الكسبي . فقال الناس : احق من ابي غبشان .
 واندم من ابي غبشان . واخسر صفقة من ابي غبشان . فذهبت امثالا . واكثر الشعراء فيه القول

٦٦ صَفَقَهُ لَمْ يَشْهَدْهَا حَاطِبٌ

هو حاطب بن ابي بلتعة وكان حازما خيرا . اذا باع بعض قومه او اشترى جعل ذلك
 على يده لئلا يظن فيه . فباع بعض اهله ببيعة ليست عن يده فبين فيها فقبل : هي صفقة لم
 يشهدا حاطب . يضرب لمن يقضي امر ليس عن يد اربابه

٦٧ أَحَقُّ مِنْ هَبْنَقَةٍ

قيل انه جعل في عنقه قلادة من وُدع وعظام وخرّف وهو ذو لحية طويلة .
 فسئل عن ذلك . فقال : لأعرف بها نفسي ولئلا أضلّ . فبات ذات ليلة واخذ اخوه قلادته
 فتقلدها فلما اصبح ورأى القلادة في عنق اخيه فقال : يا اخي انت انا فن انا . وقيل انه ضلّ له
 بغير فجعل ينادي : من وجد بعيري فهو له . فقبل له : فلم تشده . قال : فاين حلالة الوجدان

٦٨ أَحُولُ مِنْ أَبِي قَلْمُونَ وَأَبِي بَرَأَقِشَ

أبو براقش وابوقلمون كنية الرجل الكثير التلون القليل الارتباط . واصل ابي قلمون
 كنية لثياب ابريسم تنسج بمصر وبلاد الروم تتلون بالبيون الروانا . قال بديع الزمان في
 بعض مقاماته : أنا ابو قلمون في كل لون اكون

٦٩ قَلَبَ لَهُ ظَهْرَ الْحِجْنِ

يضرب لمن كان لصاحبه على موذة ورعاية ثم حال عن العهد . وقد يضرب للمخاربة بعد
 المسألة . لان مسك الحجن اذا جعل ظهره خارجا لم يكن الا ليتقي به ولا يفعل ذلك الا المخارب

٧٠ هُوَ أَبْطَأُ مِنْ فَنْدٍ

اسم ابي زيد صاحب طائفة بنت سعد بن ابي وقاص . كان من المتقين المحسنين ارسلته
 عائشة ذات يوم لياتها بشعلة نار من بيوت الجيران . فوجد قوما ذاهبين الى مصر فنبههم من
 فورهم واقام هناك سنة ثم قدم . ولما دخل الحيا اخذ نارا وجاء يعدو الى بيت عائشة . فتمتر بمجبي
 هناك وتبددت النار التي كان قد اتى بها فقال : تعست العجيلة . وفيه يقول الشاعر :
 ما رأينا لغراب مثلاً ان بئشاه يمين بالمسك

غير فند ارسلته قابساً فتوى حولا وسب العجلة
المشكلة كساة يُدثر به . وغراب اسم رجل ارسلوه لياتهم بما فابطأ . فقال بعضهم اليتين
مشبهاً اياه بفند المذكور آنفاً

٧١ أَحْشَقًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ

حكى الاصمعي ان ابا جعفر المنصور لقي اعرابياً بالشام وقال له : احمد الله يا اعرابي الذي
رفع عنكم الطاعون بولايتنا اهل البيت . فقال له الاعرابي : ان الله اعدل من ان يجمع علينا
حشقا وسوء كيلة . فلا يجمع بين ولايتكم والطاعون . يضرب لمن يجمع بين خصمتين مكر ومتين

٧٢ كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا

اصله ان ثلاثة رجال خرجوا يصطادون فاصطاد احدهم ارنبا والآخر نطيئا والآخر حمار
وحش . فاستبشر الاولان وتطاولا . فقال الثالث : كل الصيد في جوف الفرا . يضرب للرجل
يكون له حاجات كثيرة منها واحدة عظيمة فتقضى له فيقول ذلك . او يقال له ذلك على معنى
انه لم يبال بفوات البواقي . والفرا حمار الوحش

٧٣ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا

قبل ان القطاطترك فراخها في الصحراء وتذهب عند طلوع الفجر في طلب الماء من مسير
ليلة فترده ضحوة يوما فتحمل الماء الى فراخها فتنهلهما . ثم ترجع بعد الزوال الى تلك المسافة
فتشرب وتأتي فراخها في عشبة يوما فتسقيها عللاً بعد تحمل ولا تحظى مواضع فراخها

٧٤ لَا تَطْعِمِ الْعَبْدَ الْكِرَاعَ فَيَطْعَمَ فِي الدَّرَاعِ

قبل لعمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الابرش . وكان قد هام على وجهه في البراري حتى
توحش . وأتفق ان رجلين من اليمن كانا يطلبانه جلوسا في بعض الطريق ياكلان ومعهما امرأة
تسقيها الحمر فاقبل عليها عمرؤ وجلس معها على الطعام وهما لا يعرفانه . ثم سألت المرأة ان تسقيه
فقال المثل . يضرب لمن يرخص له في القليل فيطعم في الكثير

٧٥ قَبَّةُ نَجْرَانَ

هي قبّة عظيمة يضرب بها المثل قيل انها كانت تظلّل ألف رجل . وكان اذا نزل بها
مستجير أجير او خائف آمن او جائع أشبع او مسترفد أعطي او طالب حاجة قضيت . وكانت
هذه القبّة لعبد المسيح بن دارس بن عدي . ونجران بلد في اليمن كانت هذه القبّة بجانب घर
فيها وكانت العرب تسميها كعبة نجران لاضم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة
الكعبة . وعلى ذلك قول الاعشى يخاطب ناقته :

وكعبة نجران حتم عليك حتى تُسأخي بأبوابها
تروّر يزيداً وعبد المسحوق وقبساً وم خير اربابها

أَنْتَ تَتَّقُ وَأَنَا مَتَّقٌ فَكَيْفَ نَتَّقُ ٧٦

يُضْرَبُ لِلتَّنَاقِيهِ فِي الْحَلْقِ . فَاِنَّ التَّقَّ هُوَ الْمَحْتَلِيُّ غِيظًا وَالتَّقُّ هُوَ الْبَاقِي . فَكَلَّانَ التَّقُّ يَتَرَعُ
اِلَى الشَّرِّ لِيُظْهِرَهُ . وَالتَّقُّ يَضِيقُ ذُرْعًا بِاحْتِمَالِهِ . وَالتَّقُّ السَّرِيعُ اِلَى الشَّرِّ وَالتَّقُّ السَّرِيعُ اِلَى الْبَكَاءِ .

حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ ٧٧

اصله ان رجلاً كان له ابنٌ نبيغ في الشعر فنهاه عنه . فحجّاش به صدره ومرض حتى أشرف
على الموت . فأذن له أبوه حينئذٍ في قول الشعر فقال : حال الجريض دون القريض أي ان
غصة الموت حالت بينه وبين قول الشعر . يُضْرَبُ لِامْرِئٍ يَمُوتُ دُونَهُ عَائِقُ

لَيْسَ الْقَوَادِمُ كَالْحَوَافِي ٧٨

يُضْرَبُ فِي تَفْضِيلِ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضِهِمْ لِما بَيْنَهُمْ مِنَ التَّفَاوُتِ . وَالقَوَادِمُ مَقَادِمُ رِيشِ
الطير وهي عشر ريشات في كل جناح ويقال لها القدامى . وَالْحَوَافِي مَا دُونَ القَوَادِمِ مِنَ الرِّيشِ

أَتَبَعَ الْفَرَسَ جِلْمَهُ وَالنَّاقَةَ زِمَامَهَا ٧٩

أَيُّ أَنَّكَ قَدْ جُدْتَ بِالْفَرَسِ . وَالجِجَامُ إِسْرٌ خَطْبًا فَأَتَمَّ الْحَاجَةَ . كَمَا أَنَّ الْفَرَسَ لَا غَنَى بِهِ عَنِ
الجِجَامِ . يُضْرَبُ لِاسْتِكْمَالِ الْعُرْفِ

أَعَزُّ مِنَ الزَّبَاءِ ٨٠

الزَّبَاءُ . هِيَ فَارَعَةُ ابْنَةِ مَلِيحِ بْنِ الْبَرَاءِ مَلِكَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ يُضْرَبُ جَمًّا لِلْمَثَلِ فِي الْعَزِّ وَالْمُنْعَةِ .
وَكَانَ أَبُوهُا الرِّيَّانُ النَّسَائِيُّ مَلِكًا عَلَى الْحَضَرِ وَقَتْلُهُ جَذِيْعَةُ الْاِبْرَشِ وَطَرِدَ الزَّبَاءُ اِلَى الشَّامِ . فَلَقِقَتْ
بِالرُّومِ وَكَانَتْ عَرَبِيَّةَ اللِّسَانِ كَبِيْرَةَ الْحَمَةِ . وَكَانَ لَهَا شَعْرٌ اِذَا مَشَتْ سَجِبَتْهُ وِرَاءَهَا وَاِذَا نَشَرَتْهُ
جَلَّتْهَا فَسُمِّيَتْ الزَّبَاءُ . وَالاَرْبُ الْكَثِيْرُ الشَّعْرِ . وَبَلَغَتْ مِنْ هَمِّئِهَا اِنَّمَا جَمَعَتْ الرِّجَالَ وَبَذَلَتْ
الْاِمْوَالَ وَعَادَتْ اِلَى دَارِ اَبِيْهَا وَمَمْلَكَتِهِ فَاَزَالَتْ جَذِيْعَةُ عَنْهَا وَقَتْلَتْهُ . وَبَنَتْ عَلَى الْفُرَاتِ مَدِيْنَتَيْنِ
مُتَقَابِلَتَيْنِ وَجَعَلَتْ بَيْنَهُمَا اَنْفَاقًا تَحْتَ الْاَرْضِ وَتَحَصَّنَتْ . وَاُمًّا مَقْتَلِهَا فَانْ قَصِيْرًا لَمَّا فَارَقَ جَذِيْعَةَ
وَعَادَ اِلَى بِلَادِهِ اِحْتَالَ فِي قَتْلِهَا فَجَمَعَ اَنْفَهُ وَضَرَبَ جَسَدَهُ وَرَحَلَ بِهَا زَاعِمًا اَنْ عَمْرُو اِبْنِ اَخْتِ
جَذِيْعَةَ صَنَعَ بِهِ ذَلِكَ وَاِنَّهُ لَجَأُ اِلَيْهَا هَارِبًا مِنْهُ وَاسْتَجَارَ جَمًّا . وَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُ لَهَا بِطَرِيْقِ التِّجَارَةِ
وَكَسَبِ الْاِمْوَالَ اِلَى اَنْ وُثِّقَتْ وَعِلِمَ خَفَايَا قَصْرِهَا وَاَنْفَاقَهُ . ثُمَّ وَضَعَ رِجَالَ لَمَّا قَوْمَ عَمْرُو فِي
غَرَائِرِ وَعَلِيْمِ السَّلَاحِ وَحَمَلَهُمْ عَلَى الْاِبْلِ عَلَى اِنْفَاذِ قَافِلَةِ مَنَجْرٍ اِلَى اَنْ دَخَلَ جَمُّ مَدِيْنَتِهَا . فَحَلَّوْا الْغَرَائِرَ
وَأَحَاطُوْا بِقَصْرِهَا وَقَتَلُوهَا قَبْلَ اَنْ تَصِلَ اِلَى تَمَقُّقِهَا فِي حِكَايَةِ مَشْهُورَةٍ وَذَلِكَ بَعْدَ مَبْعَثِ السَّيْحِ

أَجُودٌ مِنْ هَرَمٍ

٨١

هو هَرَمٌ بن سنان بن ابي حارثة المُرِّي. قال زهير بن ابي سلى فيه:
ان البخيل مَلُومٌ حيث كان ولكن الجوادَ على علاتِه هَرَمٌ
هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم احبائنا فيظلم
ووفدت ابنة هَرَمٍ على عُمر فقال لها: ما كان الذي اعطى ابوك زهيراً حتى قابله
من المديح بما قد سار فيه. فقالت: اعطاه خيالاً تنصّي وابلأ تنصّي وثياباً تبلى ومالاً يفتي.
فقال عمر: لكن ما اعطاكم زهير لا يُبليهِ الدهر ولا يُفنيه العصر وهو قوله:

قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسيهم طابوا وطاب من الاولاد ما وكّدوا
مُحسّدون على ما كان من نعمٍ لا يترع الله عنهم ما له حُسدوا
إنسٌ اذا آمنوا حين اذا فزعوا مُررّونٌ جليلٌ اذا جهدوا

٨٢ احترس من العين فوالله لهي اتم عليك من اللسان

قال ابو مبيدة: معناه رُبَّ عين اتم من لسان. وقال الشاعر:

لا جرى الله دمع عيني خيراً بل جرى الله كل خير لساني
نم طرفي فليس يكتم شيئاً ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان
قال زهير: وان تك في صديق أو عدو تجبرك العيون عن القلوب

أَحْزَمٌ مِنَ الْحَرْبَاءِ

٨٣

لانه لا يجلي عن ساق شجرة حتى يمسك ساق شجرة أخرى. ومنها قول الحريري: اعتلنا به
اعتلاق الحرباء بالأعواد. وقوله أيضاً: ابرز يا بني في بكور ابي زاجر. وجرأة ابي الحرث.
وحزامة ابي فرة (وهو الحرباء). وختل ابي جعدة. وحرص ابي عقبة. ونشاط ابي وثاب.
ومكر ابي الحصين. وصبر ابي أبوب. وتلطّف ابي غزوان. وتلوّن ابي براش. وفي معناه
قول الشاعر: أئني أبيع له حرباء تنضبة لا يرسل الساق الأمسكاً ساقاً

ضَرَبَ أَحْمَاساً لِأَسْدَاسٍ

٨٤

اصله ان الرجل اذا اراد سفرأ بعيداً عود ابه ان تشرب نجساً أي كل خمسة أيام مرة.
ثم عودها على البس حتى اذا أخذت في السير تصبر عن الماء. يضرب لمن يسي في المكر

آخِرُ الْبَرِّ عَلَى الْقَلُوصِ

٨٥

يقال فرس مقلص اذا كان طويل القوائم. واذا كان كذلك كان اسرع. وقيل له مقلص

تشبيهاً بالرجل الذي قَلص ثيابه أي شمرها فظهرت رجلاه . يُضْرَبُ عند آخر العهد بالشيء .
وعند انقطاع اثره وذهاب امره .

أَحْذَرُ مِنْ قَرَلِي

٨٦

قالوا : انه طير من بنات الماء صغير الجرم حديد البصر سريع الاختطاف . لا يُرَى الاً
مرفقاً على وجه الماء على جانب كطيران الحِدَادَة . يجوي بأحدى عينيه الى قعر الماء طمعاً ويرفع
الآخرى الى الهواء حذراً . فان ابصر في الماء ما يستقل بمحملة من سلك او غيره انقضَّ عليه
كالسهم المرسل فاخرجه من قعر الماء . وان ابصر في الهواء جارحاً مرَّ في الارض . وكما ضربوا
به المثل في الاختطاف كذلك ضربوا به المثل في الحذر والحزم فقالوا : احذر من القرلي كما
قالوا : احذر من غراب . وقالوا احزم من قرلي كما قالوا احزم من حرباء . قال شاعر :

حذراً كن كالقرلي ان رأى خيراً تدنى أو رأى شراً توتى

أَوْقَى مِنَ السَّمْوَلِ

٨٧

هو السموءل بن عاديا من جمود يثرب الذي يُضْرَبُ به المثل في الوفاء . وسبب ذلك ان
امر القيس بن تخجر الكندي لما قتل أبوه وكان ملكاً في كندة خرج يستغذ بملك الروم فرَّ على
تياء وفيها حصن السموءل المسمى بالابلق المذكور في شعره . فادع السموءل مائة درع وسلاحاً
ومضى . فسمع الحارث بن ظالم بما فجأه ليأخذها منه فأبى السموءل وتمصن بمحصنه . فاخذ
الحارث ابناً للسموءل وناداه اماً ان تسلّم الادراع لي واما قتلت ولدك . فأبى ان يسلم الأذراع
فضرب وسط الغلام بالسيف فقطعته وأبوه يراه وانصرف . ومات امرؤ القيس قبل ان يعود
الى تياء ومنع السموءل الادراع الى ان مات هو أيضاً . وضرب به المثل وقال الاعشى في ذلك :

كن كالسموئل اذ طاف الهمام به
بالأبلق الفرد من تيساء منزله
اذ سامه حطّيتي خُفّ فقال له
فقال غدرٌ ومُكَلٌّ أنتَ بينهما
فثكُّ غير طويل ثم قال له
عنديله خَلْفٌ ان كنتَ قاتله
فسوف يُعقِبُهُ ان كنتَ قاتله
مالاً كثيراً وعرضاً غير ذي دنس
جدوا على أدبٍ جُمٌ بلا ترقي
فقال يقدمه إذ قام يقتله
في جفلة كسواد الليل جرّار
حصن حصين وجار غير غدار
مهما تقله فاني سامع جار
فاخترنا فيما حظ لختار
اقتل أسيرك اني مانع جاري
وان قتلت كريباً غير حوّار
رب كريم وقوم أهل أظهار
واخوة مثل لیسوا بأشرار
ولا اذا شمّرت حرب باغمار
أشرف سموأل فانظر للدم الجاري

سأقتل أبك صبراً أو تحيُّ بها طوعاً فأنكرَ هذا أيَّ إنكار
 فشكَّ أوداجهُ والصدر في مُضض عليه منطوباً كالدرع بالنار
 واختار أدراعهُ ان لا يُسبَّ بها ولم يكن عندهُ فيها بختار
 وقال لا تشتري عاراً بمكرمة واختار مكرمة الدنيا على العار
 قصان بالصبر عرضاً لم يشنهُ خناً وزندهُ في الوفاء الثاقب الواري
 والسموئل من شعراء الجاهلية المجيدون وله في الحماسة اللامية المشهورة . ومن شعره أيضاً
 اني إذا ما الأمر بين شككُ وبدت عواقبه لمن يتأمل
 وتبرأ الضمء من اخواضم واناخ من حر الصمير الكلكل
 أدع التي هي أرفق الخلان بي عند الحفيظة التي هي أجمل
 يا ليت شعري حين أندب هالكا ماذا تونبني به أنواجي
 أيقنن لا تبعد فرب كريمة فرجتها بشعاعتي وساجي
 ولقد أخذت الحق غير محاصم ولقد بذت الحق غير ملاجي

رجع مجفئ حنين

٨٨

قبل كان حنين اسكافاً من اهل الخيرة ساومه اعرابي مجفئ فلم يشتر منه شيئاً فغاطه .
 فخرج فملق احد الحفنين على شجرة في طريقه وتقدم قليلاً وطرح الاخرى وكمن فجاء
 الاعرابي فرأى أحد الحفنين فوق الشجرة فقال : ما اشبه مجفئ حنين لو كان معه الآخر
 لتكلفت أخذه . وتقدم فرأى الحف الآخر مطروحاً فقتل وعقل بغيره وأخذه ورجع ليأخذ
 الاول . فخرج حنين من الكمين فاخذ بغيره وذهب ورجع الاعرابي الى حيه مجفئ حنين

أعدى من الشنفرى

٨٩

هو ابن الاوس الازدي وكان من العدائين . ومن حديثه فيما ذكر ابو عمرو الشيباني انه
 خرج الشنفرى وتأبط شراً وعمرو بن برآق . فأغاروا على بجملة فوجدوا لهم رصداً على
 الماء . فلما مالوا له في جوف الليل قال لهم تأبط شراً : ان بالماء رصداً واني لاسمع وجيب
 قلوب القوم . فقالوا : ما سمع شيئاً وما هو الا قلبك يجيب . فوضع ايديهما على قلبه وقال : والله
 ما يجيب وما كان وجاباً . قالوا : فلا بد لنا من ورد الماء . فخرج الشنفرى فلما رآه الرصد
 عرفوه فتركوه حتى شرب الماء ورجع الى اصحابه . فقال : والله ما بالماء احد . ولقد شربت
 من الحوض . فقال تأبط شراً : بلى ولكن القوم لا يريدونك انما يريدونني . ثم ذهب ابن برآق
 فشرب ورجع ولم يعرضوا له . فقال تأبط شراً للشنفرى : اذا انا كرت من الحوض فان
 القوم سيشدون علي فيأسروني . فاذهب كانتك تحرب ثم كن في اصل ذلك القرن فاذا

سمعتني اقول : خذوا خذوا فاعمال فاطلقني . وقال لابن بَرَّاق : اني سامرك لستاسر للقوم ولا تنأ عنهم ولا تمكثهم من نفسك . ثم مرَّ تأبَّطُ شراً حتى ورد الماء فنجح كرع من الحوض شدوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتر . وطار الشفري وأتى حيث امره وانما ابن البراق حيث يرونه . فقال تأبَّطُ شراً : يا معشر بجيلة هل لكم في خير أن تياسرونا في الفداء ويستأسر لكم ابن بَرَّاق . قالوا : نعم . فقال : ويلي يا ابن بَرَّاق أما الشفري فقد طار وهو يصطلي بنار بني فلان . وقد علمت ما بيننا وبين اهلك فهل لك ان تستأسر وبياسرونا في الفداء . قال : لا والله حتى اروز نفسي شوطاً او شوطين . فجعل يستأخي الجبل ويرجع حتى اذا رآوا انه اعياطموا فيه فاتبعوه . ونادى تأبَّطُ شراً : خذوا خذوا . فخالف الشفري الى تأبَّطُ شراً فقطع وثاقه . فلما رآه ابن بَرَّاق وقد خرج من وثاقه مال اليه فناداهم تأبَّطُ شراً : يا معشر بجيلة أتعجبكم عدو ابن بَرَّاق . أما والله لأعدونكم عدواً يُسيكم عدوه . ثم أحضر ثلاثهم فجموا . ففي ذلك يقول تأبَّطُ شراً :

ليلة صاحوا وأغروا بي سراهمُ بالميكثين لدى معدي بن بَرَّاقِ
كأنما حنثوا حصاً قوادمهُ او امَّ خشفٍ بذى شتٍ وطبأني
لا شيء أسرع مني غير ذي عُدُرٍ او ذي جناحٍ يجنب الريد خفأني
فكل هؤلاء الثلاثة كانوا عدائين ولم يسر المثل إلا بالشفري

أندم من الكسبي

٩٠

هو غامد بن الحرث . ومن حديث الكسبي انه خرج برعى ابله في وادٍ فيه حمض وشوخط . فرأى قضيب شوخط نابتاً في صخرة صماء ملساء . فقال : نعم منبت العود . في قرار الجلمود . ثم اخذ سقاءه فصب ما كان فيه من ماء في اصله فشر به لشدة ظمائه وجعل يتعاهده بالماء سنة حتى سبط العود وبتق واعتدل . فقطعه وجعل يقومه ويقوم أوده حتى صلح . فبراه قوساً وهو يرتجز ويقول :

ادعوك فاسمع يا الهي جريبي يا ربَّ شددني لغتت قوسي
وانفع بقوسي ولدي وعربي فانصأ من لذاتي لنفسي
انجتها صفراء لون الورس صلدا . ليست امثل قوس النكسر
ثم برى بقيته خمسة أسهم وهو يرتجز ويقول :

من لعمرى خمسة حسانٍ بلذ للربي بها البنان
كأنما قواها ميزانٍ فاشروا بالخصب يا صبيان
ان لم يعقبني الشوم والحرمان او يرمني بكيد الشيطان

ثم اخذ قوسه وأسهمه وخرج الى مكان كان مورد الحمر في الوادي . فوارى شخصه حتى

اذا وردت رمى غيراً منها بسهم . فرق منه بعد ان انفضه . وضرب صخرة ففقدح منها نار . فظن
انه قد اخطأ فقال :

اعوذ بالله العزيز الرحمان من نكد الجدد معاً والحيرمان
ما لي رأيت السهم فوق الصفوان يري شراراً مثل لون العيقان

فاخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم وردت حمر أخرى فرمى غيراً فصنع سهمه كالأول فظننه اخطأ فقال :

اعوذ بالرحمان من شر القدر أخطأ السهم لارهاف الوتر

ام ذاك من سوء احتيال ونظر وانتي عمدي لرام ذو ظفر

مطعم بالصيد في طول الدهر

ثم وردت حمر أخرى فرمى غيراً بسهم . ففعل سهمه كالأول وظننه اخطأ فقال :

يا حمرتنا للشوم والجدد النكد قد شفتي القوت لاهلي والولد

والله ما خلفت في ذاك العمد لصبيتي من سبي ولا لبد

اذهب بالحيرمان مع طول الأمد

ثم وردت حمر أخرى فصنع كالاولى فقال :

ما بال سهمي يظهر الحباجا وكنت ارجو ان يكون صابنا

اذ امكن العير وابدى جانباً وصار ظني فيه ظناً كاذباً

وخفت ان ارجع يومي خائباً اذ أفلتت اربعة ذواهباً

ثم وردت اخرى فصنع كالأول فقال :

أبعث خمسي قد حفظت عدّها احملى قوسي واريد ردّها

اخزى الاله ليّنها وشدّها والله لا تسلم عندي بعدّها

ولا ارجي ما حيت رقدّها قد اعذرت نفسي وأبكت جهدّها

ثم خرج من مكمنه فاعترضته صخرة فضرب بالقوس عليها حتى كسرها . ثم قال : ابيت

ليلتي ثم آتي اهلي . فبات فلما اصبح رأى خمسة حمر مصرعة ورأى اسهمه مضرجة بالدم . فندم

على ما صنع وعض على انامله حتى قطعها وقال :

ندمت ندامة لو ان نفسي تطاوعني اذا لقتك نفسي

تبين لي سفاه الرأي مني لمر الله حين كمرت قوسي

وقد كانت بمنزلة الممدى لدي وعند صياني وعربي

قلم املك غذاة رأيت حولي حبر الوحش أن ضرجت خمسي

الباب الرابع في المقامات

نخبة من مقامات السيد الفاضل ابي بكر الحسيني الحضرمي
المقامة الشعرية

٩١ حَدَّثَ النَّاصِرُ بْنُ فَتَّاحٍ قَالَ: سَافَرْتُ إِلَى جَوْنَفُورَ مَعَ جَمَاعَةٍ
مِنْ مَنَدَسُورَ . وَمَا قَرُبْنَا مِنْهَا قُلْتُ لَهُمْ : أَيْنَ تَنْزِلُونَ فِيهَا . قَالُوا : فِي
بَعْضِ مَدَارِسِهَا . فَقُلْتُ لَهُمْ : أَنَا سَأَزِلُّ فِي بَيْتٍ وَالِيهَا وَحَارِسِهَا .
لِأَنِّي أَمْتَدَحُهُ بِأَيَاتِ رَأْيِي . وَأَرْجُو أَنْ يُجِيزَنِي بِمَجَازَةٍ سَنِيَةٍ .
فَذَهَبْتُ إِلَى دَارِ الْأَمِيرِ . فَوَجَدْتُهَا قَدْ جَمَعَتِ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ . فَتَأَمَّلْتُهُ
فَإِذَا هُوَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْفِقْهِ وَالْأَدَبِ . وَحَازَ طَرَفِي الْكَمَالَ الْغَرِيزِي
وَالْمُكْتَسَبِ . وَاحْتَوَى عَلَى الْمَشُورِ وَالْمَنْظُومِ . وَبَفِي فِي جَمِيعِ
الْعُلُومِ . وَالطَّلَبَةِ وَاقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . يَرْفَعُونَ أَسْئَلَتَهُمْ إِلَيْهِ . ثُمَّ لَمَّا فَرَغَ
مِنَ الدَّرْسِ فِي الْمَنْقُولِ . شَرَعَ يَدْرِّسُ فِي عِلْمِ الْمَعْقُولِ . ثُمَّ قَصَدَهُ الشُّعْرَاءُ
بِقِصَايِدِهِمْ وَأَيَاتِهِمْ . وَهُوَ يُعْطِيهِمْ عَلَى حَسَبِ نِيَّتِهِمْ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
صَغُرَتْ نَفْسِي فِي عَيْنِي . وَأَخْفَيْتُ الْأَيَاتِ خَوْفًا مِنْ ظُهُورِ شَيْئِي . فَلَمْ
يَلْبَثْ أَنْ قَامَ شَابٌّ وَأَنْشَدَ الْأَيَاتِ بَعِيْنَهَا بَعْدَ أَنْ نَقَصَ مِنْهَا
جُزْئَيْنِ . وَالْجَمَاعَةُ يُبَالِغُونَ فِي تَحْسِينِهَا وَهِيَ هَذِهِ :

يَا صَاحِبَ النَّفْسِ الْأَيِّئَةِ وَالنُّهَى حُرَّتِ الْمُدَى

وَحَلَّتْ مَوْضِعَ عِزَّةٍ فَوْقَ السُّهَىٰ وَوَلَكَ النَّدَىٰ
 وَحَوَّيْتَ فَضْلًا مَا لَهُ مِنْ مُنْتَهَىٰ فَيْكَ الْهُدَىٰ
 فَهَبِ الْأُلُوفَ تَفَضُّلاً فَلِإِنَّهَا سُمُّ الْعِدَىٰ

فَسُرَّ بِهَا الْوَالِي وَأَعْطَاهُ هَبَّةً جَزِيلَةً . وَخَلَعَةً جَمِيلَةً . فَقَامَ شَيْخٌ وَقَالَ :
 أَيُّهَا الْوَالِي هَذِهِ آيَاتِي وَإِنَّهَا سُدَّاسِيَّةُ الْأَجْرَاءِ . فَأَنْظِرْ كَيْفَ سَرَقَهَا
 وَأَخْذَ عَلَيْهَا الْجُزْءَ . وَهِيَ مِنْ كَامِلِ الْبَجْرِ وَمِنْ ضَرْبِهِ الثَّانِي . فَرَدَّهَا
 إِلَى الثَّامِنِ قَصْدًا لِحُفْضِ شَانِي . فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : كَيْفَ قُلْتَ . فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ النَّفْسِ الْأَيُّبَةِ وَالنُّهَىٰ خُزَّتْ الْمُدَىٰ فَأَشْكُرُ نَعِيمَ الْبَارِي
 وَحَلَّتْ مَوْضِعَ عِزَّةٍ فَوْقَ السُّهَىٰ وَوَلَكَ النَّدَىٰ وَالذُّكْرُ فِي الْأَمْصَارِ
 وَحَوَّيْتَ فَضْلًا مَا لَهُ مِنْ مُنْتَهَىٰ فَيْكَ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فِي الْأَشْخَارِ
 فَهَبِ الْأُلُوفَ تَفَضُّلاً فَلِإِنَّهَا سُمُّ الْعِدَىٰ وَمَسْرَّةُ الْأَخْيَارِ
 فَأَلْتَمَسْتُ الْوَالِي إِلَى الشَّابِ . وَقَالَ لَهُ : يَا دَنَسَ الْإِهَابِ . أَمَا تَعْلَمُ

أَنَّ سَرَقَةَ الشَّعْرِ كَسَرَقَةِ الْبِرِّ وَالشَّعِيرِ . وَأَنَّ مَنْ تَجَرَّأَ عَلَىٰ أَخْذِ الْقَلِيلِ
 تَجَرَّأَ عَلَىٰ الْكَثِيرِ . فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَالِي . جَعَلَ اللَّهُ كَمَبِكَ الْعَالِي . إِمْتِحَانًا
 فَعِنْدَ الْإِمْتِحَانِ يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يِهَانُ . وَمَعَ التَّعْدِيلِ وَالْتَّجْرِجِ . يُعْرَفُ
 الْقَائِدُ مِنَ الصَّحْبِ . فَقَالَ الشَّيْخُ : لَقَدْ نَطَقْتَ بِلِسَانِي . وَعَبَّرْتَ عَمَّا فِي
 جَنَانِي . فَمَرَّ أَيُّهَا الْوَالِي مَنْ أَرَدْتَهُ أَنْ يَبْتَدِيَ . لِيَتَبَيَّنَ لَكَ الْمُعْتَدِي .
 وَأَشْتَغَلَ الْوَالِي بَعْضَ شَانِهِ . عَنِ الشَّابِّ وَامْتِحَانِهِ . فَأَضْطَرَبَ الشَّيْخُ
 أَضْطِرَابَ الرَّشَا . وَظَنَّ أَنَّ الْوَالِيَّ يَمُنُّ يَقْبَلُ الرَّشَى . فَقَالَ لَهُ الْوَالِي :

دَعِ الْأَضْطِرَابَ . وَاسْمَ الْجَوَابِ . ثُمَّ اسْتَمَلَ عَنْهُ بِأَمْرِ رَعِيَّتِهِ . فَأَضْطَرَبَ
الشَّيْخُ عَلَى جَارِي سَجِيَّتِهِ . وَقَامَ مُتَّصِبًا . وَأَشَدَّ مُضْطَرِبًا :

أَشْكُو إِلَى حَبْرِ الزَّمَانِ وَقُتْبِهِ مِنْ جِنِّ هَذَا الْحَيِّ بَلِّ مِنْ إِنْسِهِ
وَأَقُولُ يَا عَيْنَ الْأَلَى عَشِفُوا النَّدَى صِدْقًا وَشَادُوا حِصْنَهُ مِنْ أَسِهِ
أَبْطَأَ الْجَوَابُ عَلَى الْكَيْبِ وَطَالَمَا قَدْ كَانَ يَنْثُرُ ذُرَّهُ مِنْ حَدْسِهِ
وَالْمَرْءُ لَا يَرْجُو الْكَرِيمَ سِوَى إِذَا سَمَّ اللَّيْبُ مِنَ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ
وَأَخُو النَّدَى يَسْقِي غُرُوسَ نَوَالِهِ سَقَى الْحَيَا لِرُزُوعِهِ وَلِعَرْسِهِ
لَا تُطْوِ كَثْمًا عَنْ جَوَابِي إِنِّي كَأَلَيْتُ يَرْجُو كَثْرَهُ مِنْ رَمْسِهِ

فَقَالَ الْفَتَى مُغْضَبًا . وَأَشَارَ إِلَى الشَّيْخِ مُخَاطِبًا : يَا أَذَلَّ مِنْ وَتَدٍ .
وَيَا كَثِيرَ الْحَسَدِ . هَلْ أَطَّلَعَ عَلَى آيَاتِكَ أَحَدٌ . ثُمَّ أَلْفَتَ إِلَى الْوَالِي .
وَقَالَ وَدَمَعُ خَدَيْهِ كَاللَّالِي :

يَا مَنْ زَكَتَ فِي الْأَصْلِ دَوْحَةَ عَرْسِهِ وَسَمَا بِفَضْلِ حَازِهِ وَبِحَدْسِهِ
لَا تُصْغَعُ لِلْعُدَالِ فِيمَنْ قَدْ حَوَى فَضْلًا وَلَمْ يَرْضَ الْأَذَى مِنْ نَفْسِهِ
وَأَرَادَ أَنْ يَمِشِيَ إِلَى السَّادِسِ . فَقَالَ الْوَالِي : حَسْبُكَ أَيُّهَا الْفَارِسُ .

ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَى الشَّيْخَ مِثْلَ مَا أَعْطَى الْفَتَى . وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا وَقَالَ : قَدْ ضَلَّ
مَنْ بَنَى وَعَتَا . فَخَرَجَا مِنْ دَارِهِ . وَقَلْبِي يَصِلُ بِنَارِهِ . وَضَاقَ عَلَيَّ
الْفَضَا . وَشُبَّ فِي فُؤَادِي جَمْرُ الْفَضَا . حَيْثُ سُرِقَتْ مِنِّي الْآيَاتُ .
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْإِثْبَاتِ . وَأَخْفَيْتُ مَا أَجْنَهُ الصَّغِيرُ . خَوْفًا مِنْ أَنْ أَكُونَ
أَضْحُوكَةً لِلْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ . وَذَهَبْتُ إِلَى رَفِيقِي فِي الْمَدْرَسَةِ . وَقَدْ

عَلَى الْفِكْرِ وَالْوَسْوَسَةِ . وَمَا قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ . وَنظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهِمْ .
 فَإِذَا الرَّجُلُ وَالْفَتَى لَيْسَا أَحْسَنَ الْمَلَائِسِ . وَتَصَدَّرَا أَعْلَى الْمَجَالِسِ .
 وَتَأَمَّلْتُهُمَا وَوَقِفْتُ عَلَى التَّحْقِيقِ . أَنَّهُمَا مِنْ جَمَلَةِ أَصْحَابِي فِي الطَّرِيقِ .
 وَارْتَدْتُ أَنْ أَظْهَرَ الْقَضِيَّةَ . وَأَوْطِنَ النَّفْسَ عَلَى الْأُمْنِيَّةِ أَوْ الْمُنِيَّةِ . ثُمَّ
 رَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ يَمِثِلُ أُخْرَى . فَاحْتَسَبْتُ الثُّوَابَ فِي الدَّارِ الْأُخْرَى .
 ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ وَعَنِ الْفَتَى . فَقِيلَ : هُمَا رِحْلَةُ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ . أَبُو الظَّفَرِ
 الْهِنْدِيُّ وَتَجَلُّهُ الْأَدِيبُ . اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا شَعْرَةُ الذَّيْبِ . فَسَأَلْتُ اللَّهَ
 الْأَمَانَ وَالظَّفَرَ . فِي الْإِقَامَةِ وَالسَّفْرِ

المقامة الرعظية

٩٢ رَوَى النَّاصِرُ بْنُ فَتَّاحٍ قَالَ : أَشْتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى الْأَنْزِجِ .
 فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي بَلَدَةٍ صَرَجِجٍ . فَسَافَرْتُ إِلَيْهَا
 مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ . وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُطْبَاءِ . فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى فَنَائِهَا . سَأَلْنَا
 عَنْ عُلَمَائِهَا . فَقِيلَ لَيْسَ بِهَا إِلَّا الْحَاكِكَةُ وَالصَّبَّاعُونَ . وَالْحَدَّادُونَ
 وَالصَّائِغُونَ . وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ . وَلَكِنَّهُمْ
 قَدْ تَعَيَّرُوا بِصُحْبَةِ الْحُكَّامِ . وَقَدْ قَسَا فِيهَا فِعْلُ الْحَرَامِ وَالظُّلْمِ . وَلَمْ يَنْتَظِمِ
 لِحَاكِمِهَا حُكْمٌ . فَظَلْتُ لِأَصْحَابِي : إِنِّي أَرَى فِي السَّفْرِ السَّلَامَةَ . وَالْعَطَبَ
 وَالضَّرَرَ فِي الْإِقَامَةِ . وَأَخْشَى أَنْ يُخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ . وَنَهَكَ
 بِسَبَبِهِمْ فَسَافِرُوا تَعَمُّوْا . وَتَجَنَّبُوا مَوَاضِعَ التُّهْمِ لِلِإِلَّا تَهْمُوا . فَلَمَّا وَعَتِ
 كَلَامِي الْمَسَامِعُ . قَالُوا : مَا مِنَّا إِلَّا مُطِيعٌ لَكَ وَسَامِعٌ . وَمَا خَرَجْنَا مِن

الْبَلَدِ تَحْوِيلٍ . ضَاقَ مِنْ كَثْرَةِ الْخَلْقِ عَلَيْنَا السَّبِيلُ . وَانْتَالُوا مِنْ كُلِّ
 نَاحِيَةٍ وَمَكَانٍ . وَتَجَمَّعُوا مِنْ جَمِيعِ الْبُلْدَانِ . وَهُمْ قَاصِدُونَ إِلَى الْبَلَدَةِ
 الَّتِي خَرَجْنَا مِنْهَا . وَالْبَقْعَةَ الَّتِي تَجَاوَزْنَا عَنْهَا . وَيَقُولُونَ دَخَلَ الْبَلَدُ
 بَعْضُ الْوَعَاظِ . وَقَدْ فَاقَ فِي بَلَاغِهِ خَطِيبَ عِكَازٍ . وَإِنَّهُ سَيَخِطُبُ
 وَيَعْظُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . فَطَوَّبِي لِمَنْ يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ . فَرَجَعْتُ دُونَ
 رُفْقَتِي . وَأَخَذْتُ مَعِيَ قَدْرَ نَفْقَتِي . وَمَا قَضَيْتُ النَّفْلَ وَالْفَرَضَ . جَلَسْتُ
 لِاسْتِمَاعِ الْوَعْظِ . فَأَقْبَلَ الْوَاعِظُ مِشِي مَائِسًا . وَبِرِدَائِهِ مُتَطَلِّبًا وَصَعِدَ
 الْمِنْبَرَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى . الَّذِي جَرَتْ عَادَتُهُ بِالْإِهْمَالِ .
 دُونَ الْإِهْمَالِ . الَّذِي رَفَعَ الْعِلْمَ حَتَّى قَصَرَ كُلُّ مُقَصِّرٍ دُونَهُ .
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَزَّ وَجَلَّ . شَهَادَةَ عَبْدٍ بَدَّلَ لِعِبَادِهِ
 النَّصِيحَةَ . وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الْعِصْيَانِ وَالْوُقُوعِ فِي الْقَضِيحَةِ . وَبَعْدُ فَيَا أَيُّهَا
 النَّاسُ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ . وَالْإِحْتِرَازِ مِنْ إِبْلِيسَ وَبَطَانَتِهِ .
 فَأَنْتَهُوا مِنْ سِنَةِ الْعَقْلَةِ . وَلَا تَعْتَرُوا بِالْمُهْلَةِ . فَإِنَّ رُسُومَ الدِّينِ بِلَدِكُمْ قَدْ
 عَفَّتْ . وَأَعْلَامُ الْهُدَى قَدْ طُمِسَتْ . وَأَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ قَدْ عَطَلَتْ .
 وَالْقَرَائِضَ قَدْ رُفِضَتْ . وَالْحَارِمَ قَدْ اتَّهَكَتْ . وَالْحُمُورَ قَدْ شَرِبَتْ .
 وَالْأَيَّامَ وَالضُّعْفَاءَ قَدْ ظَلَمْتِ . حَتَّى لَيْسَ الْإِسْلَامُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
 الْقَرُومَ وَمَقْلُوبًا . فَيَجْعَلُ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ . وَقُرْبَ فِيهِ الْجَاهِلُ .
 وَابْعَدَ فِيهِ الْفَاضِلُ . وَأَسْتَكْمَلَ الْفَاجِرُ . وَأَسْتَقْتَصَّ فِيهِ الطَّاهِرُ .
 وَكَذَبَ الصَّادِقُ وَصَدَّقَ الْكَاذِبُ . وَأَسْتَوْمِنَ الْخَائِنُ وَأَسْتَحْوِنَ

الأمين، وهاجت الدهماء، وكثر الضلال والعمى، فلم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولا من الدين إلا رسمه، وأنتم عباد الله غير معذورين من الله بتغيير ذلك، ولا متروكين عن المواخذه بذلك، فتوبوا وصحوا التوبة قبل إغلاق بابها، وقبل طلوع الشمس من مغربها، فبكى القوم حتى كاد أحدهم لا يستطيع الحركة، إلا إذا أحرركه، ولقد رأيت الواحد يسبح في دموعه، وكدت من زفراته أعلم عدد ضلوعه، ولما رأى الخطيب القوم كجزوع نخل متغير، هرب كالسيل المنهري، وتبعته في طريقته، لإطلع على حقيقته، فالتفت إلي وقال: يا مهدي، أرجع أنا أبو الظفر الهندي، فرجعت إلى رقتي السابقة، وجوانحي من كثرة البكاء والخوف خافتة

نخبة من مقامات بدیع الزمان الهمدانی

المقامة القريضية

٩٣ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: طَرَحَنِي النَّوَى مَطَارِحَهَا حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ الْأَقْصَى، فَأَسْتَظْهَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَضِياعَ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ الْعِمَارَةِ، وَأَمْوَالَ وَقَفْتُهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً، وَرَفْقَةً أَتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً، وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ حَاشِيَتِي النَّهَارِ، وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُمَا، فَجَلَسْنَا يَوْمًا تَذَاكُرَ الْقَرِيضِ وَأَهْلَهُ وَتَلَقَّاءُ نَاشِبٌ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنِصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ، وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ، حَتَّى إِذَا مَالَ الْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ، وَجَرَ الْجِدَالَ فِينَا ذَيْلَهُ، قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عَذِيقَهُ، وَوَأَقِيتُمْ

جَذِيلُهُ . وَلَوْ شِئْتُ لَلْفَظْتُ وَأَقْضَيْتُ . وَلَوْ قُلْتُ لَأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ .
 وَجَلَوْتُ أَلْحَقَّ فِي مَعْرِضِ بَيَانِ يُسْمَعُ الصَّمَّ . وَيُنْزَلُ الْعُصْمَ . قُلْتُ :
 يَا فَاضِلُ أَدْنُ قَدْ مَنَيْتُ . وَهَاتِ قَدْ أَثَيْتَ . فَدَنَا وَقَالَ : سَلُونِي
 أَجِبْكُمْ . وَاسْتَمِعُوا اعْجَبْكُمْ . قُلْنَا : مَا تَقُولُ فِي أَمْرِ الْقَيْسِ . قَالَ :
 هُوَ أَوْلُ مَنْ وَقَفَ بِالْذِيَارِ وَعَرَّصَاتِهَا . وَأَعْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا .
 وَوَصَفَ الْحَيْلَ بِصِفَاتِهَا . وَلَمْ يَقُلْ الشَّعْرَ كَأَيْسَابًا . وَلَمْ يُجِدِ الْقَوْلَ رَاغِبًا .
 فَفَضَّلَ مَنْ تَفَقَّقَ لِلْحَيْلَةِ لِسَانَهُ . وَتَمَجَّعَ لِلرَّغْبَةِ بَنَانَهُ . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي
 النَّابِغَةِ قَالَ : يَثْلُبُ إِذَا حَنَقَ . وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ . وَيَعْتَدِرُ إِذَا رَهَبَ . وَلَا
 يَرْمِي إِلَّا صَابِيًا . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ . قَالَ : يُذِيبُ الشَّعْرَ وَالشَّعْرُ
 يُذِيبُهُ . وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسَّحْرَ يُجِيبُهُ . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي طَرْفَةٍ . قَالَ : هُوَ
 مَا الْأَشْعَارُ وَطِينَتِهَا . وَكَثْرُ الْقَوَائِي وَمَدِيلَتِهَا . مَاتَ وَلَمْ تَطْهَرِ أَسْرَارُ
 دَفَائِنِهِ . وَلَمْ تَفْتَحِ أَغْلَاقُ خَزَائِنِهِ . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالْقَرَزْدَقِ .
 وَأَيْهِمَا أَسْبَقُ . فَقَالَ : جَرِيرٌ أَرْقُ شِعْرًا . وَأَنْزَرُ غَزْرًا . وَالْقَرَزْدَقُ أَمَنُ
 صَخْرًا . وَأَكْثَرُ فَنَحْرًا . وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْوًا وَأَشْرَفُ يَوْمًا . وَالْقَرَزْدَقُ أَكْثَرُ
 رَوْمًا . وَأَكْرَمُ قَوْمًا . وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى . وَإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى . وَإِذَا
 مَدَحَ أَسْنَى . وَالْقَرَزْدَقُ إِذَا أَفْتَحَرَ أَجْرَى . وَإِذَا أَحْتَقَرَ أَرْدَى . وَإِذَا
 وَصَفَ أَوْفَى . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحَدِّثِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ
 مِنْهُمْ . قَالَ : الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا . وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظًّا .
 وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعًا وَأَرْقُ لَسَانًا . قُلْنَا : فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ أَشْعَارِكَ .

وَرَوَيْتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ . قَالَ : خُذْهُمَا فِي مَعْرِضٍ وَاحِدٍ وَقَالَ :
 أَمَا تَرَوْنِي أَتَشْتِي طِحْرًا مُمْتَطِيًّا فِي الضَّرِّ أَمْرًا مَرًّا
 مُضْطَبًّا عَلَى اللَّيَالِي غَمْرًا مُلَاقِيًّا مِنْهَا صُرُوفًا حَمْرًا
 أَقْصَى أَمَانِي طُلُوعُ الشَّعْرَى فَقَدْ عُنِينَا بِالْأَمَانِي دَهْرًا
 وَكَانَ هَذَا الْحُرُّ أَعْلَى قَدْرًا وَمَا هَذَا الْوَجْهَ أَعْلَى سِعْرًا
 ضَرَبْتُ لِلْسِرِّ قَبَابًا خُضْرًا فِي دَارِ دَارًا وَإِوَانَ كِسْرَى
 فَأَنْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنِ ظَهْرًا وَعَادَ عَرَفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرًا
 لَمْ يُبْقِ مِنْ وَفْرِي إِلَّا ذِكْرًا ثُمَّ إِلَى الْيَوْمِ هَلَمَّ جَرًّا
 لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسَرٍّ مِنْ رَأَى وَأَفْرُخٌ دُونَ جِبَالِ بُصْرَى
 قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرًّا قَتَلْتُ يَا سَادَةَ نَفْسِي صَبْرًا
 قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَأَنْتَهُ مَا تَاحَ . وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَّاحٌ . فَجَعَلْتُ
 أَنْفِيهِ وَأَنْبَتُهُ . وَأَنْكَرُهُ وَكَأَنِّي أَعْرِفُهُ . ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَيَابُهُ . فَقُلْتُ :
 الْإِسْكَندَرِيُّ وَاللَّهِ . فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خَشْفًا . وَوَأَفَانَا جَلْفًا . وَنَهَضْتُ
 عَلَى إِثْرِهِ . ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ . وَقُلْتُ : أَلَسْتُ أَبَا الْقَنْعِ . أَلَمْ تُرْبِكَ
 فِينَا وَلَيْدًا وَلَيْتُ فِينَا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ . فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسَرٍّ مِنْ رَأَى .
 فَصَحَّحَكَ إِلَيَّ وَقَالَ :

وَيْحَكَ هَذَا الزَّمَانُ زُورٌ قَلَا يَفْرَنْكَ النُّرُودُ
 لَا تَلْتَرِمُ حَالَةً وَلَكِنْ دُرٌّ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

المقامة المرحانية

٩٤ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ بِبَجْرَجَانَ فِي مَجْمَعٍ لَنَا
تَحَدَّثْتُ وَمَا فِينَا إِلَّا مَنَا . إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ أَلْتَمَدَّدِ .
وَلَا الْقَصِيرِ أَلْتَرَدِّدِ . كَثُّ الْعُشُونِ يَتْلُوهُ صِغَارٌ . فِي أَطْهَارِ . فَأَقْتَحَ
الْكَلَامَ بِالسَّلَامِ . وَنَحْيَةِ الْإِسْلَامِ . فَوَلَانَا جَمِيلًا . وَأَوْلَانَاهُ حَزِيلًا .
فَقَالَ : يَا قَوْمُ إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ الْأِسْكَندَرِيَّةِ مِنَ الثُّغُورِ الْأَمْوِيَّةِ .
تَمَّتْنِي سَلِيمٌ وَرَحَبَتْ بِي عَبَسٌ . حَبِثُ الْآفَاقِ . وَتَقَصَّصْتُ الْعِرَاقَ .
وَجَلْتُ الْبَدْوَ وَالْحَضَرَ . وَدَارِي رَيْبَعَةَ وَمُضَرَ . مَا هُنْتُ . حَيْثُ كُنْتُ .
فَلَا يُزِيرُنِي بِي عِنْدَكُمْ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ سَمَلِي وَأَطْهَارِي . فَلَقَدْ كُنَّا وَاللَّهِ
مِنْ أَهْلِ ثَمٍّ وَرَمٍ . زُرْعِي لَدَى الصَّبَاحِ . وَنُفْعِي عِنْدَ الرَّوَّاحِ :
وَفِينَا مَقَامَاتُ حِسَانٍ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
عَلَى مُكْثَرِيهِمْ رِزْقٌ مِنْ يَعْزِيهِمْ . وَعِنْدَ الْمُقَلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ
ثُمَّ إِنَّ الدَّهْرَ يَأْقُومُ قَلْبِي مِنْ بَيْنِهِمْ ظَهَرَ الْحِجْنِ . فَأَعْتَضْتُ
بِالنُّومِ السَّهْرِ . وَبِالإِقَامَةِ السَّفْرِ . تَتَرَامِي بِي الْمَرَامِي . وَتَهَادِي بِي
أَلْوَامِي . وَقَلَعْتَنِي حَوَادِثُ الزَّمَنِ قَلَعَ الصَّمْفَةِ . فَأَصْبَحُ وَأَمْسِي أَنْتَقِي مِنْ
الرَّاحَةِ وَأَعْرَمِي مِنْ صَفْحَةِ الْوَلِيدِ . وَأَصْبَحْتُ فَارِغَ الْفِنَاءِ . صَفْرَ الْإِنَاءِ .
مَالِي كَأَبَةِ الْأَسْفَارِ . وَمَعَاقِرَةَ السِّفَارِ . أَعَانِي الْفَقْرَ . وَأَمَانِي الْفَقْرَ .
فِرَاشِي الْمُدْرُ . وَوَسَادِي الْحَجْرُ :

بِأَمْدِ مَرَّةٍ وَبِرَأْسِ عَيْنٍ وَأَحْيَانًا بِمَيَّا قَارِقِينَا

لَيْلَةً بِالسَّامِ نُمْتُ بِالْأَهْ وَأَزْرَحِي وَلَيْلَةً بِالْعِرَاقِ
فَمَا زَالَتِ النَّوَى تَطْرَحُ بِي كُلَّ مَطْرَحٍ حَتَّى وَطِئْتُ بِبِلَادِ الْحَجْرِ
وَأَحَلَّتْنِي بِلَدَ هَمْدَانَ . فَصَلَّيْنِي أَحْيَاوَهَا . وَأَشْرَابَ إِلَيَّ أَحْبَابُوَهَا . وَلَكِنِّي
مِلْتُ لِأَعْظَمِهِمْ جَفَنَةً . وَأَزْهَدِهِمْ جَفُونَةً :

لَهُ نَارٌ تَشْبُ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا التَّيْرَانُ أَلْبَسَتْ الْفِنَاعَا
فَوَطَأَ لِي مَضْجَعَا . وَمَهَّدَ لِي مَهْجَعَا . فَإِنْ وَنَى لِي وَنِيَّةَ هَبَّ لِي ابْنُ
كَانَهُ سَيْفُ يَمَانٍ . أَوْ هِلَالُ بَدَا فِي غَيْرِ قَتْمَانَ . وَأَوْلَا لِي نِعْمًا ضَاقَ عَنْهَا
قَدْرِي . وَأَتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي . أَوْلَهَا فَرَشُ الدَّارِ . وَآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ .
فَمَا طَبَّرْتَنِي إِلَّا النِّعَمُ . حَيْثُ تَوَالَتْ . وَالِدَيْمٍ لَمَّا أَنْتَالَت . فَطَلَعَتْ مِنْ
هَمْدَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ . وَنَفَرَتْ نِفَارًا أَلَا يَدُ . أَفْرِي الْمَسَالِكِ . وَأَقْفَرُ
الْمَهَالِكِ . وَأَعَانِي الْمَمَالِكِ . عَلَى أَيِّ حَظْفٍ أُمَّ مَثْوَايَ وَزَعْلُولَايَ :

كَانَهُ ذَمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهٌ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَدَارَى الْحَيِّ مَفْصُومٌ
وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ الْإِحْتِيَاجِ . وَتَسِيمُ الْإِلْفَاجِ . فَانظُرُوا
رَحِمَكُمُ اللَّهُ يُنْقِضُ مِنَ الْأَنْقَاضِ . هَدَيْتَهُ الْحَاجَةَ وَكَدَّتْهُ الْفَاقَةُ :

أَخَاسِفُ جَوَابِ أَرْضِ تَقَادَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهِيَ أَشَعْتُ أَغْبَرُ
جَعَلَ اللَّهُ لِلْحَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلًا . وَلَا جَعَلَ لِلشَّرِّ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا . قَالَ
عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَرَّقَتْ وَاللَّهِ لَهُ الْقُلُوبُ . وَأَتَرُ وَرَقَتْ لِلطُّفِّ كَلَامِهِ
الْعَبُورُ . وَنَلَنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا . فَسَمِعْتُهُ
فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ

المقامة البصرية

٩٥ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا مِنْ سِنِّي فِي فِتَاءٍ.
 وَمِنْ الزَّيِّ فِي جِبْرِ وَوِشَاءٍ. وَمِنْ الْغِنَى فِي بَقْرِ وَشَاءٍ. فَأَتَيْتُ الْمِرْبَدَ
 فِي رُقْمَةَ تَأْخُذُهُمُ الْعُيُونُ وَمَشِينَا عَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ الْمُنْتَرَهَاتِ.
 فِي تِلْكَ الْمَتَوَجَّهَاتِ. وَمَلَكْنَا أَرْضَ فَحْلَانَاهَا. فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ أُرْتِدَادِ
 الْطَّرَفِ حَتَّى عَنْ لَنَا سَوَادٌ. تَخْفِضُهُ وَهَادٌ وَرَقْمُهُ نَجَادٌ. وَعَلِمْنَا أَنَّهُ يَهُودِيٌّ
 بِنَا فَأَتَلَعْنَاهُ حَتَّى آدَاهُ إِلَيْنَا سِيرَهُ وَلَقِينَا بَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ. وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ
 مُقْتَضَى السَّلَامِ. ثُمَّ أَجَالَ فِينَا طَرْفَهُ وَقَالَ: يَا قَوْمُ مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ
 يَلْحَظُنِي شَرْرًا. وَيُوسِعُنِي خِرْرًا. وَمَا يُبَيْسُكُمْ عَنِّي. أَصَدَقُ مِنِّي. أَنَا
 رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ. مِنَ الثُّغُورِ الْأُمُويَّةِ. قَدْ وَطَأَ لِي
 الْفَضْلُ وَرَحَّبَ لِي عَيْشٌ وَمَنَانِي بَيْتٌ. ثُمَّ جَمَعَ لِي الدَّهْرُ عَنْ تَيْمِهِ
 وَرَمِهِ. وَأَتَلَانِي زَعَالِيلُ حَمْرِ الْحَوَاصِلِ:

كَأَنَّهُمْ حَيَاتُ أَرْضِ مَحَلَّةٍ فَلَوْ يَعْضُونَ لَدَكِي سَمَّهُمْ
 إِذَا نَزَلْنَا أَرْسَلُونِي كَأَسْبَابٍ وَإِنْ رَحَلْنَا رَكِبُونِي كُلَّهُمْ
 وَنَشَرَتْ عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَشَمَّتْ مِنَّا الصُّفْرُ. وَأَكَلْنَا السُّودَ
 وَحَطَمْنَا الْحُمْرُ. وَأَتَانَا أَبُو مَالِكٍ. فَمَا يَلْقَانَا أَبُو جَابِرٍ إِلَّا عَنِ عَقْرِ.
 وَهَذِهِ الْبَصْرَةُ مَاوَهَا هَضُومٌ. وَقَعِيرُهَا مَهْضُومٌ. وَالْمَرْءُ مِنْ ضَرْسِيهِ فِي
 شَغْلٍ. وَمَنْ نَفْسِهِ فِي كَلٍّ. فَكَيْفَ يَمُنُّ
 يُطَوِّفُ مَا يُطَوِّفُ ثُمَّ يَا وَيْ إِلَى زَنْبٍ مُحَدَّدَةِ الْعُيُونِ

كسَاهُنَّ أَلْبِلِي شُعْتًا فَمَسِي جِيعَ النَّابِ صَامِرَةَ الْبُطُونِ
 وَلَقَدْ أَصْبَحَنَ الْيَوْمَ وَسَرَّخَنَ الطَّرْفَ فِي حَيِّ كَمَيْتٍ . وَبَيْتٍ كَلَا
 بَيْتٍ . وَقَلْبِنَ الْأَكْفَ عَلَى لَيْتٍ . فَفَضَضَنَ عِقْدَ الدُّمُوعِ . وَأَفْضَنَ
 مَاءَ الضُّلُوعِ . وَتَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الْجُوعِ :

وَأَلْفَقَرُ فِي زَمَنِ اللَّأَمِ مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عِلَامَةٌ
 رَغَبَ الْكِرَامِ إِلَى اللَّأَمِ مِ وَتِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ
 وَلَقَدْ أَخَّرْتُنْكُمْ يَا سَادَةَ . وَدَدْتَنِي عَلَيْكُمْ السَّعَادَةَ . وَقُلْتُ قَسَمًا .
 إِنْ فِيهِمْ لَدَسَمًا . قَهْلٍ مِنْ فَتَى يُعَشِّينَ . أَوْ يُنَشِّينَ . وَهَلْ مِنْ حُرِّ
 يُعْدِيهِنَ . أَوْ يُرْدِيهِنَ . قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : قَوْلَ اللَّهِ مَا اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ
 حِجَابٍ سَمِعِي كَلَامَ رَائِعٍ أَرْعُ وَأَرْفَعُ وَأَبْدَعُ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ . لَا جَرَمَ إِنَّا
 اسْتَحْنَا الْأَوْسَاطَ . وَنَفَضْنَا الْأَكْثَامَ وَبَحَثْنَا الْجُيُوبَ . وَنَلْتُهُ أَنَا مُطْرَفِي
 وَأَخَذَتِ الْجَمَاعَةُ إِخْذِي . وَقُلْنَا لَهُ : الْحَقُّ بِأَطْفَالِكَ فَأَعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ
 شُكْرِ وَفَاهُ . وَنَشْرٍ مَلَأَ بِهِ فَاهُ

المقامة القرديّة

٩٦ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَيْنَا أَنَا بِمَدِينَةِ السَّلَامِ . قَافِلًا مِنْ
 الْبَلَدِ الْحَرَامِ . أَمِيسُ مَيْسِ الرَّجَلَةِ . عَلَى شَاطِئِ الدَّجَلَةِ . أَنَا مَلُ تِلْكَ
 الطَّرَافِ . وَأَتَقَصَّى تِلْكَ الزَّخَارِفَ . إِذْ أَنْتَهَيْتُ إِلَى حَلْقَةِ رِجَالِ
 مُزْدَجِيهِنَ يَلُوي الطَّرَبُ أَعْنَاقَهُمْ . وَيَشُقُّ الصَّحْكَ أَشْدَاقَهُمْ . فَسَاقَنِي
 الْحُرْصُ إِلَى مَا سَاقَهُمْ حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ الرَّجُلِ دُونَ مَرَأَى

وَجْهٍ لِشِدَّةِ الْهَجْمَةِ . وَفَرَطِ الرَّحْمَةِ . فَإِذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ .
 وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ . فَرَقِصْتَ رَقِصَ الْمَرْج . وَسَبَرْتَ سَبْرَ الْأَعْرَجِ .
 فَوْقَ رِقَابِ النَّاسِ يَلْفِظُنِي عَاتِقُ هَذَا لِسْرَةٍ ذَاكَ . حَتَّى أَفْتَرَشْتُ حِيَةَ
 رَجُلَيْنِ . وَقَعَدْتُ بَعْدَ الْأَيْنِ . وَقَدْ أَشْرَقَنِي الْحَجَلُ بِرِيقِهِ . وَأَرْهَقَنِي
 الْمَكَانُ بِضِيْقِهِ . وَمَا فَرَعَ الْقَرَّادُ مِنْ شُغْلِهِ . وَأَنْتَفَضَ الْمَجْلِسُ عَنْ أَهْلِهِ .
 قَتُّ وَقَدْ كَسَانِي الدَّهْشُ حَلَّتَهُ . لِأَرَى صُورَتَهُ . فَإِذَا هُوَ وَاللَّهِ أَبُو
 الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِي . قُلْتُ : مَا هَذِهِ الدَّنَاءَةُ وَيْحَكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

الذُّبُ لِلْأَيَّامِ لَا لِي فَاتَّعَبَ عَلَيَّ صَرْفِ اللَّيَالِي
 بِالْحَقِّ أَذْرَكَتُ الْمَنَى وَرَفَلْتُ فِي حُلِّ الْجَمَالِ

المقامة العلمية

٩٧ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الْعَرَبِ
 مُجْتَازًا إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِأَخْرَجَ : مِمَّ أَذْرَكَتُ الْعِلْمَ وَهُوَ يُجِيبُهُ . قَالَ :
 طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ . لَا يُضْطَادُ بِالسَّهَامِ . وَلَا يُقَسِّمُ
 بِالْأَزْلَامِ . وَلَا يُرَى فِي الْمَنَامِ . وَلَا يُضْبَطُ بِاللِّجَامِ . وَلَا يُورَثُ عَنْ
 الْأَنْعَامِ . وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ الْكِرَامِ . فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِأَقْرَاشِ الْمَدْرِ .
 وَأَسْتِنَادِ الْحَجْرِ . وَرَدَّ الصَّخْرِ . وَرُكُوبِ الْحَطْرِ وَإِدْمَانِ السَّهْرِ .
 وَأَصْطِحَابِ السَّفْرِ وَكَثْرَةِ النَّظْرِ . وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ . فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لَا
 يَصْلُحُ إِلَّا لِلْفَرَسِ . وَلَا يُغْرَسُ إِلَّا فِي النَّفْسِ . وَصَيْدًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي
 النَّدْرِ . وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا فِي الصَّدْرِ . وَطَائِرًا لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنْصُ اللَّفْطِ .

وَلَا يَلْفَهُ إِلَّا شَرَكُ الْخَفِظِ . فَحَمَلْتُهُ عَلَى الرُّوحِ وَحَبَسْتُهُ عَلَى الْعَيْنِ .
وَأَنْفَقْتُ مِنَ الْعَيْشِ وَخَزَنْتُ فِي الْقَلْبِ . وَحَرَرْتُ بِالدَّرْسِ وَأَسْرَحْتُ
مِنَ النَّظْرِ إِلَى التَّحْقِيقِ . وَمِنَ التَّحْقِيقِ إِلَى التَّعْلِيقِ . وَأَسْتَعْنَتْ فِي
ذَلِكَ بِالتَّوْفِيقِ . فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلَامِ مَا فَتَقَّ السَّمْعَ وَوَصَلَ إِلَى الْقَلْبِ .
وَتَغَلَّغْتُ فِي الصَّدْرِ . فَقُلْتُ : يَا فَتَى وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَذِهِ الشَّمْسِ . فَجَعَلَ
يَقُولُ :

إِسْكَندَرِيَّةٌ دَارِي لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لَكِنَّ بِالشَّامِ لَيْلِي وَبِالعِرَاقِ نَهَارِي

المقامة الملوكية

٩٨ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي مُنْصَرَفِي مِنْ أَيْمَنِ .
وَتَوَجَّهْتُ إِلَى نَحْوِ الْوَطَنِ . أَسْرَيْ ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَبِيحَ بِهَا إِلَّا الضَّبَعُ .
وَلَا بَارِحَ إِلَّا السَّبُعُ . فَلَمَّا أَنْضَيْ نَصْلَ الصَّبَاحِ . وَرَزَّ جَيْنَ الْمُصْبَاحِ .
عَنْ لِي فِي الْبَرَّاحِ . رَاكِبٌ شَاكِي السَّلَاحِ . فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ
الْأَعْزَلَ . مِنْ مِثْلِهِ إِذَا أَقْبَلَ . لَكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ : أَرْضَكَ
لَا أُمُّ لَكَ فَدُونِي شَرُّ الْحَدَادِ . وَخَرَطُ الْقِتَادِ . وَحِمَةُ أَرْدِيَّةِ . وَأَنَا
سِلْمٌ إِنْ كُنْتُ . فَمَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : سِلْمًا أَصَبْتُ . وَرَفِيقًا كَمَا أَحْبَبْتُ .
فَقُلْتُ : خَبْرًا أَجَبْتُ . وَسِيرْنَا فَلَمَّا تَخَالَيْنَا . وَجِينَ تَجَالَيْنَا . لَجَلَّتْ
الْقِصَّةُ عَنْ أَبِي الْقَفْجِ الْإِسْكَندَرِيِّ . وَسَأَلَنِي عَنْ الْكُرْمِ مِنْ لِقَيْتِهِ مِنْ
الْمُلُوكِ فَذَكَرْتُ مُلُوكَ الشَّامِ . وَمَنْ بِهَا مِنَ الْكِرَامِ . وَمُلُوكَ الْعِرَاقِ وَمَنْ

بِهَا مِنْ الْأَشْرَافِ . وَأَمْرَاءِ الْأَطْرَافِ . وَسُقْتُ الذِّكْرَ . إِلَى مُلُوكِ مِصْرَ .
فَرَوَيْتُ مَا رَأَيْتُ وَحَدَّثْتُهُ بِعَوَارِفِ مُلُوكِ الْيَمَنِ وَلَطَائِفِ مُلُوكِ
الطَّائِفِ وَخَتَمْتُ مَدْحَ الْجَمَلَةِ . بِذِكْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ . فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

يَا سَارِيَا يُبْجُومِ اللَّيْلِ يَمْدَحُهَا وَلَوْ رَأَى الشَّمْسُ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا خَطَرَا
وَوَاصِفَا لِلسَّوَاتِي هَبْنَاكَ لَمْ تَرُرْ أَلَا بَجْرَ الْحَيْطِ أَلَمْ تَعْرِفْ لَهُ خَبْرَا
مَنْ أَبْصَرَ الدَّرَّ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ حَجْرَا وَمَنْ رَأَى خَلْفَا لَمْ يَذْكُرِ الْبَشْرَا
زُرُهُ تَرَزُّمَلِكَا يُعْطِي بِأَرْبَعَةِ لَمْ يَخُوهَا أَحَدٌ وَأَنْظَرُ إِلَيْهِ تَرَى
أَيَّامَهُ غُرًّا وَوَجْهَهُ قُرًّا وَعَزَمَهُ قَدْرًا وَسَيَّبَهُ مَطْرَا
مَا زِلْتُ أَمْدَحُ أَقْوَامَا أَظُنُّهُمْ صَفْوَا الزَّمَانِ فَكَبَانُوا عِنْدَهُ كَدْرَا
(قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ) قَعْلْتُ : مَنْ هَذَا الْمَلِكُ الرَّجِيمُ الْكَرِيمُ .

فَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ . مَا لَمْ تَبْلَغْهُ الظُّنُونُ . وَكَيْفَ أَقُولُ . مَا لَمْ تَقْبَلْهُ
الْعُقُولُ . وَمَتَى كَانَ مَلِكٌ يَا نَفُ الْأَكَارِمِ . إِنْ بَعَثَ بِالْدَّرَاهِمِ .
وَالذَّهَبِ . أَيْسَرُ مَا يَهَبُ . وَالْأَلْفُ . لَا يَعْهَدُ إِلَّا الْخَلْفُ . وَهَذَا جَبَلُ
الْكُحْلِ قَدْ أَضْرَبَهُ الْبَلِيلُ . فَكَيْفَ لَا يُؤَثِّرُ ذَلِكَ الْعَطَاءُ الْجَزِيلُ . وَهَلْ
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَلِكٌ يَرْجِعُ مِنَ الْبَدْلِ إِلَى سَرْفِهِ . وَمِنْ الْخَلْقِ إِلَى
شَرْفِهِ . وَمِنْ الدِّينِ إِلَى كَلْفِهِ . وَمِنْ الْمَلِكِ إِلَى كَنْفِهِ . وَمِنْ الْأَصْلِ إِلَى
سَلْمِهِ . وَمِنْ النَّسْلِ إِلَى خَلْفِهِ

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَدِي مَا يُرُهُ مَاذَا الَّذِي يَبْلُوغُ النَّجْمِ يَنْتَظِرُ

المقامة البخارية

٩٩ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَحْلَبَنِي جَامِعُ بُخَارَى وَقَدِ انْتَضَمْتُ
مَعَ رُقَّةَ فِي سَبَلِكِ الثَّرِيَاءِ. وَحِينَ احْتَفَلَ الْجَامِعُ بِأَهْلِهِ طَلَعَ الْبِنَادُ وَطَهَّرِينَ
قَدْ أَرْسَلَ صَوَانًا. وَأَسْتَلَى طِفْلًا عُرْيَانًا. يَضِيقُ بِالضَّرِّ وَيَسْعَهُ.
وَيَأْخُذُهُ الْقُرُوبُ وَيَدْعُهُ. لَا يَمْلِكُ غَيْرَ الْقَشْرَةِ بُرْدَةً. وَلَا يَلْتَقِي لِحْيَاهُ
رِعْدَةً. فَوَقَفَ الرَّجُلُ وَقَالَ: لَا يَنْظُرُ لِهَذَا الطِّفْلِ إِلَّا مَنْ رَزَحَ اللَّهُ طِفْلَهُ.
وَلَا يَرِقُ لِهَذَا الضَّرِّ إِلَّا مَنْ لَا يَأْمَنُ مِثْلَهُ. يَا أَصْحَابَ الْخُرُوزِ الْفُرُوزَةَ.
وَالْأَرْدِيَةَ الْمَطْرُوزَةَ. وَالدُّورِ الْمَجْدَةَ. وَالْفُصُورِ الْمُسَيِّدَةَ. إِنَّكُمْ أَنْ
تَأْمَنُوا حَادِنًا. وَلَنْ تَعْدُمُوا وَاِرِنًا. فَبَادِرُوا الْخَيْرَ مَا أَمَكْنَ. وَأَحْسِنُوا
مَعَ الدَّهْرِ مَا أَحْسَنَ. فَقَدْ وَاللَّهِ طَعِمْنَا السَّكْبَاجَ. وَرَكِبْنَا الْهَمْلَاجَ. وَلَبَسْنَا
الدِّيَبَاجَ. وَأَقْرَشْنَا الْحَشَايَا بِالْعَشَايَا. فَمَارَعْنَا الْإَهْبُوبَ الدَّهْرَ بَعْدَرِهِ.
وَأَنْقَلَبُ الْعَجِينَ لَظْهَرِهِ. فَعَادَ الْهَمْلَاجُ قَطُوفًا. وَالدِّيَبَاجُ صُوفًا. وَهَلُمَّ
جِرًّا إِلَى مَا تَشَاهِدُونَ مِنْ حَالِي وَزَيِّي. فَمَا تَحْنُ تَزْتَضِعُ مِنَ الدَّهْرِ تَذِي
عَقِيمٍ. وَتَرْكَبُ مِنَ الْفَقْرِ ظَهْرَ بَيْهِيمٍ. فَلَا تَزْنُو إِلَّا بَعِينَ الْيَتِيمِ. وَلَا تَمْدُ إِلَّا
يَدَ الْعَدِيمِ. فَهَلْ مِنْ كَرِيمٍ يَجْلُو عْيَاهُ هَذِهِ الْبُؤُوسِ. وَيَقْبَلُ شَبَاهُ هَذِهِ
الْخُحُوسِ. ثُمَّ قَعَدَ مُرْتَفَعًا وَقَالَ لِلطِّفْلِ: أَنْتَ وَشَأْنُكَ. فَقَالَ: مَا
عَسَى أَنْ أَقُولَ وَهَذَا الْكَلَامُ لَوْ لَقِيَ الشَّرَّ حَلَقَهُ. أَوْ الصَّخْرَ لَقَلَقَهُ. وَإِنَّ
قَلْبًا لَمْ يَنْضِجْهُ لَنِي؛ وَقَدْ سَمِعْتُمْ يَا قَوْمُ مَا لَمْ تَسْمَعُوا قَبْلَ الْيَوْمِ. فَلَيْسَ غَلَّ
كُلُّ مِثْمَلِكُمْ بِالْجُودِ يَدُهُ. وَلَيْدُكُمْ غَدُهُ. وَاقِيَا يِي وَلَدَهُ. وَامْتَحُونِي

أَشْكُرْكُمْ . وَأَذْكُرْ بِي أَدْكُرْكُمْ . وَأَعْطُونِي أَشْكُرْكُمْ . قَالَ عَيْسَى بْنُ
هَشَامٍ : فَمَا أَسْنِي فِي وَحْدَتِي إِلَّا خَاتَمٌ خَتَمْتُ بِهِ خِنْصِرَهُ . فَلَمَّا تَنَاوَلَهُ
أَنْشَأَ وَجَعَلَ يَقُولُ :

وَمَنْطِقٍ مِنْ نَفْسِهِ بِقِلَادَةِ الْجُوزَاءِ حُسْنًا
مُتَأَلِّفٍ مِنْ غَيْرِ أَسْ رَتِيهِ عَلَى الْأَيَّامِ خِدَانًا
عَلِقَ سِنِي قَدْرُهُ لِكِنَّ مَنْ أَهْدَاهُ أَسْنِي
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْوَرَى فِي الْمَجْدِ لَفَطًا كُنْتُ مَعْتَى

قَالَ عَيْسَى بْنُ هَشَامٍ : فَمَلْنَا مَا تَأَخَّ مِنْ الْفُورِ فَأَعْرَضَ عَنَّا
حَامِدًا لَنَا . فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرْتِ أَسْلُوَةَ عَنْ وَجْهِهِ . فَإِذَا هُوَ وَاللَّهِ شَيْخِنَا
أَبُو الْقَفَّحِ الْإِسْكَندَرِيُّ . وَإِذَا الطَّلَا زُغْلُولُهُ قَفَّاتُ : أَبَا الْقَفَّحِ شَبِثَ
وَسَبَّ الْغَلَامُ . فَأَيْنَ السَّلَامُ وَأَيْنَ الْكَلَامُ . فَقَالَ :

غَرِيبًا إِذَا جَمَعْتَنَا الطَّرِيقُ أَيْفَا إِذَا نَظَمْتَنَا الْحَيَامُ
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مَخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وَأَنْصَرَفْتُ



الباب الخامس في المناظرة

مناظرة الازهار او المقامة الوردية

١٠٠ حَدَّثَنَا الرَّيَّانُ عَنْ أَبِي الرَّيْحَانِ . عَنْ أَبِي الْوَرْدِ أَبَانَ . عَنْ بَلْبَلِ
 الْأَعْصَانِ . عَنْ نَاطِرِ الْإِنْسَانِ . عَنْ كُوكِبِ الْبُسْتَانِ . عَنْ وَابِلِ الْهَتَّانِ .
 قَالَ : مَرَرْتُ يَوْمًا عَلَى حَدِيقَةٍ . خَضِرَةٍ نَضِرَةٍ أُنِيقَةٍ . طُلُوهُهَا وَدَيْقَةُ .
 وَأَعْصَانُهَا وَرَيْقَةُ . وَكُوكِبُهَا أَبْدَى بَرَيْقَةٍ . ذَاتِ أَلْوَانٍ وَأَفْتَانِ .
 وَأَكْشَامٍ وَأَكْنَانِ . وَإِذَا بِهَا أَزْرَارُ الْأَزْهَارِ مُجْتَمِعَةٌ . وَأَنْوَارُ الْأَنْوَارِ
 مُلْتَمِعَةٌ . وَعَلَى مَنَابِرِ الْأَعْصَانِ أَكْثَابُ الْأَزْهَرِ . وَالصَّبَا تَضْرِبُ عَلَى
 رُؤُوسِهَا مِنَ الْأَوْرَاقِ الْخَضِرِ بِالْمَزَاهِرِ . فَقُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ عَبَّرَ : أَلَا
 تُحَدِّثُونِي مَا أَخْبَرُ . فَقَالَ : إِنَّ عَسَاكِرَ الرَّيَّاحِينَ قَدْ حَضَرَتْ . وَأَزْهَرَ
 الْبَسَائِينَ قَدْ نَظَرْتَ لَمَّا نَضَرْتَ . وَاتَّقَمْتَ عَلَى عَهْدِ مَجْلِسِ حَافِلِ .
 لِإِخْتِيَارِ مَنْ هُوَ بِالْمَلِكِ أَحَقُّ وَكَافِلٌ . وَهِيَ أَكْثَابُ الْأَزْهَارِ قَدْ صَعِدَتْ
 الْمَنَابِرَ . لِيَبْدِيَ كُلُّ حِجَّتِهِ لِلنَّاطِرِ . وَيُنَاطِرَ بَيْنَ أَهْلِ الْمُنَاطِرِ . فِي
 أَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُلْحَظَ بِالنَّوَاطِرِ . مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الرَّيَّاحِينَ النَّوَاضِرِ .
 وَأَوَّلَى بَأَنِ يَتَأَمَّرَ عَلَى الْبُؤَادِي مِنْهَا وَالْحَوَاضِرِ . فَجَلَسْتُ لِأَخْضَرِ فَصَلَ
 الْخُطَّابِ . وَاسْتَمَعَ مَا يَأْتِي بِهِ كُلُّ مَنْ أَحْدِثِ الْمُسْتَطَابِ

١٠١ (فَهَجَمَ الْوَرْدُ) بِشَوْكَتِهِ . وَجَمَّ مِنْ بَيْنِ الرَّيَّاحِينَ مُعْجَبًا بِإِشْرَافِ

صُورَتِهِ . وَإِفْرَاقِ صَوْلَتِهِ . وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الْمَعِينِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ . أَنَا
 أَلْوَرْدُ مَلِكُ الرِّيَاحِينَ . وَأَلْوَارِدُ مُنْعَشًا لِلأَزْوَاحِ وَمَتَعَالَهَا إِلَى حِينِ .
 وَنَدِيمُ الخُلَفَاءِ وَالسَّلَاطِينِ . وَالرَّفُوعُ أَبَدًا عَلَى الأَسِيرَةِ لَا أُجْلِسُ عَلَى
 تُرْبٍ وَلَا طِينِ . وَالظَّاهِرُ لَوْنِي الأَحْمَرُ عَلَى أَزَاهِرِ البَسَاتِينِ . وَالغَزِيذُ
 عِنْدَ النَّاسِ . وَالْمُودُودُ بَيْنَ الجُلَاسِ لِلإِنَاسِ . وَالْعَادِلُ فِي المِزَاجِ .
 وَالصَّالِحُ فِي العِلَاجِ . أُسْكِنُ حَرَارَةَ الصَّفْرَاءِ . وَأَقْوِي البَاطِنَ مِنَ
 الأَعْضَاءِ . وَأَبْرِدُ أَنْوَاعَ اللَّهَبِ الكَاثِنَةِ فِي الرُّؤَسِ . وَرَبَّمَا اسْتَحْرَجَهَا مِنْهُ
 بِالمُطَاسِ . وَأَنْفَعُ مِنَ القُلَاعِ وَالقُرُوحِ . وَأَنَا بِيَعْطِرُنِي مُلَانِمُ الجَوْهَرِ
 الرُّوحِ . وَمَنْ تَجَرَّعَ مِنْ مَائِي يَسِيرًا . نَفَعٌ مِنَ العَشْيِ وَالخُفْقَانِ كَثِيرًا .
 وَدُهْنِي شَدِيدُ النِّفَعِ لِلغُرَاجَاتِ . وَفِيهِ مَارِبٌ كَثِيرَةٌ لِذَوِي الحَاجَاتِ .
 وَأَنَا مَعَ ذَلكَ جَلْدٌ صَبَّارٌ . أَحْرِي مَعَ الأَقْدَارِ . إِذَا صَلَيْتَ بِالنَّارِ فَلِهَذَا
 رُفِعَتْ مِنْ أَعْصَانِي الأَشَارِ . وَدُقَّتْ مِنْ دَارَاتِي البِشَارِ . وَأَعْمَلْتُ
 لِي المَشَاعِرُ . وَقَالَ فِي الشَّاعِرِ :

لِلوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ وَرِثَةٌ لَا تَمَلُّ
 كُلُّ الرِّيَاحِينَ جُنْدٌ وَهُوَ الأَمِيرُ الأَجَلُّ
 إِنْ جَاءَ عَزُّوا وَتَاهُوا حَتَّى إِذَا عَابَ ذَلُّوا

١٠٢ (فَقَامَ التَّرْجِسُ) عَلَى سَاقٍ . وَرَمَى الوَرْدَ مِنْهُ بِالأَحْدَاقِ .
 وَقَالَ : لَقَدْ تَجَاوَزْتَ الحُدَّ يَا وَرْدُ . وَرَعَمْتَ أَنْتَ جَمْعٌ فِي فَرْدٍ . إِنْ
 أَعْتَقَدْتَ أَنَّ لَكَ بِمُحْرَبِكَ فِخْرَةٌ . فَإِنَّهَا مِنْكَ فِخْرَةٌ . وَإِنْ قُلْتَ إِنَّكَ نَافِعٌ

فِي الْعِلَاجِ . فَكَمْ لَكَ فِي مِنْهَاجِ الطِّبِّ مِنْ هَاجٍ . فَاحْفَظْ حُرْمَتَكَ .
 وَإِلَّا كَسَرْتَ بِقَامِ سِنِّي شَوْكَتَكَ . وَيَكْفِيكَ قَوْلُ الْبُسْتِي فِيكَ :
 لَا يَغْرَنُكَ أَنْتِي لَيْنُ الْمَسِّ لِأَنِّي إِذَا اتَّضَيْتُ حَسَامُ
 أَنَا كَالْوَرْدِ فِيهِ رَاحَةُ قَوْمٍ ثُمَّ فِيهِ لِآخِرِينَ زُكَامُ
 وَلَكِنْ أَنَا الْقَائِمُ لِلَّهِ فِي الدِّيَاجِي عَلَى سَاقِي . أَلَسَاهُ طُولُ اللَّيْلِ
 فِي عِبَادَةِ رَبِّي فَلَا تَطْرُقُ أَحْدَاقِي . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ الْمَعْدُ لِلْحُرُوبِ .
 الْمَدْعُوُّ عِنْدَ تَرَاخُمِ الْكُرُوبِ . أَلَا تَرَى وَسَطِي لَا يَزَالُ مَشْدُودًا . وَسِنِّي
 لَا يَزَالُ مَجْرُودًا . وَأَنَا قَرِيدُ الزَّمَانِ . فِي الْخَاسِنِ وَالْإِحْسَانِ . وَلِهَذَا
 قَالَ فِي كَسْرِي أَنْوِشِرُوانُ : التَّرْجِسُ يَأْقُوتُ أَصْفَرُ . بَيْنَ دُرِّ أَيْضَ
 عَلَى زُمُرٍ أَخْضَرَ . وَأَنَا الْمَقْرُونُ فِي مِهْمَاتِ الْأَدْوَاءِ بِالصَّلَاحِ . أَنْفَعُ
 عَمَاةِ النَّفْعِ . مِنْ دَاءِ الثَّلَبِ وَالصَّرْعِ . وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى صَلَاحِي . أَنَّ
 أَبَا نُوَاسٍ غَفِرَ لَهُ أَثْنِي عَلَى بَآئِيَاتٍ فَالَهَا فِي أَمْتِدَاجِي :

تَأْمَلُ فِي رِيَاضِ الْأَرْضِ وَأَنْظُرُ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
 عُيُونُ مِنْ بِلْجِينَ شَاخِصَاتُ بِأَحْدَاقِي كَمَا الذَّهَبُ السَّيِّكُ
 عَلَى قُضْبِ الزَّرْبَجِدِ شَاهِدَاتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ
 وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ حَيْثُ قَالَ . مُبِينًا فَضْلِي عَلَى كُلِّ حَالٍ :

أَيُّهَا النَّعْمُ لِلْوَرْدِ بِزُورٍ وَمُحَالٍ

ذَهَبَ التَّرْجِسُ بِالْفَضْلِ فَانْصِفْ فِي الْمَقَالِ

١٠٣ (فَقَامَ الْيَاسِينُ) وَقَالَ : آمَنْتُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . لَقَدْ تَجَبَّسَتْ

يَا جَيْسُ . وَكَثُرَكَ رَجْسُ نَجْسٍ . وَأَنْتَ قَلِيلُ حُرْمَةٍ . وَأَسْمَكَ
 مَسْمُولٌ بِالنَّجْمَةِ . وَكَيْفَ تَطْلُبُ الْمَلِكُ وَأَنْتَ بَعْدُ قَائِمٌ مَشْدُودُ الْوَسَطِ
 فِي الْخِدْمَةِ رَأْسُكَ لَا يَزَالُ مَنْكُوسٌ . وَأَنْتَ الْمُهَيَّجُ لِلْقِيِّ الْمَصْدَعُ مِنَ
 الْحُرُورِينَ لِلرُّوسِ . أَصْفَرُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ مَكْسُورٌ أَحْقَرُ حَلَّةٍ . وَيَكْفِيكَ
 بَعْضُ وَاصِفِيكَ

أَرَى التَّرْجِسَ الْفَضَّ الرَّيْكَ مُسْمَرًا عَلَى سَاقِهِ فِي خِدْمَةِ الْوَرْدِ قَائِمٌ
 وَقَدْ ذَلَّ حَتَّى لَفَّ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ عِمَامٌ فِيهَا لِلْيَهُودِ عِلَالِمٌ
 وَلَكِنْ أَنَا زَيْنُ الرِّيَاضِ . وَالْأَوْسُومُ فِي الْوَجْهِ بِالْبَيَاضِ . شَطْرُ
 الْحُسْنِ كَمَا وَرَدَ . وَأَنَا أَلْطَفُ مِنْ وَرْدٍ جَاوَرَدَ . وَنَشْرِي أَعْبَقُ مِنْ
 نَشْرِكَ صَبَاحًا وَنَدًّا . فَأَنَا أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْكَ مَنْصُورًا وَمُؤَيَّدًا . وَأَنَا
 النَّافِعُ مِنْ أَمْرَاضِ الْعَصَبِ الْبَارِدَةِ . وَالْمُلْطَفُ لِلرُّطُوبَاتِ الْجَامِدَةِ .
 أَنْفَعُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالشَّقِيقَةِ وَالزُّكَامِ . وَمِنْ وَجَعِ الرَّأْسِ الْبَلْعَمِيِّ
 وَالسُّودَاوِيِّ . وَدُهْنِي نَافِعٌ مِنَ الْفَالِجِ وَوَجَعِ الْمَفَاصِلِ . وَيَحْلِلُ الْأَعْضَاءَ
 وَيَجْلِبُ الْعَرَقَ الْقَاضِلَ . يَقُولُ لِي لِسَانُ الْحَالِ : لَسْتَ الْهَزِيلَ مَقَامًا
 يَا سَمِينُ . وَيَشْهَدُ لِسَانُ الْأَلْفِجِ بِأَنِّي الدَّرُّ الْغَالِي إِذَا قَالَ : يَا ثَمِينُ

أَنَا الْيَاسَمِينُ الَّذِي لَطَفْتُ فَنَلْتُ الْمُنَى

قَرِيحِي لِمَنْ قَدْ نَأَى وَعَيْنِي إِلَى مَنْ دَنَا

وَقَدْ شَرَفَتْ حَضْرَتِي لِصَبْرِي عَلَى مَنْ جَنَى

١٠٤ (فِقَامُ الْبَلْبَانِ) وَأَبْدَى غَايَةَ الْعُضْبِ وَأَبَانَ وَقَالَ : لَقَدْ تَعَدَّيْتُ

يَا يَاسَمِينُ طَوْرَكَ . وَأَبْعَدْتَ فِي الْمَدَاغُورِكَ . وَكَوْنُكَ أضعفُ الْكَوْنِ .
 وَكَثْرَةُ شَمَكِ تُصْفِرُ اللَّوْنَ . وَإِذَا سُحِقَ الْيَاسُ مِنْكَ وَرُضَّ . وَذُرَّ
 عَلَى الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ أبيضٌ . وَإِذَا قَسِمَ أَسْمُكَ قَسْمَيْنِ صَارَ مَا بَيْنَ يَاسٍ
 وَمَيْنٍ . وَإِنْ ذَكَرْتَ نَفْعَكَ . فَأَنْتَ كَمَا قِيلَ لَا تَسَاوِي جَمْعَكَ . وَلَقَدْ
 صَدَقَ الْقَائِلُ . مِنَ الْأَوَائِلِ :

لَا مَرْحَبًا بِالْيَاسَمِينِ وَإِنْ غَدَا فِي الرُّوضِ زَيْنًا
 صَحَّفَتْهُ فَوَجَدْتُهُ مُتَّصِنًا يَاسًا وَمِينًا

وَلَكِنْ أَنَا ذُو الْأَسْمِينِ . وَالظَّافِرُ بِالْأَضَلِّ وَالْفَرَعُ بِالْقَسْبَمِينِ .
 وَالْقَرِيبُ مِنَ الْبَازِ . وَالْمَضْرُوبُ بِقَدْيِ الْمَثَلِ فِي الْأَهْتِرَازِ . أَزْهَارِي
 عَالِيَةٌ وَأَذْهَانِي عَالِيَةٌ . وَقَدْ أَلْبَسْتُ خَلْعَةَ السَّنْجَابِ . وَأَتَّفَقَ عَلَى
 قَضِي الْأَنْجَابِ . أَنْفَعُ بِالشَّمِّ مِنْ مِزَاجِهِ حَارٌّ . وَأَرْطَبُ دِمَاعَهُ وَأَسْكَنُ
 صُدَاعَهُ . وَدَهْنِي نَافِعٌ لِكُلِّ وَجَعٍ بَارِدٍ . وَتَحْتَ ذَلِكَ صُورٌ كَثِيرَةٌ
 الْمَوَارِدِ . مِنْ الرَّاسِ وَالضَّرْسِ . وَيَكْفِي فِي وَرْدِي . قَوْلُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ :

تَجَادَلْنَا أَمَاءَ الزَّهْرِ أَذْكَى أَمْ الْخِلَافِ أَمْ وَرْدُ الْقَطَافِ
 وَعُشْبِي ذَلِكَ الْجَدَلِ أَصْطَلْحَنَا وَقَدْ وَقَعَ الْوِفَاقُ عَلَى الْخِلَافِ

١٠٥ (فَقَامَ اللَّسْرَيْنِ) بَيْنَ الْقَائِمِينَ . مُتَّصِرًا لِأَخِيهِ الْيَاسَمِينِ .
 وَقَالَ : أَتَتَعَدَّى يَا بَانَ عَلَى شَقِيقِي . وَأَيْنَ الْقَرِيِّ مِنْ الذَّهَبِ الدِّيْقِي .
 أَلَمْ يَعْرِفَكَ أَحْمَالَ . قَوْلُ مَنْ قَالَ :

لِلَّهِ بُسْتَانٌ حَالِنَا دَوْحُهُ فِي جَنَّةٍ قَدْ فُحِتْ أَبْوَابُهَا

وَالْبَانُ تُحْسِبُهُ سَنَانِيرًا رَاتٍ بَعْضَ الْكِلَابِ فَفَشَتْ أَذْنَا بِهَا
 وَلَكِنْ أَنَا زَيْنُ الْبُسْتَانِ . وَفِي مِِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَوْنَانِ .
 أَنْفَعُ مِنْ أَوْرَامِ الْخَلْقِ وَاللُّوزَيْنِ وَوَجِعِ الْأَسْنَانِ . وَمَنْ بَرَدَ الْعَصَبِ
 وَالذَّوْيِ وَالطَّيْنِ فِي الْأَذَانِ . وَأَسْكِنُ الْقَيْءَ وَالْقُوقَ . وَأَقْوِي
 الْقَلْبَ وَالذَّمَاعَ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَبِي غَايَةُ الْإِنْتِفَاعِ . وَالْبَرِّيُّ مِثِّي إِذَا
 لَطَّحَ بِهِ الْجِبَّةَ سَكَّنَ الصُّدَاعَ . وَيَكْفِيكَ مِنَ الْمَعَانِي . قَوْلُ مَنْ عَنَانِي :
 مَا أَحْسَنَ التَّسْرِينَ عِنْدِي وَمَا أَمْلَحُهُ مُذْ كَانَ فِي عَيْنِي
 زَهْرٌ إِذَا مَا أَنَا صَحَّفْتُهُ وَجَدْتُهُ بُشْرَى وَيُسْرَى .
 ١٠٦ (فَقَامَ الْبُقْفُوحُ) وَقَدِ الثَّيْبُ . وَلَا حَتَّ عَلَيْهِ زُرْقَةُ الْعَضْبِ .
 وَقَالَ : أَيُّهَا التَّسْرِينُ لَسْتُ عِنْدَنَا مِنْ الْمَعْدُودِينَ . وَلَا فِي الصَّلَاحِ مِنْ
 الْمُحْمُودِينَ . لِأَنَّكَ حَارٌّ يَا بَسُّ إِنَّمَا تَوَافِقُ الْمُبْرُودِينَ . وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْمَشَايِخِ
 الْمُبْلَغِينَ . وَأَنْتَ كَثِيرُ الْإِدَاعَةِ فَلَسْتُ عَلَى حِفْظِ الْأَسْرَارِ بِأَمِينٍ .
 وَبِعَجْبِي مَا قَالَ فِيكَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :
 وَلَمْ أُنْسَ قَوْلَ الْوَرْدِ لَا تَرْكُؤُوا إِلَى مُعَاهَدَةِ التَّسْرِينِ فَهُوَ يَمِينُ
 الْأَتَّظَرُ وَامِنْهُ بِنَانًا مُخَضَّبًا . وَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ الْبِنَانِ يَمِينُ
 وَلَكِنْ أَنَا اللَّطِيفُ الذَّاتِ . الْبَدِيعُ الصِّفَاتِ . الْمَشَبَّهُ بَرِزَقِ
 الْيَوَاقِيتِ . وَأَعْنَاقِ الْقَوَاقِيتِ . وَمَزَاجِي رَطْبُ بَارِدٌ . وَمَنَافِي كَثِيرَةٌ
 الْمَوَارِدِ . أَوْلَدُ دِمَائِي غَايَةَ الْإِعْتِدَالِ . وَأَنْفَعُ الْحَارِّ مِنَ الرَّمْدِ
 وَالسُّعَالِ . وَأَسْكِنُ الصُّدَاعَ الصَّفْرَاوِيَّ وَالذَّمْمُوِيَّ لِنِ شَمِّ أَوْصَدِّ .

وَأَلَيْنُ الصَّدْرَ وَانْفَعُ مِنَ التَّهَابِ الْمَعِدَ . وَكَفَانِي شَرَفًا بَيْنَ الْأَخْوَانِ .
 أَنَّ دَهْنِي سَيْدُ الْأَذْهَانِ . بَارِدٌ فِي الصَّيْفِ حَارٌّ فِي الشِّتَاءِ فَهُوَ صَالِحٌ
 فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُسَكِّنُ الْقَلْقَ . وَيُنِيمُ أَصْحَابَ الْأَرْقِ .
 وَمَنَافِعِي لَا تُحْصَى . وَمَا أَوْدَعَهُ خَالِقِي فِيَّ لَا يُسْتَقْصَى . مَنْ رَأَى أَدْنَ
 بِأَلَيْسَ رَاحَ . وَتَفَاءَلَ بِالْإِنْفَسَاحِ . أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ مَنْ بَاحَ وَصَاحَ :
 يَا مَهْدِيًّا لِي بِنَفْسِي أَرْجَا بِرِتَاحِ صَدْرِي لَهُ وَيَشْرِحُ
 بَشْرِي عَاجِلًا مُصَيِّفُهُ بِأَنَّ صَيْقَ الْأُمُورِ يَنْفَسِحُ
 ١٠٧ (فَقَامَ اللَّيْنُوفُ) عَلَى سَاقٍ . وَحَشَدَ الْجِيُوشَ وَسَاقٍ . وَأَنْشَدَ
 بَعْدَ إِطْرَاقٍ :

بِنَفْسِي الرُّوضِ تَاهُ عَجْبًا وَقَالَ طَيْبِي لِلجَوْضِ ضَخَّ
 فَأَقْبَلَ الزَّهْرُ فِي أَحْقَالِ وَالْبَانُ فِي غَيْظِهِ تَنَفَّخَ
 ثُمَّ قَالَ لِلْبِنْفَسِجِ : أَيُّ شَيْءٍ تَدْعِي الْأِمَارَةَ . وَتَطَاوَعُ نَفْسَكَ
 وَالنَّفْسَ أِمَارَةً . وَأَكْثَرُ مَا عِنْدَكَ أَنَّكَ تُشَبِّهُ بِالْعَذَارِ وَبِالنَّارِ فِي
 الْكِبْرِيَّةِ . وَحَاصِلُ هَذَيْنِ يَرْجِعُ إِلَى أَشْنَعِ صَيْتٍ . وَمَا مِنْ نَفْعٍ ذَكَرْتَهُ
 عِنْدَكَ إِلَّا وَأَنَا أَفْعَلُ مِثْلَهُ وَأَكْثَرُ . وَأَنَا أُحْرَى بِسَلَامَةِ الْعَاقِبَةِ مِنْكَ
 وَأَجْدَرُ . مَنْ شَرِبَ الْيَلِيسَ مِنْكَ وَلَدَهُ قَبْضًا عَلَى الْقَلْبِ . وَرَبِّي فِي
 مَعِدَتِهِ وَأَمَانِيهِ وَأَحْدَثَ لَهُ الْكَرْبَ . وَقَدْ كَفَانَا الْوَرْدُ مَوْوَنَةَ الرَّدِّ
 عَلَيْكَ . وَحَذَرْنَا مِنَ الْقُرْبِ مِنْكَ وَالْإِضْعَاءِ إِلَيْكَ . فَقَالَ :
 أَعْلَى يَفْتَخِرُ الْبِنْفَسِجُ جَاهِلًا وَإِلَى يُغْزَى كُلُّ فَضْلِ يَبْهَرُ

وَأَنَا الْمَجْبُوبُ لِلْمَلُوبِ زَمَانُهُ وَيَمْتَدِّي أَهْلُ الْمَسْرَةِ تَفَخَّرُ
وَقَالَ الْحَاكِي . عَنِ الْوَرْدِ الْبَاكِي :

عَايَتْ وَرَدَ الرُّوضِ يَلْطَمُ خَدَّهُ وَيَقُولُ وَهُوَ عَلِيٌّ الْبَنْفَسِجُ مُحَقَّقُ
لَا تَقْرُبُوهُ وَإِنْ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ مَا بَيْنَكُمْ فَهِيَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ
وَلَكِنْ أَنَا اللَّطِيفُ الْغَوَاصُ . الْكَثِيرُ الْخَوَاصِ . أُسْكِنُ الصَّدَاعَ الْحَارَّةَ
وَأَذْهَبُ بِالْأَرْقِ وَالْأَسْهَارِ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ فِي . بَعْضُ وَاصِفِي :

يَرْتَاحُ لِلْيَسُوفِ الْقَلْبُ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الْغَرَامِ وَجَهْدِهِ
وَالْوَرْدُ أَضْمَجٌ فِي الرِّوَاغِ عِنْدَهُ وَالْتَرَجِسُ الْمِسْكِيُّ خَادِمٌ عِنْدِهِ
يَا حُسْنَهُ فِي بَرَكَةٍ قَدْ أَضْبَحَتْ مَحْشُوءَةٌ مِسْكَانًا تُشَابُ بِنْدِهِ

وَمِنِّي صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ الْبَشِينُ . يُشَابُهِي فِي التَّكْوِينِ . لَا فِي
التَّلْوِينِ . وَتَجَدُّثٌ عِنْدَ إِطْبَاقِ النَّيْلِ . وَلَهُ فِي مَنَافِعِ الطِّبِّ تَنْوِيلٌ .
دُهْنُهُ مَحْمُودٌ فِي الْبِرْسَامِ . إِذَا تَسَعَطَ بِهِ ذُو الْأَسْقَامِ . وَقَدْ أُنْشِدَ
فِيهِ . مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوَصِّلَهُ حَقَّهُ وَيُوفِيَهُ :

وَبَرَكَةٍ يَبْدِيرُ الْمَاءَ قَدْ طَقَّحَتْ بِهَا عُيُونٌ مِنَ الْبَشِينِ قَدْ فُتِحَتْ
كَأَنَّهَا وَهِيَ تَرَهُو فِي جَوَانِبِهَا مِثْلُ السَّمَاءِ وَفِيهَا أَنْجُمٌ سَجَّحَتْ
١٠٨ (فَقَامَ الْأَسُّ) وَقَدْ اسْتَعَدَّ . وَقَالَ : لَقَدْ تَجَاوَزْتَ يَا لَيْنُوفَرُ الْحَدَّ .
أَلَسْتَ الْمُضْعَفَ لِلْمَرْدِ فِي قُوَاهُ . الْجَالِبَ لَهُ صِفَةُ الشَّيْخُوخَةِ فِي صِبَاهُ
وَلَقَدْ عَرَّفَكَ . مَنْ قَالَ حِينَ وَصَفَكَ :

وَلَيْسُوفِرُ أَبَدِي لَنَا بَاطِنٌ لَهُ مَعَ الظَّاهِرِ الْخُضْرِيَّ حَمْرَةً عِنْدَمِ

فَشَبَّهَتْهُ لَمَّا قَصَدَتْ هِجَاءَهُ بِكَاسَاتِ حِجَامٍ بِهَا لَوْنَةُ الدَّمِ
 أَنَا الْمُقْوِيُّ لِلْأَبْدَانِ . الْحَالِسُ لِلْإِسْهَالِ وَالْعَرَقُ وَكُلُّ سِيلَانٍ .
 الْمُنْشَفُ مِنَ الرُّطُوبَاتِ . الْمَانِعُ مِنَ الصَّنَنِ . الْمُسْكِنُ لِلْأُورَامِ وَالْحُمْرَةِ
 وَالشَّرَى وَالصُّدَاعِ وَالْحَفْقَانَ . وَأَنَا الْبَاقِي فِي طُولِ الزَّمَانِ . وَقَالَ فِي
 بَعْضِ الْأَعْيَانِ :

الْأَسُّ سَيِّدُ أَنْوَاعِ الرِّيَّاحِينَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ فِي الْبَسَاتِينَ
 يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى نَضَارَتُهُ لَا فِي الْمَصِيفِ وَلَا فِي بَرْدِ كَانُونِ
 وَقَالَ آخِرُ :

لِلْأَسِّ فَضْلُ بَقَائِهِ وَوَقَائِهِ وَدَوَامُ مَنْظَرِهِ عَلَى الْأَوْقَاتِ
 قَامَتْ عَلَى أَنْعَاصِهِ وَرَقَائِهِ كَنْصُولِ نَبْلِ جَنِّ مَوْتَلِقَاتِ
 ١٠٩ (فَقَامَ الرِّيْحَانُ) وَقَالَ : يَا أَسُّ . لَا جِرْحَكَ جِرْحًا مَا لَهُ مِنْ أَسِّ :

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ
 وَأَنَا الْوَارِدُ فِي : عَلَيْكُمْ بِالْمَرْزُوجُوشِ . فَشَمُّوه فَإِنَّهُ جَيِّدٌ لِلْخِشَامِ
 وَأَنَا أَنْفَعُ مِنْ لَسَعَةِ الْعُقْرَبِ لِمَنْ بِالْحَلِّ صُمِدَ . وَدَهْنِي يَدْخُلُ فِي
 الضَّمَادَاتِ لِلْفَالِجِ الَّذِي يَبْرُضُ فِيهِ مِيلُ الرَّقَبَةِ إِلَى حَلْفٍ وَفِي تَشْبِيعِ
 الْأَعْصَابِ . وَمَعَ هَذَا فَأَنَا الْمُنَوَّهُ بِأَسْمِي فِي الْقُرْآنِ . حَيْثُ يُقَالُ : قَرَّوْخُ
 وَرِيْحَانٌ . وَحَسْبُكَ مَنِي فِي التَّشْبِيهِ . قَوْلُ مَنْ قَالَ عَلَى الْبَدِيهِ :

أَمَا تَرَى الرِّيْحَانَ أَهْدَى لَنَا حَمَاجًا مِنْهُ فَأَحْيَانَا
 كَأَنَّهُ فِي ظِلِّهِ وَالنَّدَى زُرْدٌ يَحْمِلُ مَرْجَانًا

فَعَطَفَ عَلَيْهِ الْأَسُّ . وَقَالَ : يَا رِيحَانُ أَتُرِيدُ أَنْ تَسُودَ . وَأَنْتَ تَشْبَهُ
بِهَامَاتِ الْعَيْدِ السُّودِ . أَلَمْ يُغْنِكَ عَنْ مَقْصُورِي . قَوْلُ الشَّهَابِ
الْمَنْصُورِيِّ :

وَرِيحَانُ تَمِيسُ بِهِ غُصُونُ يَطِيبُ بِشَمِّهِ لَمْ الْكُورِوسِ
كَسُودَانَ لَيْسَنُ ثِيَابَ خَزْ . وَقَدْ قَامُوا مَكَاشِيفَ الرَّؤُوسِ
١١٠ قَالَ الرَّأْوِيُّ : فَلَمَّا أَبْدَى كُلُّ مَا لَدَيْهِ . وَقَالَ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ .
اتَّفَقَ رَأْيُ النَّاطِرِينَ . وَأَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ الْحَاضِرِينَ . عَلَى أَنْ
يَجْعَلُوا بَيْنَهُمْ حُكْمًا عَادِلًا . يَكُونُ لِقَطْعِ النِّزَاعِ بَيْنَهُمْ فَاصِلًا . فَصَدُّوا
رَجُلًا عَادِلًا بِالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ . حَافِظًا لِلآثَارِ الْمَوْقُوفِ بِهَا وَالرَّفُوعِ .
عَارِفًا بِالْأَنْسَابِ . مُمَيِّزًا بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ . وَالْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ .
مَدِيدَ الْبِتَاعِ . بَسِيطَ الْيَدَيْنِ فِي مَعْرِفَةِ الْحِلَافِ وَالْإِجْمَاعِ . خَيْرًا
بِمَبَاحِثِ الْجَدَلِ . وَاسْتِخْرَاجِ مَسَالِكِ الْعِلَلِ . مُتَجَرِّفًا فِي عُلُومِ اللُّغَةِ
وَالْإِعْرَابِ . مُطَّلِعًا بِعُلُومِ الْبَلَاغَةِ وَالْحِطَابِ . مُحِيطًا بِفُنُونِ الْبَدِيعِ .
حَافِظًا لِلشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَبْعَى مِنْ زَهْرِ الرَّبِيعِ . شَدِيدَ
الرَّمِيَّةِ . سَدِيدَ الْإِصَابَةِ . الشَّعْرَ وَالنَّظْمَ صَوَّغَ بَيَانِهِ . وَالنَّثْرَ وَالْإِنْشَاءَ
طَوَّعَ بِنَانِهِ . وَالتَّارِيخَ الَّذِي هُوَ فَضِيلَةٌ غَيْرُهُ فَضْلَةٌ دِيْوَانِهِ . فَلَمَّا مَثَلُوا
بَيْنَ يَدَيْهِ . وَوَقَعَتْ أَعْيُنُهُمْ عَلَيْهِ . قَالُوا : يَا فَرِيدَ الْأَرْضِ . يَا عَالِمَ
الْبَسِيطَةِ مَا بَيْنَ طُولِهَا وَالْعَرْضِ . إِنَّا أَخْصَامُ بَنِي بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ .
فَانظُرْ فِي حَالِنَا لِنَكُونَ لَكَ ذَخِيرَةً يَوْمَ الْعَرْضِ . وَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ .

وَأَقْضِ لِي يَا بَلْمَلِكِ أَحَقُّ . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَزْهَارُ إِنِّي لَسْتُ كَأَلَّذِي
تَحَاكَمُ إِلَيْهِ الْعَنْبُ وَالرُّطْبُ . وَلَا الَّذِي تَقَاضَى إِلَيْهِ النَّشِيشُ وَالْتَوْتُ
وَلَا اللَّيْنُ وَالْعَنْبُ . إِنِّي لَا أَقْبَلُ الرُّشَا . وَلَا أَطْوِي عَلَى النَّلِّ الْحِشَا
وَلَا أَمِيلُ مَعَ صَاحِبِ رُشْوَةٍ . وَلَا أَسْتَحِلُّ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ حُسْوَةً .
إِنَّمَا أَحْكُمُ بِمَا ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ . وَلَا أَسْأَلُ إِلَّا طَرِيقًا مُوَصِّلًا لِلجَنَّةِ .
فَقَضُوا عَلَى الْخَبَرِ . لِأَعْرِفَ مَنْ فَجَرَ مِنْكُمْ وَرَّ . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ كُلُّ
قَوْلِهِ . وَأَبْدَى هَيْبَتَهُ وَهَوْلَهُ . قَالَ : لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ عِنْدِي مُسْتَحَقًّا
لِلْمَلِكِ . وَلَا صَاحِبًا لِلإِنْحِرَاطِ فِي هَذَا السَّلَكِ . وَلَكِنَّ الْمَلِكَ الْأَكْبَرَ . وَالسَّيِّدَ
الْأَمِيرَ . وَصَاحِبَ الْمَنِيرِ ذُو النَّسْرِ الْأَعْظَمِ . وَالْقَدِيرَ الْأَخْطَرَ . السَّيِّدَ
الْأَيْدِ الصَّالِحِ الْجَيِّدِ هُوَ الْقَاعِيَّةُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ سَيِّدَ
الرِّيَاحِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْقَاعِيَّةُ اشْتَمَلَ عَلَى مَا فِي الرِّيَاحِينَ مِنْ
الْحُسْنَى وَحَكِيمَ لَهُ بِالسِّيَادَةِ . وَشَهِدَ لَهُ بِهَا وَنَاهَيْكَ بِالشَّهَادَةِ

(قَالَ) فَلَمَّا سَمِعَتِ الرِّيَاحِينَ الْأَحَادِيثَ فِي فَضْلِ الْقَاعِيَّةِ أَطْرَقُوا
رُؤُوسَهُمْ خَاشِعِينَ . وَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَدَخَلُوا تَحْتَ أَمْرِهِ
سَامِعِينَ طَائِعِينَ . وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ لَهَا مُبَايِعِينَ بِالْإِمْرَةِ وَمُتَابِعِينَ .
وَقَالُوا : لَقَدْ كُنَّا قَبْلُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . وَإِنَّا إِذَا لَمِنَ
الْأَثِمِينَ . وَقَضَى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

مناظرة بين فصول العام

١١١ حَضَرَ فُصُولُ الْعَامِ مَجْلِسَ الْأَدَبِ . فِي يَوْمٍ بَلَغَ مِنْهُ الْأَدِيبُ

نَهَايَةَ الْأَرْبِ . يَشْهَدُ مِنْ ذَوِي الْبَلَاغَةِ . وَمَتَقِنِي صِنَاعَةَ الصِّيَاغَةِ .
فَقَامَ كُلُّ مِنْهُمْ يُرِيبُ عَنْ نَفْسِهِ . وَيَقْتَحِرُ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ
(فَقَالَ الرَّبِيعُ) :

أَنَا شَابُّ الزَّمَانِ . وَرَوْحُ الْحَيَوَانِ . وَإِنْسَانُ عَيْنِ الْإِنْسَانِ .
أَنَا حَيَاةُ النَّفْسِ . وَزِينَةُ عُرُوسِ الْفُرُوسِ . وَزَهْرَةُ الْأَبْصَارِ . وَمَنْطِقُ
الْأَطْيَارِ . عَرَفُ أَوْقَاتِي نَائِمٌ . وَأَيَّامِي أَعْيَادٌ وَمَوَاسِمٌ . فِيهَا يَظْهَرُ
النَّبَاتُ . وَتُنْشَرُ الْأَمْوَاتُ . وَتُرْدُ الْوَدَائِعُ . وَتَحْرُكُ الطَّبَائِعُ . وَيَمْرَحُ
جَنِيبُ الْجَنُوبِ . وَيَنْزَحُ وَجِيبُ الثَّلُوبِ . وَتَفِيضُ عُيُونُ الْأَنْهَارِ .
وَيَعْتَدِلُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . كَمْ لِي عَمْدٌ مَنْظُومٌ . وَطِرَازٌ وَشِيٌّ مَرْقُومٌ . وَحَلَّةٌ
فَآخِرَةٌ . وَحَلِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ . وَتَجْمٌ سَعْدٌ يُدِينِي رَاعِيَهُ مِنَ الْأَمَلِ . وَتَمَسُّ
حُسْنَ تَنْشُدُ : يَا بَعْدَ مَا بَيْنَ بُرْجِ الْجَدِيِّ وَالْحَمَلِ . عَسَا كِرِي مَنصُورَةٌ .
وَأَسْلِحَتِي مَشْهُورَةٌ . فَمِنْ سَيْفِ غَضَنِ مَجُوهَرٍ . وَدِرْعِ بَنْفَسِجٍ مُشْهَرٍ .
وَمِقْفَرِ شَقِيقِ أَحْمَرٍ . وَتُرْسِ بَهَارِ بِيهَرٍ . وَسَهْمِ اسِيٍّ يَشُقُّ فَيَأْتِشُقُ . وَرُوحِ
سُوسَنِ سِنَانُهُ أَزْرَقُ . تَحْرُسُهَا آيَاتُ . وَتَكْنُفُهَا أَلْوِيَةُ . وَرَايَاتُ .
بِي تَحْمَرُ مِنَ الْوَرْدِ خُدُودُهُ . وَتَهْتَرُ مِنَ الْبَانِ قُدُودُهُ . وَيَخْضَرُ عِذَارُ
الرَّيْحَانِ . وَيَتَبَّهُ مِنَ التَّرْجِسِ طَرْفُهُ الْوَسْتَانُ . وَتَخْرُجُ الْحَيَايَا مِنَ
الزَّوَايَا . وَيَقْتَرُّنُ الْأَحْوَانَ قَائِلًا : أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائَا
إِنَّ هَذَا الرَّبِيعُ شَيْءٌ عَجِيبٌ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ
ذَهَبٌ حَيْثَمَا ذَهَبْنَا وَدُرٌّ حَيْثُ دُرْنَا وَفِضَّةٌ فِي الْقَفَا

(وَقَالَ الصَّيْفُ):

١١٢

أَنَا الْحِلُّ الْمُوَافِقُ . وَالصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالطَّيِّبُ الْحَادِقُ .
 أَجْتَهَدُ فِي مَصْلَحَةِ الْأَصْحَابِ . وَأَرْفَعُ عَنْهُمْ كَلْفَةَ حَمْلِ الثِّيَابِ . وَأُخَفِّفُ
 أَثْقَالَهُمْ . وَأُؤَفِّرُ أَمْوَالَهُمْ . وَأُكْفِيهِمُ الْمَوْتَةَ . وَأُجْزِلُ لَهُمُ الْمُعْوَنَةَ .
 وَأُغْنِيهِمْ عَنِ شِرَاءِ الْفِرَاءِ . وَأُحَقِّقُ عَنْدَهُمْ أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ
 الْفِرَاءِ . نَصْرَتْ بِالصَّبَا . وَأُوتَيْتُ الْحِكْمَةَ فِي زَمَنِ الصَّبَا . بِي تَنْضِجُ
 الْجَادَّةُ . وَتَنْضِجُ مِنَ الْقَوَاكِهِ الْمَادَّةُ . وَيَزْهَوُ الْبَسْرُ وَالرُّطْبُ . وَيَنْصَلِحُ
 مِزَاجُ الْعَنْبِ . وَيَقْوَى قَلْبُ اللَّوْزِ . وَيَلِينُ عَطْفُ التِّينِ وَالْمَوْزِ . وَيَنْعَقِدُ
 حَبُّ الرَّمَانِ . فَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءَ وَيُسَكِّنُ الْخُفْقَانَ . وَتُخَضَّبُ وَجَنَاتُ
 التُّفَّاحِ . وَيَذْهَبُ عَرْفُ السَّفَرِجَلِ مَعَ هُبُوبِ الرِّيَّاحِ . وَتَسْوَدُّ عَيُونُ
 الرِّبِّيِّ . وَتُحَلِّقُ تَيْجَانُ النَّارِجِ وَاللِّيمُونِ . مَوَاعِدِي مَنقُودَةٌ .
 وَمَوَائِدِي مَمْدُودَةٌ . الْحَيْرُ مُوجُودٌ فِي مَقَامِي . وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ فِي
 أَيَّامِي . الْفَقِيرُ يَنْصَاعُ بِمِلَّةِ مَدَّةِ وَصَاعِهِ . وَالغَنِيُّ يَدْتَعُ فِي مَلِكِهِ
 وَأَقْطَاعِهِ . وَالْوَحْشُ تَأْتِي زَرَاقَاتٍ وَوَحْدَانًا . وَالطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا
 وَتَرُوحُ بَطَانًا . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ :

مَصِيفٌ لَهُ ظِلٌّ مَدِيدٌ عَلَى الْوَرَى وَمَنْ حَلَا طَعْمًا وَحَلَّ أَخْلَاطًا
 يُعَالِجُ أَنْوَاعَ الْقَوَاكِهِ مُبْدِيًا لِصِحَّتِهَا حِفْظًا يُعْجِزُ بَشْرَاطًا
 (وَقَالَ الْخُرَيْفُ):

١١٣

أَنَا سَائِقُ الْعُيُومِ . وَكَلِيرُ جَيْشِ الْعُمُومِ . وَهَازِمُ أَخْرَابِ

السُّمُومِ . وَحَادِي نَجَابِ السَّحَابِ . وَحَاسِرُ نِقَابِ الْمُنَاقِبِ . أَنَا أَصْدُ
 الصَّدَى . وَأَجُودُ بِاللَّيْذَى . وَأُظْهِرُ كُلَّ مَعْنَى جَلِي . وَأَتَسْمُو بِالْوَسْمِيِّ
 وَالْوَلِيِّ . فِي آيَمِي تُقَطَّفُ الثَّمَارُ . وَتَصْفُو الْأَنْهَارُ مِنْ الْأَكْثَادِ .
 وَيَتَرَفَّقُ دَمْعُ الْعُيُونِ . وَيَتَوَّنُ وَرَقُ الْعُصُونِ . طَوْرًا يُحَاكِي الْبَقَمَ .
 وَتَارَةً يُشْبِهُ الْأَرْقَمَ . وَحِينًا يَبْدُو فِي حُلَّتِهِ الذَّهْيَةَ . فَيَجْذِبُ إِلَى
 حُلَّتِهِ الْقُلُوبَ الْأَيَّةَ . وَفِيهَا يَكْفَى النَّاسُ هَمَّ الْهُوَامِ . وَيَتَسَاوَى فِي
 لَذَّةِ الْمَاءِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ . وَتَقْدَمُ الْأَطْيَارُ مُطْرَبَةً بِشَيْشِهَا . رَافِلَةً فِي
 الْمَلَائِسِ الْمُجَدَّدَةِ فِي رَيْشِهَا . وَتُعْصِرُ بِنْتُ الْعَنْقُودِ . وَتَوْتِقُ فِي سِجْنِ
 الدَّنِّ بِالْقُبُودِ . عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَجْتَرِحْ إِثْمًا . وَلَمْ تُعَاقِبْ إِلَّا عُدْوَانًا وَظُلْمًا . بِي
 تَطِيبِ الْأَوْقَاتِ وَتُحْصِلُ اللَّذَاتِ . وَرَقُّ النَّسَمَاتِ . وَتَرْمِي حَصَى
 الْجَمْرَاتِ . وَتَسْكُنُ حَرَارَةَ الْقُلُوبِ . وَتَكْثُرُ أَنْوَاعُ الْمَطْعُومِ وَالْمَشْرُوبِ .
 كَمْ لِي مِنْ شَجَرَةٍ أَكَلَهَا دَائِمٌ . وَحَمَلَهَا لِلنَّفْعِ الْمُتَعَدِّي لِأَزْمٍ . وَوَرَقَهَا
 غَيْرُ زَائِلٍ . وَقُدُودُ أَعْصَانِهَا تُنْجِلُ كُلَّ رُوحٍ ذَائِلٍ . وَلاِبْنِ حَيْبٍ :
 إِنَّ فَضْلَ الْخَرِيفِ وَفِي الْإِنَا يَتَهَادَى فِي حَلِيهِ كَالْعُرُوسِ
 غَيْرُهُ كَانَ لِلْعُيُونِ رَيْعًا وَهُوَ مَا بَيْنَتَا رَيْعِ النَّفُوسِ
 (وَقَالَ الشَّتَاءُ) :

أَنَا شَيْخُ الْجَمَاعَةِ . وَرَبُّ الْبِضَاعَةِ . وَالْمُقَابِلُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ .
 أَجْمَعُ شَمْلَ الْأَصْحَابِ . وَأَسْبِلُ عَلَيْهِمُ الْحِجَابَ . وَأَتَحْفَهُمُ بِالطَّعَامِ
 وَالشَّرَابِ . وَمَنْ لَيْسَ لَهُ بِي طَاقَةٌ أُغْلِقُ مِنْ دُونِهِ الْبَابَ . أَمِيلُ إِلَى

الْمُطْمَعِ . الْقَادِرِ الْمُسْتَطِيعِ . الْمُتَعَصِّدِ بِالْبُرُودِ وَالْقَرَاءِ . الْمُسْتَمْسِكِ مِنْ
 الدُّنَا بِأَوْقِ الْعُرَى . الْمُرْتَبِّ قُدُومِي وَمُؤَافِي . الْمُتَأَمِّبِ لِلْسَّبْعَةِ
 الْمَشْهُورَةِ مِنْ كَافَاتِي . وَمَنْ يَعِشُ عَنْ ذِكْرِي . وَلَمْ يَمِثِلْ أَمْرِي .
 أَرْجَفْتُهُ بِصَوْتِ الرَّعْدِ . وَأَنْجَزْتُ لَهُ مِنْ سَيْفِ الْبَرْقِ صَادِقَ الْوَعْدِ .
 وَسِرْتُ إِلَيْهِ بِسَاكِرِ السَّحَابِ . وَلَمْ أَقْعُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ . مَعْرُوفِي
 مَعْرُوفٌ . وَنَيْلُ نَيْلِي مَوْصُوفٌ . وَنَمَارُ إِحْسَانِي دَانِيَةُ الْطُوفِ . كَمْ
 لِي مِنْ وَابِلٍ طَوِيلٍ الْمُدَى وَجَوْدٍ وَافِرٍ الْجَدَا . وَقَطِرٌ حَلَا مَذَاقُهُ . وَغَيْثٌ
 قَيْدُ الْعَفَاةِ إِطْلَاقُهُ . وَدَيْمَةٌ تُطْرَبُ السَّمْعَ بِصَوْتِهَا . وَحَيَا يُحْيِي الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا . أَيَّامِي وَجِيزَةٌ . وَأَوْقَاتِي عَزِيزَةٌ . وَمَجَالِسِي مَعْمُورَةٌ . بِذَوِي
 السِّيَادَةِ مَعْمُورَةٌ . بِالْخَيْرِ وَالْمَيْرِ وَالسَّعَادَةِ . نَقْلَهَا بَأْتِي مِنْ أَنْوَاعِهِ
 بِالْعَجَبِ . وَمَنَاقِلَهَا تَسْمَعُ بِذَهَبِ اللَّهَبِ . وَرَاحِمَهَا تُعِشُ الْأَرْوَاحَ .
 وَتَقِينُ الْعُقُولَ الصَّحَاحَ . إِنْ رُدَّتْهَا وَجَدْتَ مَا لَا مَمْدُودًا . وَإِنْ زُرْتَهَا
 شَاهَدْتَ لَهَا بَيْنَ شُهُودًا :

وَإِذَا رَمَيْتَ بِفَضْلِ كَأْسِكَ فِي الْهَوَا عَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْعَيْقِ عُقُودًا
 يَا صَاحِبَ الْعُودِينَ لَا تَهْمَلُهُمَا حَرِّكَ لَنَا عُودًا وَحَرِّقْ عُودًا
 فَلَمَّا نَظَّمْ كُلُّ مِنْهُمْ سِنِّكَ مَقَالِهِ . وَفَرَّغَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى شَرْحِ
 حَالِهِ . أَخَذَ الْجَمَاعَةَ مِنَ الطَّرْبِ مَا يَأْخُذُ أَهْلَ الشُّكْرِ . وَتَجَادَبُوا
 أَطْرَافَ مَطَارِفِ النُّثَاءِ وَالشُّكْرِ . وَظَهَرَتْ أَسْرَارُ السُّرُورِ . وَأَنْشَرَحَتْ
 صُدُورُ الصُّدُورِ . وَهَبَّتْ لَسْمَاتُ قُبُولِ الْإِقْبَالِ . وَأَنْشَدَ لِسَانَ الْحَالِ :

وَمَاذَا يَعْيبُ الْمَرْءُ فِي مَدْحِ نَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ بِكَذُوبٍ
 ثُمَّ أَنْفَضَ الْمَجْلِسُ وَحُلَّ النِّطَاقُ . وَتَفَرَّقَ سَمَلُ أَهْلِهِ وَآخِرُ الصُّخْبَةِ
 الْفِرَاقُ (نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي)
 البحر والبر

١١٥ قَدْ تَفَاوَضَ لِسَانُ حَالِ الْبَحْرِ وَلسَانُ حَالِ الْبَرِّ . وَهَمَا فِي
 مُخَاوَرَةٍ بَيْنَ عِيدِ الْفِطْرِ وَعِيدِ النَّحْرِ . يَعْتَابُ فِي السِّرِّ مُنْزِعَهُ عَنِ الشَّرِّ .
 (فَقَالَ الْبَرُّ) : يَا صَاحِبَ الدَّرِّ وَمَعْدِنَ الدَّرِّ أَغْرَقْتَ رِيَاضِي . وَمَزَقْتَ
 جُسُورِي وَأَحْوَاضِي . وَأَغْرَقْتَ جُنْتِي وَدَخَلْتَ جَنْتِي . وَتَلَاطَمْتَ
 أَمْوَاجَكَ عَلَى جُنْتِي . وَأَكَلْتَ خَزَائِرِي وَجَرُونِي . وَأَهْلَكْتَ مَرَعِي
 فَصِيلِي وَخَرُونِي . وَأَهْزَلْتَ ثُورِي وَحَمَلِي . وَفَرَسِي وَجَمَلِي . وَأَجْرَيْتَ
 سُنْفَكَ عَلَى أَرْضٍ لَمْ تَجْرِ عَلَيْهَا . وَلَمْ تُمِرَّ طَرْفَ غُرَابِهَا إِلَيْهَا . وَغَرَسْتَ
 أَوْتَادَهَا عَلَى أَوْتَادِ الْأَرْضِ . وَغَرَسْتَ فِي مَوَاطِنِ الْفُلِّ وَالْقَرَضِ .
 وَجَعَلْتَ مَجْرَى مَرَاكِبِكَ فِي مَجْرَى مَرَاكِبِي . وَمَشَى حُوتُكَ عَلَى بَطْنِهِ
 فِي سَعْدِ أَخِيَّةِ مَضَارِبِي . وَغَاصَ مَلَأْحُكَ فِي دِيَارِ فَرَجِي . وَهَاجَرْتَ
 مِنَ الْقَرَى إِلَى أُمِّ الْقَرَى . وَحَمَلْتَ فَلَاحِي أَثْقَالَهُ عَلَى الْقَرَى . وَقَدْ
 تَلَقَّيْتِكَ مِنَ الْجَنَادِلِ بِصَدْرِي . وَحَمَلْتِكَ إِلَى بَرْزَخِكَ عَلَى ظَهْرِي .
 وَقَبَلْتَ أَمْوَاجَكَ بِشَغْرِي . وَخَلَقْتَ مِثْقَالِي فَرَحًا بِقُدُومِكَ إِلَى مِصْرِي .
 وَقَدَّجَرْتَ وَعَدَلْتَ . وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ . وَأَخْرَبْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنِكَ .
 وَأَخْتَرْتَ رَجِيلَكَ وَبَيْنَكَ . فَلَمَلَّكَ تَغْيِضُ . وَلَا يَكُونُ ذَهَابُكَ عَلَيَّ

ذَهَابَ بَيْضٍ . أَوْ تَفَارِقَ هَذِهِ الْفَحَّاجِ . وَتَخْتَلِطَ بِالْبَحْرِ الْعَجَّاجِ . وَإِنْ
لَمْ تَفْعَلْ شَكُونَاكَ إِلَى مَنْ أُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ . وَأَنْعَمَ بِكَ عَلَيْنَا مِنْ
خَزَائِنِ الْمَاءِ :

إِذَا لَمْ تَكُنْ تَرْحَمُ بِلَادًا وَلَمْ تَعْتِ عِبَادًا فَمَوْلَاهُمْ يُعِيثُ وَيَرْحَمُ
وَإِنْ صَدَرَتْ مِنْهُمْ ذُنُوبٌ عَظِيمَةٌ فَعَفْوُ الَّذِي أَجْرَاكَ يَا بَحْرُ أَعْظَمُ
تَمُدُّ إِلَيْهِ أَيْدِيًا لَمْ تُمَدِّهَا إِلَى غَيْرِهِ وَاللَّهُ بِالْحَالِ أَعْلَمُ
(قَالَ الْبَحْرُ) : يَا بَرُّ يَا ذَا الْبِرِّ . وَمُنْتِ الْبِرِّ . هَكَذَا تَخَاطَبُ صَفِيكَ .
وَهُوَ يُخَصِّبُ شِئَاءَكَ وَصَفِيكَ . وَقَدْ سَاقَنِي اللَّهُ إِلَى أَرْضِكَ الْجَرِزِ .
وَمَعْدِنِ الدَّرِّ وَالْحَرِزِ . لِأَبْتَعِجَ زَرْعَهَا وَأَخِيَلَهَا . وَأُخْرِجَ أَبْهًا وَنَحِيلَهَا . وَأُكْرِمَ
مَشْوَى سَاكِنِكَ . وَأُنزِلَ الْبَرَكَةَ فِي أَمَاكِنِكَ . وَأَثِمْتَ لَكَ فِي قَلْبِ
أَهْلِكَ أَحْكَامَ الْحَيَّةِ . وَأَثِمْتَ بِكَ لَهُمْ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ .
وَأَحْيَيْكَ حَيَاةَ طَبَّةٍ يَبْتَهِجُ بِهَا عَمْرُكَ الْجَدِيدُ . وَيَتَلَوُ كَذَلِكَ يُنْجِي
اللَّهُ الْمَوْتَى السَّنَةَ الْعَبِيدِ . وَأَطْهَرَكَ مِنَ الْأَوْسَاحِ . وَأَجْمَلَ إِلَيْكَ
الْإِبْلِيزَ فَأَطْبَبَكَ بِهِ مِنْ عَرَقِ السَّبَاحِ . وَأَنَا هَدِيَّةُ اللَّهِ إِلَى مِصْرِكَ .
وَمَلِكِ عَصْرِكَ الْقَائِمِ بِنِصْرِكَ . وَكَذَلِكَ أَتَمِّي مَالَ السُّلْطَانِ . وَلَوْلَا
بَرَكَاتِي عَلَيْكَ وَمَسِيرِي فِي كُلِّ مَسْرَى إِلَيْكَ لَكُنْتَ وَادِيًا غَيْرَ
ذِي زَرْعٍ . وَصَادِيًا غَيْرَ ذِي ضَرْعٍ . هَذَا وَلَمْ أَتَحْرَكْ إِلَيْكَ إِلَّا
بِإِذْنِ أَسْمَعِهِ بِإِذْنِ . وَأَخْرَجُ لِأَجْلِكَ مِنْ جَنَاتِ عَدْنٍ . وَأَدْخُلُ بَعْدَ
إِحْيَاكَ فِي الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ . وَقِيلَ إِنَّهُ جَهَنَّمُ . وَتَهْتَرُ طَرَبًا إِذَا رَحَلَتْ

عَنْكَ بِأَمْرٍ مِنْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَتَبَسَّمُ فَلَا أَقْلَ مِنْ أَنْ تُرَوِّدَنِي بِشُكْرِ .
 فِي صُحُوفِ سُكْرِ . فَإِلَى اللَّهِ الْبَرِّ . أَحَاكَمَكَ أَيُّهَا الْبَرِّ . وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُسَخِّرَكَ
 وَيُسَخِّرَنِي لِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْبَرِّ . فَإِنَّا وَأَنْتَ إِلَى خَيْرِهِ فَقِيرَانِ .
 وَتُرَابِكَ وَمَانِي لِأَهْلِ عِبَادِهِ طَهُورَانِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ فَأَقُولُ لَكَ
 يَا مُبَارَكَ الْمَسَالِكِ . وَكِنَانَةَ اللَّهِ الْمُحْرُوسَةَ بِالْمَلَأَيْنِكَ :

سَرَيْتُ أَنَا مَاءَ الْحَيَاةِ فَلَا أَدَى إِذَا عِشْتُ لِلْأَصْحَابِ قَالِمَالُ هَيْنُ
 فَكُنْ خَضِرًا يَا بَرُّ وَعَلِّمْ بَأْتِي إِلَى طِينِكَ الظَّمَانِ بِأَرِي أَحْسِنُ
 وَأَسْعَى إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِ بَعِيدَةٍ وَأَحْسِنُ أَجْرِي بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ
 إِذَا طَافَ طَوْفَانِي بِمِثْيَاسِكَ الَّذِي يُسِرُّ بِأَيَّانِ الْوَفَاءِ وَيُعْلِنُ
 قَسْمَ وَتَلْقَاهُ يَبْسُطُكَ الَّتِي لِرَوْضَتِهَا فَضْلٌ عَلَى الرُّوضِ بَيْنُ
 وَالعَمْرِي لَقَدْ تَلَطَّفَ الْبَرُّ فِي عِتَابِهِ وَأَحْسَنَ . وَدَفَعَ الْبَجْرُ فِي
 جَوَابِهِ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ . وَقَدْ أَضْطَلَحْنَا عَلَى مَصَالِحِنَا بَيْنَ الْعِيدَيْنِ .
 وَصَادَرَا بِفَضْلِ اللَّهِ لَنَا كَالْعَبْدَيْنِ . وَهِيَ بِحَمْدِ اللَّهِ خِوَانَانِ لِعِبَادِهِ . أَوْ
 أَخْوَانِ مُتَطَافِرَانِ عَلَى عِمَارَةِ بِلَادِهِ . فَاللَّهُ تَعَالَى يُخْصِبُ مَرْعَاهَا .
 وَيَخْرُسُهُمَا وَيَرْعَاهَا . وَيُنْبِتُهُمَا بِالْجِبَالِ الشَّوَاهِقِ . وَيُقِرُّهُمَا جُفُونَ
 الْأَحْدَاقِ وَعُيُونَ الْحَدَائِقِ (الكثر المدفون للسيوطي)

وفرد العرب على كسرى

١١٦ رَوَى ابْنُ الْقَطَّائِيِّ عَنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ : قَدِمَ النُّعْمَانُ بْنُ
 الْمُنْذِرِ عَلَى كِسْرَى وَعِنْدَهُ وَفُودُ الرُّومِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ . فَذَكَرُوا مِنْ

مُلُوكِهِمْ وَبِلَادِهِمْ . فَأَفْتَحَرَ النُّعْمَانُ بِالْعَرَبِ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ لَا
 يَسْتَنْبِي فَارِسَ وَلَا غَيْرَهَا . فَقَالَ كَسْرَى وَأَخَذَتْهُ عِزَّةُ الْمَلِكِ : يَا نُعْمَانُ لَقَدْ
 فَكَّرْتُ فِي أَمْرِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ . وَنَظَرْتُ فِي حَالِ مَنْ يَقْدُمُ
 عَلَيَّ مِنْ وُفُودِ الْأُمَمِ . فَوَجَدْتُ الرُّومَ لَهَا حِطًّا فِي اجْتِمَاعِ أَلْفَتِهَا وَعَظَمِ
 سُلْطَانِهَا . وَكَثْرَةِ مَدَائِنِهَا وَوَيْسِقِ بُيَانِهَا . وَأَنَّ لَهَا دِينًا يُبَيِّنُ حَالَهَا
 وَحَرَامَاتِهَا . وَيُرَدُّ سَفِيهَهَا وَيُقِيمُ جَاهِلَهَا . وَرَأَيْتُ الْهِنْدَ تَحْوَا مِنْ ذَلِكَ فِي
 حِكْمَتِهَا وَطِبَّتِهَا مَعَ كَثْرَةِ أَنْهَارِ بِلَادِهَا وَتِمَارِهَا . وَغَيْبِ صِنَاعَاتِهَا وَطِبِّ
 أَشْجَارِهَا . وَدَقِيقِ حِسَابِهَا وَكَثْرَةِ عُدَدِهَا . وَكَذَلِكَ الصِّينَ فِي اجْتِمَاعِهَا
 وَكَثْرَةِ صِنَاعَاتِ أَيْدِيهَا وَفُرُوسِيَّتِهَا وَهَمَّتِهَا فِي آلَةِ الْحَرْبِ وَصِنَاعَةِ
 الْحَدِيدِ . وَأَنَّ لَهَا مَلِكًا يَجْمَعُهَا . وَالتَّرِكَ وَالْحَزْرَةَ عَلَى مَا بِهِمْ مِنْ سُوءِ
 الْحَالِ فِي الْمَعَاشِ وَقِلَّةِ الرِّيفِ وَالثَّمَارِ وَالْحُصُونِ وَمَاهُو رَأْسُ عِمَارَةِ
 الدُّنْيَا مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمَلَائِسِ لَهُمْ مُلُوكٌ تَضُمُّ قَوَاصِيَهُمْ وَتُدِيرُ أَمْرَهُمْ .
 وَلَمْ أَرَ لِلْعَرَبِ شَيْئًا مِنْ خِصَالِ الْحَيْرِ فِي أَمْرِ دِينٍ وَلَا دُنْيَا وَلَا حَزْمٍ
 وَلَا قُوَّةٍ . وَمَعَ أَنَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَهَاتِبِهَا وَذُلِّهَا وَصَغْرِ هَمَّتِهَا مَحَلَّتَهُمُ الَّتِي هُمْ
 بِهَا مَعَ الْوُحُوشِ النَّافِرَةِ وَالطَّيْرِ الْحَازِرَةِ . يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ .
 وَيَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْحَاجَةِ . قَدْ خَرَجُوا مِنْ مَطَاعِمِ الدُّنْيَا
 وَمَلَائِسِهَا وَمَشَارِبِهَا وَلَهْوِهَا وَلَذَائِهَا . فَأَفْضَلُ طَعَامٍ ظَفَرَ بِهِ نَاعِمُهُمْ لِحُومِ
 الْإِبِلِ الَّتِي يَعَافُهَا كَثِيرٌ مِنَ السَّبَاعِ لِثَقَلِهَا وَسُوءِ طَعْمِهَا وَخَوْفِ دَائِهَا .
 وَإِنْ قَرَى أَحَدُهُمْ ضَيْفًا عَدَهَا مَكْرَمَةً . وَإِنْ أَطْعِمَ أَكَلَهَا عَدَهَا غَنِيمَةً .

تَنْطِقُ بِذَلِكَ أَشْعَارُهُمْ وَتَفْتَخِرُ بِذَلِكَ رِجَالُهُمْ . مَا خَلَا هَذِهِ التَّنُوخِيَّةَ
الَّتِي أَسَسَ جَدِّي أَجْتَمَاعَهَا وَشَدَّ تَمَلَّكَتَهَا وَمَنْعَهَا مِنْ عَدُوِّهَا . فَجَرَى
لَهَا ذَلِكَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . وَإِنْ لَهَا مَعَ ذَلِكَ آثَارًا وَبُوسًا وَقُرَى وَحُصُونًا
وَأُمُورًا تُشْبِهُ بَعْضَ أُمُورِ النَّاسِ (بِعَنِي الْيَمِينِ) . ثُمَّ لَا أَرَأُكُمْ تَسْتَكِينُونَ
عَلَى مَا بَيْكُمْ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْقَلَّةِ وَالْفَاقَةِ وَالْبُوسِ حَتَّى تَفْتَخِرُوا وَتُرِيدُوا أَنْ
تَنْزِلُوا فَوْقَ مَرَاتِبِ النَّاسِ . قَالَ التُّعْمَانُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكُ . حَقٌّ لِأُمَّةٍ
الْمَلِكُ مِنْهَا أَنْ يُسْمَوْا فَضْلُهَا وَيَعْظَمَ خَطْبُهَا وَتَعْلُو دَرَجَتُهَا . إِلَّا أَنْ عِنْدِي
جَوَابًا فِي كُلِّ مَا نَطَقَ بِهِ الْمَلِكُ فِي غَيْرِ رَدِّ عَلَيْهِ وَلَا تَكْذِيبَ لَهُ . فَإِنْ
أَمَّنِي مِنْ غَضَبِهِ نَطَقْتُ بِهِ . قَالَ كَسْرَى : قُلْ فَأَنْتَ آمِنٌ . قَالَ التُّعْمَانُ :
أَمَّا أُمَّتُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ فَلَيْسَتْ تُنَازِعُ فِي الْفَضْلِ لِمَوْضِعِهَا الَّذِي هِيَ
بِهِ مِنْ عَقُولِهَا وَأَحْلَامِهَا وَبَسْطَةِ حُكْمِهَا وَبُجُوحَةِ عِزِّهَا . وَمَا أَكْرَمَهَا اللَّهُ بِهِ
مِنْ وِلَايَةِ آبَائِكَ وَوِلَايَتِكَ . وَأَمَّا الْأُمَمُ الَّتِي ذَكَرْتَ فَأَيُّ أُمَّةٍ
تَفْرِنُهَا بِالْعَرَبِ إِلَّا فَضْلَتُهَا . قَالَ كَسْرَى : بِمَاذَا . قَالَ التُّعْمَانُ : بِعِزِّهَا
وَمَنْعَتِهَا وَحُسْنِ وُجُوهِهَا وَبَابِهَا وَتَخَانِهَا وَحِكْمَةِ أَسْلِحَتِهَا وَشِدَّةِ عُقُولِهَا
وَأَنْفَتِهَا وَوَقَائِهَا . فَأَمَّا (عِزُّهَا وَمَنْعَتُهَا) فَإِنَّهَا لَمْ تَزَلْ مُجَاوِرَةً لِأَبَائِكَ الَّذِينَ
دَخُوا السِّلَادَ وَوَطَّدُوا الْمَلِكَ وَقَادُوا الْجُنْدَ . وَلَمْ يَطْمَعْ فِيهِمْ طَامِعٌ وَلَمْ
يَنْلَهُمْ نَائِلٌ . حُصُونُهُمْ ظُهُورُ خَيْلِهِمْ وَمِهَادُهُمُ الْأَرْضُ وَسُفُوفُهُمُ السَّمَاءُ .
وَجَنَّتُهُمُ السُّيُوفُ وَعَدَّتُهُمُ الصَّبْرُ . إِذْ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ إِنَّمَا عِزُّهَا الْحِجَارَةُ
وَالطَّيْنُ وَحِزَابُ الْجُبُورِ . وَأَمَّا (حُسْنُ وُجُوهِهَا وَأَلْوَانِهَا) فَقَدْ يُعْرَفُ فَضْلُهُمْ فِي

ذَلِكَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْهِنْدِ الْمُنْعَرَفَةِ وَالصِّينِ الْمُنْعَفَةِ وَالْتُرْكِ الْمَشْهُوَةِ.
 وَالرُّومِ الْمَقْشَرَةِ. وَأَمَّا (أَنْسَابُهَا وَأَحْسَابُهَا) فَلَيْسَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا
 وَقَدْ جَهَلَتْ آبَاءُهَا وَأُصُولُهَا وَكَثِيرٌ مِنْ أَوْلِيَّهَا وَآخِرِهَا. حَتَّى أَنْ أَحَدُهُمْ يُسْأَلُ
 عَنْ وَرَاءِ أَبِيهِ ذُنْيَا فَلَا يُنْسَبُ وَلَا يَعْرِفُهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا
 يُسَمِّي آبَاءَهُ أَبَا قَابَا. أَحَاطُوا بِذَلِكَ أَحْسَابُهُمْ. وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ.
 فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ. وَلَا يَنْسَبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ وَلَا يَدْعِي
 إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ. وَأَمَّا (سَخَاؤُهَا) فَإِنْ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ الْبَكْرَةُ
 أَوْ النَّابُ. عَلَيْهَا بَلَاغُهُ فِي حَمُولَتِهِ وَسِعِهِ وَرَبِيهِ. فَيَطْرُقُ الطَّارِقُ الَّذِي
 يَكْتَفِي بِالْفَلَذَةِ وَيَجْتَرِي بِالشَّرْبَةِ. فَيَعْرِفُهَا لَهُ وَيَرْضَى أَنْ يُخْرَجَ عَنْ
 ذُنْيَاهُ كُلِّهَا فِيمَا يُكْسِبُهُ حُسْنَ الْأَحْدُوْتِهِ وَطِيبَ الذِّكْرِ. وَأَمَّا (حِكْمَةُ
 السَّنِيْتِهِمْ) فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْتِقِ كَلَامِهِمْ وَحُسْنِهِ
 وَوَزْنِهِ وَقَوَافِيهِ مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْإِشَارَةِ وَضَرْبِهِمْ لِلْأَمْثَالِ وَإِبْلَاجِهِمْ فِي
 الصِّفَاتِ مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنْ السَّنَةِ الْأَجْنَسِ. ثُمَّ خَيْلُهُمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ
 وَنِسَاؤُهُمْ أَغْفُ النِّسَاءِ. وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ اللَّبَاسِ. وَمَعَادِنُهُمُ الذَّهَبُ
 وَالْفِضَّةُ. وَحِجَارَةُ جِبَالِهِمُ الْجَزْعُ. وَمَطَايَاهُمْ الَّتِي لَا يُبْلَغُ عَلَى مِثْلِهَا
 سَفْنٌ وَلَا يُقَطَّعُ بِمِثْلِهَا بَلْدٌ قَفْرٌ. وَأَمَّا (دِينُهَا وَشَرِيْعَتُهَا) فَإِنَّهُمْ مُتَمَسِّكُونَ
 بِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَسَبِهِ بِدِينِهِ أَنْ لَمْ أَشْهَرًا حَرْمًا وَبَلَدًا حَرْمًا
 وَبَيْتًا مَحْجُوجًا. يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنَاسِكَهُمْ وَيَذْبُجُونَ فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ. فَيَلْقَى
 الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اخْتِذِ نَارِهِ وَإِذْرَالِ رُغْمِهِ مِنْهُ

قَمِيحُهُ كَرْمُهُ وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى . وَأَمَّا (وَقَاوُهَا) فَإِنَّ أَحَدَهُمْ
 يَلْحَظُ اللَّحْظَةَ وَيُؤَمِّئُ الْإِيْمَاءَ فَهِيَ وَلَتْ وَعُقْدَةٌ لَا يَلْحَظُهَا إِلَّا خُرُوجُ نَفْسِهِ .
 وَإِنْ أَحَدُهُمْ لَيَرْفَعُ عُوْدًا مِنَ الْأَرْضِ فَيَكُونُ رَهْنًا بِيَدَيْهِ فَلَا يَتَلَقَّ رَهْنَهُ
 وَلَا تُخْفَرُ ذِمَّتُهُ . وَإِنْ أَحَدُهُمْ لَيَبْلُغُهُ أَنَّ رَجُلًا اسْتَجَارَ بِهِ وَعَسَى أَنْ
 يَكُونَ نَائِبًا عَنْ دَارِهِ فَيُصَابُ . فَلَا يَرْضَى حَتَّى يُفْنِيَ تِلْكَ الْقَسِيْلَةَ الَّتِي
 أَصَابَتْهُ أَوْ تَفْنِيَ قَبِيْلَتَهُ لِمَا أَخْفَرَ مِنْ جَوَارِيهِ . وَإِنَّهُ لَيَلْجَأُ إِلَيْهِمُ الْبَحْرِمُ
 الَّتِي تَحْدُثُ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا قَرَابَةٍ فَتَكُونُ أَنْفُسُهُمْ دُونَ نَفْسِهِ
 وَأَمْوَالُهُمْ دُونَ مَالِهِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ (يَبْدُونَ أَوْلَادَهُمْ) فَإِنَّمَا
 يَفْعَلُهُ بَعْضُ جَهْلَتِهِمْ بِالْإِنَاثِ أَنْفَةً مِنَ الْعَارِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ (إِنَّ
 أَفْضَلَ طَعَامِهِمْ لَحْمُ الْأَيْلِ عَلَى مَا وَصَفْتَ مِنْهَا) فَمَا تَرَكُوا مَا دُونَهَا إِلَّا
 اِحْتِقَارًا لَهُ . فَعَمِدُوا إِلَى أَجْلِهَا وَأَفْضَلُهَا فَكَانَتْ مَرَاكِبُهُمْ وَطَعَامُهُمْ .
 مَعَ أَنَّهَا أَكْثَرُ الْبِهَائِمِ سُخُومًا وَأَطْيَبُهَا لَحْمًا . وَأَرْقَاهَا الْبَنَاتُ وَأَقْلَاهَا عَائِلَةٌ .
 وَأَحْلَاهَا مُضْغَةٌ . وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ اللَّحْمَانِ يُعَالَجُ بِمَا يُعَالَجُ بِهِ لَحْمُهَا إِلَّا
 اسْتِدْبَانَ فَضْلَهَا عَلَيْهِ . وَأَمَّا (تَحَارِبُهُمْ وَأَكَلُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَتَرَكَهُمْ
 الْإِنْقِيَادَ لِرَجُلٍ يَسُوْسُهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ) . فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنَ
 الْأَمَمِ إِذَا آسَتْ مِنْ نَفْسِهَا ضَعْفًا وَتَخَوَّفَتْ نَهْوَسَ عَدُوَّهَا إِلَيْهَا
 بِالرَّحْفِ . وَإِنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَظِيْمَةِ أَهْلُ بَيْتٍ وَاحِدٍ يَعْرِفُ
 فَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ غَيْرِهِمْ فَيُلْقُونَ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ وَيَتَقَادُونَ لَهُمْ بِأَزْمَتِهِمْ .
 وَأَمَّا الْعَرَبُ فَإِنَّ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِيهِمْ حَتَّى لَقَدْ حَاوَلُوا أَنْ يَكُونُوا مُلُوكًا

أَجْمَعِينَ مَعَ أَهْتَهُمْ مِنْ أَدَاءِ الْحَرَاجِ وَالْعُسْرِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْقَسْرِ. أَمَا
 الْيَمِينُ الَّتِي وَصَفَهَا الْمَلِكُ فَلَمَّا أَتَى جَدَّ الْمَلِكِ الَّذِي أَنَاهُ عِنْدَ غَلْبَةِ الْجَيْشِ لَهُ
 عَلَى مَلِكِ مَثَسِقٍ وَأَمْرٍ مُجْتَمِعٍ فَأَنَاهُ مَسْلُوبًا طَرِيدًا مُسْتَصْرَحًا قَدْ تَقَاصَرَ
 عَنْ إِيوَابِهِ. وَصَغَرَ فِي عَيْنِهِ مَا شَيْدَ مِنْ بَنَانِهِ. وَلَوْلَا مَا وَتَرَ بِهِ مَنْ يَلِيهِ
 مِنَ الْعَرَبِ لَمَالَ إِلَى مَجَالٍ. وَلَوْ جَدَّ مِنْ يُجِيدُ الطَّعْمَانَ وَيَنْضَبُ لِلْأَحْرَارِ
 مِنْ غَلْبَةِ الْعَبِيدِ الْأَشْرَارِ. (قَالَ) فَحَبَّ كِسْرَى لِمَا أَجَابَهُ النُّعْمَانُ بِهِ
 وَقَالَ: إِنَّكَ لِأَهْلٍ لِمَوْضِعِكَ مِنَ الرَّئِيسَةِ فِي أَهْلِ إِقْلِيمِكَ وَلِمَا هُوَ
 أَفْضَلُ. ثُمَّ كَسَاهُ مِنْ كُنُوتِهِ وَسَرَّحَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الْحَيْرَةِ

فَلَمَّا قَدِمَ النُّعْمَانُ الْحَيْرَةَ وَفِي نَفْسِهِ مَا فِيهَا يَمَّا سَمِعَ مِنْ كِسْرَى مِنْ
 تَنْقُصِ الْعَرَبِ وَتَهْيِجِ أَمْرِهِمْ بَعَثَ إِلَى الْكُتْمِ بْنِ صَيْفِيٍّ وَحَاجِبِ بْنِ
 زُرَّارَةَ التَّمِيمِيِّينَ وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ وَقَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ الْبَكْرِيِّينَ
 وَإِلَى عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيِّ وَالْحَارِثِ بْنِ ظَالِمِ الْمُرِّيِّ. فَلَمَّا
 قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْحَوْرَةِ قَالَ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمْ هَذِهِ الْأَعَاجِمَ وَقُرْبَ
 جَوَارِ الْعَرَبِ مِنْهَا. وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ كِسْرَى مَقَالَاتٍ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ
 لَهَا عَوْرٌ. أَوْ يَكُونَ إِنَّمَا أَظْهَرَهَا لِأَمْرٍ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ بِهِ الْعَرَبَ حَوْلًا
 كَبْضِ طَهَاطِمَتِهِ فِي تَأْدِيتِهِمُ الْحَرَاجَ إِلَيْهِ كَمَا يَفْعَلُ بِمَلُوكِ الْأُمَمِ
 الَّذِينَ حَوْلَهُ. فَأَقْصَصَ عَلَيْهِمْ مَقَالَاتِ كِسْرَى وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ. فَقَالُوا:
 أَيُّهَا الْمَلِكُ وَفَقَّكَ اللَّهُ مَا أَحْسَنَ مَا رَدَدَتْ وَأَبْلَغَ مَا أَجِبتُ بِهِ. فَمَرَّنَا
 بِأَمْرِكَ وَأَدْعُنَا إِلَى مَا شِئْتَ. قَالَ: إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ وَإِنَّمَا مَلَكَتُ

وَعَزَزْتُ بِمَكَانِكُمْ وَمَا يُتَخَوَّفُ مِنْ نَاجِيَتِكُمْ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا
 سَدَّدَ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ وَأَصْلَحَ بِهِ شَأْنَكُمْ وَأَدَامَ بِهِ عِزَّتَكُمْ . وَالرَّأْيُ أَنْ
 تُسِيرُوا بِجَمَاعَتِكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ وَتَنْطَلِقُوا إِلَى كِسْرَى . فَإِذَا دَخَلْتُمْ نَطَقَ
 كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا حَضَرَهُ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْعَرَبَ عَلَى غَيْرِ مَا ظَنَّ أَوْ حَدَّثَتْهُ
 نَفْسُهُ . وَلَا يَنْطَقُ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِمَا يُغْضِبُهُ فَإِنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمُ السُّلْطَانِ
 كَثِيرُ الْأَعْوَانِ مُتَرَفٌ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ . وَلَا تُخْزِلُوا لَهُ الْخِزَالِ الْخَاضِعِ .
 الدَّلِيلُ . وَلَيْكُنْ أَمْرٌ بَيْنَ ذَلِكَ تَطَهَّرَ بِهِ وَثَاقَةُ حُلُومِكُمْ وَقَضَى
 مَنَزِلَتِكُمْ وَعَظِيمِ أَخْطَارِكُمْ . وَلَيْكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَبْدَأُ مِنْكُمْ بِالْكَلَامِ
 أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي لِسَنِي حَالِهِ ثُمَّ تَابِعُوا عَلَى الْأَمْرِ مِنْ مَنَازِلِكُمْ الَّتِي
 وَضَعْتُمْ بِهَا . فَإِنَّمَا دَعَايَ إِلَى التَّهْدِيمَةِ إِلَيْكُمْ عَلِمِي بِجَمِيلِ كُلِّ رَجُلٍ
 مِنْكُمْ عَلَى التَّقَدُّمِ قَبْلَ صَاحِبِهِ . فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَيُجِدُ فِي آدَابِكُمْ
 مَطْعَنًا . فَإِنَّهُ مَلِكٌ مُتَرَفٌ وَقَادِرٌ مُسَلِّطٌ . ثُمَّ دَعَا لَهُمْ بِمَا فِي خَزَائِنِهِ مِنْ
 طَرَائِفِ حُلَلِ الْمُلُوكِ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ حَلَّةٌ وَعَمَمَةٌ عِمَامَةٌ وَخَتْمَةٌ بِأَقْوَمَةٍ .
 وَأَمْرٌ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِنَجِيَّةٍ مَهْرِيَّةٍ وَفَرَسٍ نَجِيَّةٍ وَكُتُبٍ مَعَهُمْ
 كِتَابًا . أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَلِكَ أَلْقَى إِلَيَّ مِنْ أَمْرِ الْعَرَبِ مَا قَدْ عَلِمَ . وَأَجِبْتُهُ
 بِمَا قَدْ فَهِمَ . بِمَا أَحْيَيْتُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ . وَلَا يُتَلَعَّجُ فِي نَفْسِهِ أَنْ
 أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي أَحْتَجِزَتْ دُونَهُ بِمَمْلَكَتِهَا وَحَمَتِ مَا لِي بِهَا يَفْضَلُ
 قُوَّتُهَا تَبْلُغُهَا فِي شَيْءٍ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَعَزَّزُ بِهَا ذُووُ الْحَزْمِ وَالْقُوَّةِ
 وَالتَّنْدِيرِ وَالْمَكِيدَةِ . وَقَدْ أَوْقَدْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ رَهْطًا مِنَ الْعَرَبِ لَهُمْ

فَضْلٌ فِي أَحْسَابِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَعُمُومِهِمْ وَأَدَابِهِمْ. فَلْيَسْمَعِ الْمَلِكُ وَلْيَعْلَمْ مِنْ
عَنْ جَفَاءٍ إِنْ ظَهَرَ مِنْ مَنْطِقِهِمْ. وَلْيَكْرِمْ نِيَّيَا كَرَامِهِمْ وَتَجِيلِ سَرَاجِهِمْ.
وَقَدْ نَسَبْتُهُمْ فِي اسْقَلِ كِتَابِي هَذَا إِلَى عَشَارِهِمْ

فَخَرَجَ الْقَوْمُ فِي أَهْبَتِهِمْ حَتَّى وَقَعُوا بِبَابِ كِسْرَى بِالْمَدَائِنِ. فَدَفَعُوا
إِلَيْهِ الْكِتَابَ فَرَأَهُ وَأَمَرَ بِأَنْزَالِهِمْ إِلَى أَنْ يُجْلِسَ لَهُمْ مَجْلِسًا لِيَسْمَعَ مِنْهُمْ.
فَلَمَّا أَنْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ أَمَرَ مَرَارِيتَهُ وَوُجُوهَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ
فَحَضَرُوا وَجَلَسُوا عَلَى كُرْسِيِّ عَنِ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ. ثُمَّ دَعَا بِهِمْ عَلَى الْوَلَاءِ
وَالْمَرَاتِبِ الَّتِي وَصَفَهُمُ النُّعْمَانُ بِهَا فِي كِتَابِهِ. وَأَقَامَ التَّرْجَمَانُ لِيُودِي
إِلَيْهِ كَلَامَهُمْ فَأَقَامَ كُلُّ مِنْهُمْ خُطْبَةً أَخَذَتْ بِجَمَاعِ قَلْبِ الْمَلِكِ.... فَلَمَّا
أَتَتْهُمَا عَنِ الْكَلَامِ. قَالَ كِسْرَى: قَدْ فَهَمْتُ مَا نَطَقْتَ بِهِ
خُطْبَاؤَكُمْ وَتَفَنَّنَ فِيهِ مُتَكَلِّمُكُمْ. وَلَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْأَدَبَ لَمْ يُتَّفَقْ
أَوْدَكُمْ وَلَمْ يُحْكَمْ أَمْرُكُمْ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مَلِكٌ يَجْمَعُكُمْ فَتَنْطَفُونَ عِنْدَهُ
مَنْطِقَ الرَّعِيَّةِ الْخَاطِضَةِ الْبَاخِعَةِ فَتَنْطَقْتُمْ بِمَا اسْتَوْلَى عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ وَعَلَبَ
عَلَى طِبَاعِكُمْ. لَمْ أَجْزَلْ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا تَكَلَّمْتُمْ بِهِ وَإِنِّي لَا أَرَاهُ أَنْ أَجِبَهُ
وَفُودِي أَوْ أَحْنِقَ صُدُورَهُمْ. وَالَّذِي أَحْبَبُ هُوَ إِصْلَاحُ مَدِيرِكُمْ وَتَأْتِيفُ
شَوَادِكُمْ وَالْإِعْذَارُ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. وَقَدْ قِيلَتْ مَا كَانَ
فِي مَنْطِقِكُمْ مِنْ صَوَابٍ وَصَفَحَتْ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ خَللٍ. فَأَنْصَرِفُوا إِلَى
مَمْلَكَتِكُمْ فَأَحْسِنُوا مُوَازَرَتَهُ وَالْتَرُمُوا طَاعَتَهُ وَارْدَعُوا سَفَهَاءَكُمْ وَأَقْبُوا
أَوْدَهُمْ. وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ صِلَاحَ الْعَامَّةِ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّي)

الباب السادس
في الحكايات واللطائف

الاعرابي ومعن بن زائدة

١١٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ وَكَانَ لَهُ فِي الْكُرْمِ الْيَدُ
الْيَسَاءُ وَهُوَ مِنْ الْحِلْمِ عَلَى أَعْظَمِ جَانِبٍ . فَقَدِمَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ ذَاتَ
يَوْمٍ يَتَمَحَنُ حِلْمَهُ . فَلَمَّا وَقَفَ قَالَ :

أَتَذْكُرُ إِذْ لِحَافُكَ جِلْدُ شَاةٍ وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ
قَالَ مَعْنُ : أَذْكَرُ ذَلِكَ وَلَا أُنْسَاهُ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا وَعَلَّمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ
قَالَ مَعْنُ : سُبْحَانَهِ وَتَعَالَى . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

فَلَسْتُ مُسْلِمًا إِنْ عِشْتُ دَهْرًا عَلَى مَعْنِ بْنِ سَلِيمِ الْأَمِيرِ
قَالَ مَعْنُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ السَّلَامُ سَنَةٌ وَسَأْنُكَ فِي الْأَمِيرِ .
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

سَارِحِلْ عَنْ بِلَادِ أَنْتَ فِيهَا وَلَوْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى الْفَقِيرِ
قَالَ مَعْنُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنْ جَاوَرْتَنَا فَرِحْنَا بِكَ وَإِنْ رَحَلْتَ
فَمَضُوبٌ بِالسَّلَامَةِ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

فَجِدْ لِي يَا ابْنَ نَاقِصَةِ بَيْتِي ۚ فَإِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْمَسِيرِ

قَالَ مَعْنُ: أَعْطُوهُ أَلْفَ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى سَفَرِهِ. فَأَخَذَهَا وَقَالَ:
 قَلِيلٌ مَا أَتَيْتَ بِهِ وَإِنِّي لَأَطْعُمُ مِنْكَ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ
 قَالَ مَعْنُ: أَعْطُوهُ أَلْفًا آخَرَ. فَأَخَذَهَا وَقَالَ:

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُبْقِكَ ذُرًّا فَمَا لَكَ فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ نَظِيرٍ
 فَقَالَ مَعْنُ: أَعْطُوهُ أَلْفًا آخَرَ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 مَا جِئْتُ إِلَّا مُخْتَبِرًا حِلْمَكَ لِمَا بَلَغَنِي عَنْهُ. فَلَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِيكَ مِنَ الْحِلْمِ
 مَا لَوْ قَسَمَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَكَفَّاهُمْ. فَقَالَ مَعْنُ: يَا غُلَامُ كَمْ أَعْطَيْتَهُ
 عَلَى نَظْمِهِ قَالَ: ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ. فَقَالَ: أَعْطِهِ عَلَى نَثْرِهِ مِثْلَهَا.
 فَأَخَذَهَا وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ شَاكِرًا

الشاعر المتعصب للحجم

١١٨ (قَالَ بَدِيعُ الزَّمَانِ الْأَمْذَانِيُّ) كُنْتُ عِنْدَ الصَّاحِبِ كَافِي
 الْكُفَاةِ أَبِي الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَادٍ يَوْمًا وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَاعِرٌ مِنْ
 شُرَرَاءِ الْحَجْمِ. فَأَنَشَدَهُ قَصِيدَةً يُفْضِلُ فِيهَا قَوْمَهُ عَلَى الْعَرَبِ وَهِيَ:
 غَنِينَا بِالطُّبُولِ عَنِ الطُّلُولِ وَعَنْ عَنَسِ عُدَاوَةِ ذَمُولِ
 فَلَسْتُ بِتَارِكٍ إِيْوَانَ كِسْرَى لِتَوْضِيعِ أَوْ لِحَوْلِ قَالِدِخُولِ
 وَضَبِّ بِالْقَلَا سَاعٍ وَذُئْبٍ بِهَا يَعْوِي وَلَيْثٍ وَسَطَ غَيْلِ
 يَسْلُونَ السُّيُوفَ لِأَسْ ضَبِّ حِرَاشًا بِالْعُدَاةِ وَبِالْأَصِيلِ
 إِذَا ذَبَحُوا فَذَلِكَ يَوْمٌ عِيدِ وَإِنْ تَحَرُّوا قَبِي عُرْسِ جَلِيلِ
 أَمَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَرَسِ إِلَّا تِجَارُ الصَّاحِبِ الْقَرَمِ النَّيْلِ

لَكَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ خَيْرٌ فَخَرُّوا وَجِيهَهُمْ بِذَلِكَ خَيْرٌ جِيَل
 فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ إِنْشَادِهِ قَالَ لَهُ الصَّاحِبُ: قَعْدَكَ .
 ثُمَّ أَشْرَابَ يَنْظُرُ إِلَى الزَّوَايَا وَأَهْلِ الْمَجْلِسِ وَكُنْتُ جَالِسًا فِي زَاوِيَةِ النَّبِيِّ
 فَلَمْ يَرَنِي . فَقَالَ: ابْنُ أَبِي الْفَضْلِ . قَعْمْتُ وَقَبَلْتُ الْأَرْضَ وَقُلْتُ:
 أَمْرُكَ . قَالَ: أَحِبَّ عَنْ ثَلَاثَتِكَ . قُلْتُ: وَمَاهِي . قَالَ: أَدْبَكَ
 وَتَسَبَّكَ وَمَذْهَبَكَ . فَأَقْبَلْتُ عَلَى الشَّاعِرِ فَقُلْتُ: لَا فَسْحَةَ لِلْقَوْلِ وَلَا
 رَاحَةَ لِلطَّبْعِ إِلَّا السَّرْدُ كَمَا تَسْمَعُ ثُمَّ أَنْشَدْتُ أَقُولُ:

أَرَاكَ عَلَى شَفَا خَطَرٍ مُهَوَّلٍ بِمَا أَوْدَعْتَ لَفْظَكَ مِنْ فُضُولِ
 تُرِيدُ عَلَى مَكَارِمِنَا دَلِيلًا مَتَى أحتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ
 أَلَسْنَا الضَّارِبِينَ جِرْمِي عَلَيْكُمْ وَإِنَّ الْجِرْمِيَّ أَوْلَى بِالذَّلِيلِ
 مَتَى قَرَعَ الْمَنَابِرَ قَارِسِيٍّ مَتَى عَرَفَ الْأَعْرَمَ مِنَ الْحُجُولِ
 مَتَى عَرَفْتَ وَأَنْتَ بِهَا زَعِيمٌ أَكْفُ الْقُرْسِ أَعْرَافَ الْحَيُولِ
 فَخَرْتُ بِمَلْءِ مَا ضَعْفَتِكَ هُجْرًا عَلَى فُحْطَانَ وَالنَّيْتِ الْأَصِيلِ
 وَتَفَخَّرُ أَنْ مَأْكُولًا وَلَبَسًا وَذَلِكَ فَخْرُ رَبَاتِ الْحُجُولِ
 فَقَاخِرُهُنَّ فِي خَدِّ أَيْسَلِ وَقَرَعَ فِي مَفَارِقِهَا رَسِيلِ
 وَأَتَجِدُ مِنْ أَيْسِكَ إِذَا تَرَيَا عُرَاهُ كَاللُّيُوثِ عَنِ الْحَيُولِ
 (قَالَ) فَلَمَّا أُنْتَمْتُ إِنْشَادِي أُنْتَمْتُ إِلَيْهِ الصَّاحِبُ . وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ

رَأَيْتَ . قَالَ: لَوْ سَمِعْتُ بِهِ مَا صَدَقْتُ . قَالَ: فَإِذَنْ جَارِزُكَ جَوَازُكَ . إِنْ
 رَأَيْتَكَ بِمَدَّهَا ضَرَبْتُ عُقُوكَ . ثُمَّ قَالَ: لَا أَدْرِي أَحَدًا يُفْضِلُ الْجَمَّ عَلَى

الْعَرَبِ إِلَّا وَفِيهِ عِرْقٌ مِنَ الْمَجُوسِيَّةِ يَنْزِعُ إِلَيْهِ (بدائع البدائه للازدي)
 ١١٩ رَوَى عَقِيلُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَعَبْدَ
 اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ اجْتَمَعَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَالْحِجَابُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهَا
 يُحَدِّثُ تَأْنِيهَا وَيَسْأَلُهَا فِيهَا. فَجَرَى الْحَدِيثَ بَيْنَ مَرْوَانَ وَابْنِ الزُّبَيْرِ سَاعَةً
 وَعَائِشَةُ تَسْمَعُ. فَقَالَ مَرْوَانُ:

قَنْ يَسِئًا الرَّحْمَانُ يَخْفِضُ بِقَدْرِهِ وَنَاسٌ لَمَنْ لَمْ يَرْفَعِ اللَّهُ رَافِعُ
 فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ:

فَقَوَّضَ إِلَى اللَّهِ الْأُمُورَ إِذَا أُعْتَرَتْ وَيَا اللَّهَ لَا بِالْأَقْرَبِينَ أَدَافِعُ
 فَقَالَ مَرْوَانُ:

وَدَاوِ صَمِيرَ الْقَلْبِ بِالْبِرِّ وَالتَّقَى فَلَا يَسْتَوِي قَلْبَانِ قَاسٍ وَخَاشِعٍ
 فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ:

وَلَا يَسْتَوِي عَبْدَانِ هَذَا مُكَذِّبٌ عُتْلٌ لِأَرْحَامِ الْعَشِيرَةِ قَاطِعُ
 فَقَالَ مَرْوَانُ:

وَعَبْدٌ يُجَافِي جَنَبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ بَيْتٌ يُنَاجِي رَبَّهُ وَهُوَ رَاكِعٌ
 فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ:

وَاللَّخِيرِ أَهْلٌ يُعْرِفُونَ بِهَدْيِهِمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْمَجَامِعُ
 فَقَالَ مَرْوَانُ:

وَاللَّسْرِ أَهْلٌ يُعْرِفُونَ بِشِكْلِهِمْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْفُجُورِ الْأَصَابِعُ
 فَسَكَتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَلَمْ يُجِبْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا لَكَ

لَمْ تُحِبَّ صَاحِبَكَ . فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ تَجَاوُلًا فِي نَحْوِ مَا تَجَاوَلْتُمَا فِيهِ أَنْعَجَبَ
إِلَيَّ مِنْ تَجَاوُلِكُمَا . فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : إِنِّي خِفْتُ عَوَادَ الْقَوْلِ فَكَفَفْتُ
١٢٠ جَلَسَ أَبُو إِسْحَاقَ التَّجِيرِيُّ عِنْدَ كَافُورِ الْأَخْشِيدِيِّ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
أَبُو الْفَضْلِ بْنِ عِيَّاشٍ فَقَالَ : أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَ مَوْلَانَا (وَكَسْرٍ مِيمٍ أَيَّامٍ)
فَقَبَسَمَ كَافُورٌ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ . فَفَطِنَ لِذَلِكَ فَقَالَ أَرْتَجِلَا :

لَا غَرَّ وَأَنْ لِحْنِ الدَّاعِي لِسِيدِنَا وَغَصَّ مِنْ دَهَشِ بِالرَّبِيقِ أَوْ بَهْرِ
فَمِثْلُ سَيِّدِنَا حَالَتْ مَهَابَتُهُ بَيْنَ الْأَدِيبِ وَبَيْنَ الْفَتْحِ بِالْحَصْرِ
وَإِنْ يَكُنْ خَفَضَ الْأَيَّامَ عَنْ غَلَطٍ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ لَاعَنَ قَلْبَهُ الْبَصْرَ
فَإِنَّ أَيَّامَهُ خَفَضَ بِلا نَصَبٍ وَإِنَّ دَوْلَتَهُ صَفَوْ بِلا كَدَرٍ
فَأَمْرَهُ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا وَلِلتَّجِيرِيِّ بِمِائَتَيْنِ

١٢١ أَخْبَرَ الشَّيْخُ تَاجَ الدِّينِ الْعَلَّامَةَ أَبُو الْيَمِينِ الْكُنْدِيُّ قَالَ : بَلَّغَنِي
أَنَّ عَلْقَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْعَلِيِّ لَمَّا قَصَدَ بَدْرَ الْجَمَالِيِّ بِمِصْرَ رَأَى
عَلَى بَابِهِ أَشْرَافَ النَّاسِ وَكِبْرَاءَهُمْ وَشُعْرَاءَهُمْ . فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ
فَكُلُّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ طَوْلِ مَقَامِهِ بِبَابِهِ وَتَعَذُّرِ لِقَائِهِ لَهُ . وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ
فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِهِ قَاصِدًا لَهُ . فَكُلُّهُ أَيْسَهُ مِنْ لِقَائِهِ . فَبَيْنَا هُمْ
كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ بَدْرٌ يُرِيدُ الصَّيْدَ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُقْبِلًا عَلَا نَشْرَامِينَ
الْأَرْضِ ثُمَّ جَمَلَ فِي عِمَامَتِهِ رِيشَةً نَعَامٍ يَشْهَرُ بِهَا نَفْسَهُ . فَلَمَّا قُرِبَ
إِلَيْهِ أَوْمَأَ بِرُقْعَةٍ كَانَتْ مَعَهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

نَحْنُ التَّجَارُ وَهَذِهِ أَعْلَاقُنَا دُرٌّ وَجُودُ يَمِينِكَ الْمُبْتَاعُ

قَلْبَ وَقَشَّهَا بِسَمْعِكَ إِنَّمَا هِيَ جَوْهَرٌ تَخَارُهُ الْأَسْمَاعُ
 كَسَدَتْ عَلَيْنَا بِالشَّامِ وَكُلَّمَا قَلَّ الْفِئَاقُ تَعَطَّلَ الصَّنَاعُ
 فَأَتَاكَ يَحْمِلُهَا إِلَيْكَ تِجَارُهَا وَمَطِيهَا الْأَمَالُ وَالْأَطْمَاعُ
 حَتَّى أَنَاخُوهَا بِبَابِكَ وَالرَّجَا مِنْ دُونِهَا السَّمْسَارُ وَالْبَيْعُ
 فَوَهَبْتَ مَا لَمْ يُعْطِهِ فِي ذَهْرِهِ هَرِيمٌ وَلَا كَعْبٌ وَلَا الْقَمْعَاغُ
 وَسَبَقْتَ هَذَا النَّاسَ فِي طَلَبِ الْعُلَى فَالْنَّاسُ بَعْدَكَ كُلُّهُمْ أَتْبَاعُ
 يَا بَدْرُ أَقْسَمُ لَوْ بِكَ اعْتَصَمَ الْوَرَى وَلَجُوا إِلَيْكَ جَمِيعُهُمْ مَا ضَاعُوا
 (قَالَ) وَكَانَ عَلَى يَدِ بَدْرِ بَازٌ فَدَفَعَهُ إِلَى الْبَازِ دَارٍ فَضَرَبَ عَلَى

يَدِهِ وَأَنْفَرَدَ بِهِ عَنِ الْجَيْشِ وَجَعَلَ يَسْتَعِيدُهُ الْأَبْيَاتَ وَهُوَ يُنْشِدُهَا
 إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ فِي مَجْلِسِهِ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى جَمَاعَةِ عُلَمَائِهِ وَخَاصَّتِهِ وَأَصْحَابِهِ
 وَقَالَ: مَنْ أَحْبَبَنِي فَلْيَجْلِعْ عَلَيَّ هَذَا الشَّاعِرَ. قَالَ عَلَقَمَةُ: قَوْلَ اللَّهِ لَقَدْ
 خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَمَعِيَ سَبْعُونَ بَغْلًا تَحْمِلُ الْحُلْعَ

١٢٢ أهدى ابن عبادٍ إلى فخر الدولة ابن بويه دينارًا وزنه ألف
 مثقال. وكان على أحد جانبيه مكتوبًا:

وَأَحْمَرُ يَحْكِي الشَّمْسَ شَكْلًا وَصُورَةً فَأَوْصَافُهُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفَاتِهِ
 فَإِنْ قِيلَ دِينَارٌ فَقَدْ صَدَقَ اسْمُهُ وَإِنْ قِيلَ أَلْفٌ كَانَ بَعْضَ سِمَاتِهِ
 بَدِيعٌ وَلَمْ يُطْبَعْ عَلَى الذَّهْرِ مِثْلُهُ وَلَا ضُرِبَتْ أَضْرَابُهُ لِسِرَاتِهِ
 فَقَدْ أَرَزَنَهُ دَوْلَةٌ فَلِكَيْتِهِ أَقَامَ بِهَا الْإِقْبَالَ صَدْرُ قَاتِهِ
 وَصَارَ إِلَى شَاهِنشَاهٍ أَنْتَسَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَضْفِرٌ لِعَقَاتِهِ

يُخَيِّرُ أَنْ يَبْقَى سِنِينَ كَوَزْنِهِ لِيَسْتَبْشِرَ الدُّنْيَا بِطُولِ حَيَاتِهِ
تَأْتَقُ فِيهِ عَبْدُهُ وَأَبْنُ عَبْدِهِ وَعَرَسُ أَيَادِيهِ وَكَأَنِّي كُفَاتِهِ
وَكَانَ عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ وَلَقَبُ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ
لِلَّهِ وَلَقَبُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَأَسْمُ جُرْجَانَ لِأَنَّهُ ضُرِبَ بِهَا

١٢٣ كَتَبَ إِلَيْهَا زُهَيْرٌ إِلَى تَجْمِ الدِّينِ الْبَادِرَانِي رَسُولِ الدِّيَّانِ
يَعْتَذِرُ لِتَأْخِيرِهِ عَنْ لِقَائِهِ لَمَّا وَصَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَصِيدَةً مِنْهَا :

عَلَى الطَّائِرِ الْمُأْمُونِ تَأْخِيرُ قَادِمٍ وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْعُلَى وَالْمَكَارِمِ
قَدِمْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَكْرَمَ مَقْدَمٍ مَدَى الدَّهْرِ يَبْقَى ذِكْرُهُ فِي الْمَوَاسِمِ
قُدُومًا بِهِ الدُّنْيَا أَضَاءَتْ وَأَشْرَقَتْ بِبِشْرٍ وَجُوهٍ أَوْ بَضُوءِ مَبَايِمِ
فِيَا حُسْنَ رَكْبٍ حَيْثُ فِيهِ مُسَلِّمًا وَيَا طَيْبًا مَا أَهْدَتْهُ أَيْدِي الرُّوَاسِمِ
أَمْوَالِي سَائِغِي فَإِنَّكَ أَهْلُهُ وَإِنْ لَمْ تَسْلُخْنِي فَمَا أَنْتَ ظَالِمِي
وَوَالِلَهُ مَا حَالَتْ عُهُودُ مَوَدَّتِي وَتَلْكَ يَمِينُ لَسْتُ فِيهَا بِأَثِمِ
مُقِيمٌ وَقَلْبِي فِي رِحَالِكَ سَائِرٌ لَعَلَّكَ تَرْضَاهُ لِبَعْضِ الْمَوَاسِمِ
وَلَوْ كُنْتُ عَنْهُ سَائِلًا لَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِكَ أَلِيمُونَ أَوْلَ قَادِمِ
وَإِلَّا فَسَلَّ عَنْهُ رِكَابَكَ فِي الدُّجَا لَقَدْ بُرِّيتُ مِنْ نَثْمِهِ لِلْمَنَاسِمِ

البنديجي والحمامة

اجْتَارَ الْمَنَازِيُ الْبَنْدِيغِيُ الشَّاعِرُ (وَبَنْدِيغٍ قَصْرٌ بِالرَّافِقَانِ
بَيْنَ بَغْدَادَ وَحُلْوَانَ) بِسُوقِ بَابِ الطَّاقِ بَبْغَدَادَ حَيْثُ تَبَاعُ الطَّيْرُ
فَسَمِعَ حَمَامَةً تَلْحَنُ فِي قَفْصٍ فَأَشْتَرَاهَا وَأَرْسَلَهَا وَقَالَ :

نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِبَابِ الطَّاقِ فَجَرَى سَوَابِقُ مَدْمِي المَهْرَاقِ
 حَضَتْ إِلَى أَرْضِ المَحْجَازِ بِمُحْرَقَةٍ تُشْجِي فُؤَادَ المَاهِمِ المَشْتَاقِ
 إِنَّ المَحَامِمَ لَمْ تَرَلْ بِمُحْنِيهَا قَدِمًا تُبْكِي أَعْيُنَ العُشَّاقِ
 كَانَتْ تُفْرَخُ فِي الأَرَاكِ وَرَبْمَا كَانَتْ تُفْرَخُ فِي فُرُوعِ السَّاقِ
 تَعَسَ الفِرَاقُ وَجُدَّ حَبْلٌ وَتَيْنِهِ وَسَقَاهُ مِنْ سَمِّ الأَسَاوِدِ سَاقِي
 يَا وَيْحَهُ مَا بَالُهُ قَرِيَّةٌ لَمْ تَذَرِ مَا بَنَدَادُ فِي الأَفَاقِ
 فَآتَى الفِرَاقُ بِهَا العِرَاقَ فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ الأَرَاكِ تَنُوحُ فِي الأَسْوَاقِ
 فَشَرِيئَتِهَا لَمَّا سَمِعْتُ حَيْنَهَا وَعَلَى المَحَامِمَةِ عُدْتُ بِالأِطْلَاقِ
 بِي مِثْلُ مَا بَكَ يَاحْمَامَةٌ فَاسْأَلِي مَنْ فَكَّ أَسْرَكِي أَنْ يُحِلَّ وَثَاقِي

(نثار الازهار لابن منظور)

الفرزدق والاسير

١٢٤ حُكِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ المَلِكِ أَمَرَ الفِرَزْدَقَ بِضَرْبِ عُنُقِ
 أَسَارِي مِنَ الرُّومِ فَاسْتَعْفَاهُ الفِرَزْدَقُ فَلَمْ يَفْعَلْ . فَقَامَ فَضْرَبَ عُنُقَ
 رُومِيٍّ مِنْهُمْ فَبَا السَّيْفُ عَنْهُ . فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَمِنْ حَوْلِهِ فَقَالَ
 الفِرَزْدَقُ :

أَيْجِبُ النَّاسَ إِنْ أَضْحَكْتَ سَيِّدَهُمْ خَلِيقَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ المَطَرُ
 لَمْ يَبْ سَيْفِي مِنْ رُعبٍ وَلَا دَهْشٍ عَنِ الأَسِيرِ وَلَكِنْ آخِرَ القَدْرِ
 وَلَنْ يُقَدِّمَ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمْعُ الأَيْدِينَ وَلَا الصَّمْصَمَةِ الذِّكْرِ
 ثُمَّ أَعْمَدَ سَيْفَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدُهُ إِذَا حَبَا وَلَا يُعَابُ صَارِمُهُ إِذَا نَبَا
وَلَا يُعَابُ شَاعِرُهُ إِذَا كَبَا
ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ :

كَذَلِكَ سَيْوْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُلْمَتُهَا وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ التَّمَائِمِ
وَلَنْ نَقْتُلَ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْكُهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ
وَهَلْ ضَرْبَةُ الرَّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ أَبَاعَنُ كَلْبٍ أَوْ أَخَا مِثْلِ دَارِمِ
فَشَاعَ حَدِيثُ الْفَرَزْدَقِ بِهَذَا حَتَّى حَكِيَ أَنَّ الْمُهَدِيَّ أَتَى بِأَسْرَى
مِنَ الرُّومِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَكَانَ عِنْدَهُ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ فَقَالَ لَهُ : أَضْرِبْ
عُنُقَ هَذَا الْعُلَاجِ فَقَالَ : يَا أَمِيرُ قَدْ عَلِمْتَ مَا أَتُبِلِي بِهِ الْفَرَزْدَقُ فَعَيَّرَهُ بِهِ
قَوْمٌ إِلَى الْيَوْمِ . فَقَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ تَشْرِيفَكَ وَقَدْ أَعْفَيْتُكَ . وَكَانَ أَبُو
الْهَوْلِ الشَّاعِرُ حَاضِرًا فَقَالَ :

حَزَعْتَ مِنَ الرُّومِيِّ وَهُوَ مُقَيَّدٌ فَكَيْفَ وَلَوْ لَاقَيْتَهُ وَهُوَ مُطْلَقٌ
دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَتْلِهِ فَكَادَ شَيْبُ عِنْدَ ذَلِكَ يَفْرَقُ
فَفَنَحَ شَيْبَاعَ عَنْ قِرَاعِ كَتَيْبَةٍ وَأَدْنَى شَيْبِيًّا مِنْ كَلَامٍ يُلْفَقُ
(ادب الدنيا والدين للماوردي)

١٢٥ كتاب ابن التعاويذي الشاعر الى الامام الناصر لدين الله

يسأله ان يحدد له راتباً لمعاشه :

خَلِيفَةَ اللَّهِ أَنْتَ بِالْدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَأَمْرُ الْإِسْلَامِ مُضْطَلَعٌ
أَنْتَ لِمَا سَنَّهُ الْأَيْمَةُ آءَ لَامٍ الْهَدَى مُقْتَفٍ وَمَتَّبِعٌ

فَأَناسٌ فِي الشَّرْعِ وَالسِّيَاسَةِ وَأَإِ
 يَأْمَلُكَ يَزِدُّعُ الْحَوَادِثَ وَأَإِ
 أَرْضِي قَدْ أَجْدَبَتْ وَلَيْسَ لِيَنَّ
 وَلِي عِيَالٌ لَا دَرَّ دَرُّهُمْ
 إِذَا رَأَوْنِي ذَا ثَرَوَةٍ جَلَسُوا
 وَطَالَمَا قَطَعُوا جِبَالِي إِءِ
 يَمْشُونَ حَوْلِي شَيْءٌ كَأَنَّهُمْ
 فَمِنْهُمْ الطُّفْلُ وَالْمَرَاهِقُ وَالرَّامِ
 لَا قَارِحٌ مِنْهُمْ أَوْمِلُ أَنْ
 لَهُمْ حُلُوقٌ تُفْضِي إِلَى مَعِدِ
 مِنْ كُلِّ رَجَبٍ الْمَاءُ أَجَوْفِهِ
 لَا يُحْسِنُ الْمَضْغُ فَهُوَ يَتْرُكُنِي فِي
 فَاسْتَأْنَفُوا لِي رَسْمًا أَعُودُ عَلَى
 وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنِّي أَتَيْتُ بِهَا
 حَاشَا لِرَسْمِ الْكَرِيمِ يُنْسَخُ مِنْ
 فَوَقَعُوا لِي بِمَا سَأَلْتُ فَقَدْ
 وَلَا تُطِيلُوا مَعِي فَاسْتُ وَلَوْ
 إِحْسَانٍ وَالْعَدْلُ كُلُّهُمْ شَرَعٌ
 أَيَّامٍ عَنِ ظُلْمِهَا فَتَرْتَدِعُ
 أَجْدَبَ يَوْمًا سِوَاكَ مُنْتَجِعُ
 قَدْ أَكَلُوا دَهْرَهُمْ وَمَا شَبِعُوا
 حَوْلِي وَمَالُوا إِلَيَّ وَاجْتَمَعُوا
 رَاضًا إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعِي قِطْعُ
 عَقَابِيبُ كُلَّمَا سَعَوْا لَسَعُوا
 ضَيْعُ يُجْبُو وَالْكَهْلُ وَالْبَيْعُ
 يَنَالُنِي خَيْرُهُ وَلَا جَدْعُ
 تَحْمِيلُ فِي الْأَكْلِ فَوْقَ مَا تَسَعُ
 نَارِي الْحَشَا لَا يَمْسُهُ الشَّبَعُ
 فِيهِ بِلَا كُفْلَةٍ وَيَبْتَلَعُ
 ضَنْكَ مَعَاشِي بِهِ فَيَسْبَعُ
 خَدِيمَةً فَالْكَرِيمُ يُنْجِدُ
 تَسْخُ دَوَائِبِنَاكُمْ فَيَنْقَطِعُ
 أَطْعَمْتُ نَفْسِي وَأَسْتَحْكَمُ الطَّمْعُ
 دَفَعْتُونِي بِالرَّاحِ أَنْدَفِعُ



الباب السابع في الفلكاهات

بقعة ابي دلامة

١٢٦ كان أبو دلامة كوفياً أسود مولى لبيبي أسيد أدرك آخر أيام بني أمية ونبغ في أيام بني العباس ومدح السفاح والمنصور والمهدي. وكان صاحب نوادر وملح. وأما بغلته فكانت جامعة لعيوب الدواب كلها. وكانت أشوه الدواب خلقاً في منظر العين وأسوأها خلقاً في مخبرها. فكان إذا ركبها تبعه الصبيان يتضحكون به. وكان يقصد ركوبها في مواكب الخلفاء والكبراء ليضحكهم بشمايمها حتى نظم فيها قصيدته المشهورة وهي:

<p>أبعد الخيل أزكبها كراماً رزقتُ بعيلةٍ فيها وكمال رأيتُ عيوبها كثرتُ ولست ليخصي منطقي وكلامُ غيري فأهونُ عنها أني إذا ما تقومُ فما تبثُ هناكُ شبراً وإني إن ركبتُ أذيتُ نفسي وبالرجلين أزكلهما جميعاً</p>	<p>وبعد القره من خضر البغال وليته لم يكن غير الوكالي وإن أكثرتُ ثم من المقال عشيرة خصالها شر الخصال زلتُ وقتُ إمشي لا تبالي وترخي وتأخذ في قتالي بضرب باليمين وبالشمال فيا لك في الشقاء وفي الكلال</p>
---	--

أَنَانِي خَائِبٌ يَسْتَامُ مِنِّي عَرِيقٌ فِي الْحَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
 وَقَالَ تَيْمَهَا قُلْتُ أَرْتَبُهَا بِحُكْمِكَ إِنَّ يَبْعِي غَيْرُ عَالِ
 فَأَقْبَلَ ضَاحِكًا نَحْوِي سُرُورًا وَقَالَ أَرَاكَ سَهْلًا ذَا جَمَالِ
 هَلُمَّ إِلَيَّ يَخْلُو بِي خِدَاعًا وَمَا يَذْرِي الشَّقِي لِيَنَّ يُجَالِي
 قُلْتُ بَارِعِينَ فَقَالَ أَحْسِنِ إِلَيَّ فَإِنَّ مِثْلَكَ ذُو سِجَالِ
 فَأَزُكُ خَمْسَةً مِنْهَا لِعَلِّي بِمَا فِيهِ يَصِيرُ مِنَ الْجَبَالِ
 فَلَمَّا أَتْبَعَهَا مِنِّي وَبَتَّتْ لَهُ فِي الْبَيْعِ غَيْرِ اسْتَعَالِ
 أَخَذَتْ بِثُوبِهِ أَهْرَاتُ مِمَّا أَعْدُّ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْخِلَالِ
 بَرَّتْ إِلَيْكَ مِنْ مَشْشِي يَدَيْهَا وَمِنْ جَرْدِ وَمِنْ بَلَلِ الْمُحَالِ
 وَمِنْ فَتَقِ بِهَا فِي الْبَطْنِ ضَنْجَمِ وَمِنْ عَقَالِهَا وَمِنْ انْفِتَالِ
 وَمِنْ قَطْعِ اللِّسَانِ وَمِنْ بِيَاضِ بَعِيثِهَا وَمِنْ قَرْضِ الْجَبَالِ
 وَمِنْ عَضِّ الْغُلَامِ وَمِنْ خِرَاطِ إِذَا مَا هُمْ صَحْبُكَ بَارِتِحَالِ
 وَأَقْطَى مِنْ فَرْنَجِ الذَّرِّ مَشِيًّا بِهَا عَرْنٌ وَدَاءٌ مِنْ سُلالِ
 وَتَكْسِرُ سُرْجَهَا أَبْدَا شِمَاسًا وَتَقْمُصُ لِلْإِكَافِ عَلَى اغْتِيَالِ
 وَيَذِرُ ظَهْرَهَا مِنْ مَسِّ كَفِّ وَتَهْرَمُ فِي الْجَمَامِ وَفِي الْجِلَالِ
 تَقْلُ لِرُكْبَةٍ مِنْهَا وَقِيدًا يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَدَمِ الطِّحَالِ
 وَمِشْفَارٌ تُقَدِّمُ كُلَّ سُرْجِ تُصِيرُ دَقَّتِيهِ عَلَى الْقَدَالِ
 وَتَحْفَى لَوْ تَسِيرُ عَلَى الْحَشَايَا وَلَوْ تَمَشِي عَلَى دِمْتِ الرِّمَالِ
 وَرَمَحُ أَرْبَعِينَ إِذَا وَقَفْنَا عَلَى أَهْلِ الْمَجَالِسِ لِلسُّوَالِ

قَتَّعُ مَنْطِقِي وَتَحُولُ يَدَيَّ وَبَيْنَ حَدِيثِهِمْ فِيمَا تَوَالِي
 وَتُدْعَرُ لِلدَّجَاجَةِ إِذْ تَرَاهَا وَتَنْفِرُ لِلصَّغِيرِ وَاللَّجَالِ
 فَأَمَّا الْأَعْتِلَافُ فَأَذِنَ مِنْهَا مِنْ الْأَتْبَانِ أَمْثَالِ الْجِبَالِ
 وَأَمَّا أَلَّتْ فَأَتِ بِأَلْفِ وَقِيرٍ كَأَعْظَمِ حِمْلِ أَحْمَالِ الْجَمَالِ
 فَلَسْتَ بِعَالِفٍ مِنْهُ ثَلَاثًا وَعِنْدَكَ مِنْهُ عُوْدٌ لِلْخِلَالِ
 وَإِنْ عَطَشْتَ فَأَوْرِدْهَا دُجَيْلًا إِذَا أَوْرَدْتَ أَوْ نَهْرِي بِأَلَالِ
 فَذَلِكَ لِرِيهَا سُقِيَتْ حَمِيمًا وَإِنْ مَدَّ الْفِرَاتُ فَلِلنَّهَالِ
 وَكَانَتْ قَارِحًا أَيَّامَ كَسْرِي وَتَذَكُرُ تَبَعًا عِنْدَ الْفَصَالِ
 وَقَدْ دَبَّرَتْ وَنُعْمَانُ صَبِي وَقَبْلَ فَصَالِهِ تِلْكَ اللَّيَالِي
 وَتَذَكُرُ إِذْ نَشَأَ بَهْرَامُ جُورِي وَعَامِلُهُ عَلَى خَرَجِ الْجَوَالِي
 وَقَدْ مَرَّتْ بِقَرْنٍ بَعْدَ قَرْنٍ وَأَخِرُ عَهْدِهَا لِهَالِكِ مَالِي
 فَأَبْدَلْنِي بِهَا يَارَبِّ طَرْفًا يَزِينُ جَمَالَ مَرْكَبِهِ جَمَالِي
 وَأَنْشَدَهَا الْمَهْدِيَّ فَقَالَ : لَقَدْ أَقَلْتُ مِنْ بَلَاءِ عَظِيمٍ . فَقَالَ : وَاللَّهِ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَكَّثْتُ شَهْرًا أَتَوَقَّعُ صَاحِبَهَا أَنْ يَرُدَّهَا . فَقَالَ
 الْمَهْدِيُّ لِصَاحِبِ دَوَائِبِهِ : خَيْرُهُ بَيْنَ مَرْكَبَيْنِ فِي الْأَصْطَبْلِ . فَقَالَ :
 إِنْ كَانَ الْأَخْتِيَارُ إِلَيَّ فَقَدْ وَقَعْتُ فِي شَرِّ مِنَ الْبَغْلَةِ وَلَكِنْ مَرَّةٌ يُحْتَرُّ لِي .
 ففعل (شرح مقامات الحريري للشريشي ووافي الوفيات للصفدي)

الحليفة ولأصمعي

١٢٧ مِنْ الطَّفِّ مَا اتَّفَقَ أَنْ بَعْضَ الخُلَفَاءِ كَانَ يَحْفَظُ الشِّعْرَ مِنْ

مرّة . وعنده مملوك يحفظه من مرتين وجارية من ثلاث مرّات . وكان
 بخيلاً جداً فكان الشاعر إذا أتاه بقصيدة قال له : إن كانت مطروقة
 بأن يكون أحد منّا يحفظها نعلم أنها ليست لك فلا نعطيك لها جائزة .
 وإن لم تكن تحفظها فنعطيك وزن ماهي فيه مكتوبة . فقرأ الشاعر
 القصيدة فيحفظها الخليفة من أول مرّة ولو كانت ألف بيت . ويقول
 للشاعر : اسمها علي فإني أحفظها وينشدّها بكاملها . ثم يقول : وهذا
 المملوك أيضاً يحفظها . وقد سمعها المملوك مرتين مرّة من الشاعر ومرّة
 من الخليفة فيحفظها ويقرأها . ثم يقول الخليفة : وهذه الجارية التي
 وراء الستر تحفظها أيضاً . وقد سمعتها ثلاث مرّات مرّة من الشاعر ومرّة
 من الخليفة ومرّة من المملوك فقرأها بحروفها . فيخرج الشاعر صفر
 اليدين . وكان الأصمعي من جلسائه وندمائه . فنظم أبيتاً مستصعباً
 ونقشها في أسطوانة ولقها في ملاءة وجعلها على ظهر بعير . وليس
 جوحة بدوية مفرجة من وراء ومن قدام . وضرب له لثاماً لم يبين
 منه غير عيئه وجاء إلى الخليفة وقال : إني امتدحت أمير المؤمنين
 بقصيدة . فقال : يا أبا العرب إن كانت لغيرك فلا نعطيك لها
 جائزة . وإن كانت لك نعطيك زنة ماهي مكتوبة فيه . قال : قد
 رضيت وألشد :

صوت صغير الببل هيج قلب الثمل
 الماء والزهر معاً مع حسن لحظ الثقل

وَأَنْتَ حَقًّا سَيِّدِي وَسُوْدُدِي وَمَوْلِي
 وَطَابَ لِي نَوْحُ الْحَمَا مِ قُوقُفُو بِالزَّجَلِ
 قَدْ فَاحَ مِنْ لِحْظَاتِهَا عَمِيرُ وَرِدِ الْجَلِ
 وَقُلْتَ وَضَوْضُ وَضَوْضُ فَجَاءَ صَوْتُ مِنْ عَلِ
 وَقَالَ لَا لَا لَا لَا وَقَدْ عَدَا مَهْرُوِي
 وَفِيهِ يَسْتَفُونِي قُيُوءَ كَالْعَسَلِ
 سَمِمَهَا فِي أَنْفِي أَذْكَى مِنْ الْقَرْنَفِ
 فِي بُسْتَانِ حَسَنِ بِالزَّهْرِ وَالسَّرْوَلِ
 وَالْعُودِ دَنْدَنْ دَنْدَنْ وَالطُّبْلُ طَبْطَبْ لِي
 وَالرَّقْصُ أَرْطَبُ طَبْطَبُ وَالْمَاءُ شَقْشَقُ لِي
 شَوْوَا شَوْوَا شَوْوَا عَلَى وَرَيْقِ السَّفَرَجَلِ
 وَغَرَدَ الْقُمْرِي يَصِيحُ مِنْ مَلَلٍ مِنْ مَلِي
 فَلَوْ تَرَانِي رَاكِبًا عَلَى جِمَارٍ أَعَزَلِ
 أَمْشِي عَلَى ثَلَاثَةٍ كَمِشِيَةِ الْعَرَنْجَلِي
 وَالنَّاسُ قَدْ تَرَجَمَنِي فِي السُّوقِ بِالْبَقَلِ
 وَالْكَلُّ كَمَّ كَمَّ كَمَّ خَافِي وَمِنْ حَوْلِي
 لَكِنْ مَشَيْتُ هَارِبًا مِنْ خَشِيَةِ فِي عَقْلِي
 إِلَى لِقَاءِ مَلِكٍ مُعْظَمٍ مُبِجَلِ
 يَأْمُرُ لِي بِجَلْمَةٍ حَمْرَاءَ كَالدَّمَلِ

أَجْرٌ فِيهَا مَرَّيَا يَبْغِدُ كَالدُّلْدُلِ

(قَالَ) فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ إِشَادِهَا بَيَّهَتْ الْمَلِكُ فِيهَا وَلَمْ يَحْفَظْهَا الْخَلِيفَةُ لِصُعُوبَتِهَا. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَمْلُوكِ فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَا حَفِظَ مِنْهَا شَيْئًا. وَفَهُمْ مِنَ الْجَارِيَةِ أَنَّهُمَا مَا حَفِظْتَ مِنْهَا شَيْئًا. فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّكَ صَادِقٌ وَهِيَ لَكَ بَلَّاشِكٌ فَإِنِّي مَا سَمِعْتُهَا قَبْلَ ذَلِكَ. فَهَاتِ الرَّقْعَةَ الَّتِي هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِيهَا حَتَّى نَعْطِيكَ زَنْتَهَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ إِنِّي لَمْ أَجِدْ وَرَقًا أَكْتُبُ فِيهِ. وَكَانَ عِنْدِي قِطْعَةٌ عَمُودٍ رُخَامٍ مِنْ عَهْدِ أَبِي وَهِيَ مُلَقَاةٌ فِي الدَّارِ لَيْسَ لِي بِهَا حَاجَةٌ فَتَمَشَّطْتُهَا فِيهَا. وَلَمْ يَسِعِ الْخَلِيفَةُ إِلَّا أَنْ أَعْطَاهُ زَنْتَهَا ذَهَبًا. فَفَنَدَّ جَمِيعُ مَا فِي خِزَانَةِ الْمَلِكِ مِنَ الْمَالِ فَأَخَذَ الْأَصْمَعِيُّ ذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ. فَلَمَّا وُلِيَ قَالَ: يَغْلِبُ عَلَيَّ ظَنِّي أَنَّ هَذَا الْإِعْرَابِيُّ هُوَ الْأَصْمَعِيُّ. فَأَحْضَرَهُ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ الْأَصْمَعِيُّ. فَتَعَجَّبَ مِنْ صَنِيعِهِ وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ يُعَامِلُ بِهِ الشُّعْرَاءَ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى عَوَائِدِ الْمَمْلُوكِ (حلبة الكميث للنواجي)

١٢٨ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ كُشَايِمُ يَزِيدِيُّ سَكَيْنَا سُرِقَتْ لَهُ فِي قَصِيدَةٍ بَدِيعَةٌ مِنْهَا:

يَا قَاتِلَ اللَّهِ كُتَّابَ الدَّوَابِّينِ مَا يَسْتَحِيلُونَ مِنْ أَخَذِ السَّكَاكِينِ
لَقَدْ دَهَانِي لَطِيفٌ مِنْهُمْ خَيْلٌ فِي ذَاتِ حَدِّ كَحَدِّ السِّيفِ مَسْنُونِ
فَأَقْرَرْتُ بَعْدَ عُمَرَانَ بِمَوْقِعِهَا مِنْهَا دَوَاةٌ فَتَى بِالْكَتَبِ مَفْشُونِ
تُبْكِي عَلَى مُدِيَّةِ أَوْدَى الزَّمَانِ بِهَا كَانَتْ عَلَى جَانِبِ الْأَقْلَامِ تُغْرِينِي

كَانَتْ تُقَوِّمُ أَقْلَابِي وَتَنْجِيهَا
وَأَصْحِيكَ الطَّرْسَ وَالْقِرَاطَسَ عَنْ حُلِّ
هَيْفَاءُ مَرْهَقَةٌ بِيضَاءُ مُذْهَبَةٌ
لَكِنَّ مِقْطِي أَمْسَى شَامِتًا جَدَلًا
فَصِينَ حَتَّى يُضَاهِي فِي صِيَاتِهِ
وَلَسْتُ عَنْهَا بِسَالٍ مَا حَيَّتْ وَلَا
نَحَا وَتَسْخِطُهَا بَرِيًّا فَتَرْضِينِي
تَنْوِبُ لِلْعَيْنِ عَنْ نَوْرِ الْبَسَاتِينِ
قَالَ الْإِلَهُ لَهَا سُجَانُهُ كُوْنِي
وَكَانَ فِي ذَلِكَ مِنْهَا وَفِي هُونِ
جَاهِي لِصَوْنِهِ عَمَّنْ لَا يُدَانِينِي
بِرَاجِدٍ عَوْضًا مِنْهَا بِسِكِّينِ

رثاء هُرَيْرِ لابن العَلَّافِ

١٢٩ قَالَ الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَّادٍ: أُنشِدَ فِي أَبُو الْحَسَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ
الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَلَّافِ الْبَغْدَادِيِّ الْمَقْرِيِّ الْأَدِيبِ قَصِيدَةً وَالِدِهِ فِي
الْهَرِّ كَتَبَ بِهِ عَنْ ابْنِ الْمُعْتَرِّ حِينَ قَتَلَهُ الْمُقْتَدِرُ فَحَشِي مِنَ الْمُقْتَدِرِ وَنَسَبَهَا
إِلَى الْهَرِّ وَعَرَّضَ بِهِ فِي آيَاتٍ مِنْهَا. وَقِيلَ إِنَّمَا كَتَبَ بِالْهَرِّ عَنِ الْحَسَنِ
ابْنِ الْوَزِيدِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْفَرَاتِ أَيَّامَ مَحَبَّتِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْسُرْ أَنْ
يَذْكُرَهُ وَرِثِيهِ. وَقِيلَ كَانَ لَهُ هَرٌّ يَأْتِسُّ بِهِ فَكَانَ يَدْخُلُ أَرْجَحَ الْحَمَامِ
الَّتِي لِحِيرَانِهِ وَيَأْكُلُ فِرَاحَهَا. فَأَمْسَكَهُ أَرْبَابُهَا فَذَبَّحُوهُ فَرَأَاهُ بِقَصِيدَةٍ.
وَقَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ الشِّعْرِ وَأَبْدَعِهِ وَعَدَّهَا خَمْسَةَ
وَسِتُونَ بَيْتًا. وَطَوْلُهَا يَمْتَعُ مِنَ الْإِتْيَانِ بِجَمِيعِهَا فَنَأْتِي بِمَحَاسِنِهَا فِيهَا آيَاتٌ
مُشْتَمِلَةٌ عَلَى حِكْمٍ أَوْلَهَا:

يَا هَرُّ فَارْقِنَا وَلَمْ تَمُدِّ وَكُنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلِ الْوَلَدِ
فَكَيْفَ نَنْفَكُ عَنْ هَوَاكَ وَقَدْ كُنْتَ لَنَا عُدَّةً مِنَ الْعُدَدِ

تَطْرُدُ عَنَّا الْأَذَى وَتَحْرُسُنَا
وَتُخْرِجُ الْفَأْرَ مِنْ مَكَامِنِهَا
يَلْقَاكَ فِي الْبَيْتِ مِنْهُمْ مَدَدٌ
لَا عَدَدٌ كَانَ مِنْكَ مُنْقَلَبًا
لَا تَرْهَبُ الصَّيْفَ عِنْدَ هَاجِرَةٍ
وَكَانَ يَجْرِي وَلَا سَدَادَ لَهُمْ
حَتَّى أَعْتَقَدْتَ الْأَذَى لِجِيرَتِنَا
وَحَمَتَ حَوْلَ الرَّذَى لِظَلْمِهِمْ
وَكَانَ قَلْبِي عَلَيْكَ مُرْتَعِدًا
تَدْخُلُ بُرْجَ الْحَمَامِ مُتَبَدِّدًا
وَتَطْرَحُ الرِّيشَ فِي الطَّرِيقِ لَهُمْ
أَطْعَمَكَ الْغَنَى لِحْمَهَا فَرَأَى
حَتَّى إِذَا دَاوَمُوا وَاجْتَهَدُوا
كَادُواكَ دَهْرًا فَمَا وَقَعَتْ وَكَمْ
فَحِينٍ أَخْفَرْتَ وَإِنَّهُمْ كَتَّ وَكَأ
صَادُواكَ غَيْظًا عَلَيْكَ وَأَنْتُمْ مَوَا
تُمْ شَقُوا بِالْحَدِيدِ أَنْفُسَهُمْ
فَلَمْ تَزَلْ لِلْحَمَامِ مُرْتَصِدًا
لَمْ يَرَحُوا صَوْتِكَ الضَّعِيفَ كَمَا
بِالْغَيْبِ مِنْ حَيَّةٍ وَمِنْ جَرَدٍ
مَا بَيْنَ مَفْتُوحِهَا إِلَى السَّدَدِ
وَأَنْتَ تَلْقَاهُمْ بِلَا مَدَدٍ
مِنْهُمْ وَلَا وَاحِدٍ مِنَ الْعَدَدِ
وَلَا تَهَابُ الشِّتَاءَ فِي الْجَمَدِ
أَمْرُكَ فِي بَيْتِنَا عَلَى سَدَدٍ
وَلَمْ تَكُنْ لِلْأَذَى مُعْتَمِدٍ
وَمَنْ يَحْمُ حَوْلَ حَوْضِهِ يَرِدُ
وَأَنْتَ تَنْسَابُ غَيْرَ مُرْتَعِدٍ
وَتَبْلُغُ الْفَرْخَ غَيْرَ مُتَبَدِّدٍ
وَتَبْلُغُ اللَّحْمَ بَلْعَ مُزْدَرِدٍ
قَتَلْتَ أَرْبَابَهَا مِنَ الرَّشِدِ
وَسَاعَدَ النَّصْرُ كَيْدَ مُجْتَهِدٍ
أَقَلَّتْ مِنْ كَيْدِهِمْ وَلَمْ تَكْذِبْ
شَفَتْ وَأَسْرَفَتْ غَيْرَ مُقْتَصِدٍ
مِنْكَ وَزَادُوا وَمَنْ يَصِدُّ يَصِدُ
مِنْكَ وَلَمْ يَرْعَوْا عَلَى أَحَدٍ
حَتَّى سَقَيْتَ الْحَمَامَ بِالرَّصِدِ
لَمْ تَرْتَبْ مِنْهَا لَصَوْتَهَا الْفَرِدِ

أَذَقْتَ أَفْرَاحَهُ يَدًا يَدًا
كَمَا كَانَتْ أَلْمُوتَ رَبِّهِنَّ كَمَا
جِيدَكَ لِلْحَقِّ كَانَ مِنْ مَسَدٍ
كَأَنَّ حَبْلًا حَوَى بِجُودَتِهِ
فِيهِ وَفِي فَيْكَ رَغْوَةُ الزَّبِيدِ
كَأَنَّ عَيْنِي تَرَكَ مُضْطَرِبًا
تَقْدِرُ عَلَى حِيلَةٍ وَلَمْ تَجِدِ
وَقَدْ طَلَبْتَ الْخُلَاصَ مِنْهُ قَلَمٌ
مُتًّا وَلَا مِثْلَ عَيْشِكَ الْبُكَدِ
فَمَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَوْتِكَ إِذْ
أَنْتَ وَمَنْ لَمْ يَجِدْهَا يُجِدِ
وَمُتَّ ذَا قَاتِلٍ بِلَا قَوْدِ
عِشْتَ حَرِيصًا يَفُودُهُ طَمَعٌ
وَيَحْكُ هَلَا قَيْعَتَ بِالْفُدِّ
يَأْمَنُ لَدِيدُ الْفِرَاحِ أَوْقَعَهُ
وَوَثَبَتْ فِي الْبُرْجِ وَثَبَةُ الْأَسَدِ
أَلَمْ تَخَفْ وَثَبَةُ الزَّمَانِ كَمَا
تَأَخَّرَتْ مُدَّةً مِنَ الْمُدِّ
عَاقِبَةُ الظُّلْمِ لَا تَتَامُ وَإِنْ
أَرَدْتَ أَنْ تَأْكُلَ الْفِرَاحَ وَلَا
يَاكُلَكَ الدَّهْرُ أَكَلِ مُضْطَهِّدِ
هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْقِيَاسِ وَمَا
أَعَزَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْبَعْدِ
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الطَّعَامِ إِذَا
كَانَ هَلَاكُ النُّفُوسِ فِي الْمَعْدِ
كَمْ دَخَلَتْ لُحْمَةٌ حَشَا شَرِّهِ
فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ مِنَ الْجَسَدِ
مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنِ تَسْوِيرِكَ أَوْ
بُرْجٍ وَلَوْ كَانَ جَنَّةَ الْخُلْدِ
قَدْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ وَفِي دَعَا
مِنْ الْعَزِيدِ الْمُهَيِّمِ الصَّمَدِ
تَأْكُلُ مِنْ قَارِ بَيْتِنَا رَعْدًا
فَأَيْنَ بِالشَّاكِرِينَ لِلرَّعْدِ
وَكَانَتْ بَدَدَتْ سَمْلَهُمْ زَمْنَا
فَأَجْتَمَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْبَدَدِ
فَلَمْ يُبْقُوا لَنَا عَلَى سَبْدِ
فِي جَوْفِ أُنْيَاتِنَا وَلَا لَبْدِ

وَفَتَّوْا الْحَبْزَ فِي السِّلَالِ وَكَمْ تَفَتَّتْ لِلْعِيَالِ مِنْ كَيْدِ
وَفَرَّغُوا قَعْرَهَا وَمَا تَرَكَوْا مَا عَلَّقَتْهُ يَدٌ عَلَى وَتَدِ
وَمَزَقُوا مِنْ ثِيَابِنَا جُدًّا فَكُلْنَا فِي الْمَصَابِ الْجُدِّ

رثاء ديك لابن مبيعة الحمصي

١٣٥

يَا ابْنَ أَقْيَالٍ وَابْنَ الْكِرَامِ الصَّيْدِ مِنْ تَقَلُّبِ قُرُومِ الْقُرُومِ
وَالْأَمِيرِ الَّذِي عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْمَعَالِي مِنْ حَادِثِ وَقَدِيمِ
قَدْ مَدَحَتْهُ الْأَمِيرُ بِالْأَمْسِ مَثُورًا وَجِئْتُ الْغَدَاةَ بِالْمَنْظُومِ
فَأَسْمِعْ قِصَّتِي وَفَرِّجْ يَا حَسَا نِكَ مَا يَبِي مِنْ طَارِقَاتِ الْأُمُومِ
لِي دَيْكٌ حَضَنَتْهُ وَهُوَ فِي الْيَيْضَةِ مِنْ مَنْصِبِ كَرِيمِ الْحَمِيمِ
ثُمَّ رَبَيْتُهُ كَتَرِيَّةَ الطِّفْلِ رَضِيْعًا وَعِنْدَ حَالِ الطِّفْلِ
يَأْكُلُ الْعُقُوكَيْفَ مَا شَاءَ مِنْ مَا لِي أَكَلَ الْوَلِيِّ مَالِ الْيَتِيمِ
هُوَ عِنْدِي بِصُورَةِ الْوَلَدِ الْبَرِّمْ وَفِي صُورَةِ الصَّدِيقِ الْحَمِيمِ
أَبْيَضُ اللَّوْنِ أَفْرَقُ الْعُرْفِ نَظًّا رُبَّمَا كَانَهَا عَيْنُ رِيمِ
وَعَلَى نَحْرِهِ وَشَاحَانِ مِنْ شَذْرٍ بَدِيْعٍ وَلَوْلَوْ مَنْظُومِ
رَافِعُ رَايَةٍ مِنَ الذَّنْبِ الْمُشْرِفِ يَسْعَى بِهَا كَسْفِي الظَّالِمِ
وَإِذَا مَا مَشَى تَجَخَّرَ مَشَى الطَّرْبِ الْمُنْتَشِي مِنَ الْخُرُومِ
وَسَمَّ الْأَرْضَ وَسَمَّ طِينِ كِتَابِ بَخَوَاتِيمِ كَاتِبِ مَخُومِ
وَلَهُ خَنْجَرَانِ فِي قَصَبِ السَّاقِ قَيْنِ قَدْرُ كِبَا لِحْفِظِ الْحَرِيمِ
وَعَلَيْهِ مِنْ رِيْشِهِ طَيْسَانُ صَبِيغٍ مِنْ صَبِيغَةِ الطَّيْفِ الْحَكِيمِ

وَجَمِيعُ الدُّيُوكِ تَشْهَدُ فِي حِمْلِ لَهٗ بِالْجَلَالِ وَالْعَظِيمِ
 يَتَجَاوَبُنَ بِالصُّبْحِ مُشِيرَاتٍ إِلَيْهِ فِي ذَاكَ بِالتَّسْلِيمِ
 وَإِذَا مَا رَأَيْتَهُ بَيْنَ خَمْسٍ مِنْ دَجَاجَاتِهِ كِبَارِ الْجُسُومِ
 قُلْتَ مَلِكٌ يَخْدُمُنِي فَتَيَاتٌ يَتَهَادَيْنَ بَيْنَ زَنْجٍ وَرُومِ
 وَتَرَى عُرْفَهُ فَتَحْسَبُهُ التَّلَاجَ عَلَى رَأْسِ كِسْرَوِيِّ كَرِيمِ
 تَأْتِيهِ الْعِلْمُ بِالمَوَاقِيتِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَحَاقِيقِ بِالنُّجُومِ
 وَيُحِثُّ الجَيْرَانَ حَوْلِي عَلَى البَرِّمِ كَحِثِّ المَدِيرِ كَأَسَنِ النَّدِيمِ
 وَلَهُ أَيُّهَا الأَمِيرُ عَلِيُّ العَهْدُ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ القَدِيمِ
 أَنَّهُ آمِنٌ مِنَ الشَّرِّ عِنْدِي غَيْرَ يَوْمِ المَشِيئَةِ المُخْتِومِ
 وَقَدْ أُحْتَجَّتْ أَنْ أُصْحَبِي فِي العِيدِ بِحَاجَةِ الأَدِيبِ العَدِيمِ
 وَبَنَاتِي يَقُلْنَ يَا أَبَتَانَا أَنْتَ فِي ذَاكَ بَيْنَ عَدْرٍ وَلُومِ
 وَتَرَاهُنَّ حَوْلَهُ يَتَبَاكَيْنَ بِمَدْمَعٍ لِقَدِيدِهِ مُسْتَجُومِ
 وَعَزِيزُ سِوَاكَ مَنْ يَفْتَدِيهِ فَأَفْدِيهِ سَيِّدِي بِذَنْجِ عَظِيمِ
 تَبَقَ فِي ذَاكَ سَنَةٌ لَكَ يُبْقِي ذِكْرَهَا ذِكْرُ كَبْشِ إِبرْهِيمِ

قصيدة مساور الرزاق في وصف وليته

١٣١

إِتَمَعْتُ بِنِعْمَتِي لِلْمُلُوكِ وَلَا تَرَى فِيهَا سَمِيمَتِ الأَحْيَاءِ
 إِنَّ المُلُوكَ لَهُمْ طَعَامٌ طَبَّ يُسْتَأْزُونَ بِهِ عَلَى الفُقَرَاءِ
 إِنِّي نَعْتُ لَذِيذِ عَيْشِي كُلَّهُ وَالْعَيْشُ لَيْسَ لَذِيذُهُ إِسْوَاءِ
 ثُمَّ اخْتَصَصْتُ مِنَ اللَّذِيذِ وَعَيْشِهِ صِفَةَ الطَّعَامِ بِشَهْوَةِ الحُلُوءِ

فَبَدَأْتُ بِالْعَسَلِ الشَّدِيدِ بِيَاضِهِ شَهِدْتُ تَبَاكُرَهُ يَمَاءَ سَمَاءِ
إِنِّي سَمِعْتُ لِقَوْلِ رَبِّكَ فِيهِمَا فَجَمَعْتُ بَيْنَ مَبَارِكٍ وَشِفَاءِ
أَيَّامَ أَنْتَ هُنَاكَ بَيْنَ عِصَابَةٍ حَضَرُوا الْيَوْمَ تَعْمُ الْأَكْفَاءِ
لَا يَنْطَفُونَ إِذَا جَلَسْتُ إِلَيْهِمْ فِيمَا يَكُونُ بِلَقْظَةِ عَوْرَاءِ
مُتَسَمِّينَ رِيَّاحَ كُلِّ هُبُوبَةٍ بَيْنَ النَّخِيلِ بِعُرْفَةِ فَيْحَاءِ
فَقَعَدْتُ ثُمَّ دَعَوْتُ لِي بِمَبْدَرِقٍ مُتَسَمِّرًا يَسْعَى بِغَيْرِ رِدَاءِ
قَدْ لَفَّ كُفْمِي عَلَى عَضَلَاتِهِ قَلِصَ الْقَمِيصُ مُتَسَمِّرًا سَعَاءِ
فَأَتَى بِخَبْزِ كَالْمَلَأِ مُنْقَطِ فَبَنَاهُ فَوْقَ أَخَاوِنِ السِّيرَاءِ
حَتَّى مَلَاهَا ثُمَّ تَرَجَّمَ عِنْدَهَا بِالْفَارِسِيَّةِ دَاعِيًا بِوَجَاءِ
فَإِذَا الْقِصَاعُ مِنَ الْخَلْجِ لَدَيْهِمْ تَبَدُّوْا جَوَانِبَهَا مَعَ الْوُصَفَاءِ
إِرْقَعُ وَضَعُ وَهَنَا وَهَاكَ وَهَهْنَا قَصَفُ الْمُلُوكِ وَنَهْمَةُ الْفُرَاءِ
يَأْتُونَ ثُمَّ يَلُونَ كُلَّ طَرِيفَةٍ قَدْ حَاقَتْهُ مَوَائِدُ الْخَلْفَاءِ
مِنْ كُلِّ ذِي قَرْنٍ وَجَدِي رَاضِعٍ وَدَجَاجَةٍ مَرْبُوبَةٍ عَشَوَاءِ
وَرَيْدَةٍ مَلْمُومَةٍ قَدْ صُنِفَتْ مِنْ فَوْقِهَا بِأَطَابِيبِ الْأَعْضَاءِ
هَذَا الثَّرِيدُ وَمَا سِوَاهُ تَعَلُّ ذَهَبَ الثَّرِيدُ بِنَهْمَتِي وَهَوَائِي
وَلَقَدْ كَانَتْ يُنْعَتُ جَدِي رَاضِعٍ قَدْ صُنِفَتْهُ شَهْرَيْنِ بَيْنَ رَعَاءِ
قَدْ نَالَ مِنْ لَبَنِ كَثِيرِ طَيْبٍ حَتَّى تَقْتَقَ مِنْ رِضَاعِ الشَّاءِ
مِنْ كُلِّ أَمْرٍ لَا يَقْرَأُ إِذَا أَرْتَوَى مِنْ بَيْنِ رَقِصِ دَائِمٍ وَنُشَاءِ
مُتَمَعِّكُنِ الْجُنْبَيْنِ صَافٍ لَوْنُهُ عَيْلِ الْقَوَائِمِ مِنْ غِذَاءِ رَخَاءِ

فَإِذَا مَرَضْتُ فَدَاوِنِي بِلِحْمِهَا إِنِّي وَجَدْتُ لِحْمَهُنَّ دَوَائِي
 وَدَعِ الطَّيِّبَ وَلَا تَثِقْ بِدَوَائِهِ مَا خَالَفَتْكَ رَوَاضِعُ الْأَجْدَاءِ
 إِنَّ الطَّيِّبَ إِذَا حَبَاكَ بِشْرَبِهِ تَرَكَتْكَ بَيْنَ مَخَافَةٍ وَرَجَاءِ
 وَإِذَا تَنَطَّعَ فِي دَوَاءِ صَدِيقِهِ لَمْ يَبْعُدْ مَا فِي جَوْنِهِ الرَّقَاءِ
 نَعَتَ الطَّيِّبُ هَلِيجًا وَبَلِيجًا وَنَعَتَ غَيْرُهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ
 رُطِبَ أَلْسَانِ حُجْرًا يُؤْتَى بِهِ وَالرَّازِقِي قَمَاهَا بِسَوَاءِ
 وَضَائِيًا زُرْقًا كَانَ بَطُونَهَا قَطَعُ الثَّلُوجِ قَهَّ الْأَمْعَاءِ

محمد بن بشير والشاة

١٣٢ كان محمد بن بشير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم وهو من ختمهم وكان من بحلاء الناس. وكان له في داره بستان قدره أربع طوابع قلعها من داره فغرس فيه أصل رمان وقسيلة لطيفة وزرع حواله بقلًا. فأفلتت شاة لمنيع جار له. فأكلت البقل ومضت الخوص ودخلت إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيس فيها شعره وأشياء من سماعاته فأكلتها. وخرجت فعدا إلى الحيران في المسجد يشكو ما جرى عليه وعاد فزرع البستان. وقال يصفه ويهجو شاة منيع:

لِي بُسْتَانُ أَيْنِقُ زَاهِرٌ نَاصِرُ الْخَضْرَاءِ رِيَانُ تَرْفِ
 رَاسِحُ الْأَعْرَاقِ رِيَانُ الثَّرَى عَدِيقُ تَرْبَتِهِ لَيْسَتْ تُحْفِ
 مُشْرِقُ الْأَنْوَارِ مِيَادُ النَّدى مُنْتَنٌ فِي كُلِّ رِيحٍ مُنْعَطِفِ
 تَمَلِّكَ الرِّيحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَإِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الرِّيحُ وَقَفِ

يَكْتَسِي فِي الشَّرْقِ تَوْنِي يَمِينِهِ وَمَعَ اللَّيْلِ عَلَيْهَا يَلْتَحِفُ
تَطْوِي اللَّيْلُ عَلَيْهِ قَادًا وَاجْهَ الشَّرْقِ تَجَلَّى وَأَنْكَشَفُ
صَارَ لَيْسَ يُبَالِي كَثْرَةَ حَزَّ بِالْمَنْجَلِ أَوْ مِنْهُ نُتِفُ
لَا تَرَى لِلْكَفِّ فِيهِ أَثْرًا فِيهِ بَلَّ يَنْبِي عَلَى مَسِّ الْأَكْفُ
فَتَرَى الْأَطْبَاقَ لَا تَمَهْلُهُ صَادِرَاتٍ وَارِدَاتٍ تَخْتَلِفُ
فِيهِ لِلخَّارِفِ مِنْ حِيرَانِهِ كُلُّ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مُحْتَرِفُ
أَفْحَوَانُ وَبَهَارُ مُوْتَقُ وَسِوَى ذَلِكَ مِنْ كُلِّ الطَّرْفِ
وَهُوَ زَهْرٌ لِلنَّدَامَى أَصْلًا بِرِضَى قَاطِعِهِمْ مِمَّا قُطِفُ
وَهُوَ فِي الْأَيْدِي يُحْيُونَ بِهِ وَعَلَى الْأَنْفِ طَوْرًا يَسْتَشْفُ
أَعْفِهِ يَارَبِّ مِنْ وَاحِدَةٍ ثُمَّ لَا أَحْضِلُ أَنْوَاعَ التَّلْفُ
إِكْفِهِ شَاةٌ مَنِيعٌ وَخَدَاهَا يَوْمٌ لَا يُصْبِحُ فِي الْبَيْتِ عَلْفُ
إِكْفِهِ ذَاتَ سَعَالٍ شَهْلَةٌ مُتَعَتٌ فِي شَرِّ عَيْشٍ بِالْحَرْفِ
إِكْفِهِ يَارَبِّ وَقِصَاءَ الطَّلَى الْحَيْمُ الْكَتْفَيْنِ مِنْهَا بِالْكَتْفِ
وَعَدَا الصَّبِيَّةِ مِنْ حِيرَانِهَا لِيَجْرُوهَا إِلَى مَأْوَى الْحَيْفِ
فَتَرَاهَا بَيْنَهُمْ مَسْحُوبَةٌ تَجْرُفُ التُّرْبَ بِجَنْبِ مُنْحَرِفِ
فَإِذَا صَارُوا إِلَى الْمَأْوَى بِهَا أَعْمَلُوا الْأَجْرَ فِيهَا وَالْحَرْفِ
ثُمَّ قَالُوا ذَا حِزَاءٍ لِلَّذِي تَأْكُلُ الْبُسْتَانَ مِثْلًا وَالصُّحْفِ
لَا تَلُومُونِي فَلَوْ أَبْصَرْتُ ذَا كُلَّهُ فِيهَا إِذْنٌ لَمْ أَنْتَصِفِ

الباب الثامن في المديح

١٣٣ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا سَعِيدٍ :

<p>أَبَا سَعِيدٍ وَمَا وَصَفِي بِمَتِّهِمْ لَنْ مَجْدَتِكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ أَمْسَى أَبْسَامُكَ وَالْأَلْوَانُ كَأَسْفَهٍ كَذَا أَخُوكَ النَّدَى لَوْ أَنَّهُ بَشَرٌ رَدَدْتَ رَوْتِقَ وَجْهِهِ فِي صَحِيفَتِهِ وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ</p>	<p>عَلَى الْمَعَالِي وَمَا شُكْرِي يُجْتَرَمُ إِنِّي لَفِي الْيَوْمِ أَحْطَى مِنْكَ فِي الْكُرَمِ تَبَسُّ الصُّبْحِ فِي دَاجٍ مِنْ الظُّلَمِ لَمْ يُلَفَ طَرْفَةً عَيْنٍ غَيْرَ مُبْتَسِمِ رَدَّ الصِّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْحُدَمِ حَفَّتْ لِي مَاءٌ وَجْهِهِ أَوْحَفَّتْ دَمِي</p>
--	---

قصيدة خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة في قومه

<p>عَدَلْتُ إِلَى فَخْرِ الْعَشِيرَةِ وَالْهَوَى إِلَى هَضْبَةٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أَشْرَفَتْ إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ الْأَلَاءِ كَأَنَّهُمْ إِلَى مَعْدِنِ الْعِزِّ الْمُوَيْدِ وَالنَّدَى أَجِبْ بَقَاءَ الْقَوْمِ لِلنَّاسِ إِيَّاهُمْ عَذَابٌ عَلَى الْأَفْوَاهِ مَا لَمْ يَذُقْهُمْ عَلَيْهِمْ وَقَارُ الْحِلْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا إِذَا اسْتَجْهِلُوا لَمْ يَغْرِبِ الْحِلْمُ عَنْهُمْ</p>	<p>إِلَيْهِمْ وَفِي تَعْدَادِ مُجْدِيهِمْ سُفْلُ لَهَا الذَّرْوَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْكَاهِلُ الْعَبْلُ صَفَائِحُ يَوْمِ الرَّوْعِ أَخْلَصَهَا الصَّقْلُ هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْحَلْقُ الْجَزْلُ مَتَى يَظْعَنُوا مِنْ مِصْرِهِمْ سَاعَةً يَخْلُوا عَدُوٌّ وَيَا الْأَفْوَاهِ أَسْمَاؤُهُمْ تَخْلُو وَلِيَدُهُمْ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ وَإِنْ آثَرُوا أَنْ يَجْهَلُوا عَظْمَ الْجَبَلِ</p>
--	---

هُمُ الْجَبَلُ الْأَعْلَى إِذَا مَا تَنَازَرَتْ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَتْلَ غَالٍ إِذَا رَضُوا
 لَنَا فِيهِمْ حِصْنٌ حَصِينٌ وَمَعْقِلٌ
 لَعَمْرِي لَنَعْمَ الْحَيُّ يَدْعُو صَرِيحَهُمْ
 سَعَاءٌ عَلَى أَفْئَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
 إِذَا طَلَبُوا ذَحْلًا فَلَا الدَّحْلُ قَائِتٌ
 مَوَاعِيدُهُمْ فِعْلٌ إِذَا مَا تَكَلَّمُوا
 بُحُورٌ تَلَاقِيهَا بُحُورٌ غَزِيْرَةٌ
 مُلُوكُ الرِّجَالِ أَوْ تَخَاطَرَتِ الْبَزَلُ
 وَإِنْ غَضِبُوا فِي مَوْطِنٍ رَخِصَ الْقَتْلُ
 إِذَا حَرَكَ النَّاسَ الْخُأُوفُ وَالْأَزَلُ
 إِذَا الْجَارُ وَالْمَأْكُولُ أَرْهَقَهُ الْأَكْلُ
 وَتَبَلُ أَقَاصِي قَوْمِهِمْ لَهُمْ تَبَلُ
 وَإِنْ ظَلَمُوا أَكْفَأَهُمْ بَطْلُ الدَّحْلُ
 بِتِلْكَ الَّتِي إِنْ نَمِيَتْ وَجَبَ الْفِعْلُ
 إِذَا زَحَرَتْ قَيْسٌ وَإِخْوَتُهَا ذَهْلُ

١٣٤ قصيدة محمد بن هاني . في جعفر بن علي بن غلبون

فَقَتَّ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بَعْبَرٍ
 وَجَنِيْتُمْ تَمْرُ الْوَقَائِعِ يَا نَعْمَا
 وَضَرَبْتُمْ هَامَ الْكُمَاةِ وَرَعْتُمْ
 أَبِي الْعَوَالِي السَّمْهَرِيَّةِ وَالسُّيُو
 مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْمَطَاعُ كَأَنَّهُ
 الْقَائِدُ الْخَيْلِ الْعِتَاقِ شَوَازِبَا
 شَمْتُ التَّوَابِي حَشْرَةَ آذَانِهَا
 تَبُو سَنَابِكُنْ عَنْ عَفْرِ الْبَثْرِ
 فِي فِتْيَةٍ صَدَا الدَّرُوعِ عَيْرُهُمْ
 لَا يَأْكُلُ السَّرْحَانُ شِلْوُ طَعْنِهِمْ
 وَأَمْدَكُمْ فَاقُ الصَّاحِ الْمُسْفِرِ
 بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ
 بِيضَ الْخُدُودِ بِكُلِّ لَيْثٍ مُخْدِرِ
 فِي الْمَشْرِفَةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ
 تَحْتَ السَّوَابِغِ تَبَعٌ فِي خَيْرِ
 خُرْرًا إِلَى لِحْظِ السِّنَانِ الْأَخْرَرِ
 قُبَّ الْأَيَاطِلِ دَائِمَاتِ الْأَنْسَرِ
 فَيَطَّانُ فِي خَدِّ الْعَزِيْزِ الْأَضْمَرِ
 وَخَلُوقُهُمْ عَلَقُ النَّجْمِ الْأَحْمَرِ
 مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ الْمُبَكَّرِ

أَنسُوا بِبِجْرَانِ الْأَنْبَسِ كَانَهُمْ
وَمَشُوا عَلَى قِطْعِ الْفُؤَسِ كَأَنَّمَا
قَوْمٌ بَسِيتُ عَلَى الْحَشَايَا غَيْرُهُمْ
وَتَظَلُّ تَسْمَعُ فِي الدَّمَاءِ قِبَابَهُمْ
فَحِيَاضُهُمْ مِنْ كُلِّ مَهْجَةٍ ضَالِعٍ
وَكِفَالِكِ مِنْ حُبِّ السَّمَاحَةِ أَنَهَا

١٣٥ قصيدة للثني في شجاع بن محمد الطائي المنجي

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ
إِلَى الثَّمْرِ الْحُلُوِّ الَّذِي طَبِي لَهُ
إِلَى الْقَابِضِ الْأَرْوَاحِ وَالضَّيْمِ الَّذِي
إِلَى رَبِّ مَالٍ كَمَا شَتَّ سَمَلُهُ
هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الْعَمَدَ سَفَهُ
رَأَيْتَ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ
عَلَى سَابِحِ مَوْجِ الْمُنَايَا بِبِجْرِهِ
وَكَمْ عَيْنٍ قَرِنٌ حَدَقَتْ لِزَالِهِ
إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ
وَلَوْلَا تَوَلَّى نَفْسِهِ حَمَلِ حِلْمِهِ
تَبَاعَدَتْ الْأَمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّاعِمِينَ عَنِ السَّرِيِّ

شُجَاعَ الَّذِي لِلَّهِ تَمُّ لَهُ الْفَضْلُ
فُرُوعٌ وَفُحْطَانُ بْنُ هُوْدٍ لَهَا أَصْلُ
تَحَدَّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ الْحَيْلُ وَالرَّجُلُ
تَجَمَّعَ فِي تَشْتِيهِ لَعَلِّي سَمَلُ
وَعَايَنْتُهُ لَمْ تَذِرْ أَيُّهَا النَّصْلُ
فَشَابِينَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَا تَقْطَعُ النَّسْلُ
عَدَاةٌ كَانَ النَّبِيلَ فِي صَدْرِهِ وَبَلُ
فَلَمْ تُنْضِ إِلَّا وَالسِّنَانُ لَهَا كُحْلُ
وَحِلْمُ الْقَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ
عَنِ الْأَرْضِ لَا نَهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ
وَضَاقَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِهِ السُّبُلُ
فَأَسْمَعُهُمْ هُبُوا فَقَدْ هَلَكَ النَّجْلُ

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ
فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ قَائِمِ
وَمَا تَقَمُّ الْأَيَّامُ مِنْ وُجُوهِهَا
وَمَا عَزَهُ فِيهَا مُرَادُ أَرَادِهِ
كَفَى ثَمَلًا فخرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمْ
وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غَيْرَةً
فَمَا بِفَقِيرٍ شَامٍ بَرَقَكَ فَاقَةً
وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَنِيتَهَا مَحَلُّ

جمالية ابن نباتة في ابن الشهاب محمود

١٣٦

كَمْ مِنْ جَمَالٍ عِنْدَهُ ضُرُّ الْفَتَى
لَا الظُّلْمُ حَيْثُ يُرَى وَلَا الظُّلْمَاءُ
الْمَلْجُدُ الرَّاقِي مَرَاتِبَ سُودِدِ
ذَلِكَ الَّذِي أَمْسَى السُّهَى جَارًا لَهُ
عَمَّتْ مَكَارِمُهُ وَسَارَ حَدِيثُهُ
وَسَعَتْ بَرَاعَتُهُ بِأَرْزَاقِ الْوَرَى
وَحَمَى الْعَوَاصِمَ رَأْيُهُ وَلَطَالَمَا
عَجَبًا لِنَارِ ذُكَايِهِ مَشْبُوبَةٌ
غَنَى الْبِرَاعِ بِهِ وَأَزْهَرَ طِرْسُهُ
يَارَاكَ الْعَزَمَاتِ غَايَاتِ الْمُنَى
ذِي الْمَجْدِ لَا فِي سَاعِدِيهِ عَنِ الْمَلَا
وَلَكُمْ جَمَالٌ عِنْدَهُ السَّرَاءُ
لَا الظُّلْمُ حَيْثُ يُرَى وَلَا الظُّلْمَاءُ
قَدْ رُضِعَتْ بِجَوَارِهِ الْجُوزَاءُ
لَكِنَّ حَاسِدَ مَجْدِهِ الْعَوَاءُ
فِي كُلِّ أَرْضٍ نِعْمَةٌ وَثَمَاءُ
فَكَأَنَّهَا قُبُورٌ وَتِلْكَ رِشَاءُ
قَعَدَ الْحَسَامُ وَقَامَتِ الْآرَاءُ
وَيُظَلِّهِ تَنْمِيًّا الْأَفْيَاءُ
وَكَذَا تَكُونُ الرُّوضَةُ الْعَفَاءُ
مَعْنَى شِهَابِ الدِّينِ وَالشَّهْبَاءُ
قِصْرٌ وَلَا فِي عَزْمِهِ إِعْيَاءُ

وَالْعَدْلُ بَرْدٌ قَادِرًا عَنْ عَاجِزٍ
وَالْحِلْمُ بِرُوي جَابِرٌ عَنْ فَضْلِهِ
يَا أَكْمَلَ الرُّؤْسَاءِ لَأُمُتَيْنِيَا
يَا مَنْ مَلَّتْ مِنْ الْمَعَادِلِهُ وَمَا
إِنْ لَمْ يَفْهَمْ بِجُفُوقِ مَا أَوْلَيْتَنِي
شَهِدَتْ مَعَالِيكَ الرَّفِيعَةَ وَالنَّدَى
فَالذَّبُّ هَاجِمَةٌ لَدَيْهِ الشَّاءُ
وَالْفَضْلُ بِرُوي عَنْ يَدَيْهِ عَطَاءُ
أَحَدًا إِذَا مَا عُدَّتِ الرُّؤْسَاءُ
مَلَّتْ لَدَيَّ مَعَادَهَا النُّعْمَاءُ
مَدْحِي فَارْجُو أَنْ يَفُومَ دُعَاءُ
أَنَّ الرُّوي أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ

من قصيدة ابن مطروح في الوزير عماد الدين

١٣٧

وَهَبَتْ عَلَيْنَا نَفْحَةً غَنَبِيَّةً
فَقُتُّ مِنْ الْإِجْلَالِ أَنْشُدْ مَدْحَهُ
تَكَافَأَ فِي الْإِحْسَانِ شِعْرِي وَمَدْحَهُ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الرُّوضُ بَاكِرُهُ الْحَيَا
وَضَاعَ شَذَا أَزْهَارِهِ وَتَدَقَّقَتْ
تَخَافُ عِدَاهُ مِنْ تَوْقِدِ عَزْمِهِ
يُبَشِّرُ مِنْهُ الْبِشْرُ رَاجِي نَوَالِهِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَرْقَ يَبْدُو أَمَامَهُ
لَمْ أَرْ غَيْثًا مِثْلَ غَيْثِ سَمَاحَةِ
كَفَى وَالِدًا مِنْ حَمَلِ هَمِّ لَوْلَدِهِ
عَلَى مَهَلٍ يَا مَنْ يُجَاوِلُ مَجْدَهُ
كَرِيمٌ لَهُ نَيْتٌ كَرِيمٌ تَقَامَتْ
كَعْرِفِ عِمَادِ الدِّينِ حِينَ تَقَابَلَهُ
وَقَدْ سَبَقْتَنِي قَبْلَ ذَلِكَ فَوَاضِلُهُ
وَلَكِنْ بِحُصْلِ السَّبْقِ فَازَتْ أَنَامِلُهُ
فَأَيْعَ ذَاوِيهِ وَرَقَّتْ خَمَائِلُهُ
يَمْدَحُكَ مِنْ هَذَا التَّنَاءِ جَدَاوِلُهُ
وَتَأْمَنُ إِذْ يَطْفُو وَيَطْفَحُ نَائِلُهُ
كَذَا الْغَيْثُ لَا لَتَحْفَى عَلَيْنَا مَخَالِلُهُ
وَتَتَّبِعُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ هَوَاطِلُهُ
تَسِيمُ مِصْرًا مِنْ ذُرَى الشَّرْقِ وَابِلُهُ
فَكُلُّ الرُّوي أَيْتَامُهُ وَأَرَامِلُهُ
فَبَيْنَ الثَّرْيَا وَالسَّمَاءِ مَنَازِلُهُ
أَوَاخِرُهُ إِرْثُ الْعُلَى وَأَوَائِلُهُ

لَهُ شَيْمٌ لَوْ أَنَّ فِي الدَّهْرِ بَعْضَهَا
 يَلِيغُ إِذَا مَا أوردَ اللَّفْظَ خِلْتَهُ
 تَحَلَّى بِهِ الدَّهْرُ الَّذِي كَانَ عَاطِلًا
 وَأَثْنَى عَلَيْهِ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
 وَإِنِّي وَإِنْ أُنْحَتُهُ بِمَدَامِحِ
 فَمَا تَبَتَّ لِي فِكْرَةٌ فِي مَدِيحِهِ
 فَلَا حَمْدَ لِي فِيهَا أَقُولُ وَإِنَّمَا
 عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ
 إِذَا سَارَ فَوْقَ الرَّاسِيَّاتِ تَرَعَزَتْ
 وَرُبَّ تَحْمِيسٍ طَبَقَ السَّهْلَ وَالرُّبِّيَّ
 بِكُمْ يَا بَنِي شَيْخِ الشُّيُوخِ تَأَيَّدَتْ
 وَقَدْ عَلِمَ السُّلْطَانُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ
 وَأَخْلَقَ بِمَلِكٍ أَنْتَ حَارِسُ سِرِّهِ
 لَمَّا غَالَتْ الحُرُّ الكَرِيمَ عَوَائِلُهُ
 عَنِ الوَحْيِ يُمَلِّينَا الَّذِي هُوَ قَائِلُهُ
 فَأَضْحَى مَلِيًّا بِالنَّبَاهَةِ خَامِلُهُ
 وَطَابَتْ بِهِ أَسْحَارُهُ وَأَصَائِلُهُ
 هِيَ السِّعْرُ إِلَّا أَنْ فَكَّرِي بِأَيْلُهُ
 لِأَنِّي رَاوِي القَضْلَ عَنْهُ وَنَاقِلُهُ
 كَبْتُ الَّذِي أَمَلْتُ عَلَيَّ قَضَائِلُهُ
 إِلَّا فِي سَبِيلِ المُجْدِمَا أَنْتَ قَاعِلُهُ
 وَصَدَعْتَ السَّبْعَ الشِّدَادَ صَوَائِلُهُ
 وَرَاحَتِ الجُوزَاءُ مِنْهُ عَوَائِلُهُ
 قَوَاعِدُ هَذَا الدِّينِ وَأَشْتَدَّ كَاهِلُهُ
 يَا نَكَ كَافِيهِ وَأَنْتَ كَافِلُهُ
 وَحَامِي حِمَاهُ أَنْ تُصَانَ مَعَالِلُهُ

قصيدة ابن الحسن القاضي في الوزير الحسن بن اضحى

١٣٨

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ مَضْمُونُ لَكَ الظَّفَرُ
 وَأَبُ لَنَا سَالِمًا وَالسَّعْدُ مُقْتَبِلُ
 وَقَدْ طَلَعَتْ عَلَى الْبَيْضَاءِ مِنْ كَثْبِ
 حَلَّتْ فِي أَرْضِهَا فِي جَفَلِ لَيْبِ
 وَحَوْلِكَ الصَّيْدُ مِنْ لَتُونَةٍ وَهُمْ
 أَبْشِرْ فَمِنْ جُنْدِكَ التَّأْيِيدُ وَالْقَدَرُ
 وَالدِّينُ مُنْتَظَمٌ وَالْكَفْرُ مُنْتَدِرُ
 كَمَا تَطَّلَعَ فِي جَنَحِ الدُّجَى الْقَمَرُ
 كَمَا يَجَلُّ بِهَا فِي الْأَزْمَةِ الْمَطَرُ
 أَبْطَالُ يَوْمِ الوَعْيِ وَالْأَمْجَمُ الزُّهْرُ

وَالْعَرَبُ تَرْفُلُ فَوْقَ الْعَرَبِ سَائِحَةً
 مِنْ سُكْلِ أَرْوَعٍ وَصَاحِ عِمَامَتِهِ
 شِعَارُهُ الْبِرُّ وَالْتَقْوَى وَمُونَسُهُ
 ذُوَابَةُ الْمُجْدِيدِ مِنْ قَحْطَانَ كُلِّهِمْ
 وَمَنْ زَنَاةً أَبْطَالَ عَطَارِقَةَ
 وَلَمَطَةَ وَهُمْ أَهْلُ الطَّعْمَانِ لَدَى أُو
 كَانَهُمْ فِي جَبِينِ الْمُجْدِيدِ إِذْ رَكِبُوا
 كَأَلْسِدٍ لَيْسَ لَهَا إِلَّا الْفَنَاءُ ظَفْرُ
 كَأَلْبَدْرِ نَحْوَ لِقَاءِ الْجَيْشِ يَبْتَدِرُ
 فِي لَيْلِهِ رُحْمُهُ وَالصَّارِمُ الذَّكْرُ
 أَبُوهُمْ حَمِيرٌ ذُو الْمَجْدِ أَوْ مُضَرُّ
 ذُو وَاتِّجَارِبَ فِي يَوْمِ الْوَعَى صَبْرُ
 هَيْيَاءَ فِي زَمْرٍ تَقْتَادُهَا زَمْرُ
 مُصَمِّمِينَ إِلَى أَعْدَائِهِمْ غُرْرُ

١٣٩ وقعت حرب بالجزيرة بين بني تغلب فتولى الإصلاح بينهم الفتح بن خاقان فقال
 البحتري فيما تعلق بعضه بذكر البية :

بَنِي تَغْلِبٍ أَعَزُّ عَلَيَّ بَأَنٍ أَرَى
 خَلَّتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ
 إِذَا مَا التَّقْوَى يَوْمَ الْهَيْبِاجِ تَحَاجَزُوا
 كَفِيٌّ مِنَ الْأَحْيَاءِ لَأَقَى كَفِيَّهُ
 إِذَا مَا أَخْجَرَ الرِّمَاحَ أَنْتَهَى لَهُ
 تَحَوُّطُهُمُ الْبَيْضُ الرِّقَاقُ وَصَمْرُ
 يَطْعَنُ يَكُ الدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ
 تَجَافَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْبِي
 وَكَانَتْ يَدُ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ عِنْدَكُمْ
 وَلَوْلَاهُ طَلَّتْ بِالْعُقُوقِ دِمَاؤُكُمْ
 دِيَارُكُمْ أَمْسَتْ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلُ
 مَرَّابِعٍ مِنْ سِنَجَارِ بِيْعِي بِهَا الْوَيْلُ
 وَالْمَوْتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ
 وَمِثْلُ مِنَ الْأَقْوَامِ رَاجِعُهُ مِثْلُ
 أَخٌ لَا يَلِيدُ فِي الطَّعْمَانِ وَلَا وَغْلُ
 عِتَاقُ وَأَحْسَابُ بِهَا يُدْرِكُ التَّبِيلُ
 وَضَرْبُ كَمَا تَرَعُو الْخَزْمَةَ الْبَزْلُ
 عَلِمْتُمْ وَاللَّجَائِنِ فِي مِثْلِهَا الْبِكْلُ
 يَدُ الْغَيْثِ عِنْدَ الْأَرْضِ أَجْدَبَهَا الْخَلُّ
 فَلَا قُوَّةَ يُعْطَى الْأَذْلَ وَلَا عَقْلُ

تَلَقَيْتَ يَا فَتْحَ الْأَرَاقِمِ بَعْدَ مَا
 وَهَبْتَ لَهُمْ بِالسَّلَامِ بَاقِي نَفُوسِهِمْ
 أَتَاكَ وَفُودُ الشُّكْرِ يَنْتُونُ بِالَّذِي
 فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سُودْدًا
 تَرَاءَ وَكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاطِ فَهَضَرُوا
 وَلَمَّا قَضُوا صَدْرَ السَّلَامِ تَهَاقَتُوا
 إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَعْتَهُمْ
 إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةِ
 نَصَبْتَ لَهُمْ طَرْفًا حَدِيدًا وَمَنْطِقًا
 وَسَلَّ سَخِيَّاتِ الصُّدُورِ فَعَالِكَ أَلَا
 بِكَ التَّمَّ الشَّعْبُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ
 فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَعَاظَتْ أَكْفُهُمْ
 وَجَرُّوا بُرُودَ الْعَصَبِ تَضْفُو ذُيُولَهَا
 وَمَا عَمَّهُمْ عَمْرُؤُ بِنُ غَنَمٍ بِنِسْبَةِ
 فَهَمَّا رَأَوْا مِنْ غَبْطَةٍ فِي أَصْطِلَاجِهِمْ

سَقَاهُمْ يَا وَحَى سُمِّهِ الْأَرْقَمُ الصِّلُ
 وَقَدْ أَشْرَفُوا أَنْ يَسْتَتِمَّهُمُ الْقَتْلُ
 تَقَدَّمَ مِنْ نِعْمَاكَ عِنْدَهُمْ قَبْلُ
 مِنْ الْيَوْمِ صَمَّتْهُمْ إِلَى بَابِكَ السُّبُلُ
 خُطَاهُمْ وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وَهُمْ عَجَلُ
 عَلَى يَدِ بَسَامٍ سَجِيَّتُهُ الْبَدَلُ
 جَلَالَةٌ طَلَقَ الْوَجْهَ جَانِبُهُ سَهْلُ
 وَمَالُوا بِالْحُظِي خَلَّتْ أَنَّهُمْ قَبْلُ
 سَدِيدًا وَرَأْيَا مِثْلَ مَا أَنْضِي النَّصْلُ
 كَرِيمُ وَأَبْرَى غُلْهَا قَوْلِكَ الْفَضْلُ
 عَلَى حِينِ بُعْدِ مِنْهُ وَأَجْتَمَعَ الشَّمْلُ
 قِرَاكَ فَلَا ضَنْغَنُ لَدَيْهِمْ وَلَا ذَحْلُ
 عَطَاءِ كَرِيمٍ مَا تَكَاؤُدُهُ بُحْلُ
 كَمَا عَمَّهُمْ بِالْأَمْسِ نَائِكَ الْجَزْلُ
 فَمِنْكَ يَهَا النُّعْمَى جَرَتْ وَلَكَ الْفَضْلُ

١٤٠ من قصيدة لابراهيم بن العباس في الفضل بن سهل

يُمِضِي الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهِتِهِ وَتُرِيهِ فِكْرُهُ عَوَاقِبَهَا
 فَيُظَلُّ يُصَدِّرُهَا وَيُورِدُهَا فَيَعْمُ حَاضِرَهَا وَعَائِنَهَا
 وَإِذَا أَلَمْتَ صَعْبَةً عَظُمَتْ فِيهَا الرِّزْيَةُ كَانَ صَاحِبَهَا

أَلَسْتَقْلُ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ وَلَوْتُ عَلَى الْأَيَّامِ جَانِبَهَا
 وَعَدَلْتَهَا بِالْحَقِّ فَأَعْتَدَلْتُ وَوَسِعَتْ رَأْيَهَا وَرَاهِبَهَا
 وَإِذَا الْحُرُوبُ بَدَتْ بَعَثَتْهَا رَأْيًا - تَقُلُّ بِهَا كِتَابَهَا
 رَأْيًا إِذَا نَبَتِ السُّيُوفُ مَضَى عَزَمُ بِهَا فَشَقِي مَضَارِبَهَا
 وَإِذَا الْخُطُوبُ تَأَثَّلَتْ وَرَسَتْ هَدَّتْ قَوَاصِلُهُ نَوَائِبَهَا
 وَإِذَا جَرَتْ بِصَمِيرِهِ يَدُهُ أَبَدَتْ بِهِ الدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا

١٤١ قصيدة ابي محمد عبد الله بن ايوب التيمي في عمرو بن مسعدة

غَرِيبٌ يَحْنُ لِأَوْطَانِهِ وَيَكْبِي عَلَى عَصْرِهِ الذَّاهِبِ
 كَهَالِكِ أَبُو الْفَضْلِ عَمْرٍو وَالنَّدَى مُطَالَمَةَ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ
 وَصِدْقُ الرَّجَاءِ وَحُسْنُ الْوَفَاءِ لِعَمْرٍو بْنِ مُسْعِدَةَ الْكَاتِبِ
 عَرِيضُ الْفِنَاءِ طَوِيلُ الْبِنَا فِي الْعِزِّ وَالشَّرَفِ الثَّقَابِ
 هُوَ الْمُرْتَجَى لِصُرُوفِ الزَّمَانِ وَمُعْتَصِمُ الرَّأْيِ الرَّاهِبِ
 جَوَادٌ بَمَا مَلَكَتْ كَفُّهُ عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ
 نُؤْمِلُهُ لِجِسَامِ الْأُمُورِ وَتَرْجُوهُ لِلجَلَلِ الْكَارِبِ
 خَصِيبُ الْجَنَابِ مَطِيرُ السَّحَابِ بِشَيْبِهِ لَيْنُ الْجَانِبِ
 يَرُوي الْقَنَا مِنْ مَحْوَرِ الْعِدَى وَيَغْرَقُ فِي الْجُودِ كَاللَّاعِبِ
 إِلَيْكَ تَبَدَّتْ بِأَكْوَارِهَا حَرَاجِيجُ فِي مَهْمِهِ لَاجِبِ
 كَانَ نَعَامًا تُبَارِي بِنَا بِوَالِدٍ مِنْ بَرْدٍ عَاصِبِ
 يَرِدُنْ نَدَى كَفِّكَ الْمُرْتَجَى وَيَقْضِينَ مِنْ حَقِّكَ الْوَاجِبِ

وَلِلَّهِ مَا أَنْتَ مِنْ خَيْرٍ بِسَجَلِ لِقَوْمٍ وَمِنْ خَارِبٍ
 فَتَسْقِي الْعِدَى بِكُؤُوسِ الرَّدَى وَتَسْبِقُ مَسْئَلَةَ الطَّالِبِ
 وَكَمْ رَاغِبٍ نِلْتَهُ بِالْعَطَا وَكَمْ نِلْتَ بِالْعَطْفِ مِنْ هَارِبٍ
 وَتِلْكَ الْخَلَائِقُ أُعْطِيَتْهَا وَقَضَلُ مِنَ الْمَانِعِ الْوَاهِبِ
 كَسَبْتَ الثَّنَاءَ وَكَسَبَ الثَّنَاءُ أَفْضَلُ مَكْسَبَةِ الْكَاسِبِ
 يَقِينُكَ يَجْلُو سُورَ الدَّجَا وَظَنُّكَ يُخَيِّرُ بِالْغَابِ
 وَهَذَا الشَّعْرُ يَتَدَقَّقُ طَبَعًا وَسَلَاةً

١٥٢ لما خلص محمد بن عبد الله بن طاهر إبراهيم بن المدبر جود المسألة في امره وبذل
 أن يتسمل في ماله كل ما يطلب به فأعفاه المتوكل من ذلك ولم يلتفت الى عيد الله
 ووجهه لابن طاهر وكان ابراهيم استغاث به ومدحه بقوله :

دَعَوْتُكَ مِنْ كَرْبٍ وَلَيْتَ دَعَوَتِي
 وَلَمْ تَعْرِضْنِي إِذْ دَعَوْتُ الْمَعَادِرُ
 إِلَيْكَ وَقَدْ جَلَيْتُ أوردتْ هَمَّتِي
 وَقَدْ أَعْجَزْتَنِي عَنْ هُمُومِي الْمَصَادِرُ
 نَمَى بِكَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْعِزِّ وَالْعَلَا
 وَحَازَ لَكَ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلَّ طَاهِرُ
 فَأَنْتُمْ بَنُو الدُّنْيَا وَأَمْلَاكُ جَوْهَا
 وَسَاسَتَهَا وَالْأَعْظُمُونَ الْأَكْبَارُ
 مَا تَرُ كَانَتْ لِلْحُسَيْنِ وَمُضَعَبُ
 وَطَلْحَةَ لَا تَحْوِي مَدَاهَا الْمُنْفَاخِرُ
 إِذَا بَدَلُوا قِيْلَ الْغِيُوثُ الْبَوَاكِرُ
 وَإِنْ غَضِبُوا قِيْلَ الْلُيُوثُ الْهُوَاصِرُ
 تُطِيمُكُمْ يَوْمَ الْإِقَاءِ الْبَوَاكِرُ
 وَتَرْهُو بِكُمْ يَوْمَ الْمَقَامِ الْمَنَابِرُ
 وَمَا لَكُمْ غَيْرَ الْأَسْرَةِ مَجْلِسُ
 وَلَا لَكُمْ غَيْرَ السُّيُوفِ مَخَاصِرُ
 وَبِى حَاجَةٌ إِنْ شِئْتَ أَحْرَزْتَ مَجْدَهَا
 وَسَرَّكَ مِنْهَا أَوْلُ ثُمَّ آخِرُ
 كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَطْفُهُ
 فَمَا لِي بَعْدَ اللَّهِ غَيْرَكَ نَاصِرُ

وَأَن سَاعَدَ الْمُقْدُورُ فَالْتَمَحُ وَقَعَ وَإِلَّا فَإِنِّي مُخْلِصُ أَلْوَدِ شَاكِرُ

١٤٣ قال عنتر بن شداد يمدح الملك كسرى انوشروان

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي رَاحَتُهُ قَامَتْ مَقَامَ الْغَيْثِ فِي أَرْمَانِهِ
يَا قِبْلَةَ الْقَصَادِ يَا تَاجَ الْعُلَى يَا بَدْرَ هَذَا الْعَصْرِ فِي كَيَوَانِهِ
يَا مُنْجِلًا نَوَى السَّمَاءِ بِجُودِهِ يَا مُنْقِذَ الْحَزُونَ مِنْ أَحْزَانِهِ
يَا سَاكِبِينَ دِيَارِ عَنَسِ إِنِّي لَأَقِيتُ مِنْ كَسْرَى وَمِنْ إِحْسَانِهِ
مَا لَيْسَ يُوصَفُ أَوْ يُقَدَّرُ أَوْ يُفِي أَوْصَافَهُ أَحَدٌ يَوْصِفُ لِسَانِهِ
مَلِكُ حَوَى رُبَّ الْمَعَالِي كُلِّهَا بِسُمُوِّ مَجْدِ حَلِّ فِي إِيْوَانِهِ
مَوْلَى بِهِ شَرَفُ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَالْدَهْرُ نَالَ الْفَخْرَ مِنْ تَيْجَانِهِ
وَإِذَا سَطَا خَافَ الْأَنَامُ جَمِيعَهُمْ مِنْ بَأْسِهِ وَاللَيْثُ عِنْدَ عِيَانِهِ
الْمُظْهِرُ الْإِنْصَافِ فِي أَيَّامِهِ بِخِصَالِهِ وَالْعَدْلَ فِي بُلْدَانِهِ
أَمْسَيْتُ فِي رُبْعِ خَصِيبٍ عِنْدَهُ مُتَزِّهًا فِيهِ وَفِي بُسْتَانِهِ
وَنَظَرْتُ بِرُكْنِهِ تَفِيضُ وَمَاوَهَا بِحِكْمِي مَوَاهِبَهُ وَجُودَ بِنَانِهِ
فِي مَرْبَعٍ جَمَعَ الرَّبِيعَ بِرَبْعِهِ مِنْ كُلِّ فَنِّ لَاحَ فِي أَقْفَانِهِ
وَطُيُورُهُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَنْشَدَتْ جَهْرًا بَأَنَّ الدَّهْرَ طَوَّعَ عِنَانِهِ
مَلِكٌ إِذَا مَا جَالَ فِي يَوْمِ اللِّقَا وَقَفَ الْعَدُوُّ مُحْضِرًا فِي سَانِهِ
وَالنَّصْرُ مِنْ جُلْسَانِهِ دُونَ الْوَرَى وَالسَّعْدُ وَالْإِقْبَالَ مِنْ أَعْوَانِهِ
فَلَا شُكْرَنَّ صَنِيعَهُ بَيْنَ الْمَلَا وَأَطَاعَ عَنِ الْفَرَسَانِ فِي مِيدَانِهِ
قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي الْبَرَامِكَةِ :

إِنَّ الْبَرَامِيكَ الْكِرَامَ تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْجَمِيلِ وَعَلَّمُوهُ النَّاسَا
كَانُوا إِذَا عَرَسُوا سَقَوْا وَإِذَا بَنَوْا لَا يَهْدُمُونَ لِمَا بَنَوْهُ أَسَاسَا
وَإِذَا هُمْ صَنَعُوا الصَّنَائِعَ فِي الْوَرَى جَعَلُوا لَهَا طِيبَ الْبِقَاءِ لِبَاسَا

١٤٤ شمس الدين القادري الشاعر الملقب في جلال الدين السيوطي

إِمَامُ اجْتِهَادِ عَالِمُ الْعَصْرِ عَامِلٌ بِجَامِعِ فَضْلِ نَاسِكٍ مُتَّحِدٍ
وَيُحْسِدُ طَرْفَ النُّجْمِ بِالْعِلْمِ طَرْفَهُ إِذَا بَاتَ لَيْلًا فِيهِ وَهُوَ مُسَهَّدٌ
وَيَقْدَحُ زَنْدَ الْعِزْمِ زَنْدَ ذِكَايِهِ فَيَضِغُ مِنْهُ فِكْرُهُ يَتَوَقَّدُ
وَمِنْ مَدَدِ الْمَوْلَى وَعَيْنِ عِنَايَةِ وَتَوْفِيقِهِ يَحْيَا وَيُحْيِي وَيُحْمَدُ
وَيُحْتَدُّ قَدَطَالِ فِي الْعِلْمِ مُدْرَكَا وَبَعَا قَفِي كُلِّ الْعُلُومِ لَهُ يَدُ
فَحَقَّ لَهُ دَعْوَى اجْتِهَادٍ لِأَنَّهُ هُوَ الْبَحْرُ عِلْمًا زَاخِرُ الْبَحْرِ مُزِيدُ
فَمِنْ ذَلِكَ عِلْمٌ بِالْكِتَابِ وَسَنَةٌ تُبَيِّنُ مَا فِي بَحْرِهِ فَهُوَ مُورِدُ
وَفُحْوَى خِطَابٍ ثُمَّ مَفْهُومٌ مَا بِهِ يَدُلُّ عَلَى مَفْهُومِهِ حَيْثُ يُوجَدُ
وَمَعْرِفَةٌ الْأَخْبَارِ ثُمَّ رَوَاتِبَهَا عُدُولًا وَمِنْ بِالطَّعْنِ فِيهِ زَدُّ
وَفِي النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ لِلْمَرْءِ عَصِمَةٌ مِنَ اللَّحْنِ فَالْحَمَانُ بِاللَّحْنِ مُكْمَدُ
وَمَعْرِفَةٌ الْأِعْرَابِ أَرْفَعُ مَرْتَبِي فَطَوْبِي لِمَنْ يَرْقَى إِلَيْهِ وَيَصْعَدُ
وَعِلْمُ الْمَعَانِي وَاللِّبَانِ كِلَاهُمَا مَرَّاقٍ إِلَى عِلْمِ الْبَدِيعِ وَمَضْعَدُ
وَسُلْطَانُ مَنْقُولِ الْفَقِيهِ مَتَى يَجِدُ وَزَيْرًا مِنَ الْمَعْشُولِ فَهُوَ مُؤَيَّدُ
وَإِنَّ الْجَلَالَ السُّيُوطِيَّ لِنَهْدِي كَكَوْكَبِ عِلْمٍ بِالضِّيَاءِ يَتَوَقَّدُ
وَقَدْ جَادَصُوبُ الْعِلْمِ رَوْضَةَ أَصْلِهِ فَطَابَ لَهُ بِالْعِلْمِ فَرَعٌ وَحَمْدُ

وَذِي حَسَدٍ مُغْرَى بَتَعْدَادِ فَضْلِهِ
 فَلَوْ أَبْصَرَ الْكُفَّارُ فِي الْعِلْمِ دَرْسَهُ
 فَخَذَهَا جَلَالَ الدِّينِ فِي الْمَدْحِ كَلِمًا
 وَلَا تَبْتَسُّ مِنْ قَوْلِ وَاشٍ وَحَاسِدٍ
 وَمَنْ لَحَظَتْ مَسْعَاهُ عَيْنُ عِنَايَةٍ
 فَهَذَا اعْتِقَادُ الْمُؤْمِنِينَ أُولِي النُّهَى
 وَإِنَّ جَلَالَ الدِّينِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ
 وَإِنَّ الْعَوَافِي ضَمَّنَ ذِرْعَانَ الَّذِي
 وَإِنَّ الْفَقِيرَ الْقَادِرِي لِعَاجِزٍ
 وَقَاهُ إِلَهُ الْعَرْشِ مِنْ كُلِّ مِحْنَةٍ
 عَلَى نَفْسِهِ يَبْكِي أَسَى وَيَعْدُدُ
 وَقَدْ شَاهَدُوا تَقْرِيرَهُ لَتَشْهَدُوا
 لَهَا حَيْدُ حُسْنِ بِالنُّجُومِ مُقَلَّدُ
 فَمَا بَرَحَتْ أَهْلُ الْقَضَائِلِ تَحْسُدُ
 فَطَرَفُ أَعَادِيهِ مَدَى الدَّهْرِ أَرْمَدُ
 فَلَا يَكُ فِي هَذَا لَدَيْكَ تَرَدُّدُ
 يَبْنِي عُلُومَ الدِّينِ سَيْفٌ مُجَرَّدُ
 لَهُ مِنْ تَصَانِيفٍ قَلَيْسَتْ تَعَدُّ
 عَنِ الْمَدْحِ فِي عُلْيَاهُ إِذْ يَتَمَصَّدُ
 وَمَا أَصْمَرَتْ يَوْمًا عِدَاهُ وَحَسَدُ

مدح الخلفاء

مدح معاوية لابن ارضاة

١٤٥

وَإِنِّي أَمْرٌ أَنَّمِي إِلَى أَفْضَلِ الْوَرَى
 إِلَى نَصِيدٍ مِنْ عِبْدِ شَمْسٍ كَانَهُمْ
 مِيَامِينَ بَرَضُونَ الْكُفَايَةَ إِنْ كُفُوا
 غَطَارِقَةٌ سَاسُوا الْبِلَادَ فَاحْسَنُوا
 فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُوسِرًا يَفْشُ فَضْلُهُ
 وَإِنْ تَبَسَّطَ النُّعْمَى لَهُمْ يَنْسُطُوا بِهَا
 وَإِنْ تَرَوْ عَنْهُمْ لَا يَضْجُوا وَتَلْفَهُمْ
 عَدِيدًا إِذَا أُرْفَضَتْ عَصَا الْمُتَخَلِّفِ
 هَضَابُ أَجَازِكُنْهَا لَمْ تَقْصَفِ
 وَيَكْفُونَ مَا وُلُّوا بِغَيْرِ تَكْلِفِ
 سِيَاسَتِهَا حَتَّى أَقْرَتْ بِرُذِفِ
 وَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُعْسِرًا يَتَعَفَّفِ
 أَكْفًا سِبَاطًا نَفْعَهَا غَيْرُ مَرْفِ
 قَلِيلِ التَّشْكِيِّ عِنْدَهَا وَالتَّكْلِفِ

إِذَا أَنْصَرَفُوا لِلْحَقِّ يَوْمًا تَصَرَّفُوا إِذَا الْجَاهِلُ الْحَيْرَانُ لَمْ يَتَصَرَّفِ
سَمَوْا فَعَلَوْا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا بَيْنَانِ عَالٍ مِنْ مُنِيفٍ وَمُشْرِفِ
١٤٦ دخل كثير أبو صخر والأحوص على عمر بن عبد العزيز فأنشده كثير:

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تَخَفْ بَدِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ
وَقَاتَ فَصَدَقْتَ الَّذِي قَاتَ بِالَّذِي فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ
أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي أَلْقَى بَعْدَ زَيْنِهِ مِنَ الْأَوْدِ اللَّبْدِي ثِقَافُ الْمُقَوْمِ
لَقَدْ لَيْسَتْ لُبْسُ الْمُلُوكِ يُبَالِهَا تَرَأَتْ لَكَ الدُّنْيَا يَكْفٍ وَمَنْعَمٍ
وَتَوْمَضُ أَحْيَانًا بَيْنَ مَرِيضَةٍ وَتَبَسُّمٍ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ الْمُنْظَمِ
فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا مُشْمِزًا كَأَنَّمَا سَقَتْكَ مَدُوفًا مِنْ سِمَامٍ وَعَلَقَمٍ
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْيَالِهَا فِي مُنْعَمٍ وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مَزِيدِ الْمَوْجِ مُفْعَمٍ
وَمَا زِلْتَ سَبَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ صَعِدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمُقَدَّمِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفَوْا وَلَمْ يَكُنْ لِطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ
رَزَكَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُؤْتَقًا وَآثَرَتْ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مُصَنَّمٍ
فَأَضْرَرْتَ بِالْقَانِي وَتَمَرَّتْ لِلَّذِي أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلَمٍ
وَمَا لَكَ إِذْ كُنْتَ الْحَلِيفَةَ مَانِعُ سِوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَا دَمٍ
سَمَا لَكَ هَمٌّ فِي الْفَوَادِ مُورِقُ صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْعَالِي بِسَلْمٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ تَقَسُّمًا لَكَ الشُّطْرُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرِ نَدَمٍ
فَعَشْتَهُ بِهِ مَا حَجَّ لِلَّهِ رَاكِبُ مَعْدُ مُطِيفُ بِالْمَقَامِ وَزَمَزَمِ
فَأَرْبَحُ بِهَا مِنْ صَفْقَةِ الْمُبَايِعِ وَأَعْظَمُ بِهَا أَعْظَمُ بِهَا ثُمَّ أَعْظَمُ

فقال له يا كثير إن الله سائلك عن كل ما قلت . ثم تقدم إليه الأحرص فاستأذنه فقال :
قل ولا تقل إلا حقاً فإن الله سائلك فأنشده :

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مُؤَلَّفٍ يَنْطِقُ حَقًّا أَوْ يَنْطِقُ بَاطِلًا
فَلَا تَقْبَلْنَ إِلَّا الَّذِي وَافَقَ الرِّضَا وَلَا تَرْجِعْنَ كَالنِّسَاءِ الْأَرَامِلِ
رَأَيْتَاكَ لَمْ تَعْدِلِ عَنِ الْحَقِّ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةَ فِعْلِ الظَّالِمِ الْعَجَادِلِ
وَلَكِنْ أَخَذْتَ الْحَقَّ جُهْدَكَ كُلَّهُ وَتَقَوُّوْا مِثَالَ الصَّالِحِينَ الْأَوَائِلِ
فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَأْنَا وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ صُدُوفِهِ
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ صُدُوفِهِ وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافَهُ
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافَهُ لَمَا وَخَدْتَ شَهْرًا بِرِخْلِي جِسْرَةَ
لَمَّا وَخَدْتَ شَهْرًا بِرِخْلِي جِسْرَةَ وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ
وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ للشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ للشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَعْيبُهُ
وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَعْيبُهُ فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَمَحْضَ مَوَدَّةٍ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَمَحْضَ مَوَدَّةٍ فَذَا دَوَّاعِدُوا السَّلْمَ عَنْ عُمْرِ دَارِهِمْ
فَذَا دَوَّاعِدُوا السَّلْمَ عَنْ عُمْرِ دَارِهِمْ فَفَبَلِّغْ مَا أَعْطَى الْهَيْدَةَ جُلَّةً
فَفَبَلِّغْ مَا أَعْطَى الْهَيْدَةَ جُلَّةً فَكُلُّ الَّذِي عَدَدْتُ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ

١٥٧ أخبر علي بن سليمان الأخفش قال : كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد الندوس
وعلي بن الحليل في الرندقة وكان علي بن الحليل استأذن أبا نواس في الشعر فأنشده علي بن
الحليل قصيدة منها :

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَنْتَ كُلِّهِمْ
 وَكَذَلِكَ لَنْ تَنْفِكَ خَيْرَهُمْ
 لِلَّهِ مَا هَارُونُ مِنْ مَلِكٍ
 مَلِكٌ عَلَيْهِ لِرَبِّهِ نَعَمٌ
 تَحْكِي خِلَافَتَهُ يَبْهَجُهَا
 مِنْ عِثْرَةٍ طَابَتْ أَرْوَمُهَا
 نَطَقَ إِذَا أَحْضَرْتَ مَجَالِسَهُمْ
 إِنِّي إِلَيْكَ جَلَّاتٌ مِنْ هَرَبٍ
 وَأَخْتَرْتُ حَلْمَكَ لَا أَجَاوِزُهُ
 لَمَّا اسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي هَلٍ
 كَمْ قَدْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ مُدْرِعًا
 إِنْ هَاجَنِي مِنْ هَاجِسٍ جَزَعٌ

فأطلقه الرشيد وقتل صالح بن عبد القدوس واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله:

والشج لا يترك أخلافه حتى يوارى في ثرى رمسه

١٤٨ أخبر محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبد الله وأخي أحمد قالا: لما بلغ المأمون وصرافى حد الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل له خطبة يقوم بها يوم الجمعة. فعملنا له خطبته المشهورة وكان جهور الصوت حين اللجة. فلما خطب جارت له قلوب الناس وابكى من سمعه. فقال أبو محمد اليزيدي بمدح المأمون:

لَيْتَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَامَةٌ
 عَلَيْهِ بِهَا شُكْرُ الْإِلَهِ وَجُوبٌ
 يَا وَيَّيَّ الْعَهْدِ مَأْمُونٌ هَاشِمٍ
 بَدَأَ قَضْلَهُ إِذْ قَامَ وَهُوَ خَطِيبٌ
 وَمَا رَمَاهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 يَا بَصَارِهِمْ وَالْعُودُ مِنْهُ صَلِيبٌ

رَمَاهُمْ يَقُولُ أَنْصَتُوا عَجَبًا لَهُ
 وَلَمَّا وَعَتْ أَذَانَهُمْ مَا أَتَى بِهِ
 فَأَبْكَى عُيُونَ النَّاسِ أَبْلَغُ وَأَعْظَمُ
 مَهَيْبٌ عَلَيْهِ لِلوَقَارِ سَكِينَةٌ
 وَلَا وَاجِبٌ فَوْقَ الْمُنَائِرِ قَلْبُهُ
 إِذَا مَا عَلَا الْمَأْمُونُ أَعْوَادَ مِنْبَرٍ
 تَصَدَّعَ عَنْهُ النَّاسُ وَهُوَ حَدِيثُهُمْ
 شَيْبُهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَزَامَةَ
 إِذَا طَابَ أَصْلُ فِي عُرُوقِ مَشَاجِهِ
 فَضْلٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بِهِ
 كَانَ لَمْ تَعْبَ عَنْ بَلَدَةٍ كَانَ وَالِيًا
 تَتَّبَعُ مَا يُرْضِيكَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ
 وَرِثْتُمْ بَنِي الْعَبَّاسِ إِرْثَ مُحَمَّدٍ

فلما وصلت هذه الأبيات الى الرشيد أمر لأبي محمد بن الحسين الف درهم ولابنه محمد بن

(الافاني)

ابي محمد بنه

انشد حسين بن الضحاک يوم بوع بالخلافة للمقتصد

١٤٩

خَيْرُ الْوَفُودِ مُبَشِّرٌ بِخِلَافَةٍ خَصَّتْ بِبَهْجَتِهَا أَبَا إِسْحَاقِ
 وَافَتْهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً مِنْ كُلِّ مُشْكَلَةٍ وَكُلِّ شِعَاقِ
 أَعْطَتْهُ صَفْقَتَهَا الضَّمَامِ طَاعَةً قَبْلَ الْأَكْفِ بِأَوْكَدِ الْيَتَاقِ

سَكَنَ الْأَنَامُ إِلَى إِمَامِ سَلَامَةٍ عَفِ الصِّمِيرِ مَهْدَبِ الْأَخْلَاقِ
فَحَى رَعِيَّتَهُ وَدَافَعَ دُونَهَا وَأَجَارَ مُمْلِقَهَا مِنَ الْإِمْلَاقِ
قُلِّ لِلأُولَى صَرَفُوا الْوُجُوهَ عَنِ الْهَدَى مُتَعَسِّفِينَ تَعَسَّفَ الْمَرَاقِ
إِنِّي أَحْذِرُكُمْ بَوَادِرَ صَيْغَمٍ دَرَبِ بِحَطْمِ مَوَائِلِ الْأَعْتَاكِ
مُتَأَهَّبٍ لَا يَسْتَفِزُ جَنَانَهُ زَجَلُ الرُّعُودِ وَلَا مِعُ الْأَبْرَاقِ
لَمْ يُبْقِ مِنْ مُتَزَمِينَ تَوَثَّبُوا بِالشَّامِ عَيْدُ جَمَاجِمِ أَفْلَاقِ
مِنْ بَيْنِ مُجْبَلٍ تَبَّحُّ عُرُوقُهُ عَلَقَى الْأَخَادِعِ أَوْ أُسِيرِ وَثَاقِ
وَتَنَى أَحْيُولَ إِلَى مَعَاقِلِ قَيْصَرٍ تَحْتَالُ بَيْنَ أُجْرَةِ وَدَقَاقِ
يَحْمَلْنَ كُلُّ مُشْتَرٍ مُتَعَسِّمٍ لَيْثِ هِزْبٍ أَهْرَتِ الْأَشْدَاقِ
حَتَّى إِذَا أَمَّ الْحُصُونَ مَنَازِلَا وَالْمَوْتُ بَيْنَ تَرَابِ وَتَرَاقِ
هَرَّتْ بَطَارِقُهَا هَرِيرَ قَسَاوِيرٍ بَدَهَتْ بِأَكْرَهٍ مَنَظَرَ وَمَذَاقِ
ثُمَّ اسْتَكَانَتْ لِلْحِصَارِ مُلُوكُهَا ذُلًّا وَنَاطَ حُلُوقَهَا بِجَنَاقِ
هَرَبَتْ وَأَسْلَمَتْ اللِّوَاءَ عَيْشِيَّةً لَمْ يُبْقِ غَيْرُ حُشَاشَةِ الْأَزْمَاقِ

حتى أتمها فقال له المصنم: ادن مني . فدنا منه فلأفه جوهرًا من جوهر كان بين يديه .
ثم أمره بان يخرجهُ من فيه فاخرجه وأمر بان يُنظَّم ويدفع اليه . ويخرج الى الناس وهو
في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله فكان أحسن ما مدح به يومئذ (الافغانى)

١٥٠ أخبر إبراهيم بن حسن بن سهل قال: كنت مع الواثق بالقاطول وهو يتصيد فصاد
صيداً حسناً وهو في الزور من الإوز والدرّاج وطير الماء وغير ذلك . ثم رجع فتعدى ودعا
بالجساء والمغنين وطرب وقال: من يشد . فقام الحسين بن الضمّك فأنشده :

سَقَى اللَّهُ بِالْقَاطُولِ مَسْرَحَ طَرْفِكََا وَخَصَّ بِسُقْيَاهُ مَنَاقِبَ قَبْصِرِكََا
حَتَّى أَتَمَّهِ إِلَى قَوْلِهِ :

تَحَيْنُ لِلدَّرَاجِ فِي جَنَابَتِهِ وَلِلغِرِّ آجَالُ قُدْرِنَ بِكَفِكََا
 حُوقًا إِذَا وَجَّهْتَنَ قَوَاصِبًا عَجَالًا إِذَا أَغْرَبْتَنَ بِزَجْرِكََا
 أَبْحَتَ حَمَامًا مُضْعِدًا وَمُصُوبًا وَمَارَمْتَ فِي حَالِيكَ مَجْلِسَ لَهْوِكََا
 تَصَرَّفُ فِيهِ بَيْنَ نَائِي وَمُسْمِعٍ وَمَشْمُولَةٍ مِنْ كَفِّ ظَبِي لِسْمِيقِكََا
 قَضَيْتَ لِبَانَاتٍ وَأَنْتَ مُخَيَّمٌ مُرِيحٌ وَإِنْ شَطَّتْ مَسَافَةٌ عَزِيمِكََا
 وَمَا نَالَ طَيْبَ الْعَيْشِ إِلَّا مُودَعٌ وَمَا طَابَ عَيْشُ نَالَ مَجْهُودٍ كَدِّكََا

فقال الوراق : ما يعدل الراحة ولذة الدعة شيء ؛ فلما انتهى الى قوله :

خُلِقْتَ أَمِينَ اللَّهِ لِلخَلْقِ عِصْمَةً وَأَمْنَا فُكُلٌ فِي ذَرَاكَ وَظِلِّكََا
 وَتَفَّتْ يَمْنٌ سَمَّاكَ بِالغَيْبِ وَائْتِقَا وَتَبَّتْ بِالتَّأْيِيدِ أَرْكَانَ مُلْكِكََا
 فَأَعْطَاكَ مُعْطِيكَ الخِلَافَةَ شُكْرَهَا وَأَسْعَدَ بِالتَّقْوَى سِرِيرَةَ قَلْبِكََا
 وَزَادَكَ مِنْ أَعْمَارِنَا غَيْرَ مِثَّةٍ عَلَيْكَ بِهَا أضعَافُ أضعَافِ عُمَرِكََا
 وَلَا زَالَتِ الأَقْدَارُ فِي كُلِّ حَالَةٍ عُدَاةَ لِمَنْ عَادَاكَ سِلْمًا لِسِلْمِكََا
 إِذَا كُنْتُ مِنْ جَدْوَالِكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ فَلَا كُنْتُ إِذْ لَمْ أَقْنِ عُمْرِي بِشُكْرِكََا

فطرب الوراق فضرب الأرض بجنفزة كانت في يده وقال : لله درك يا حسين ما أقرب قلبك من لسانك . فقال : يا أمير المؤمنين جودك ينطق الفصح بالشعر والجاهد بالشكر . فقال له : لن تنصرف إلا مسروداً . ثم أمر له بخمسين الف درهم .

١٥١ قصيدة ابي بكر بن عمار في الخليفة المعتضد بالله العباسي

مَلِكٌ إِذَا أَرَدَحَمَ المُلُوكَ بِمَوْرِدٍ وَنَحَاهُ لَا يَرْدُونَ حَتَّى يَصْدُرَا
 أُنْدَى عَلَى الأَكْبَادِ مِنْ قَطْرِ الأَنْدَى وَالأَذَى فِي الأَجْفَانِ مِنْ سِنَّةِ الكَرَى
 قَدَّاحُ زَنْدٍ أَلْجِدِ لَا يَتَفَكُّ عَنْ نَارِ الأَوْعَى إِلَّا إِلَى نَارِ الأَقْرَى

لَا خَلْقَ أَقْرَأَ مِنْ شِفَارِ حُسَامِهِ
 آيَقُنْتُ أَنِّي مِنْ ذَرَاهُ بَجْنَةٍ
 وَعَلِمْتُ حَقًّا أَنَّ رَبِّي مُخْصِبٌ
 مَنْ لَا تَوَازُنُهُ الْجِبَالُ إِذَا أَحْتَبَى
 مَاضٍ وَصَدْرُ الرَّمَحِ يَكْتُمُ وَالظُّبَى
 فَإِذَا الْكُنَائِبُ كَالْكُوكَبِ فَوْقَهُمْ
 مِنْ كُلِّ أَيْضٍ قَدْ تَقَلَّدَ أَيْضًا
 مَلِكٌ بَرُوقَكَ خَلْفَهُ أَوْ حُفَّهُ
 أَقْسَمْتُ بِأَسْمِ الْفَضْلِ حَتَّى يَمْتَهُ
 وَجْهَتْ مُعْنَى الْجُودِ حَتَّى زُرْتَهُ
 فَاحَ الثَّرَى مُتَعَطِّرًا بِنَنَايِهِ
 وَتَوَجَّتْ بِالزَّهْرِ ضَلْعُ هِضَابِهِ
 هَضَرَتْ يَدِي بِمُضْنِ النَّدَى مِنْ كَفِّهِ
 حَسْبِي عَلَى الصَّنْعِ الَّذِي أَوْلَاهُ أَنْ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْمُنَى
 السِّيفُ أَفْضَحُ مِنْ زِيَادِ خُطْبَةٍ
 مَا زِلْتُ تُعْنِي مِنْ عَنَى لَكَ رَاجِيًا
 حَتَّى حَلَلْتُ مِنَ الرَّأْسَةِ مَخْجِرًا
 شَقِيتُ بِسَيْفِكَ أُمَّةً لَمْ تَعْتَقِدْ
 إِلَّا الْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بِرَدًّا
 إِنْ كُنْتُ شَبَّهْتُ الْوَاكِبَ أَسْطَرًا
 لَمَّا سَقَانِي مِنْ نَدَاهُ الْكُوزًا
 لَمَّا سَأَلْتُ بِهِ الْعَمَامَ الْمُطْرًا
 مَنْ لَا تُسَابِقُهُ الرِّيحُ إِذَا جَرَى
 تَبَيُّوْا وَيَدِي أَحْيَلُ تَعْرِفِي الْبَرَى
 مِنْ لَآئِمِهِمْ مِثْلُ السَّحَابِ كَنُورًا
 عَضْبًا وَأَسْمَرَ قَدْ تَأَبَّطَ أَسْمَرًا
 كَالرَّوْضِ يُحْسِنُ مَنَظَرًا أَوْ مَخْبَرًا
 قَرَأْتُهُ فِي بُرْدَتِهِ مُصَوَّرًا
 فَرَأْتُهُ فِي رَاحَتِهِ مُفَسَّرًا
 حَتَّى حَسَبْنَا كُلُّ رَبٍّ غَيْرًا
 حَتَّى ظَنَّنَا كُلُّ هَضْبٍ قَيْصَرًا
 وَجَنَّتْ بِهِ رَوْضَ السُّرُورِ مُنُورًا
 أَسْمَى بِجِدِّهِ أَوْ أُمُوتَ فَأَعْذَرًا
 وَحَبَاهُ مِنْهُ يَمِثِلُ حَمْدِي أَنْوَرًا
 فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مَنِيرًا
 نَيْلًا وَتُفْنِي مَنْ عَتَا وَجَبْرًا
 رَحْبًا وَصَمَّتْ مِنْكَ طَرْفًا أَحُورًا
 إِلَّا الْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بِرَدًّا

أَثَرَتْ رُحْمَكَ مِنْ رُؤُوسِ كَتَمِهِمْ
 وَصَبَّتْ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ
 تَمَّتْهَا وَشَيْئاً بِذِكْرِكَ مُذْهَباً
 مِنْ ذَا يُنَافِحِي وَذِكْرِكَ صَنْدَلٌ
 فَلَمَنْ وَجَدَتْ نَيْمَ حَمْدِي عَاطِراً
 وَإِلَيْكُمَا كَالرَّوْضِ زَارْتُهُ الصَّبَا
 لَمَّا رَأَيْتِ الْعُضْنَ يُعْشَقُ مُشْمِراً
 لَمَّا عَلِمْتَ الْحُسْنَ يَلْبَسُ أَحْمَراً
 وَقَفَّتْهَا مَسْكاً بِحَمْدِكَ أَذْفَرَا
 أوردته من نار فيكري مجمراً
 فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَيْمَ يَرْكُ أَعْطَرَا
 وَحَنَا عَلَيْهِ النَّوْرُ حَتَّى نَوَّرَا

١٥٢ لما عقد المتوكل لولاية اليهود من ولده ركب بسر من رأى ركة لم ير أحسن منها وركب ولاية اليهود بين يديه والأتراك بين أيديهم الطبرزيات الهللة بالذهب ثم نزل في الماء فجلس فيه والحيش معه في الجوانحيات وسائر السفن وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس وأذن للناس فدخلوا إليه فلما تكاملوا بين يديه مثل ابرهيم بن العباس بين الصفيين فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشد:

وَلَمَّا بَدَأَ جَعْفَرٌ فِي أَحْمِيسِ م
 بَدَأَ لِأَيْسَاءِ بِيهَا حُلَّةً
 وَأَزِيلَتْ بِهَا طَالِعَاتُ النَّحُوسِ
 وَلَمَّا بَدَأَ بَيْنَ أَحْبَابِهِ
 وَلاةَ الْيَهُودِ وَعَزَّ النَّفُوسِ
 وَتَمَسَّ مُكَلَّلَةً بِالشُّمُوسِ
 عَدَا قَمْرًا بَيْنَ أَقْمَارِهِ
 وَيَوْمَ أَنْبَقِ وَيَوْمَ عَبُوسِ
 لِإِيْقَادِ نَارٍ وَإِطْفَاءِهَا

ثم أقبل على ولاية اليهود فقال:

أَضْحَتْ عَرَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنُوطَةٌ
 بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٌ
 قَمْرٌ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْمَارُهُ
 رَفَعْتَهُمُ الْآيَامُ وَأَرْتَفَعُوا بِهَا
 بِالنَّصْرِ وَالْإِعْزَازِ وَالتَّأْيِيدِ
 كَفُّوا الْخِلَافَةَ مِنْ وَلاةِ عُهُودِ
 فَحَفَّضَ مَطْلِعَ سَعْدِهِ سَعُودِ
 فَسَعَوْا بِالْأَكْرَمِ أَنْفُسِ وَجُدُودِ

فَأَمْرُ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ وَأَمْرُ لَهُ بِوَلَاةِ الْيَهُودِ بِمِثْلِهَا

١٥٣ قصيدة البحتري في الخليفة المتوكل لما دخل الموصل يوم الفطر

اللَّهُ مَكَّنَ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرُ مَلِكًا يُحْسِنُهُ الْخَلِيفَةَ جَعْفَرُ
 نُعْمَى مِنَ اللَّهِ أَصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا وَاللَّهُ بَرَزَقُ مَنْ يَشَاءُ وَيُقَدِّرُ
 فَاسْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَرَلْ تُعْطَى الزِّيَادَةَ فِي الْبَقَاءِ وَتُشْكِرُ
 عَمَّتْ قَوَاصِلُكَ الْبَرِيَّةَ فَالْتَقَى فِيهَا الْمَقْلُ عَلَى الْغَنَى وَالْمُكْثَرُ
 بِالْبِرِّ ضَمَّتْ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَاحِمٍ وَبِسَنَةِ اللَّهِ الرِّضِيَّةِ تُفْطِرُ
 فَانْعَمَ يَوْمَ الْفِطْرِ عَيْنًا إِنَّهُ يَوْمَ أَعْرُ مِنْ الزَّمَانِ مُشَهَّرُ
 أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمَلِكِ فِيهِ بِمُجْهَلٍ لَبِ يَحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ
 خَلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرُ فِيهِ وَقَدَّعَتْ عِدَدًا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ
 فَالْحَيْلُ تَصْهَلُ وَالنَّوَارِسُ تَدْعِي وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ وَالْأَيْسَةُ تَرَهَرُ
 وَالْأَرْضُ حَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا وَالْجَوُّ مَعْتَكِرُ الْجَوَابِ أَعْبَرُ
 وَالشَّمْسُ مَائِعَةٌ تَوْقَدُ فِي الضُّحَى طَوْرًا وَيُطْفِئُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْثَرُ
 حَتَّى طَلَعَتْ بِضَوْءِ وَجْهِكَ فَالْحَيْلُ ذَلِكَ الدَّجَى وَالْحِجَابُ ذَلِكَ الْعَشِيرُ
 وَأَفَقْنَا فِيكَ النَّاطِرُونَ فَاصْبَعْ يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
 يَجِدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَارَوْا بِهَا مِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
 ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ الرَّشِيدِ فَهَلَّلُوا لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا
 حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمَصَلَّى لِأَيْسَا نُورِ الْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُظْهِرُ
 وَمَشَيْتَ مِشْيَةَ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ لِلَّهِ لَا تَرْهَى وَلَا تَتَكَبَّرُ

قَلَوَانٌ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ عَيْرِمَا
 أُيِدَتْ مِنْ قَسَلِ الْخُطَابِ بِحِكْمَةٍ
 وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ الْخُطِيبِ مُذَكِّرًا
 صَلَّوْا وَرَأَاكَ آخِذِينَ بِعِصْمَةٍ
 وَمَوَاعِظٍ شَفَّتِ الصُّدُورَ مِنَ الَّذِي
 حَتَّى لَقَدْ عَلِمَ الْجَهْلُولُ وَأَخْلَصَتْ
 فَاسْعَدَ بِمَغْفِرَةِ الْإِلَهِ فَلَمْ يَزَلْ
 اللَّهُ أَعْطَاكَ الْمَحَبَّةَ فِي الْوَرَى
 وَلَا نَتَ أَمَلًا لِلْعِيُونِ لَدَيْهِمْ
 فِي وَسْعِهِ لَسَمَى إِلَيْكَ الْمُنِيرُ
 تُنْبِي عَنْ الْحَقِّ الْمُنِيرِ وَتُخْبِرُ
 بِاللَّهِ تُنذِرُ تَارَةً وَتُبَشِّرُ
 مِنْ رَبِّهِمْ وَيَذِمُّهُ لَا تُحْقِرُ
 يَتَعَادَهَا وَشَفَاؤَهَا مُتَعَذِّرُ
 نَفْسُ الْمُرْتَبِي وَاهْتَدَى الْمُتَحَيِّرُ
 يَهَبُ الذُّنُوبَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ
 وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يَنْكُرُ
 وَأَجَلٌ قَدَرًا فِي الصُّدُورِ وَكَابِرُ

١٥٤ من قصيدة لجمال الدين المعروف بابن التيبه في الناصر احمد امير المؤمنين

إِمَامٌ عَدَلٍ لِيَتَّقَى اللَّهُ بَاطِنُهُ
 تَجَسَّدَ الْحَقُّ فِي أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ
 لَهُ عَلَى سَتْرِ سِرِّ الْغَيْبِ مُطَّلَعٌ
 رَاعٍ يَطْرِفُ حَمَى الْإِيمَانِ سَاهِرُهُ
 فِي صَدْرِهِ أَلْبَجْرُ أَوْ فِي بَطْنِ رَاحَتِهِ
 مُجَبَّبٌ فِي سُجُوفِ الْعِزِّ لَوْ فَرَجَتْ
 نَضَاهُ سَيْفًا عَلَى أَعْدَاءِ دَوْلَتِهِ
 فَضْلُ أَصْطِفَاءِ أَتَى مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ
 تَهَنَّ نَعْمَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُمُ
 وَاللَّجَالَةَ وَالْإِحْسَانَ ظَاهِرُهُ
 وَوَجَّتْ بِأَسْمِهِ الْعَالِي مَنَابِرُهُ
 فَمَا مَوَارِدُهُ إِلَّا مَصَادِرُهُ
 سَاطِئُ سَيْفِ أَبَادِ الْجُورِ شَاهِرُهُ
 كِلَاهِمَا يَغْمُرُ السُّؤَالَ زَاخِرُهُ
 عَنْ نُورِ وَجْهِ يَبَاهِي الصُّنْعَ بَاهِرُهُ
 مَا كَلَّ سَيْفٌ لَهُ تُثْنِي خَنَاصِرُهُ
 يَفْنَى بِهِ عَنْ أَخْبَرِ يُوَارِزُهُ
 يَا أَيُّهَا الْأَشْرَفُ الْمُؤْمِنُونَ طَائِرُهُ

بُجِدَ سَيْفِكَ آيَاتُ الْعِصِي نَسِخَتْ
 سَلَّ الْكَلْبَى وَالطَّلِي يَا مَنْ يُسَاجِلُهُ
 إِذَا تَفَرَّعَ نَوْمَ الرَّوْعِ كَافِرُهُ
 فَالْرَمْحُ نَاطِقُهُ وَالسَّيْفُ نَازِرُهُ
 تَجَسَّتْ بِيَدِمِ الْقَتْلِ صَوَارِمُهُ
 جَمُّ النَّوَالِ سَرِيحِ الْبَطْشِ مُتَبِدُّ
 وَإِنْ سَطَا سَدَّتِ الدُّنْيَا عَسَاكِرُهُ
 وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ أَتْبَاعُ تُسَايِرُهُ
 أَوْ يَهْبِطُ الْأَرْضَ عَالَتُهُ كَوَاسِرُهُ
 كَأَلْفُطْبِ لَوْلَاهُ مَا صَحَّتْ دَوَائِرُهُ
 مَنْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ جَاءَتْهُ جَوَاهِرُهُ
 إِنْ جَادَ شِعْرِي فَهَذَا الْفَضْلُ عَلَّمَنِي

وقال أيضاً يمدح السلطان موسى الأشرف

١٥٥

يَسْتَوْجِبُ النَّصْرَ مَنْ صَحَّتْ عَزَائِمُهُ
 بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ نَالَ الْمَجْدَ طَالِبُهُ
 فِي كُلِّ دَوْرٍ لِهَذَا الدِّينِ مُنْتَظَرُهُ
 فَالْيَوْمَ كُلُّ إِمَامِي يُوَاقِفُنَا
 مِنْ يَمَلَا الْأَرْضَ عَدَلًا بَعْدَ مَا مَلَيْتُ
 يَا يَوْمَ دِمِياطَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ شَرَفِي
 رَأَتْ بَنُو الْأَصْفَرِ الْأَعْلَامَ طَالِعَةً
 وَالْجَيْشُ يَلْتَفُ بِرِطَاهُ عَلَى مَلِكِي
 عَنِ كُلِّ بَرَقٍ يَمَانِي غَمَامَتُهُ
 عَنِ كُلِّ بَرَقٍ يَمَانِي غَمَامَتُهُ

وَكُلُّ طَرْفٍ إِذَا طَالَ الطَّرَادُ بِهِ
 وَدُونَ دِمِيَاطٍ بَجْرُ حَالٍ بَيْنَهُمْ
 ذَلُّوا بِمَلِكٍ أَعَانَ اللَّهُ صَاحِبَهُ
 وَسَلَّمُواهَا وَرَدُّوا أَهْلَهَا وَمَضُوا
 كَأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا مَا قَدْ مَضَى زَمَانًا
 أَشْبَهَتْ جَدَّكَ إِبرِهِيمَ وَأَتَفَقَتْ
 قُلُوبَ لِكُفَمَاةٍ وَسِرَّتَهُ سَلَامَتُهُ
 عَادُوا بِحُزْنٍ إِلَى أَوْطَانِهِمْ وَمَضُوا
 تَبْكِي النِّسَاءَ عَلَى أَسْرَى مَلُوكِهِمْ
 يَا بَاذِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُهْجَتُهُ
 لَوْلَاكَ زَلْزَلُ دِينِ الْمُصْطَفَى وَوَهَى
 أَقُولُ لِلْحَاسِدِ الْحُزُونَ ذَا مَلِكُ
 هَذَا اخْتِصَاصُ إلهِي وَمَرْتَبَةٌ
 لَا فَارَقَتْ أَلْسُنُ الْمَدَاحِ دَوْلَتَهُ

وله فيه أيضًا

١٥٦

حَظِي مِنَ الزَّمَنِ الْقَلِيلُ وَهَذِهِ
 أَشْكُو إِلَى شَاهِ أَرْمَنِ مُوسَى الْمَلِكِ
 مَلِكُ إِذَا اعْتَكَرَ الْعِجَاجَ رَأَيْتَهُ
 أَوْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ جَبِينُهُ
 نَفَثَاتٍ فِي وَهَذِهِ كَلِمَاتِي
 لِكِ الْأَشْرَفِ السَّبَّاقِ لِلغَايَاتِ
 طَلَّقَ أَلْمُحِيماً وَاصْبَحَ الْقَسَمَاتِ
 أَوْلَى مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْمِشْكَاتِ

جَرَّارُ أَذْيَالِ الْجِيُوشِ يُخْفِئُهَا طَيْرُ السَّمَاءِ وَكَاسِرُ الْقَلَوَاتِ
 صَمَّتْ لَهَا عَادَاتُ نَصْرِ اللَّهِ أَنْ تَجْرِي جَرَّائِهَا عَلَى الْعَادَاتِ
 أَسَدُ بَرَائِنِهَا النَّصَالُ تَقَحَّمَتْ أَجْمُ الْوَشِيحِ فَعَبْنِ فِي غَابَاتِ
 طَلَعَتْ مِنَ الْخَوْذِ الْحَدِيدِ وَجُوهَهُمْ فَكَانَهَا الْأَقَارُ فِي الْهَالَاتِ
 وَأَسْتَلَمَتْ حَلَقُ الدَّرُوعِ عَلَيْهِمْ فَكَانَهَا لِحْجٌ عَلَى هَضَبَاتِ
 يَرْمِي بِهَا سَبِيلَ الْمَهَالِكِ مَا جِدَّ كَمْ خَاصَ دُونَ الْمَوْتِ فِي عَمَرَاتِ
 كَمْ رَكْعَةٍ لِقَنَائِهِ فِي ثَمْرِ الْعَدَى وَلَسِيفِهِ فِي أَلْهَامٍ مِنْ سَجْدَاتِ
 سَمَرٌ ذَوَائِلُ لَا يَبُلُّ غَلِيلَهَا إِلَّا إِذَا سُقِيَتْ دَمَ الْمُهْجَاتِ
 يُلْبِغِي مَسَامِعَهُ الصَّلِيلُ وَأَيْنَ مِنْ طَبَعِ الْقَيْسُونَ تَطْبَعُ الْقَيْنَاتِ
 ظِلُّ النَّوْدِ مَقِيلُهُ وَمَهَادُهُ جَرْدٌ تَطِيرُ بِهِ إِلَى الْغَايَاتِ
 دُهُمٌ تَخَيَّرَهَا الصَّبَاحُ عَلَى الدَّجَى فَعَدَا وَمَطْلَعُهُ مِنَ الْجِبَّاتِ
 حَمْرٌ تَرَبَّتْ بَيْنَ مُسْتَجِرِ الْقَنَا لَا بُدَّ دُونَ الْوَرْدِ مِنْ شَوْكَاتِ
 شُهْبٌ بِهَا قَدِفَتْ شَيَاطِينُ الْعَدَى فَجَرَّتْ كَجَرِي الشُّهْبِ مُشْتَعَلَاتِ
 هَذَا الَّذِي أَرْضَى الْعِبَادَ وَرَبَّهُمْ بِغَرَائِبِ الْإِحْسَانِ وَالْحَسَنَاتِ
 هَذَا الَّذِي اسْتَعْنَى عَنِ الْوَرَرَاءِ فِي تَدْبِيرِ عَقْدِ الرَّأْيِ وَالرَّيَّاتِ
 سُجَّانٌ مَنْ جَمَعَ الْمَكَارِمَ عِنْدَهُ وَقَضَى عَلَى أَمْوَالِهِ بِشَتَاتِ

وقال أيضاً يمدحه

١٥٧

قَدَّمَسْنِي الضُّرَّ وَمَالِي سِوَى مَنْ يَمْنَعُ الْجَارَ وَلَا يَمْنَعُ
 الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ شَاهَ أَرْمَنُ مُظْفَرُ الدِّينِ أَلْقَى الْأَرْوَغُ

إِنَّ غَاضَ مَاءِ الرِّزْقِ مُوسَى وَإِنْ
 لَهُ يَدٌ ظَاهِرُهَا كَعَمْبَةٍ
 يَبِيضُ فِي السَّلَامِ وَلَكِنَّهَا
 إِذَا دَجَا التَّقَعُّ وَصَلَتْ بِهِ
 سَلَّ حُسَامًا وَأَمَطَى أَشَقْرًا
 طِرْفُ مِنْ الصُّبْحِ لَهُ غُرَّةٌ
 فِي جَنَفِ يَوْمِ يُحْمَدُ يَوْمَ الْوَعَى
 بَحْرٌ حَدِيدٌ مَوْجُ أَبْطَالِهِ
 مَلِكٌ لَهُ الْأَمَلَاكُ مِنْ رَهْبَةٍ
 يُخَيِّفُهَا السُّطُوءَةَ مِنْ بَأْسِهِ
 لَا تَرْضَى هِمَّتُهُ غَايَةَ
 مُبْتَكِرٍ لِلْحَمْدِ مُدَاخَهُ
 تَنَزَّهَتْ أَفْعَالُهُ فَهَوَّعَنْ
 يَا ابْنَ الَّذِي لَوْ كَادَهُ تَبَعُ
 كَفَاهُ فخرًا أَنْ تَكُونَ ابْنُهُ
 بَقِيَتْ لِلْإِسْلَامِ مَا عَرَدَتْ

وقال يمدحه ويستعطفه

١٥٨

اللَّهُ أَبْدَى الْبَدْرِ مِنْ أَرْزَارِهِ
 وَالشَّمْسَ مِنْ قَسَمَاتِ مُوسَى أَطْلَعَهَا
 الْأَشْرَفُ الْمَلِكُ الَّذِي سَادَ الْوَرَى
 كَهْلًا وَمُكْتَمِلَ الشَّبَابِ وَمُرْضَعًا

رُدَّتْ بِهِ يَمْسُ السَّمْحَ عَلَى التُّورَى
 سَهْلٌ إِذَا لَسَ الصَّفَا سَالَ النَّدَى
 دَانَ وَلَكِنْ مِنْ سُؤَالِ عُفَاتِهِ
 يَا بَرِّقْ هَذَا مِنْكَ أَصْدَقُ شَيْئَةً
 يَا رَوْضُ هَذَا مِنْكَ أَبْهَجُ مَنْظَرًا
 يَا سَهْمُ هَذَا مِنْكَ أَصُوبُ مَقْصِدًا
 يَا صُبْحُ هَذَا مِنْكَ أَسْفَرُ غَرَّةً
 حَمَلْتَ أَنَامِلَهُ السُّيُوفَ فَلَمْ تَرَلْ
 حَلَّتْ فَلَا بَرِحَتْ مَكَانًا لَمْ يَزَلْ
 أَمْظَفَرِ الدِّينِ أَسْمِعْ قَوْلِي وَقُلْ
 أَيُضِيقُ بِي حَرَمُ أَصْطِنَاعِكَ بَعْدَمَا
 وَعَلَى كَيْلَا الْحَالَيْنِ إِنِّي شَاكِرٌ

وقال يمدحه وهي من القصائد المرقصة

١٥٩

وَاللَّهِ تَوْ قَيْسَ بِهِ حَاتِمٌ
 ذَا يَمَلُّ الْأَرْضَ بِإِحْتَانِهِ
 يَرَوِي الْعُلَى عَنْ نَفْسِهِ عَنْ أَبِي
 قَدْ نَظَّمَ أَنْجِدُ لَهُ نِسْبَةً
 لِي السِّيفِ طَلِقَ الْأَمْرِ طَلِقَ اللِّسَانِ
 هَذَا جِنِيُّ يَانِعُ أَمْ جِنَانُ

لَهُ عَلَى وَقَعِ الطَّبِي هِزَّةٌ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانَ يَوْمَ الرَّهَانِ
صَالَتْ وَصَلَتْ فِي رُوُوسِ الْعِدَى كَأَنَّ فِي الْأَذَانِ مِنْهَا أَذَانُ
مَوْلَايَ جِدْ وَأَنْعَمِ وَصَلْ وَاقْتَدِرْ وَافْتِكْ فَمَا تَفْرَحُ أُمَّ الْجَبَانَ
وَأَزْكَبْ جَوَادَ الدَّهْرِ وَأَسْبِقْ إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ قَدْ مَلَكَتَ الْعَنَانَ
دُمْتُ بَنِي أَيُّوبَ فِي نِعْمَةٍ تَجُوزُ فِي التَّخْلِيدِ حَدَّ الزَّمَانِ
وَاللَّهِ مَا زِلْتُمْ مُلُوكَ الْوَرَى شَرْقًا وَغَرْبًا وَعَلَى الضَّمَانَ

١٦٠ قال ابن عَنِينِ فِي الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَفِي أَوْلَادِهِ

وَلَهُ الْبُنُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ مِنْهُمْ مَلِكٌ يَفُودُ إِلَى الْأَعَادِي عَسْكَرًا
مِنْ كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ تَحَالُهُ بَدْرًا وَإِنْ شَهِدَ الْوَعَى فَفَضَّنَفْرًا
مُتَقَدِّمٌ حَتَّى إِذَا التَّقَى التَّجَلَّى بِالْبَيْضِ عَنْ سَبِيِ الْحَرِيمِ تَأَخَّرَا
قَوْمٌ زَكُوا أَصْلًا وَطَابُوا مَحْتَدًا وَتَدَفَّقُوا جُودًا وَرَاقُوا مَنْظَرًا
وَتَعَاَفَ خَيْلُهُمُ الْوُرُودَ بِمَنْهَلٍ مَا لَمْ يَكُنْ يَدَمُ الْوَقَائِعِ حُمْرًا
يَعْشُو إِلَى نَارِ الْوَعَى شَغْفًا بِهَا وَيَجِلُّ أَنْ يَعْشُو إِلَى نَارِ الْقَرَى
الْعَادِلُ الْمَلِكُ الَّذِي أَسْمَاؤُهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تُشْرِفُ مِنْبَرًا
وَبِكُلِّ أَرْضٍ جَنَّةٌ مِنْ عَدْلِهِ الصَّافِي أَسَالَ نَدَاهُ فِيهَا كَوُورًا
عَدْلٌ بَيْتِ الذُّبِّ مِنْهُ عَلَى الطَّوَى غَرْنَانَ وَهُوَ بَرَى الْغَزَالَ الْأَعْفَرَا
مَا فِي أَبِي بَكْرٍ لِمُعْتَدِ الْهُدَى شَكٌّ مَرِيبٌ أَنَّهُ خَيْرُ الْوَرَى
سَيْفٌ صِقَالُ الْمَجْدِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ وَأَبَانَ طَيْبُ الْأَصْلِ مِنْهُ الْجَوْهَرَا
مَا مَدَحَهُ بِالْمُسْتَعَارِ لَهُ وَلَا آيَاتُ سُودْدِهِ حَدِيثٌ يُفْتَرَى

بَيْنَ الْمُلُوكِ الْغَابِرِينَ وَبَيْنَهُ
 لَسَّخَتْ خَلَاتُهُ الْحَمِيدَةَ مَا آتَى
 مَلِكٌ إِذَا خَفَتْ حُلُومُ ذَوِي النُّهَى
 تَبَتْ الْجَنَانُ تُرَاعُ مِنْ وَبَايِهِ
 يَقْظُ يَكَادُ يَقُولُ عَمَّا فِي غَدِي
 حِلْمٌ تَخَفُ لَهُ الْحُلُومُ وَرَاءَهُ
 يَغْفُو عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ نَكَرًا
 لَا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ مَلِكٍ غَيْرِهِ
 فِي الْفَضْلِ مَا بَيْنَ الثَّرِيَا وَالثَّرَى
 فِي الْكُتُبِ عَنِ كِسْرَى الْمُلُوكِ وَقِصْرَا
 فِي الرُّزْعِ زَادَ رِصَانَةَ وَتَوَقَّرَا
 وَتَبَايَهَ يَوْمَ الْوَعَى أَسْدُ الشَّرَى
 بِبِدِيهِه أَعْتَهُ أَنْ يَتَفَكَّرَا
 رَأَى وَعَزَمَ يُخْفِرُ الْإِسْكَندَرَا
 وَيَصُدُّ عَنْ قَوْلِ الْخَنَا مُتَكَبِّرَا
 يُرَوَى فَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا

١٦١ قال صاحب جمال الدين يحيى بن مطروح يمدح المستنصر بالله

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ وَتَيْ هِمَّةُ
 بَعْدَادُ أَيَّتَهَا الْمَذَاكِبِي إِنَّمَا
 خَبَابًا وَتَشْرِيًا وَإِنضَاءً فِي
 هَذَا هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي لَا يُبْتَغَى
 مُسْتَنْصِرًا بِاللَّهِ يُمْسِي دَائِبًا
 تَعْرُو الْمَنَابِرَ حِينَ يُذَكَّرُ هَيْبَةً
 تُغْشَى التَّوَاطُرُ إِنْ بَدَتْ أَنْوَارُهُ
 يَغْفُو وَيَضْفَحُ قَادِرًا عَمَّنْ جَنَى
 مَنْ مُبْلَغٌ قَوْمًا بِمِصْرَ تَرَكْتَهُمْ
 مَا نَلْتُ مِنْ شَرَفٍ وَمَجْدٍ بَادِخِ
 عَنْ قَصْدِ دَارِ ظِلِّهَا لَا يَبْرَحُ
 أَنْجَى وَأَتَجَمُّعُ لِلشُّوُونِ وَأَنْجُ
 شَوْقُ إِلَى ذَاكَ الْجَنَابِ مَبْرَحُ
 لِسَوَاكُ وَالشَّرَفِ الَّذِي لَا يُرْجَحُ
 فِيمَا يِعْزُ بِهِ لَدَيْهِ وَيُضْبِحُ
 حَتَّى الْجَمَادُ لِذِكْرِهِ يَتْرَحُ
 فَالطَّرْفُ يَطْرَفُ وَالْجَوَانِحُ تَنْجَحُ
 عَمَلًا يَقُولُ اللَّهُ فَاغْفُوا وَأَصْفَحُوا
 فِرْقًا وَأَعْيَنَهُمْ لِعُودِي تَطْعُ
 وَغَدَا بِنَا فَوْقَ الْكُوكَابِ مَطْرَحُ

قَدْ ذَلِكَ الشَّرَفَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ
 إِنِّي لِأَرْبِحُ مَتَجَرًّا مِنْ مَعْشَرٍ
 جَلَبُوا الَّذِي يَفْنَى وَيَقْدُ عَاجِلًا
 اللَّهُ حَسْبُكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
 لَا تُلْ عَرْشُ خِلَافَةٍ مَذْ حَطَّتْهَا
 وَقَدْ اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ فَوْقَ سَرِيرِهَا
 فِي ظِلِّهِ لِلْأَلْبَدِينَ فَلَذِي بِهِ
 مَا لَا رَأَتْ عَيْنٌ وَلَا سَمِعَتْ بِهِ
 إِنْ الْحِلَافَةَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لَكُمْ

١٦٢ وقال يمدح الملك الأشرف مظفر الدين ابا الفتح موسى اخا الملك الكامل

لَا شَيْءٌ يُطْرِبُ سَامِعًا كَحَدِيثِهِ
 إِلَّا الْإِنْتَاهِ عَلَى عَاشَاءِ أَرْمَنِ
 الْأَشْرَفِ الْمَلِكِ الْكَرِيمِ الْمُجْتَبِيِّ
 مُوسَى وَتَمِّمَ بِالرَّجِيمِ الْخُسَيْنِ
 مَلِكٌ إِذَا أَنْفَقَتْ عُمْرَكَ كُلَّهُ
 فِي نَظَرَةٍ مِنْ وَجْهِهِ لَمْ تُبْعِنِ
 وَإِذَا انْتَجَبْتَ لَهُ دُعَاءَ صَالِحًا
 لَمْ تَلَقْ غَيْرَ مُشَارِكٍ وَمُؤْمِنِ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي مِنْ فَاتِهِ
 نَظَرُ إِلَيْكَ فَمَا أَرَاهُ يُؤْمِنِ
 أَفْنَيْتَ خَيْلِكَ وَالصَّوَارِمَ وَالنَّصَا
 وَعِدَاكَ وَالْأَمْوَالَ مَاذَا تَقْتَنِي
 أَبَقْتَ لَكَ الذِّكْرَ الْجَمِيلَ مُخَلَّدًا
 سِيمٌ لَهَا الْأَمْلَاكُ لَمْ تَتَمَطَّنِ
 وَسَجَاعَةٌ رَجَبُ الْعِرَاقِ لِدِكْرِهَا
 وَتِهَامَةٌ وَبِلَادُ عَبِيدِ الْمُؤْمِنِ
 وَلَى الْخَوَارِزْمِيِّ مِنْهَا هَارِيَا
 وَهَلُمَّ جَرًّا قَلْبُهُ لَمْ يَسْكُنِ

وَدَعَاؤُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ
 مَا كَانَ أَشَوْقِي لِلتَّحَمُّلِ بِنَايِهِ
 وَدَخَلْتُ مِنْ أَبْوَابِهِ فِي جَنَّةِ
 يَأْمُكِرِي الدَّعْوَى أَخْفِضُوا أَصْوَاتَكُمْ
 أَنَا مَنْ يُحَدِّثُ عَنْهُ فِي أَقْطَارِهَا
 هَذَا مَقَامٌ لَا أَقْرَزِدُقُ مَا هُرُ
 مَلِكِ الْمُلُوكِ إِلَيْكُمَا مِنْ نَاطِمٍ
 إِنْ شِئْتَ نَظْمًا فَالَّذِي أَمَلَيْتُهُ
 لَا تُخْذَعَنَّ بظَاهِرٍ عَنْ بَاطِنٍ
 وَالسَّبْعَةُ الْأَفْلَاكُ مَا حَرَكَلَتْهَا
 عَاشَتْ عِدَاكَ وَلَا أَسْمَعُ عَلَيْهِمْ
 يَا رَبِّ مِنْ سَطَوَاتِ مُوسَى تَجَنِّي
 وَلَقَدْ ظَفَرْتُ بِلِثْمِهَا فَلْيَهِنِي
 يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ يَا نَبِي
 مَا كُلُّ رَافِعٍ صَوْتِهِ بِمُؤَدِّنٍ
 مَنْ كَانَ فِي شَكِّ بِهِ فَلْيُوقِنِ
 فِيهِ وَلَا نُظْرَاؤُهُ لِكِنِّي
 مُتْرَسِلٍ مُتَنَوِّعٍ مُتَمَقِّنِ
 أَوْشَيْتُ نَثْرًا فَأَقْتَرِحُ وَأَسْتَحْسِنِ
 قَدْ يُظْهِرُ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يُبْطِنِ
 إِلَّا خَافَةَ أَنْ تَقُولَ لَهَا أَسْكِنِي
 عُجِي النَّوَاطِرِ عَنْكَ خُرْسَ الْأَلْسِنِ

١٦٣ حَدَّثَ الْعَلَمَةُ لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْحَطِيبِ قَالَ: نَظَّمْتُ لِلسُّلْطَانِ الطَّافِرِ وَأَنَا بِمَدِينَةِ
 سِلا مَا انفصل طالبا حقه بالأندلس قصيدة كان صنع الله مطابعا لاستهلاها. ووجهت جا إلى
 رندة قبل الفتح. ثم لما قدمت أشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذري. وسببها الفتح القريب
 في الفتح القريب:

الْحَقُّ يَلْعُو وَالْأَبَاطِلُ تَسْفُلُ
 فَإِذَا اسْتَحَالَتْ حَالَةٌ وَتَبَدَّلَتْ
 وَالْبَيْسَرُ بَعْدَ الْعُسْرِ مَوْعُودٌ بِهِ
 وَالْمُسْتَعِدُّ بِمَا يُؤْمِلُ ظَافِرٌ
 وَأَحْمَدٌ وَالْحَمْدُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ
 وَحَقُّكَ عَنِ أَحْكَامِهِ لَا يُسْأَلُ
 فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَبَدَّلُ
 وَالصَّبْرُ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ مُوَكَّلُ
 وَكَفَاكَ شَاهِدُ قَيْدُوا وَوَكَّلُوا
 بِجَلِيلِهَا بَيْنَ الْوَرَى يُجَمَّلُ

أَمَّا سُعُودُكَ فَهَوَّ دُونَ مُنَازِعِ
وَلَكِ السَّجَايَا الْغُرَّ وَالسِّيمُ الَّتِي
وَلَكِ الْوَقَارُ إِذَا تَرَزَلَتْ الرَّبِّي
عَوْدُ كَمَّا لَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ
إِنْ كَانَ مَاضٍ مِنْ زَمَانِكَ قَدْ مَضَى
هَذَا بِذَلِكَ فَشَقَّعَ الثَّلَاثِي الَّذِي
وَاللَّهُ قَدْ وَوَلَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ
وَإِذَا تَعَمَّدَكَ الْإِلَهُ بِنَصْرِهِ
وَضَعَنْتَ عَنْ أَوْطَانِ مُلْكِكَ رَاكِبًا
وَأَلْبَجُرُ قَدْ حُنَيْتَ عَلَيْكَ ضُلُوعَهُ
وَلَكِ الْجَوَارِي الْمُنَشَّاتُ قَدْ اغْتَدَتْ
غَرَقَتْ بِصَفْحَتِهِ النَّمَالُ وَأَوْشَكَتْ
فَالصَّرْحُ مِنْهُ مُرْدٌ وَالصَّفْحُ مِنْهُ مُورِدٌ
وَالشُّطُّ مِنْهُ مَهْدَلٌ
وَبِكَلِّ أَرْزَقَ إِنْ شَكَتِ الْحَاظُهُ
مَتَاوِدًا أَعْطَا فُهُ فِي نَشْوَةِ
عَجَابٍ لَهُ إِنْ أَلْتَجِعَ بِطَرْفِهِ
لِلَّهِ مَوْفِقُكَ الَّذِي وَثَبَانُهُ
وَالْحَيْلُ خَطُّ وَالْجَمَالُ صَحِيفَةٌ
وَالْيَيْضُ قَدْ كَسِرَتْ حُرُوفُ جُفُونِهَا
عَقْدُ بِأَحْكَامِ الْقَضَاءِ يُسَجَّلُ
بَغَيْرِهَا يَتَمَثَّلُ الْمُتَمَثَّلُ
وَهَفَّتْ مِنَ الرَّوْعِ الْهَضَابُ الْمَثَلُ
قَدْ تَقَصُّ الْأَشْيَاءُ مِمَّا تَكْمَلُ
بِإِسَاءَةٍ قَدْ سَرَّكَ الْمُسْتَقْبَلُ
أَرْضَاكَ فِيمَا قَدْ جَنَاهُ الْأَوَّلُ
لَمَّا أَرْضَاكَ وَوَلَايَةَ لَا تُعْزَلُ
وَقَضَى لَكَ الْحُسْنَى فَمَنْ ذَا يَخْذَلُ
مَتَى الْعُيُوبُ فَأَيُّ صَبْرٍ يُجْمَلُ
وَالرَّيْحُ تَقَطُّعُ لِلزَّفِيرِ وَرُتِيلُ
تَخْتَالُ فِي بَرْدِ الشَّبَابِ وَرُفْلُ
تَنْبِي النُّجَاةَ فَأَوْثَقْتَهَا الْأَرْجُلُ
مَرَّةَ الْعُيُونِ فَيَا الْعِجَابَةَ يُكْحَلُ
مِمَّا يَعْلُ مِنْ الدَّمَاءِ وَيَنْهَلُ
رَمْدٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَقْتَلُ
وَبَثَانُهُ مَثَلٌ بِهِ يُتَمَثَلُ
وَالسَّمْرُ تَقَطُّعُ وَالصَّوَارِمُ تَشْكَلُ
وَعَوَامِلُ الْأَسَلِ الْمُشْفَقِ تُعْمَلُ

لابن رشيد يدح امير المؤمنين عبد المؤمن الكومي

١٦٤

دَرَارِيٌّ مِنْ نُورِ الْهُدَى تَتَوَقَّدُ مَطَالِعَهَا فَوْقَ الْحَجْرَةِ أَسْعَدُ
 وَأَنْهَارُ جُودٍ كُلَّمَا أَمْسَكَ الْحَيَا يُدْبِهَا طَائِمِي الْغَوَارِبِ مُزِيدُ
 وَأَسَادُ حَرْبٍ غَابَهَا تَجْرُ الْفَنَاءُ وَلَا لَبْدٌ إِلَّا الْعَجَاجُ الْمَلْبُدُ
 مَسَاعِيرُ فِي الْغَيْبِ مَسَاعِيرُ لِلنَّدَى بِأَيْدِيهِمْ يَحْمِي الْهَجِيرُ وَيَبْرُدُ
 تُشَبِّهُهُمْ نَارَانَ الْحَرْبِ وَالْقَرَى وَيَجْرِي بِهِمْ سَيْلَانُ جَيْشٍ وَعَسْجِدُ
 وَيَسْتَطِرُّونَ الْبَرْقَ وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمْ سُوفٌ عَلَى أَقْفِ الْعِدَاةِ تَجْرُدُ
 سَلَامٌ عَلَى الْهُدَى أَمَا قِصَاؤُهُ فَحَتْمٌ وَأَمَّا أَمْرُهُ فَوَكَّدُ
 إِمَامُ الْوَرَى عَمَّ الْبَسِيطَةَ عَدْلُهُ عَلَى حِينِ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْجُورِ أَرْبُدُ
 بَصِيرٌ رَأَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ جَلِيلَةٍ فَلَمْ يُبْنِهِ إِلَّا الْمَقَامُ الْمَمْجِدُ
 وَلَمَّا مَضَى وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَحَدَهُ وَبَلَغَ مَأْمُولُ وَأُنْجِزَ مَوْعِدُ
 تَرَدَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رِدَاءَهُ وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالنَّاسِ هُجْدُ
 بِعِزَّةٍ شَيْخَانِ الْفَوَادِ مُصَمِّمِ يَقُومُ بِهِ أَقْصَى الْوُجُودِ وَيَقْعُدُ
 مَشِيئَتُهُ مَا شَاءَهُ اللَّهُ إِنَّهُ إِذَا هَمَّ فَالْحُكْمُ الْإِلَهِيُّ يَسْعُدُ
 كِتَابُهُ مَشْفُوعَةٌ بِمَلَانِكَ تَرَادُّهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَتُرْفَدُ
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا نِيَّةٌ خَلَصَتْ لَهُ فَلَيْسَ لَهُ فِيمَا سِوَى اللَّهِ مَقْصِدُ
 إِذَا خَطَبَتْ رَأْيَانَهُ وَسَطَّ مَحْفَلُ تَرَى قَمَّ الْأَعْدَاءِ فِي التُّرْبِ تَسْجِدُ
 وَإِنْ نَطَقَتْ بِالْفَصْلِ فِيهِمْ سَيُوفُهُ أَقْرَبَ بِأَمْرِ اللَّهِ مَنْ كَانَ مَجْدُ
 مُعِيدُ عُلُومِ الدِّينِ بَعْدَ ارْتِفَاعِهَا وَمُبْدِي عُلُومٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ تَهْدُ

جَزَى اللهُ عَنْ هَذَا الْأَنَامِ خَلِيفَةً
 وَحَيَاهُ مَا دَامَتْ مَحَاسِنُ ذِكْرِهِ
 قَدَمٌ لِلْوَرَى غَيْثًا وَعِزًّا وَرَحْمَةً
 وَزَادَتْ بِكَ الْأَعْيَادُ حُسْنًا وَبَهْجَةً
 وَلَا زِلْتَ لِلْأَيَّامِ تُبْلِي جَدِيدَهَا
 وَعُمُرُكَ فِي رِيَانِهِ لَيْسَ يَفُتَدُ

قال ابن صردر يمدح السلطان ملكشاه

١٦٥

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ
 مَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتَهُ يَدُ
 هَزَنُهُ حَتَّى أَبْصَرْتَهُ صَارِمًا
 أَكْرَمَ بِهَا وَزَارَةَ مَا سَلَّمْتَ
 مَشْرُوقَةٌ إِلَيْكَ مُذْ فَارَقْتَهَا
 مِثْلَكَ مَحْسُودٌ وَلَكِنَّ مُنْجِزُ
 حَاوَلَهَا قَوْمٌ وَمَنْ هَذَا الَّذِي
 يُدْعِي أَبُو الْأَشْبَالِ مَنْ رَاحَهُ
 وَهَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ لَا يَسَاءُ
 تَبَقُّوا لَمَّا رَأَوْهَا ضَيْعَةً
 إِنَّ الْأَهْلَالَ يُدْجِي طُلُوعُهُ
 وَالْبَشْمُسُ لَا يُؤَيِّسُ مِنْ طُلُوعِهَا
 مَا أَطْيَبَ الْأَوْطَانَ إِلَّا أَنَّهَُا
 وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
 ثُمَّ أَعَادْتُهُ إِلَى قِرَابِهِ
 رَوْنَفُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضِرَابِهِ
 مَا اسْتَوْدَعْتَ إِلَّا إِلَى أَصْحَابِهِ
 شَوْقُ أَخِي الشَّيْبِ إِلَى شَبَابِهِ
 أَنْ يُدْرِكَ الْبَارِقُ فِي سَحَابِهِ
 يُخْرِجُ لَيْثًا خَادِرًا مِنْ غَابِهِ
 فِي جَيْشِهِ بِظْفَرِهِ وَنَابِهِ
 مَا خَلَعَ الْأَرْقَمُ مِنْ إِهَابِهِ
 أَنْ لَيْسَ لِلْجَوِ سِوَى عُمَابِهِ
 بَعْدَ السَّرَارِ لَيْلَةٌ أَحْتِجَابِهِ
 وَإِنْ طَوَّاهَا اللَّيْلُ فِي جَنَابِهِ
 لِلْمَرَّةِ أَحْلَى أَثَرُ اغْتِرَابِهِ

كَمْ عَوْدَةٍ دَلَّتْ عَلَى مَا بَهَا وَاتَّخَذَ لِلْإِنْسَانِ فِي مَا بِهِ
لَوْ قُرْبُ الدُّرِّ عَلَى طَالِبِهِ مَا فَجَّحَ الْفَانِصُ فِي طِلَابِهِ
وَلَوْ أَقَامَ لِأَزْمَا أَصْدَاقَهُ لَمْ تَكُنْ التَّيْمَانُ فِي حِسَابِهِ
مَا لَوْ لَوْ الْبَجْرِ وَلَا مَنْ صَانَهُ إِلَّا وَرَاءَ أَهْوَالٍ مِنْ عِبَابِهِ

قال أحمد بن أبي القاسم لخلاف في الملك السعوي

١٦٦

وَأَقْتَرَّ نَعْرُ الزَّهْرِ بِشِرَا إِذْ رَأَى وَجْهَ الْمَلِكِ تَحْفَهُ الْبَشْرَاءُ
سَاسَ الْخِلَافَةَ بِالْمَكَارِمِ وَالْحِجْبِي إِذْ لَمْ يَسْتَسْهَأْ مِثْلَهُ الْخُلَفَاءُ
تَعْلُو السَّمَاءَ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَرْضِهِ الْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ وَالنِّعْمَاءُ
وَتَلَاثَةٌ تَشَاكُ أُنَى زُرَّتُهُ الْبِرُّ وَالْأَرْقَادُ وَالسَّرَاءُ
وَتَلَاثَةٌ قَدْ جُنِبَتْ أَخْلَاقُهُ الْخُلُقُ وَالْأَتَامُ وَالسُّخْرَاءُ
وَتَلَاثَةٌ فِي الْعَزْمِ مِنْ أَفْعَالِهِ الْقَبْضُ وَالْإِبْرَامُ وَالْآرَاءُ
وَأَعْبَدُ وَهُوَ اثْنَانِ أَحْرَزَ وَاحِدًا أَعْمَامُهُ وَالْآخِرَ الْآبَاءُ
يَقْطَانُهُ وَاللَّيْلُ مُرَخَّجُهُ تَرَكَتْ عِبُونًا مَا لَهَا إِنْغَاءُ
بِحْرٍ لِيَكْفِي نُجْرِهِ نَعْمَاؤُهُ بَدْرٌ لِعَيْنِي تُبْدِيهِ الْأَضْوَاءُ
لَوْ عَانَيْتَ مِنْهُ السُّحَابُ مَا أَرَى حَارَتْ قَلَمٌ تَتَجَسَّسُ الْأَنْوَاءُ
وَإِذَا اخْتَفَى عَنْ مُنْكَرِيهِ فَمَا ذُرُّ أَنْ لَا تَرَاهُ مِثْلَهُ عَمِيَاءُ
هَذِي الْمَاثِرُ لَيْسَ يُنْشِي مِثْلَهَا بَانَ وَلَمْ يَسْتَوْهِيَ النُّظْرَاءُ
تَحْمِيرُ الشُّعْرَاءِ فِيهَا إِذْ تَدِلُّ مِ بَحْرَهَا الْكِبْرَاءُ وَالْمُظْمَاءُ
لَمْ يَثْنِ فِي طَلَبِ أَعْنَتِهِ خَيْلِهِ لَمَّا اعْتَرَتْ مَهْرُومَهَا التَّكْبَاءُ

أَوْ مَا سَمِعْتَ يَوْمَهُ الْمَشْهُودِ فِي
 مَلِكِ الْعِبَادِ فَظَهَرْتَ آرَاؤَهُ
 فَضْلُ أَقْرَبَ بِهِ الْعُدَاةُ وَلَمْ أَجِدْ
 لَا يَدْمَنُكَ السَّائِلُونَ فَلَيْبَهُمْ
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ أَسِيرَ إِلَيْكَ فَإِنِّي
 فَظَنَّمْتُ فِيكَ بَدِيعَ شِعْرِي فَاتَّأَنُّ
 مُرَاطٍ إِذْ سَارَتْ بِهِ الْأَنْبَاءُ
 عَفْوًا قَتَمَ فَضْلُهُ الْإِبْدَاءُ
 كَأَنَّ لِقَاضِي قَدَشِجَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ
 فِي ظِلِّ عِزِّ أَدْرَكُوا مَا شَاءُوا
 أَهْدَى إِلَيْكَ وَلَمْ وَأَنْتَ ذَكَاءُ
 تَرَقَّى إِلَى حُجْرَاتِهِ الشُّعْرَاءُ

وقال أيضاً فيه

١٧٧

مَلِكُ تَصَدَّى يَنْصُرُ الْحَقَّ فِي الْوَرَى
 دَعِيمٌ بِهِ أَيْدِي الْمَكَارِمِ أَيْدَتْ
 أَخْوَابِئِ الْبَاسِ وَالنَّعْمَى يُرْجَى وَيُخْتَشَى
 رَوُوفٌ عَلَى الْعَالِي إِذَا الدَّهْرُ حَانَهُ
 هَجُومٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 مُدِيرٌ أَمْرٍ لَيْسَ يُصَدِّرُ رَأْيَهُ
 حَلِيفٌ نَدَى يَأْوِي إِلَى بَيْتِ سُودِدِ
 تَرَقَّى مَحَلًّا لَوْ تَرَقَّتْ لِبَابِهِ
 جَوَادٌ يُعِيدُ الْجَدْبَ خِصْبًا كَأَنَّمَا
 وَلَا عَيْبَ فِي نَعْمَائِهِ غَيْرَ أَنَّهَُا
 لَهُ هِمَّةٌ فَاقَتْ عَلَى كُلِّ هِمَّةِ
 هَنِيئًا لَوْفِدِ سَائِرِينَ لِبَابِهِ
 إِذَا عَصَبَةٌ مِنْهُمْ لَظَلَمَ تَصَدَّتْ
 وَلَيْتُ بِهِ كَفَّ الْمَظَالِمِ كُفَّتْ
 لِأَيَّامِ سِلْمٍ أَوْ لِأَيَّامِ قِتَّةِ
 صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِي إِذَا الرَّجُلُ زَلَّتْ
 شَفُوقٌ عَلَى الْأَصْحَابِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
 فَيَقْرَعُ فِي إِضْدَارِهِ سِنَّ عَقَلَةٍ
 دَعَائِمُهُ مِثْلُ السَّمَاءِ تَعَلَّتْ
 بِدُورِ الدِّيَاجِي رِفْعَةً مَا تَهَدَّتْ
 أَيْدِيهِ بِالْفَيْثِ السُّكُوبِ أَسْتَهَلَّتْ
 لِسَائِلِهِ قَبْلَ السُّؤَالِ أُعِدَّتْ
 بِدَوْلَةٍ مَلِكٍ أُنْجَلَتْ كُلَّ دَوْلَةٍ
 لَقَدْ حَمِدُوا الْمُسْرَى بِضَنْجِ الْمُسْرَةِ

أَمْوَالِي إِنْ أَلْقَيْتَ آلَ مَالِهِ
فَجِدْ لِلْخُلُوفِ النَّازِحِ الدَّارِ بِالرِّضَا
فَأَنْتَ مَلَازِي وَأَعْتِمَادِي وَعَايَتِي
وَلَا زِلْتَ فِي أَمْنٍ وَيَمِينٍ وَبَهْجَةٍ
وَجَاهٍ وَنَصْرِ وَأَعْتِلَاءٍ وَسُودِدِ
وَفَخْرٍ وَمَجْدٍ وَأَقْتِدَارٍ وَرَفْعَةٍ
إِلَيْكَ وَأَيْدِي الْحَالِ تَحْوِكَ مُدَّتْ
عَلَى مُهْجَةٍ لِنَهْلِكَ فَبِكَ اسْتَعَدَّتْ
وَعِزِّي وَسُلْطَانِي وَذَخْرِي وَعُمْدَتِي
وَيْسِرِي وَخَيْرِي وَارْتِقَاءِي وَعِزَّةِي

وله فيه ايضا من قصيدة

١٦٨

مَلِكٌ سَمَتْ أَخْلَاقُهُ فَتَرَفَّتْ
قَرٌّ جَلَا ظَلَمَ الْخَطُوبِ ضِيَائُهُ
إِنْ كَانَ عَالٍ فِي الْخِلَافَةِ قَدْرُهُ
ذُو هِمَّةٍ رَفَعَتْ عَوَامِلَ نَصِيهَا
وَعَوَامِلِ حَدَّتْ لِقَطْعِ مَكِيدِهَا
لَا عَيْبَ فِي نِعْمَاهُ إِلَّا أَنَهَا
عَجَبًا لَهَا وَهِيَ الَّتِي مَعَ عَدْلِهَا
تُؤَلِّي الْعَطَايَا بِنَعْرِ مَنْ مُتَعِ
حَسَنَتْ مَعَالِيهِ فَلَيْسَ لِلطُّفْهَاءِ
هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الَّذِي قَدْ جَلَّ أَنْ
مِنْ مَعْتَرِهِمْ فِي النَّدَى سُنْبُ وَفِي
فَهْمُهُمْ أَلَا سَادَ فِي يَوْمِ الْوَعَى
شَادُوا حِمَى الْإِسْلَامِ بِالْبَيْضِ الَّتِي
عَنْ رُبَّةِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ
عَنَّا وَبَدْرُ كَامِلِ الْإِجْلَالِ
فَأَيُّهُ مِنْهَا فِي مَحَلِّ عَالٍ
فَقَضَتْ بِجَزْمِ الْخُفْضِ لِلْأَفْعَالِ
فَهِيَ الْقَوَاصِبُ فِي مَضَا وَصِقَالِ
تُوفِيكَ مَا وَعَدْتَ بِنَعْرِ مِطَالِ
ظَلَامَةٌ فِي بَدْلِهَا لِلْمَالِ
وَتُحِبُّ رَاجِحَهَا بِنَعْرِ سُؤَالِ
حَدُّ قِعْرِبَهُ لِسَانُ مَقَالِ
تُطْرَى لَدَيْهِ عَرَابُ الْأَمْثَالِ
نَعْفُ الْحُرُوبِ هُمْ حِمَى الْأَبْطَالِ
وَهُمْ هُمْ الْأَقْيَالُ يَوْمَ سِجَالِ
مِنْهَا تَهْلُ سَحَابُ الْأَجَالِ

اللَّهُ أَعْلَى قَدْرَهُمْ وَأَحْلَمُهُمْ
 يَا مَالِكًا عَوِذْتُ بِطَلْعَتِهِ وَجُودِهِ
 قُلْ لِلَّذِي قَدَّرَ رَاحَ يُنَكِّرُ أَنِّي
 قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى أَفْتِرَاهُ وَقَدَّرَ مَا
 قَدَعَ اسْتِمَاعَ مَقَالِ حَاسِدٍ نِعْمَةٍ
 فَهُوَ الْحُسُودُ وَهَلْ سَمِعْتُمْ حَاسِدًا
 وَهُوَ الْكُذُوبُ تَقْرُضُ أَخِيَانَةَ
 وَالْبَدْرُ مَا أَبَدَى لِعَيْنِكَ عَاطِلًا
 فَأَنَا الَّذِي أَوْصَحْتُ غَيْرَ مُدَافِعٍ
 وَشَهْرَتِي فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا
 فَأَحْفَظُ نَفِيسَ عَقُودِ نَظْمِي إِنَّهُ
 وَاسْتَجَلَّ مِنْهُ كُلَّ نَسَمَاتٍ عَدَتِ
 وَتَلَقَّهَا بِالرُّحْبِ مِنْكَ فَإِنَّمَا
 لَمْ لَا وَمَدْحُكَ قَدْ كَفَّهَا حُلَّةٌ
 فَكَ السَّلَامَةُ وَالْهِنَا مَا أَنْشَدَتْ

رَبِّ الْوَفَا وَالْجُودِ وَالْإِفْتِضَالِ
 دَبْنَانِهِ بِالشَّمْسِ وَالْأَنْفَالِ
 فِي النَّظْمِ غَيْرُ مُصَدِّقِ الْأَقْوَالِ
 فَلَقُ الْيَبَانِ غِيَابِ الْإِشْكَالِ
 يَسْعَى لَعْنُ أَيْكَ سَعْيَ ضَلَالِ
 قَدْ سَادَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ
 صَبَّ الْإِلَهَ عَلَيْهِ صَوْبَ نِكَالِ
 إِلَّا لَتَعْلَمَ قَدْرَ قَدْرِ الْحَالِي
 سُبُلِ الظَّلَامِ لِنِازِلِ الْأَغْزَالِ
 بِعُلُومِ آدَابِ الْقَرِيضِ الْعَالِي
 نِعْمَ النَّفِيسُ وَأَنْتَ نِعْمَ الْكَالِي
 تَفَرُّعٌ عَنْ وَصْفِ السَّنَاءِ الْعَالِي
 قَدْ قَابَلْتِكَ بِأَوْجِهِ الْأَقْبَالِ
 فَاقْتِ بِهَا فَخْرًا عَلَى الْأَمْثَالِ
 سَفَرَتْ وَجُوهُ الْحُسْنِ عَنْ تَيْمَالِ

١٦٩ قصيدة خطيب مكة الشيخ محي الدين الشهاب العلي في السلطان بايزيد
 إِلَى الرُّومِ يُهْدِي نَحْوَهَا طِيبَ الشَّرِ
 رُوَيْدًا لِاسْتَبُولِ سَامِيَةِ الذِّكْرِ
 شَرِيفِ الْمَسَاعِي نَافِذِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ

فَيَارَا كَبَائِسِرِي عَلَى ظَهْرِ ضَامِرِي
 لَكَ الْخَيْرُ إِنْ وَافَيْتَ بِرِسَافِسِرِيهَا
 لَدَى مَلِكٍ لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ كُنْهَهُ

إلى بايزيد الخير الملك الذي
وجرد للدين الحنفي صارماً
وجاهدتهم في الله حق جهاده
له هيبه مثل الصدور وصوله
أطاع له ما بين روم وفارس
هو البحر إلا أنه دائم العطا
هو البدر إلا أنه كامل الضيا
هو الغيث إلا أن للغيث مسكة
هو السيف إلا أن للسيف نبوة
سليل بني عثمان والسادة الألى
ملوك كرام الأصل طابت فروعهم
محو أثر الأعداء بالسيف فلتعدت
فيا ملكا فاق الملوك مكارما
فدنتك ملوك الأرض طرا لأنها
تعالت عنهم رفعة ومكانة
لك العزة القساء والرتبة التي
سموت علوا إذ دنوت تواضعا
عدت بك أرض الروم ترهوما لاحة
أنت ابن عثمان الذي سار ذكره

حى بيضة الإسلام بالبيض والسمير
أباد به جمع الطوائف والكفر
رجاء بما ينبي من القوز والآجر
مقسمة بين الحفاة والذعر
ودان له ما بين بصرى إلى مصر
وذلك لا يخلو من المد والجزر
وذلك حليف النقص في معظم الشهر
وذا لا يزال الدهر ينهل بالقطر
وقلا وذا ماضي العزيمة في الأمر
عالمجدهم فوق السماكين والنسري
وهل ينسب الدينار إلا إلى التبر
بهم حوزة الإسلام سامية القدر
فكل إلى أدنى مكارمه مجري
سرار وأنت البدر في غرة الشهر
وذا تاء وأوصافا مجل عن الحصر
قواعدها تسمو على منكب النسري
وقمت بحق الله في السر والجهري
وترفل في ثوب الجلالة والفخر
مسير ضياء الشمس في البر والبحري

يَمِينِكَ تَرْوِي عَنْ يَسَارٍ وَنَائِلٍ
وَأَيِّ لَصَوَانٍ لِدِرِّ قَلَائِدِي
فَقَابِلِ رَعَاكَ اللَّهُ شُكْرِي بِمِثْلِهِ
فَلَا زِلَتَ مَحْرُوسَ الْجَنَابِ مُؤَيِّدًا
وَوَجْهَكَ يَرْوِي فِي الْبَشَاشَةِ عَنْ بَشِيرٍ
عَنْ الْمَدْحِ الْإِفِيكَ يَا مَلِكَ الْعَصْرِ
فَأَنَّكَ لِلْمَعْرُوفِ مِنَ الْكَرَمِ الذَّخِيرِ
مِنَ اللَّهِ بِالتَّوْفِيقِ وَالْعِزِّ وَالنَّصْرِ

١٧٠ قصيدة الشيخ قطب الدين النهروالي في السلطان سليم خان

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَوْلَايَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
كَذَا فَلْيَكُنْ فَتَحُ الْبِلَادِ إِذَا سَعَتْ
جُنُودُ رَمَتْ فِي كَوْكَبَانَ خِيَامَهَا
تُجْرُ مِنْ الْأَبْطَالِ كُلِّ غَضَنْفَرٍ
عَسَاكِرُ سُلْطَانِ الزَّمَانِ مَلِيكِنَا
حَمَى حَوْزَةَ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ بِالْقَنَا
لَهُ فِي سَرِيهِ الْمَلِكِ أَصْلٌ مُؤْتَلٌ
مُلُوكٌ تَسَامَوْا لِلْعَلَا وَخَلَّافٌ
سُمُوسٌ بِيْفِضِ النُّورِ تَحْوُ غِيَاهِبًا
هُمْ مُلُؤُوا عَيْنَ الزَّمَانِ وَقَلْبَهُ
هُمْ الْعَقْدُ مِنْ أَعْلَى الْإِلَهِ مِنْظَمًا
شَهْنَشَاهُ سُلْطَانِ الْمُلُوكِ جَمِيعِهِمْ
عِمَادٌ يَلُودُ الْمُسْلِمُونَ بِظِلِّهِ
وَحِينَ آتَاهُ أَنْ قَدِ احْتَلَّ جَانِبٌ
عَلَى عِزَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
لَهُ الْهَمَمُ الْمُلْتَمَا إِلَى أَشْرَفِ الذِّكْرِ
وَآخِرُهَا بِالْتِيلِ مِنْ شَاطِئِي مِصْرٍ
بِصَارِمِهِ يَسْطُو عَلَى مَفْرَقِ الدَّهْرِ
خَلِيفَةُ هَذَا الْعَصْرِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَبِيضِ الْمَوَاضِي وَالْمُتَّقَةِ السَّمْرِ
تَلْقَاهُ عَنْ أَسْلَافِهِ السَّادَةِ الْغُرِّ
أُولُو الْعِزِّ فِي أَرْزَامِهِمْ وَأُولُو الْأَمْرِ
مِنَ الْكُفْرِ مِنْهُمْ يُسْتَمْدُ ضِيَا الْبَدْرِ
قَرَّتْ عُيُونُ الْعَالَمِينَ مِنَ الْبَشْرِ
وَسُلْطَانَنَا فِي الْمَلِكِ وَاسِطَةَ الدَّرِّ
سَلِيمٌ كَرِيمٌ أَصْلُهُ أَطْيَبُ النَّجْرِ
وَسَدِّ مَنِيْعٍ لِلْأَنَامِ مِنَ الْكُفْرِ
مِنَ الْيَمِينِ الْأَقْصَى أَصْرَعَى الْقَهْرِ

وَسَاقَ لَهَا جَيْشًا تَجَمَّيسًا عَرَمَرَمًا يَدُكُ فُجَّاجَ الْأَرْضِ فِي السَّهْلِ وَالْوَعْرِ
 لَهُمْ أَسَدُ شَاكِي السِّلَاحِ عَرِينُهُ طَوْلَ الرِّمَاحِ السَّمْهَرِيَّةِ وَالْبُرِّ
 وَزَيْرٌ عَظِيمُ الشَّانِ ثَاقِبُ رَأْيِهِ يُجَهِّزُ فِي أَنْ جِيُوشًا مِنْ الْفِكْرِ
 يَقُومُ بِأَعْبَاءِ الْوِزَارَةِ قَوْمَةً يَشُدُّ جِيُوشَ الدِّينِ بِالْأَيْدِ وَالْأَزْرِ
 أَيَادِيَهُ بِالْبَأْسِ كَاسِرَةَ الْعَدَا وَلَكِنَّهَا بِالْجُودِ جَابِرَةُ الْكَسْرِ
 بِهِ أَمَّنَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَظَمَنَ الْعِبَادَ وَأَضْحَى الدِّينَ مُشْرِحَ الصَّدْرِ
 سِنَانُ عَزِيزِ الْقَدْرِ يُوسُفُ عَصْرِهِ أَلَمْ تَرَهُ فِي مِصْرَ أَحْكَامُهُ تَجْرِي
 تَدَلَّى إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ بِجَيْشِهِ وَمَهْدَ مُلْكِكَ قَدْ تَمَزَّقَ بِالشَّرِّ
 وَقَطَعَ رُؤْسًا مِنْ كِبَارِ رُؤُوسِهِمْ لَهُمْ بَاطِنُ السِّرْحَانِ وَالطَّيْرِ كَالْقَبْرِ
 وَكَانَ عَصَا مُوسَى تَلْفُفُ كُلَّمَا بَدَأَ مِنْ صَنِيعِ الْمُطْهِدِينَ مِنَ السِّخْرِ
 وَلَا زَالَ فِيهِمْ عَامِلُ الرِّيحِ عَامِلًا وَلَا يَرْحُوا فِي الذَّلِّ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ
 وَمَا يَمُنُّ إِلَّا مَمَّا لَكَ تَبَعٌ وَنَاهِيكَ مِنْ مُلْكٍ قَدِيمٍ وَمِنْ فَخْرِ
 وَقَدْ مُلِكْتَهَا آلُ عُثْمَانَ إِذْ مَضَتْ بَنُو طَاهِرٍ أَهْلُ الشَّهَامَةِ وَالذِّكْرِ
 فَهَلْ يَطْمَعُ الزَّيْدِيُّ فِي مُلْكٍ تَبَعٌ وَيَأْخُذُهُ مِنْ آلِ عُثْمَانَ بِالْمَكْرِ
 أَبِي اللَّهِ وَالْإِسْلَامُ وَالسِّيفُ وَالْقَنَا وَسِرُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي بَكْرِ



الباب التاسع في الهجو

١٧١ قال بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي عَدُولٍ :

وَقَالُوا فُلَانٌ فِي أَلْوَرَى لَكَ شَاتِمٌ وَأَنْتَ لَهُ دُونَ الْخَلَاتِمِ تَمْدَحُ
فَقُلْتُ ذَرُونِي مَا بِهِ وَطِبَاعُهُ فَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْصَحُ
إِذَا الْكَلْبُ لَا يُؤْذِيكَ عِنْدَ نَبِيحِهِ فَذَرَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَلْبِجُ

١٧٢ قَالَ آخِرُ فِي طَيْبٍ :

يَا مَلِكَ الْمَوْتِ وَأَبْنَ زَهْرٍ جَاوَزْنَا الْحَدَّ وَالنَّهْيَا
تَرَفَّقَا بِالْوَرَى قَلِيلًا فِي وَاحِدٍ مِنْكُمَا الْكِفَايَا

١٧٣ قَالَ غَيْرُهُ فِي قَاضٍ يُحِبُّ الرِّشْوَةَ :

رَأَيْتُ شَاةً وَذَيْبًا وَهِيَ مَاسِكَةٌ بِأُذُنِهِ وَهُوَ مُنْقَادٌ لَهَا سَارِي
فَقُلْتُ أَعْجُوبَةٌ ثُمَّ أَلْفَتْ أَرَى مَا بَيْنَ نَائِيهِ مُلْتَقَى نِصْفِ دِينَارٍ
فَقُلْتُ لِلشَّاةِ مَاذَا أَلْفُ بَيْنَكُمَا وَالذَّيْبُ يَسْطُو بِأَنْبَابِ وَأَطْفَارٍ
تَبَسَّمْتَ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ ضَاحِكَةٌ بِالتَّبْرِ يُكْسِرُ ذَاكَ الضَّيْعِمُ الضَّارِي

١٧٤ قَالَ خُفَّاءُ بْنُ نَدْبَةَ يَهْجُو الْعَبَّاسَ بْنَ مَرْدَاسٍ :

أَرَى الْعَبَّاسَ يَنْصُصُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ جَهْلًا يَزِيدُ
فَلَوْ نَبَضَتْ عَرَائِيهِ وَبَادَتْ سَلَامَتُهُ لَكَانَ كَمَا يُرِيدُ
وَلَكِنَّ الْمَغَائِبَ أَفْسَدَتْهُ وَكَذِبُ الْمَرْءِ أَفْجَعُ مَا يُفِيدُ

فَأَبْشِرْ إِنْ بَقِيَتْ بِيَوْمٍ سَوَاهُ
كَيْوَمِكَ إِذْ خَرَجْتَ تَفُوقَ رُكُضَا
وَدَعَّ قَوْلَ السَّفَاهَةِ لَا تَمْلُهُ
فَقَدْ طَالَ التَّهْدُدُ وَالْوَعِيدُ

وَقَالَ: أَعْبَاسُ إِنَّا وَمَا بَيْنَنَا

فَلَسْتَ بِكُفٍّ لِأَمْثَالِنَا

وَلَسْنَا بِأَهْلِ لِمَا قُلْتَهُ

فَقَصْرُكَ مِنِّي رَقِيقُ الذُّبَابِ

وَأَذْرَقُ فِي رَأْسِ خَطِيئَةٍ

يُلُوحُ السِّنَانُ عَلَى مَثْنَهَا

كَنَارٍ عَلَى مَرْقَبٍ تُسَعَّرُ

فَأَجَابَهُ الْعَبَّاسُ

خُفَافُ أَلَمْ تَرَ مَا بَيْنَنَا

أَلَمْ تَرَ أَنَا نَهْنِينُ الْبِلَا

لَنَا شَيْمٌ غَيْرُ مَجْهُولَةٍ

فَقَدْ يَعْلَمُ الْحَيُّ عِنْدَ الصَّبَا

وَقَدْ يَعْلَمُ الْحَيُّ عِنْدَ الرَّهَا

فَأَنِّي تُعَيِّرُنِي بِالْفَخَارِ

يَزِيدُ اسْتِعَارًا إِذَا يُسَعَّرُ

دَ لِّلسَّائِلِينَ وَمَا تَفْدُرُ

تَوَارِثَهَا الْأَكْبَرُ الْأَكْبَرُ

ح أَنَّ الْعَقِيلَةَ بِي تُسَعَّرُ

نَ أَنِّي أَنَا الشَّامِخُ الْخَطِرُ

أَرَى أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُنْكَرُ

١٧٥ لابي الصبح اعشى همدان يهجو مدينة مكران وكان الحجاج أتى به إليها اسيراً

وَلَمْ تَكُ مِنْ حَاجَتِي مَكْرَانُ

وَلَا التَّرْوُ فِيهَا وَلَا الْمُنْجَرُ

وَحَيْرَتُ عَنْهَا وَلَمْ آتِيهَا

فَمَا زِلْتُ مِنْ ذِكْرِهَا أَدْعُرُ

يَأَنَّ الْكَثِيرَ بِهَا جَانِعٌ وَأَنَّ الْقَلِيلَ بِهَا مُفْتَرٌ
 وَأَنَّ لِحَى النَّاسِ مِنْ حَرِّهَا تَطُولُ فَتَجَلْمُ أَوْ تُضْفَرُ
 وَتَذَعُمُ مَنْ جَاءَهَا قَبْلَنَا يَا أَيُّهَا سَنَسَمُهُمْ أَوْ تُنْحَرُ
 أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ الْخُزْيَانِ تِ فِيمَا أُسِرَ وَمَا أُجْهِرُ
 وَحَدِثْتُ أَنَّ مَا لَنَا رَجَعَهُ سِنِينَ وَمَنْ بَعْدَهَا أَشْهُرُ
 إِلَى ذَلِكَ مَا شَابَ أَبَاؤُنَا وَبَادَ الْأَخْلَاءُ وَالْمُعَشَرُ
 وَمَا كَانَ بِي مِنْ تَشَاطُلِهَا وَإِنِّي لَدُو عُدَّةٍ مُوسِرُ
 وَلَكِنْ بَعَثْتُ لَهَا كَارِهَا وَقِيلَ أَنْطَلِقْ كَالَّذِي يُؤَمِّرُ
 فَكَانَ التَّجَاهُ وَلَمْ أَلْتَفِ إِلَيْهِمْ وَشَرَّهُمْ مُنْكَرُ
 هُوَ السِّيفُ جَرَدَ مِنْ غَمْدِهِ فَلَيْسَ عَنِ السِّيفِ مُسْتَخِرُ
 وَكَمْ مِنْ أَخٍ لِي مُسْتَأْنِسٍ يَظُلُّ بِهِ الدِّمْعُ لِيَسْتَحْسِرُ
 يُوَدِّعُنِي أَنْتَجِبُ عِبْرَةً لَهُ كَالْحُدَاوِلِ أَوْ أَنْغَزُ
 فَلَسْتُ بِإِلَاقِهِ مِنْ بَعْدِهَا يَدِ الدَّهْرِ مَا هَبَّتِ الصَّرَصُ
 وَقَدْ قِيلَ إِنَّكُمْ عَارُوا نَبْحًا لَهَا لَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ
 إِلَى السِّنْدِ وَالْمُنْدِ فِي أَرْضِهِمْ هُمْ الْجِنُّ لِكَيْفِهِمْ أَنْكَرُ
 وَمَا رَامَ غَزْوًا لَهَا قَبْلَنَا أَكْبَارُ عَادٍ وَلَا خَمِيرُ
 وَلَا رَامَ سَابُورُ غَزْوًا لَهَا وَلَا الشَّيْخُ كِسْرَى وَلَا قِصْرُ
 وَمِنْ دُونِهَا مَعْبَرٌ وَاسِعٌ وَأَجْرُ عَظِيمٌ لِيَنْ يُؤَجْرُ

هجو طيلسان ابن حرب

١٧٦ كان أحمد بن حرب المهلبى من المتعبين على الحمدوني الشاعر والمسنين إليه وله فيه مدائح كثيرة . فوهب له طيلساناً أخضر لم يرضه . قال أبو العباس المبرد : فأشدد فيه عشر مقطعات فاستعملنا مذهباً فيه فجهلها نوق المسنين فطارت كل مطارٍ وسارت كل مسارٍ فيها :

يَا ابْنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانَا مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَا
فَحَسِبْنَا سَجَّ الْعَنَاكِ قَدْ حِي لَ إِلَى ضَعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَا
طَالَ تَزَادَهُ إِلَى الرَّفْوِ حَتَّى لَوْ بَعَثَاهُ وَحَدَّهُ لَتَهْدَى
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

يَا طَيْلَسَانَ ابْنَ حَرْبٍ قَدَّمْتَنَا تُودِي بِحَسْبِي كَمَا أُوْدِي بِكَ الزَّمَنُ
مَا فِيكَ مِنْ مَلْبَسٍ يُعْنِي وَلَا تُن قَدْ أَوْهَنْتَ حِيلَتِي أَرْكَانَكَ الْوَهْنُ
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى الرَّفَاءِ مُرْتَبَطًا كَأَنِّي فِي يَدَيْهِ الدَّهْرُ مَرْتَمَنُ
أَقُولُ حِينَ رَأَيْتُ النَّاسَ الزَّمَهُ كَأَنَّمَا لِي فِي حَانُوْتِهِ وَطَنُ
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا ابْنَ مَنَزَلِنَا فَأَلَا قَحْوَانَةٌ مِنَّا مَنَزِلُ قَهْنُ
وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْ لِابْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَا نَكَ قَوْمُ نُوحٍ مِنْهُ أَحَدَتْ
أَفْتَى الْفُرُونِ وَلَمْ يَزَلْ عَمَّنْ مَضَى مِنْ قَبْلِ يُورَثْ
وَإِذَا الْعَيْونُ حَظَنَهُ فَكَأَنَّهُ بِاللُّحْظِ يُحْرَثْ
يُودِي إِذَا لَمْ أَرْفُهُ فَإِذَا رَفَوْتُ فَلَيْسَ يَلْبَثْ
كَالْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيَّ هِ الدَّهْرَ أَوْ تَرُكْهُ يَلْهَثْ
وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْ لِابْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَانُكَ قَدْ
 مُتَبِّينٌ فِيهِ لِبُصْرِهِ
 وَكَأَنَّهُ الْحَمْرُ الَّتِي وَصَفَتْ
 فَإِذَا رَمَمَاهُ فَقِيلَ لَنَا
 مِثْلُ السَّقِيمِ بَرًّا فَرَجَعَهُ
 أَنْشَدْتُ حِينَ طَعَى فَأَعْجَزَنِي
 وَلَهُ: طَيْلَسَانُ لِابْنِ حَرْبٍ جَاءَنِي
 فَإِذَا مَا صِحَتْ فِيهِ صِيحَةٌ
 وَإِذَا مَا الرِّيحُ هَبَتْ نَحْوَهُ
 مُهْطِعُ الدَّاعِي إِلَى الرَّافِي إِذَا
 وَإِذَا رَفَاؤُهُ حَاوَلَ أَنْ

قال الفرزدق يهجو إبليس

١٧٧

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي فَإِنِّي
 عَلَى قَسَمٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا
 أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً
 فَرَرْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيَقُنْتُ أَنِّي
 وَلَمَّا دَنَا رَأْسُ الَّتِي كُنْتُ خَائِفًا
 حَلَفْتُ عَلَى نَفْسِي لِأَجْتَهِدَنَّهَا
 أَلَا طَلَمًا قَدْ بَتَ يُوضِعُ نَاقِي

لَبِينَ رِيَّاحٍ قَائِمٍ وَمَقَامٍ
 وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي سَوْءِ كَلَامٍ
 فَلَمَّا انْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تَمَامِي
 مُلَاقٍ لِأَيَّامِ النُّونِ حِمَامِي
 وَكُنْتُ أَرَى فِيهَا لِقَاءَ لِرَامٍ
 عَلَى حَالِهَا مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَامٍ
 أَبُو الْجَنِّ إِبْلِيسُ بَغِيرِ خِطَامٍ

يَظَلُّ يَمِينِي عَلَى الرَّحْلِ وَارِكًا
يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ وَأَنَّهُ
قَمَلْتُ لَهُ هَلَّا أُخِيكَ أَخْرَجْتَ
رَمَيْتَ بِهِ فِي النَّيْمِ لَمَّا رَأَيْتَهُ
فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ الْمَوْجُ طَامِيًا
أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ الْحَجْرِ وَالْحَجْرُ أَهْلُهُ
قَمَلْتَ أَعْرُوقَهُ هَذِي اللَّفُوحُ فَإِنَّهَا
فَلَمَّا أَنَاخُوهَا تَبَرَّاتٍ مِنْهُمْ
وَأَدَمٌ قَدْ أَخْرَجْتَهُ وَهُوَ سَاكِنٌ
وَأَقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ أَنَّكَ نَاصِحٌ
فَقَطَّلَا يَحْيَى طَانِ الْوَرَّاقَ عَلَيْهِمَا
وَكَمْ مِنْ قُرُونٍ قَدْ أَطَاعُوكَ أَصْبَحُوا
وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِالْمُرءِ ابْتِغِي
سَاجِدِيكَ مِنْ سَوَاتِمَا كُنْتَ سَعْتِي
تُعِيرُهَا فِي النَّارِ وَالنَّارُ تَلْتَبِي
وَإِنَّ ابْنَ إِبْلِيسِ وَإِبْلِيسَ الْبَنَّا
هَمَا تَقَلَّافِي فِي مِنْ قَوْمِيهَا

١٧٨ من مبيع شعر الخليل الحسكفي في هجو من ردي الصوت

وَمُسْمِعٌ غِنَاءُهُ يَبْدُلُ بِالْفَقْرِ الْغِنَى

أَبْصَرْتُهُ فَلَمْ تَخِبْ فِرَاسَتِي لَمَّا دَنَا
وَرَمْتُ أَنْ أَرْوِحَ لِلظَّنِّ بِهِ مُنْتَحِنًا
فَقُلْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ هَاتِ أَخِي غَنِّ لَنَا
فَأَنْشَالَ مِنْهُ حَاجِبٌ وَحَاجِبٌ مِنْهُ أُنْحَى
وَأَمْتَلَأَ الْمَجْلِسُ مِنْ فِيهِ نَسِيًا مُنْتَنَا
أَوْقَعَ إِذْ وَقَعَ فِي مِ الْأَنْفُسِ أَسْبَابَ الْعَنَا
وَمَا أَكْتَفَى بِاللَّحْنِ وَالسَّخْلِيطِ حَتَّى لَحْنَا
يُوهِمُ زَمْرًا أَنَّهُ قَطَعَهُ وَدَدْنَا
وَصَاحَ صَوْتًا نَافِرًا يُخْرِجُ مِنْ حَدِّ النَّيَا
وَمَا دَرَى مَحْضَرُهُ مَاذَا عَلَى الْقَوْمِ جَنَى
فَذَا يَسُدُّ أَنْفَهُ وَذَا يَسُدُّ الْأَذْنَا
وَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ تَسْرُ عَنْهُ الْأَعْيَا
فَأَعْتَمَّتْ حَتَّى كَدَتْ مِنْ غَيْظِي أَبْتُ الشَّجْنَا
وَقُلْتُ يَا قَوْمُ اسْمَعُوا إِمَّا الْمَغْنِي أَوْ أَنَا
أَقْسَمْتُ لَا أَجْلِسُ أَوْ يُخْرِجُ هَذَا مِنْ هُنَا
قَالُوا لَقَدْ رَجِمْنَا وَزَلَتْ عَنَّا الْحَنَا
فَحَزْتُ فِي إِخْرَاجِهِ رَاحَةَ نَفْسٍ وَالنَّشَا
وَحِينَ بَلَى شَخْصُهُ قَرَأْتُ فِيهِمْ مُعَلْنَا
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُرْنَا

١٢٩ قال الأديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى

في ذم داري كان يسكنها

دَارٌ سَكَنْتُ بِهَا أَقْلُ صِفَاتِهَا أَنْ تَكْثُرَ الْحَشْرَاتُ فِي جَنَابَتِهَا
 الْحَيْرُ عَنْهَا نَازِحٌ مُتَبَاعِدٌ وَالشَّرُّ دَانٌ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا
 مِنْ بَعْضِ مَا فِيهَا الْبُعُوضُ عَدِمَتْهُ كَمْ أَعْدَمَ الْأَجْفَانَ طِيبَ سُبَاتِهَا
 وَتَيْتُ تُسْعِرُهَا بَرَاغِيثُ مَتَى غَنَّتْ لَهَا رَقِصَتْ عَلَى نَعْمَاتِهَا
 رَقِصٌ يَنْقِيطُ وَلَكِنْ قَافُهُ قَدْ قُدِّمَتْ فِيهِ عَلَى أَخْوَالِهَا
 وَبِهَا ذُبَابٌ كَالضَّبَابِ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ مَا طَرَبِي سِوَى غُنَابَتِهَا
 أَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَائِمِ فَتَكِيهَا فِينَا وَأَيْنَ الْأَسَدُ مِنْ وَثْبَاتِهَا
 وَبِهَا مِنْ الْخُطَافِ مَا هُوَ مُعْجِزٌ أَبْصَارَنَا عَنْ وَصْفِ كَيْفِيَاتِهَا
 وَبِهَا خَفَافِيشُ تَطِيرُ نَهَارَهَا مَعَ لَيْلِهَا لَيْسَتْ عَلَى عَادَاتِهَا
 وَبِهَا مِنَ الْجِرْدَانِ مَا قَدْ قَصَّرَتْ عَنْهُ الْعِتَاقُ الْجُرْدُ فِي حَمَلَاتِهَا
 وَبِهَا خَافِيسُ كَالطَّنَافِيسِ أَفْرِشَتْ فِي أَرْضِهَا وَعَلَتْ عَلَى جَنَابَتِهَا
 وَبَنَاتُ وَرْدَانٍ وَأَشْكَالُ لَهَا مِمَّا يَفُوتُ الْعَيْنَ كُنْهُ ذَوَاتِهَا
 أَبَدًا تَمَّصُ دِمَاءَنَا فَكَأَنَّهَا حَجَامَةٌ لَبَدَتْ عَلَى كَاسَاتِهَا
 وَبِهَا مِنَ الْأَنْمَلِ السُّلَيْمَانِيِّ مَا قَدْ قَلَّ ذَرُّ الشَّمْسِ عَنْ ذَرَاتِهَا
 مَا رَاعِنِي شَيْءٌ سِوَى وَزَعَاتِهَا فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ ذَرَاتِهَا
 سَجَمَتْ عَلَى أَوْكَارِهَا فَظَنَّتْهَا وَزُقَ الْحَمَامِ سَجِينٍ فِي شَجَرَاتِهَا
 وَبِهَا زَنَايِيرُ تُظَنُّ عَقَارِبًا حَرُّ السَّمُومِ أَخْفُ مِنْ زَفَرَاتِهَا

وَيَهَا عَقَابٌ كَالْأَقَابِ رَنَعٌ
 كَيْفَ السَّيْلِ إِلَى الثُّجَاةِ وَلَا نَجَا
 مَيُوجَةٌ بِالْمَنْكَبِ سَمَاوَاهَا
 فَضْحِيحًا كَالرَّعْدِ فِي جَنَابِهَا
 وَالْوَمُ عَاكِفَةٌ عَلَى أَرْجَائِهَا
 وَالْجَنُّ تَأْنِيهَا إِذَا جَنَّ الدُّجَى
 وَالنَّارُ حُرٌّ مِنْ تَلْهِبِ حَرِّهَا
 شَاهَدَتْ مَكْتُوبًا عَلَى أَرْجَائِهَا
 لَا تَمْرُبُوا مِنْهَا وَخَافُوهَا وَلَا
 أَبَدًا يَقُولُ الدَّاخِلُونَ بِبَابِهَا
 قَالُوا إِذَا نَدَبَ الْعَرَابُ مَنَازِلًا
 وَيَدَارِنَا أَلْفَا غَرَابٍ نَاعِقُ
 صَبْرًا لَعَلَّ اللَّهَ يُعِيبُ رَاحَةَ
 دَارِ تَيْتِ الْجِنِّ تَحْرُسُ نَفْسَهَا
 كَمْ بَتٌ فِيهَا مُفْرَدًا وَالْعَيْنُ مِنْ
 وَأَقُولُ يَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ أَلْعَلِّي
 أَنْ كُنْتَنِي بِجَهَنَّمَ الدُّنْيَا قَهِي
 وَاجْمَعْ بَيْنَ أَهْوَاهُ شَيْئِي عَاجِلًا
 فِينَا حَمَانًا اللَّهُ لَدَغٌ حَمَانِيهَا
 وَلَا حَيَاةَ لِبَنٍ رَأَى حَيَاتِيهَا
 وَالْأَرْضُ قَدْ لَسِجَتْ عَلَى آفَاتِيهَا
 وَرُأْبُهَا كَالرَّمْلِ فِي خُشْنَاتِيهَا
 وَالذُّودُ تَبْحَثُ فِي تَرَى عَرَصَاتِيهَا
 تَحْكِي الْحَيُولَ الْجُرَدَ فِي حَمَلَاتِيهَا
 وَجَهَنَّمَ تَمْزَى إِلَى لَفْحَاتِيهَا
 وَرَأَيْتُ مَسْطُورًا عَلَى جَنَابِهَا
 تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى هَلَكَاتِيهَا
 يَا رَبِّ نَجِّ النَّاسَ مِنْ آفَاتِيهَا
 يَتَفَرَّقُ السُّكَّانُ مِنْ سَاحَاتِيهَا
 كَذَبَ الرُّوَاةُ فَأَيْنَ صِدْقُ رُؤَاتِيهَا
 لِلنَّفْسِ إِذْ غَلَبَتْ عَلَى شَهَوَاتِيهَا
 فِيهَا وَتَدْبُ بِأَخْلَافِ لَفَاتِيهَا
 شَوْقِ الصَّبَاحِ تَسْمَعُ مِنْ عِبْرَاتِيهَا
 يَا رَازِقًا لِلْوَحْشِ فِي فُلُواتِيهَا
 أُخْرَايَ هَبْ لِي الْخُلْدَ فِي جَنَاتِيهَا
 يَا جَامِعَ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ شَتَاتِيهَا

البابُ العاشرُ في الزهريّات

زهريّة بديع الزمان الهمداني

١٨٠

بَرَدَ الرَّبِيعُ لَنَا بِرَوْتِقِ مَائِهِ فَانظُرْ لِرَوْعَةِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
 فَالْتَرُبْ بَيْنَ مُسْكِ وَمَعْبَرٍ مِنْ نُورِهِ بِلِ مَائِهِ وَرُؤَايِهِ
 وَالْمَاءُ بَيْنَ مُصْنَدِلٍ وَمُكْفَرٍ فِي حُسْنِ كُدْرَتِهِ وَلَوْنِ صَفَائِهِ
 وَالطَّيْرُ مِثْلَ الْمُحْصَنَاتِ صَوَادِحٍ مِثْلَ الْمُغْنِيِّ شَادِيَا بِنَائِهِ
 وَالْوَرْدُ لَيْسَ بِمُسْكِ رَبَاهُ إِذْ يُهْدِي لَنَا قَهَحَاتِهِ مِنْ مَائِهِ
 زَمَنَ الرَّبِيعِ جَلَبَتْ أَرْكَى مَتَجَرٍ وَجَلَوْتَ لِلرَّائِنِ خَيْرَ جَلَالِهِ
 فَكَأَنَّهُ هَذَا الرَّئِيسُ إِذَا بَدَأَ فِي خَلْقِهِ وَصَفَائِهِ وَعَطَائِهِ
 بِحَمِيٍّ أَعَزَّ مُجَرَّ وَنَبْدَى أَعْرَى مُحَجَّلٍ فِي خَلْقِهِ وَوَفَائِهِ
 يَعْشُو إِلَيْهِ الْمُخْتَوِي وَالْمُجْتَدِي وَالْمُجْتَدِي هُوَ هَارِبٌ بِدَمَائِهِ
 مَا الْبَحْرُ فِي تَرْخَارِهِ وَالنَيْثُ فِي إِمْطَارِهِ وَالنَّجْوُ فِي أَنْوَائِهِ
 بِأَجَلٍ مِنْهُ مَوَاهِبًا وَرَغَابًا لِأَزَالِ هَذَا الْمَجْدِ حِلْفَ فَنَائِهِ
 وَالسَّادَةُ الْبَاقُونَ سَادَةُ عَصْرِهِمْ مَتَمَدِّحُونَ بِمَدْحِهِ وَتَنَائِهِ

نُجَّةٌ مِنْ زَهْرِيَّةِ ابْنِ الرَّاحِجِ الْعَلِيِّ

نَثَرَتْ عُمُودَ سَمَائِهَا الْأَنْدَاءُ بِيَدِ النَّسِيمِ فَلَلْتَرَى إِثْرَاهُ
 وَبَدَتْ تَبَاشِيرُ الرَّبِيعِ كَأَنَّمَا نَشَرَتْ حَبَائِرَ وَشَيْهَا صَنْعَاهُ

وَأَفْتَرُ تُفْرُ الْأَقْحَوَانَةَ بِاسِمَاءِ
وَالْأَرْضُ قَدْ زَهَيْتَ بِجَلْبِي تَبَاتِيهَا
وَالزُّوْضُ فِي نَشْوَاتِ سَكْرَتِهِ وَقَدْ
وَتَنَى الْحَيَا عَطْفَ الْغَدِيرِ فَصَفَقَتْ
فَكَانَ أَعْطَافَ الْفُصُونِ مَنَابِرُ
هَذَا الرَّبِيعِ أَجِبْ نِدَاءَ سُرُورِهِ
إِذِ اللَّشَقِيَّةِ مُثَلَّةٌ رَمْدَاهُ
وَأَلْجُو حَلَّةً سُوْحِيهِ دَكْنَاهُ
طَافَتْ عَلَيْهِ الدَّيْمَةُ الْوُطْفَانَةُ
أَطْرَافُهُ وَتَغَنَّتِ الْوَرَقَاءُ
وَالْوُزُقَ فِي أَوْرَاقِهَا خُطْبَاءُ
تَشْمَلُكَ مِنْهُ بَرُوحُكَ السَّرَاءُ

نخبة من زهرية لابن مكناس

١٨١

قالها في وصف شجرة سرح على شاطئ النيل

يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوْرُهُ
عَلَى الْبُؤَاقِيَّتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ
حَلَّتْ عَلَيْكَ عَزَالِيهَا السَّحَابُ إِذَا
نَوَى الثَّرِيًّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ
وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكَ النَّوْرُ مِنْ جَدَلٍ
سَقَاكَ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ
لَا صَوْحَ الدَّهْرِ مِنْكَ الزَّهْرُ وَأَنْبَجَسَتْ
عَلَيْكَ كُلُّ هَتُونِ الْوُذُقِ سَوْدَاءِ
رَحْمَاكَ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكَ فَكَمْ
لَنَا بِظِلِّكَ مِنَ الْطَافِ أَهْوَاءِ
وَكَمَ زَلْنَا مَقِيلًا مِنْكَ مَا حَمَى أَلْ
مَجِيرُ إِذْ حَيْثُ لَا مَرَأَى لِحَرْبَاءِ
نَظَلْنَا مِنْ فَيْكِ الْفَضْفَاضِ فِي ظِلِّ
مِنْ أَلْغَمَامِ يَقِينًا كُلُّ ضَرَاءِ
يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ الْقَيْظِ عَالِمَةً
أَنْتِ الشِّفَاءُ مِنَ الرَّمْضِ الَّذِي الدَّاءُ
لَهَا مَطَارِفُ ظِلِّ سَجَسَجٍ فَمَصِيْفُهَا يُعَادِلُ فِيهِ طِيبَ مَشْتَاءِ
خَمَائِلُ الرُّوْضِ مَنَشَاهَا وَمَرْضَعُهَا
ضَرَعُ النَّيْمِرِينَ مِنْ نَيْلٍ وَأَنْوَاءِ
فَاسْتَمَدَّتْ دَوْحَهَا الْخُضْلَ وَأَقْتَرَشَتْ
نَجْمَ الرَّبِيِّ وَرَدَّتْ عَرَشًا عَلَى الْمَاءِ

بديعةُ الحُسنِ قدَ فازَ الخُناسُ لها
 وصوتُ بلبلها الرّاقِي ذُرَى عُصْنِ
 كقرعِ ناقوسِ دَيْرِي عَلَى شَرْفِ
 كمْ صَفَقَ المَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرْبَا
 كأنها مِنْ جَنانِ الخُلْدِ قدَ كَمَلَتْ
 مالتَ عَلَى النّهرِ إِذْ جاشَ الحُرَيْدُ بِهِ
 كأنما النّهرُ مرآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ
 ذُوشاطِي راقِ غَبَّ القَطْرِ فَنوَعَلِي
 كأنه عِنْدَ تَفْرِيكِ اللّسِيمِ لَهُ
 كأنه حينَ يَجري زُرْقَةٌ وَصَفَا
 إِذَا شَدَوَتْ حَمَامَاتِ الأَرَاكِ عَلَى
 مِنْ كُلِّ وَرَقَاءٍ فِي الأَفْتانِ صَادِحَةٍ
 وَرُقٌ تَغَنَّتْ بِجَنّاتِ رَقِينِ عَلَى

نخبة من زهرية بدر الدين الذهبي

١٨٢

تَرَمَحَ عَطْفُ البانِ فِي الحُللِ الحُضْرِ وَعَنَى بِالْحانِ عَلَى عُوْدِهِ الشُّمْرِي
 وَرَأَتْ أَزْهیرَ الحُدائقِ بِالضُّحَى نواظِرَ أَحْداقِ بنوارِها النُّضْرِ
 وَأشْرَقَ خَدُّ الوَزْدِ بِيدي نضارِهِ وَأشْرَقَ جِيدُ العُصْنِ فِي لُوْلُوهِ القَطْرِ
 وَبَاتَ سَقِيطُ الطَّلِّ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ يَبِيهُ فِي أَرْجائِها ناعِسَ الزَّهْرِ
 وَقَدْ غَضَّ طَرْفَ النُّرجَسِ العُصْنَ مِنْ حَيَاةِهُ وَالْأَقاحِي مِنْهُ مُبْتَسِمَ النُّغْرِ

وَمَا ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ عَشِيَّةً
 وَغَتَّ قِيَانُ الطَّيْرِ فِي كُلِّ أَيْكَةٍ
 قِيَانٌ كَسَاهَا أَحَدٌ دِيَاجَ وَجْهِهِ
 أَقَامَتْ لَهَا دَوْحُ الْأَرَاكِ أَرَاكًا
 وَأَمْسَى أَصِيلُ الْيَوْمِ مُلْقَى مِنَ الضَّنَا
 بَكْتُهُ سَهَامَاتُ الْأَرَاكِ وَسَقَّتْ
 فِكْمٌ مِنْ نَجِيبٍ لِلْحَمَائِمِ بِالضُّحَى

زهرية ابن الوكيل

١٨٣

أَلَسْتَ تَرَى وَشِيَّ الرَّبِيعِ تَسْمَا
 وَقَدْ حَكَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِنُورِهَا
 فَخَضِرَتْهَا كَالْجَوْوِ فِي حُسْنِ لَوْنِهِ
 فَمِنْ تَرْجِسٍ لِمَا رَأَى حُسْنَ نَفْسِهِ
 وَأَبْدَى عَلَى الْوَرْدِ الْجَنِيِّ تَطَاوُلًا
 وَزَهْرٍ شَفِيقٍ نَازِعِ الْوَرْدِ فَضْلُهُ
 فَظَلَّ لِقَرِطِ الْحَزَنِ يَلْطَمُ خَدَهُ
 وَمِنْ سُوسَنِ لِمَا رَأَى الصَّبِغَ دُونَهُ
 تَجَلَّبَبَ مِنْ زُرْقِ الْيَوَاقِيتِ حُلَّةً
 وَأَنْوَارِ مَنْشُورِ تَخَالَفَ شَكْلُهَا
 جَوَاهِرُ لَوْ قَدْ طَالَ فِيهَا حَيَاتُهَا

وَمَا صَنَعَ الرَّبِيعُ فِيهِ وَتَطَّمَا
 فَلَمْ أَرِ فِي التَّشْبِيهِ أَيُّهَا سَمَا
 وَأَنْوَارُهَا تَحْكِي لِعَيْنِكَ أَنْجُمًا
 تَدَاخَلَهُ عَجْبٌ بِهِ فَتَبَسَّمَا
 وَأَظْهَرَ غَيْظَ الْوَرْدِ فِي خَدِهِ دَمَا
 فَزَادَ عَلَيْهِ الْوَرْدُ فَضْلًا وَقَدَمَا
 فَأَظْهَرَ فِيهِ اللَّطْمَ جَمْرًا مُضْرَمًا
 عَلَى كُلِّ أَنْوَاعِ الرِّيَاضِ تَقَسَّمَا
 فَأَعْرَبَ فِي الْمَلْبُوسِ فِيهَا وَأَحْكَمَا
 فَصَارَ بِهَا شَكْلُ الرَّبِيعِ مُنَمَّمَا
 رَأَيْتَ بِهَا كُلَّ الْمُلُوكِ مُخْتَمًا

البابُ الحادي عشر
في السيف والقلم

وصف السيف

١٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْحَلْبِيِّ يُصِفُ سَيْفًا اسْتَوْهَبَهُ: وَقَلَدَتِي
مِثْنًا سَيْفًا تَلْمَعُ مَخَائِلَ النَّصْرِ مِنْ غَمْدِهِ . وَتُشْرِقُ جَوَاهِرُ الْفَتْحِ فِي
فِرْنِدِهِ . وَإِذَا سَابَقَ الْأَجَلَ إِلَى قَبْضِ النَّفْسِ عَرَفَ الْأَجَلَ قَدْرَهُ
فَوَقَّفَ عِنْدَ حَدِّهِ . وَمَتَى جَرَدَهُ عَلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْعَدَى وَهَتَّ عِزَّائِمَهُ
وَمَجَّزَ جَنَاحَ جَيْشِهِ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ :

بِكَلِّ رَدِّي نِي كَانَ سِنَانَهُ شِهَابٌ بَدَا فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ سَابِغُ
تَقَاصِرَتِ الْأَجَالِ فِي طُولِ مَتْنِهِ وَعَادَتُ بِهِ الْأَمَالُ وَهِيَ فَجَائِعُ
وَسَاءَتِ ظُنُونِ الْحَرْبِ فِي حُسْنِ ظَنِّهِ فَهِنَّ لِحَبَاتِ الْقُلُوبِ قَوَارِعُ
وَذِي شُطْبٍ تَقْضِي الْمُنَايَا لِحُكْمِهِ وَلَيْسَ لِمَا تَقْضِي الْمُنِيَّةُ دَافِعُ
فِرْنِدُ إِذَا مَا أَعَنَّ لِلْعَيْنِ رَاكِدُ وَبَرَقَ إِذَا مَا أَهْتَرَ بِالْكَفِّ لَامِعُ
يُسَلِّلُ أَرْوَاحَ الْكُفَاةِ انْسِلَالَهُ وَيَرْتَاعُ مِنْهُ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ رَائِعُ
إِذَا مَا أَلْتَمَّتْ أَمْثَالُهُ فِي وَقِيعةٍ هُنَالِكَ ظَنَّ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَاقِعُ

وصف سيف عمرو بن معدي كرب

١٨٥ لَمَّا صَارَ سَيْفُ عَمْرٍو بْنِ مَعْدِي كَرَبَ وَكَانَ يُسَمَّى الْقَصْمَامَةَ إِلَى
الْهَادِي . وَكَانَ عَمْرٍو وَهَبَهُ لِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَتَوَارِثُهُ وَوَلَدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ

الْمَهْدِيُّ فَأَشْتَرَاهُ مُوسَى الْهَادِي بِمَالِ جَلِيلٍ . وَكَانَ أَوْسَعُ بَنِي الْعَبَّاسِ
كَفَاءً وَأَكْثَرُهُمْ عَطَاءً . وَدَعَا بِالشُّعْرَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَكْتَلٌ فِيهِ بَدْرَةٌ
قَالَ : قُولُوا فِي هَذَا السَّيْفِ . فَبَدَرَ ابْنُ يَامِينَ الْبَصْرِيُّ فَقَالَ :

حَازَ صَمَامَةَ الزُّبَيْدِيِّ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْأَنَامِ مُوسَى الْأَمِينُ
سَيْفٌ عَمُرُو وَكَانَ فِيهَا سَمِينًا خَيْرَ مَا أُعْمِدَتْ عَلَيْهِ الْجُنُونُ
أَخْضَرَ اللَّوْنُ بَيْنَ خَدَيْهِ بُرْدٌ مِنْ دُغَافِ تَمِيسُ فِيهِ الْمُنُونُ
أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَارًا ثُمَّ شَابَتْ بِهِ الدُّغَافُ الْقِيُونُ
فَإِذَا مَا سَلَّتْهُ بِهَرِّ الشَّمْسِ ضِيَاءً فَلَمْ تَكْذُبْ تَسْتَبِينُ
مَا يُبَالِي مَنْ انْتَضَاهُ لِحَرْبِ أَشْمَالٍ سَطَتْ بِهِ أَمْ يَمِينُ
يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارُ كَالْقَبَسِ الْمَشْعَلِ مَا تَسْتَقِرُّ فِيهِ الْعُيُونُ
وَكَانَ الْفَرَنْدُ وَالْجَوْهَرُ الْجَارِي عَلَى صَفْحَتِهِ مَاءٌ مَعِينُ
نَعْمَ مَخْرَاقُ ذَا الْخَلِيفَةِ فِي الْهَيْجَاءِ يُفْضِي بِهِ وَنَعْمَ الْقَرِينُ
قَالَ مُوسَى : لَمْ يَتَعَدَّ مَا فِي نَفْسِي وَأَسْتَحَقُّهُ . وَأَمْرُهُ بِالْمَكْتَلِ

وَالسَّيْفِ . فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِلشُّعْرَاءِ : إِنَّمَا دَخَلْتُمْ مَعِيَ وَحُرِمْتُمْ مِنْ أَجَلِي
فَشَأْنُكُمْ الْمَكْتَلُ وَفِي السَّيْفِ غَنَائِي (زهر الآداب للقيرواني)
١٨٦ قَالَ الْبُخَيْرِيُّ يُصِفُ سَيْفًا :

قَدْ جُدَّتْ بِالطَّرْفِ الْجَوَادِ فَنَّتْهُ لِأَخِيكَ مِنْ جَدْوَى يَدَيْكَ بِمَقْصَلِ
يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مِنْأَلَهُ عَفْوًا وَيَفْتَحُ فِي الْقَضَاءِ الْمَقْصَلِ
بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتْفٍ مُظْلِمٍ وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ

يَعْتَشَى الْوَعَى فَالْتَرَسُ لَيْسَ بِجَنَّةٍ مِنْ حَدِّهِ وَالْدَّرَعُ لَيْسَ بِمَقِيلٍ
 مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تَمْتَصِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٌ وَمَمْشُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ
 مُصْعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ
 مُتَوَقِّدٌ يَبْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوَانَهَا فِي يَدْبَلِ
 وَكَانَ فَارِسُهُ إِذَا اسْتَعْنَى بِهِ فِي الرُّوعِ يَعْصِي بِالسَّمَاكِ الْأَعْزَلِ
 فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَهُوَ مِنْ مَقْتَلِ

وصف القلم

١٨٧ الْقَلَمُ هُوَ الْبِرَاعُ الَّذِي نُفِثَتِ الْقَصَاحَةُ فِي رُوعِهِ . وَكُنْتَ
 الشَّجَاعَةَ بَيْنَ ضُلُوعِهِ . فَإِذَا قَالَ أَرَاكَ كَيْفَ نَسَقُ الْفَرِيدِ فِي
 الْأَجْيَادِ . وَإِذَا صَالَ أَرَاكَ كَيْفَ الْأَخْتَلَافُ بَيْنَ الْأَسَادِ . وَهُوَ
 خَصَائِصُ أُخْرَى يُبْدِعُهَا إِبْدَاعًا . فَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِهَا غَيْرُهُ تُصَنِّعُ أَتَى هُوَ
 بِهَا صَنَاعًا . فَطَوْرًا يَرَى نَحْلَةً تَجْنِي عَسَلًا . وَطَوْرًا يَرَى إِمَامًا يَلْقَى دَرْسًا .
 وَطَوْرًا يَرَى وَرَقًا تَصْدَحُ بَيْنَ الْأَوْرَاقِ . وَطَوْرًا يَرَى جَوَادًا مَخْلَقًا بِمَخْلُوقِ
 السَّبَاقِ . وَطَوْرًا يَرَى أَفْعُوَانًا مُطْرَقًا وَالْعَجَبُ أَنَّهُ لَا يُرْهِمِي إِلَّا عِنْدَ
 الْأِطْرَاقِ . وَلَطَالَمَا نَفَثَ سِحْرًا وَجَلَبَ عِطْرًا . وَأَدَارِي فِي الْقِرْطَاسِ
 خَمْرًا . وَتَصْرَفُ فِي وُجُوهِ الْمَعَانِي . فَلَا تَحْطَى بِهِ دَوْلَةٌ إِلَّا فَخَرَتْ عَلَى
 الدُّوَلِ . وَغَنِيَتْ بِهِ عَنِ الْحَيْلِ وَالْحَوْلِ . وَقَالَتْ : أَعْلَى الْمَمَالِكِ عَلَى
 الْأَقْلَامِ لَا عَلَى الْأَسَلِ . وَلَرُبَّمَا لَقِيَ هَذَا الْقَوْلَ بِأَعْظَامِ النَّكِيرِ .
 وَقَالُوا : مِنْ أَيْنَ لِلْقَصَبَةِ الضَّعِيفَةِ هَذَا الْخَطْرُ الْكَبِيرُ . وَلِلْبَهَائِمِ عُذْرٌ أَنْ

لَا تَعْرِفَ مِنْ مَلَاذِ الْأَطْعَمَةِ غَيْرَ الشَّعِيرِ . وَلَوْ أَنْصَفَ هَوْلًا لَعَلِمُوا أَنَّ
 الْقَلَمَ هُوَ مِزْمَارُ الْمَعَانِي . كَمَا أَنَّ أَخَاهُ فِي النَّسَبِ مِزْمَارُ الْأَغَانِي . فَهَذَا
 يَأْتِي بِغَرَائِبِ الْحِكْمِ . كَمَا يَأْتِي ذَلِكَ بِغَرَائِبِ النِّعَمِ . وَكِلَاهُمَا شَيْءٌ
 وَاحِدٌ فِي الْأَطْرَابِ . غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمَا يَلْعَبُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْآخَرُ يَلْعَبُ
 بِالْأَلْبَابِ (*)

١٨٨ (قَالَ) وَقَدْ أوردتُ فِي وَصْفِ الْقَلَمِ فَصلاً آخَرَ مِنْ كِتَابِ إِلَى
 بَعْضِ الْأَخْوَانِ وَهُوَ : وَقَلَمُهُ هُوَ الْقَلَمُ الَّذِي إِذَا قَدَفَ بِشَهْبِ بِيَانِهِ
 رَأَيْتَ نُجُومًا . وَإِذَا ضَرَبَ بِشَبَا حَدِّهِ رَأَيْتَ كَلُومًا . فَإِذَا صَوَّرَ
 الْمَعَانِي فِي الْقَاطِظِهَا رَأَيْتَ أَرْوَاحًا وَجُسُومًا . وَقَدْ شَرَفَ اللَّهُ دَوْلَةَ
 يَجْلِسُ فِي حَفْلِهَا . وَيَخْطُبُ عَنْ أَهْلِهَا . فَهُوَ لَهَا فِي الْحُسْنِ طِرَازٌ . وَفِي
 الذَّبِّ عَضْبُ جِرَازٌ . وَلَطَالَمَا قَالَ فَاسْتَحَفَّ مُوقِرًا وَكَمَا وَقَارًا . وَأَطَالَ

(*) قال ابن الأثير: في هذا الكلام معان مأخوذة من الشعر ومعان مبتدعة لم يسبقني
 إليها شاعر ولا كاتب . فأما التي في الشعر . فمنها قول أبي عبادَةَ الجعْفَرِي وهو :
 فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَّ مِ أَمْرُؤُهُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ أَيْضًا :

طِمَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ طِمَانٌ بِأَطْرَافِ الْقِنَا الْمُتَكَسِّرِ
 وَمِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ النَّبْطِيِّ :

أَعْلَى الْمَالِكِ مَا يُسْنِي عَلَى الْأَسَلِ وَالطَّمْنُ عِنْدَ مُجْبِهَيْنِ كَالْقَبْلِ
 وَأَمَّا الَّذِي ابْتَدَعْتَهُ وَلَمْ أُسْبِقْ إِلَيْهِ فَهُوَ أَنِّي جَمَعْتُ الْقَلَمَ مِزْمَارَ الْمَعَانِي كَمَا أَنَّ أَخَاهُ فِي النَّسَبِ
 مِزْمَارُ الْأَغَانِي . وَذَلِكَ أَنَّ كِلَيْهِمَا قِصْبَةٌ . وَلِهَذَا جَمَعْتُ الْمِزْمَارَ الْمَوْضُوعَ لِلْقِتَالِ أَخَا الْقَلَمِ فِي النَّسَبِ
 وَجَمَعْتُ مَعَانِي هَذَا كَنَعَمَ هَذَا . وَأَمَّا الْأَوْصَافُ الْبَاقِيَةُ الَّتِي ذَكَرْتَهَا فِي كَوْنِهِ نَحْلَةً وَشَفَّةً وَإِمَامًا
 فَاتِي لَمْ أَسْمَعْهَا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ سَبَقْتُ إِلَيْهَا وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ الْمَجْمُوعَةُ هُنَا فِي ذِكْرِ الْقَلَمِ لِاتِّجَادِهَا
 فِي كَلَامٍ آخَرَ غَيْرِ هَذَا الْكَلَامِ

فَوَجَدَتْ إِظْلَامَهُ لِحَاوِيَتِهَا إِقْصَارًا . وَادَّعَى الْإِنْفِرَادَ بِهَذِهِ الْمَرْيَةِ
فَأَقْرَتَ لَهُ الْأَعْدَاءُ إِقْرَارًا . وَكُلُّ هَذَا فَضْلٌ لِقَلَمِهِ غَيْرُ مَدْفُوعٍ .
وَشَاهِدُهُ مَرْنِيُّ لَدَيْهِ وَإِنَّ غَدَا قَبْلَهُ وَهُوَ مَسْمُوعٌ . وَفِي طَلَعَةِ الْبَدْرِ مَا
يُنَبِّئُكَ عَنْ زُحَلٍ . فَأَقْوَالُ غَيْرِهِ مُتَّقِلَةٌ عَنْ أَوَّلِ إِلَى آخِرِ وَالَّذِي
يَقُولُهُ لَمْ يُقَلِّ . فَهُوَ رَبُّ الْمَعَانِي الْخُتْرَعَةِ يَسْتَخْرِجُهَا مِنْ قَلْبِهَا . وَيَبْرِزُهَا
مِنْ ثَوْبِهَا الْقَشِيبِ وَلَيْسَ خَلْقُ الْأَثْوَابِ كَقَشِيدِهَا . وَقَدْ أَمْسَكَ
الْقَلَمَ قَوْمٌ رَضُوا مِنَ الْكِتَابَةِ بِتَحْسِينِ السُّطُورِ . وَإِذَا آتَى أَحَدَهُمْ
بِشَيْءٍ مِنَ السَّبْعِ فَذَلِكَ هُوَ الْكِتَابُ الْمَشْهُورُ . وَهُوَ لَا يَصْرُوا
هَمَّهُمْ عَلَى الزَّيْفِ دُونَ اللَّبَابِ . وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْقِشْرَ لِدَوِيِّ الْقُشُورِ
وَاللَّبُّ لِدَوِيِّ الْأَلْبَابِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مِنَ الْأَقْلَامِ رَحْمَةً فِي كَفِّ
رَحْمَةٍ وَعُقَابًا فِي كَفِّ عُقَابٍ (هَذَا فَضْلٌ مِنَ الْكَلَامِ قَدْ أُعْرِفْتُ
مَعَانِيَهُ مِنْ بَحْرِ . وَنَحْتُ الْأَفَاظِهِ مِنْ صَخْرِ . قَتَّتْ مَعَانِيَهُ مِنْ صَوَارِ
مِسْكِ . وَأَخَذْتُ الْأَفَاظَهُ مِنْ قَرِيدِ سَلَكٍ . بَلْ جَنَيْتُ مَعَانِيَهُ مِنْ
مَرَاتٍ مُخْتَلَفِ طَعْمِهَا . وَتَسَجَّتُ الْأَفَاظَهُ مِنْ دَبَائِحِ مَوْتَلِفِ رَقْمِهَا .
فَأَنْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَيْهَا نَظْرَ التَّعَجُّبِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْإِعْجَابِ . وَأَسْجُدْ
لَهَا فَلِلْبَلَاغَةِ سُجُودٌ كَسُجُودِ الْكِتَابِ) (الوشي المرقوم لابن الأثير)

صفة قلم لابن عبد ربه

١٨٩

بِكْفِهِ سَاحِرُ الْبَيَانِ إِذَا أَدَارَهُ فِي صَحِيفَةٍ سَحَرَا
يَنْطِقُ فِي عَجْمَةٍ بِلَفْظِهِ يَصْمُ عَنْهُ وَيَسْمَعُ الْبَصْرَا

بِرَى الْمَقَادِيرَ تَسْتَرِقُ لَهُ وَتُنْفِذُ الْحَادِثَاتُ مَا أَمْرًا
 تَحْتُ ضَيْلُ لِعَمَلِهِ خَطْرٌ أَعْظَمُ بِهِ فِي مَلَمَّةٍ خَطْرًا
 تَجُّ فَكَاهُ رَيْبَةً صَفَرَتْ وَخَطْبُهَا فِي الْقُلُوبِ قَدْ كَبُرًا
 إِذَا امْتَطَى الْخَيْصَرَيْنِ أَذْكَرُ مِنْ سَحَابَانَ فِيمَا أَطَالَ وَاخْتَصَرَ
 يُوَاقِعُ النَّفْسَ مِنْهُ مَا حَذَرَتْ وَرَبَّمَا جُنِبَتْ بِهِ الْحَذَرَ
 مُهَيِّفٌ تَرْدِيهِ بِهِ صُحْفٌ كَأَنَّهَا جُلِيَتْ بِهِ دُرًّا
 نَوَادِرُ تُفْرَعُ الْقُلُوبُ بِهَا إِنْ تَسْتَنِيهَا وَجَدْتَهَا صُورًا
 يُخَاطَبُ الْغَائِبَ الْبَعِيدَ بِمَا يُخَاطَبُ الشَّاهِدَ الَّذِي حَضَرَ
 وصف الشعر لعبد الله الناشي.

١٩٠ قَالَ النَّاشِي فِي فَصْلِ مِنْ كِتَابِهِ فِي الشِّعْرِ: الشِّعْرُ قَيْدُ
 الْكَلَامِ وَعَقْلُ الْأَدَابِ. وَسُورُ الْبَلَاغَةِ. وَمَعْدِنُ الْبِرَاعَةِ. وَمَجَالُ
 الْجَنَانِ. وَمَسْرَحُ الْبَيَانِ. وَذَرِيْعَةُ التَّوَسُّلِ. وَوَسِيْلَةُ التَّوَصُّلِ.
 وَذِمَامُ الْغَرِيبِ. وَحُرْمَةُ الْأَدِيبِ. وَعِصْمَةُ الْمُهَارِبِ. وَعُدَّةُ الرَّاهِبِ.
 وَرَحْلَةُ الدَّانِي. وَدَوْحَةُ الْمُتَمَثِّلِ. وَمَنْجَةُ الْمُتَجَمِّلِ. وَحَاكِمُ الْأَعْرَابِ.
 وَشَاهِدُ الصَّوَابِ. (ثُمَّ قَالَ) الشِّعْرُ مَا كَانَ سَهْلَ الْمَطَالِعِ.
 فَصْلُ الْمَقَاطِعِ. فَحْلُ الْمَدِيحِ جَزَلُ الْإِفْتِخَارِ. رَقِيقُ النَّسِيبِ سَائِرُ
 الْمَثَلِ. سَلِيمُ الزَّلَلِ. عَدِيمُ الْحُلَلِ. رَائِعُ الْهَيْجَاءِ. مُوجِبُ الْمَعْدَرَةِ.
 حُبُّ الْمُعْتَبَةِ. مُطْمَعُ الْمَسَالِكِ. فَائِتُ الْمَدَارِكِ. قَرِيبُ الْبَيَانِ.
 بَعِيدُ الْمَعَانِي. نَائِيُ الْأَنْغَوَارِ. ضَاحِيُ الْقَرَارِ. نَقِيُ الْمُسْتَشْفَى. قَدْ

هُرِيقَ فِيهِ مَاءُ الْفَصَاحَةِ . وَأَضَاءَ لَهُ نُورُ الزُّجَاجَةِ . فَأَنْهَلَ فِي صَادِي
 الْقَهْمِ . وَأَضَاءَ فِي بَهِمِ الْمَرَايِ . لِتَأْمَلِهِ تَرْقُرُقُ . وَلِمَسْتَشْفِهِ تَأَلَّقُ . يَرُوقُ
 الْمُتَوَسِّمِ . وَيَسِرُ الْمَتَبَرِّمِ . قَدْ أَيْدَتْ صُدُورَهُ مَثُونَهُ . وَزَهَتْ فِي
 وَجْهِهِ عَيْونُهُ . وَأَنْقَادَتْ كَوَاهِلُهُ لِهَوَادِيهِ . وَطَابَعَتْ أَنَارُهُ
 لِمُسْتَوْضِحِهِ . وَأَشْبَهَ الرُّوضِ فِي وَشِي أَلْوَانِهِ . وَتَعَمَّمُ أَفْنَانِهِ . وَإِشْرَاقِ
 أَنْوَارِهِ . وَأَبْتَهَاجِ أَمْجَادِهِ وَأَغْوَارِهِ . وَأَشْبَهَ الْوَشْيَ فِي اتِّفَاقِ
 رُقُومِهِ . وَأَتَسَاقَ رُسُومِهِ . وَتَسَطَّرَ كُفُوفِهِ . وَتَحَجَّرَ حُرُوفِهِ . وَحَكَّى
 الْعَقْدَ فِي التَّنَامِ فَصُولِهِ . وَأَنْتَظَّمَ وُصُولِهِ . وَأَزْدِيانَ يَاقُوتِهِ بِدُرِّهِ .
 وَفَرِيدَهُ بِشَدْرِهِ . قَدْ كَشَفَ الْإِيحَازَ مَوَارِدَهُ . وَصَفَلَتْ مَدَاوِسُ
 الدَّرَبِ مَنَاصِلَهُ . وَشَحَذَتْ مَدَارِسُ الْأَدَبِ قَوَاصِلَهُ . فَجَاءَ سَلِيَمَانَ
 الْمَعَابِ مَهْدِيًا مِنَ الْأَذْنَانِ يَتَحَاشَاهُ الْأَبْنُ . وَتَحَامَاهُ الْهَجْنُ . مُهْدِيًا
 إِلَى الْأَسْمَاعِ بَهْجَتَهُ . وَإِلَى الْعُقُولِ حِكْمَتَهُ . وَقَدْ قَلَّتْ فِي الشِّعْرِ قَوْلًا
 جَعَلَتْهُ مَثَلًا لِقَائِلِيهِ . وَأَسْلُوبًا لِسَالِكِيهِ . وَهُوَ :

الشِّعْرُ مَا قَوْمَتْ زَبَنَ صُدُورِهِ وَشَدَدَتْ بِالتَّهْدِيبِ أَسْرَ مَثُونِهِ
 وَرَأَبَتْ بِالْإِطْنَابِ شَبَّ صُدُوعِهِ وَفَتَحَتْ بِالْإِيحَازِ عُورَ عَيْونِهِ
 وَجَمَعَتْ بَيْنَ قَرِيبِهِ وَبَعِيدِهِ وَوَصَلَتْ بَيْنَ مَجْمَعِهِ وَمَعِينِهِ
 وَعَمَدَتْ مِنْهُ لِكُلِّ أَمْرٍ يَفْتَضِي شَبَّهَا بِهِ قَفَرَتَهُ بِقَرِينِهِ
 فَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا أَجْرِيَتْ لِلْمَحْزُونِ مَاءَ شُورِنِهِ
 وَوَكَلَتْهُ بِهَمُومِهِ وَعُمُومِهِ دَهْرًا وَلَمْ يَسِرِ الْكُرَى بِجُجُونِهِ

وَإِذَا مَدَحْتَ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا وَقَضَيْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دِيُونِهِ
أَضْفَيْتَهُ بِنَفْسِهِ وَرَصِينِهِ وَمَمَّخْتَهُ بِمُخْطِطِهِ وَثَمِينِهِ
فَيَكُونُ جَزَلًا فِي اتِّفَاقِ صُنُوفِهِ وَيَكُونُ سَهْلًا فِي اتِّسَاقِ فُنُونِهِ
وَإِذَا أَرَدْتَ كِنَايَةً عَنْ رَبِّبَةٍ بَأَيْتٍ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبُطُونِهِ
فَجَعَلْتَ سَامِعَهُ يَشُوبُ شُكُوكَهُ بَيَانِهِ وَظُنُونَهُ بِقَيْنِهِ
وَإِذَا عَبَّتَ عَلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ أَدْمَجْتَ شِدَّتَهُ لَهُ فِي لِينِهِ
فَتَرَكْتَهُ مُسْتَأْنَسًا بِدَمَائِهِ مُسْتَأْمِنًا لِوَعْوَتِهِ وَحَزُونِهِ
وَإِذَا نَبَذْتَ إِلَى الَّذِي عَلِقْتَهُ إِذْ صَدَّ عَنْكَ بِفَاتَاتِ شُورِهِ
تَيْمَهُ بِلَطْفِهِ وَدَقِيقِهِ وَشَفَقْتَهُ بِخِيَّتِهِ وَكَمِينِهِ
وَإِذَا اعْتَذَرْتَ إِلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ وَأَشَكْتَ بَيْنَ مَخِيلِهِ وَبُسِينِهِ
فَيَحُولُ ذَنْبُكَ عِنْدَ مَنْ يَعْتَدُهُ عَبَا عَلَيْهِ مُطَالِبًا بِمِينِهِ
وَالْقَوْلُ يُحْسِنُ مِنْهُ فِي مَثُورِهِ مَا لَيْسَ يُحْسِنُ مِنْهُ فِي مَوْزُونِهِ

قال ابن الرشيقي يصف الصناعة الشعرية

١٩١

لَعَنَّ اللَّهَ صِنْعَةَ الشَّعْرِ مَاذَا مِنْ صُنُوفِ الْجُهَالِ فِيهَا لَقِينَا
يُؤَثِّرُونَ الْقَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ سَهْلًا لِلْسَّامِعِينَ مُبِينَا
وَدَرُونَ الْحَالَ مَعْنَى صَحِيحًا وَخَسِيسَ الْكَلَامِ شَيْنًا ثَمِينَا
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَدْرُونَ لِحُجْمِ الْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَا
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا يُلَامُونَ نَ وَفِي لُحْقِ عِنْدَنَا يُعْذَرُونَا
إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا تَنَاسَبَ فِي النِّظْمِ وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ فُنُونَا

فَأَتَى بَعْضُهُ يُشَاكِلُ بَعْضًا وَأَقَامَتْ لَهُ الصُّدُورُ الْمُتَوَنَا
 كُلُّ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا تَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَا
 فَتَنَاهَى مِنَ الْيَبَانِ إِلَى أَنْ كَادَ حُسْنًا يَبِينُ لِلنَّاطِرِينَ
 فَكَانَ الْأَلْفَاظَ مِنْهُ وَجُوهٌ وَالْمَعَانِي رُكْبَانَ فِيهِ عِيُونَا
 قَائِمًا فِي الْمَرَامِ حَسْبَ الْأَمَانِي يَتَحَلَّى بِحُسْنِهِ الْمُنْشِدُونَا
 فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِالشَّعْرِ حُرًّا رَمَتْ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُسْهِينَا
 فَجَعَلْتَ النَّسِيبَ سَهْلًا قَرِيبًا وَجَعَلْتَ الْمُدِيحَ صِدْقًا مُبِينَا
 وَتَنَكَّبْتَ مَا تَهْجُنَ فِي السَّمْعِ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ مَوْزُونَا
 وَإِذَا مَا قَرَضْتَهُ بِهَجَاءٍ عَبَتْ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُرْفِينَا
 فَجَعَلْتَ التَّصْرِيحَ مِنْهُ دَوَاءً وَجَعَلْتَ التَّعْرِيفَ دَاءً دَفِينَا
 وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْفَنَا دِينَ يَوْمًا لِلدِّينِ وَالظَّاعِنِينَ
 حُلَّتْ دُونَ الْأَمْسَى وَذَلَّتْ مَا كَانَتْ مِنَ الدَّمْعِ فِي الْعِيُونِ مَصُونَا
 ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عَاتِبًا شُبْتَ بِالْوَدِّ دِ وَعِيدًا وَبِالصُّعُوبَةِ لِينَا
 فَتَرَكْتَ الَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ حَدِيرًا آمِنًا عَزِيزًا مَهِينَا
 وَأَصْحَ الثَّرِيضِ مَاقَاتٍ فِي التَّنْظِيمِ وَإِنْ كَانَ وَاصِحًا مُسْتَبِينَا
 فَإِذَا قِيلَ أَطْعَمَ النَّاسَ طُرًّا وَإِذَا رِيمَ أَنْعَجَزَ الْمُعْجِرِينَ

جرير والفرزدق والأخطل

١٩٢ قَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ صِفْ لِي جَرِيرًا
 وَالْفَرَزْدَقَ وَالْأَخْطَلَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا أَعْظَمُهُمْ فَجْرًا .

وَأَبَدُهُمْ ذِكْرًا. وَأَحْسَنَهُمْ عُدْرًا. وَأَيْسَرُهُمْ مَثَلًا. وَأَحْلَاهُمْ عِلَالًا.
 أَلْبَجْرُ الطَّائِي إِذَا زَخَرَ. وَالْحَائِي إِذَا دَغَرَ. وَالسَّامِي إِذَا خَطَرَ. الَّذِي
 إِذَا هَدَرَ قَالَ. وَإِذَا خَطَرَ صَالَ. أَفْصِيحُ اللِّسَانِ. الطَّوِيلُ العِنَانِ.
 فَأَلْفَرَزْدَقُ. وَأَمَّا أَحْسَنُهُمْ نَعْتًا. وَأَمْدَحُهُمْ بَيْتًا. وَأَقْلَهُمْ قَوَاتًا. الَّذِي
 إِذَا هَجَا وَضَعَ. وَإِذَا مَدَحَ رَفَعَ. فَأَلْأَخْطَلُ. وَأَمَّا أَغْزَرُهُمْ بَحْرًا.
 وَأَرْقَهُمْ شَيْعْرًا. وَأَهْتَكَّهُمْ سَيْعْرًا. الْأَعْرُ الْأَبْلَقُ. الَّذِي إِنْ طَلَبَ لَمْ
 يُسَبِّقْ. وَإِنْ طَلَبَ لَمْ يُتْلَقْ. فَجَرِيدٌ. وَكُلُّهُمْ ذِكِي القَوَادِ. رَفِيعُ العِمَادِ.
 وَارِي الزَّنَادِ. قَالَ مُسْلِمَةُ بِنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ حَاضِرًا: مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِكَ
 يَا ابْنَ صَفْوَانَ فِي الْأَوَّلِينَ. وَلَا فِي الْآخِرِينَ. أَشْهَدُ أَنَّكَ أَحْسَنُهُمْ
 وَضَفَا. وَالنِّهْمُ عَطْفًا. وَأَخْفَهُمْ مَقَالًا. وَأَكْرَمُهُمْ فَعَالًا. فَقَالَ خَالِدٌ:
 أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ. وَأَجْزَلَ لَكَ قِسْمَتَهُ. أَنْتَ وَاللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا
 عَلِمْتُ كَرِيمَ الفِرَاسِ. عَالِمٌ بِالنَّاسِ. جَوَادٌ فِي المَحَلِّ. بِسَامٌ عِنْدَ البَدَلِ.
 حَلِيمٌ عِنْدَ الطَّيْشِ. فِي الذَّرْوَةِ مِنْ قُرَيْشٍ. مِنْ أَشْرَافِ عَبْدِ شَمْسٍ.
 وَيَوْمَكَ خَيْرٌ مِنَ الْأَمْسِ. فَصَّحَكَ هِشَامٌ وَقَالَ: مَا رَأَيْتَ يَا ابْنَ
 صَفْوَانَ لِتَخْلُصِكَ فِي مَدْحِ هُوَلَاءَ وَوَضْفِهِمْ حَتَّى أَرْضَيْتَهُمْ جَمِيعًا
 وَسَلِفَتْ مِنْهُمْ

(زهر الآداب للقيرواني)

وصف التاريخ

١٩٣ التاريخ معاد معنوي يعيد الأعصار وقد سلفت. وينشر
 أهلها وقد ذهب آثارهم وغفت. وبه يستفيد عقول التجارب من

كَانَ غَرًّا . وَيَلْقَى مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْأُمَمِ وَهَلُمَّ جَرًّا . فَمَنْ لَدَيْهِ أَحْيَاءُ
 وَقَدْ تَصَمَّتْهُمْ بُطُونُ الْقُبُورِ . وَعَنْهُ غَيْبٌ وَقَدْ جَعَلَتْهُمْ الْأَخْبَارُ فِي
 عِدَادِ الْحُضُورِ . وَلَوْلَا التَّارِيخُ لَجَهَلَتِ الْأَنْسَابُ . وَنُسِيتِ الْأَحْسَابُ .
 وَلَمْ يَعْلَمْ الْإِنْسَانُ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ تُرَابٍ . وَكَذَلِكَ لَوْلَاهُ لَمَاتِ الدُّوَلُ
 بِمَوْتِ زُعَمَائِهَا . وَعَمِيَ عَلَى الْأَوَاخِرِ حَالُ قَدَمَائِهَا . وَلَمْ يُحِطْ عِلْمًا بِمَا
 تَدَاوَلَتْهُ الْأَرْضُ مِنْ حَوَادِثِ سَمَائِهَا . وَلَيْكَانَ الْعِنَايَةُ بِهِ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ
 كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ . فَمِنْهَا مَا أَتَى بِأَخْبَارِهِ الْعَجْمَلَةَ . وَمِنْهَا مَا
 أَتَى بِأَخْبَارِهِ الْمُفْصَلَةَ . وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّوْرَةِ مُفْرَدًا فِي سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهَا .
 وَتَصَمَّنَ تَفْصِيلَ أَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَمُدَدَ أَعْمَارِهَا . وَقَدْ كَانَتْ
 الْعَرَبُ عَلَى جَهْلِهَا بِالْقَلَمِ وَخَطِّهَا . وَالْكِتَابِ وَضَبْطِهِ . تَصْرِفُ إِلَى
 التَّوَارِيخِ جَمَلٌ دَوَاعِيهَا . وَتَجْعَلُ لَهَا أَوَّلَ حَظٍّ مِنْ مَسَاعِيهَا . فَتَسْتَعِينِي
 بِحِفْظِ قُلُوبِهَا . عَنْ حِفْظِ مَكْتُوبِهَا . وَتَتَعَاضُ بِرَقْمِ صُدُورِهَا . عَنْ
 رَقْمِ سُطُورِهَا . كُلُّ ذَلِكَ عِنَايَةٌ مِنْهَا بِأَخْبَارِ أَوَائِلِهَا . وَأَيَّامِ فُضَائِلِهَا .
 وَهَلِ الْإِنْسَانُ إِلَّا مَا أَسَّسَهُ ذِكْرُهُ وَبَنَاهُ . وَهَلِ الْبَقَاءُ لِصُورَةِ لَحْمِهِ
 وَدَمِهِ لَوْلَا بَقَاءُ مَعْنَاهُ (*) (لابن الأثير)

(*) وفي هذا الكلام شيء من شعر الحماسة وهو:

وإذا الفتي لاقى الحمامَ وجدتهُ لولا التشاءَ كأنه لم يُولد

وما أحسن ما قبل في التارِيخِ:

ليس بانسان ولا عاقل
 من لا يعي التارِيخِ في صدره
 ومن درى أخبار من قبله
 أضاف أعماراً الى عمره

الباب الثاني عشر في الوصف

وصف ترهة

١٩٤ حكى عمر بن علي المطوعي قال: رأى الأمير السيد أبو الفضل
عبيد الله بن أحمد أدام الله عزه أيام مقامه بجوين أن يطالع قرية من
قرى ضياعه تدعى نجاب على سبيل التنزه والتفرج. فكنت في جملة
من استصحبه إليها من أصحابه. واتفق أنا وصلنا والسماء مضيئة
والجوصاف لم يطرز ثوبه يعلم الغمام. والأفق فيروز لم يعبق به
كافور السحاب. فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع منسقة
الأوراق والغصون. قد سترت ما حوالها من الأرض طولاً وعرضاً.
فقرننا تحتها مستظلين بسماوة أفنانها. مستترين من وهج الشمس بسارة
أغصانها. وأخذنا نجاذب أذيال المذاكرة. وتسالب أهداب
المناشدة والمحاوره. فما شعرنا بالسماء إلا وقد أرعدت وأبرقت.
وأظلمت بعد ما أشرقت. ثم جادت بمطر كأفواه القرب فأجادت.
بل أوقت عليها وزادت. حتى كاد غيثها يعود عيها. وهمم وبلها أن
يسحيل ويلا. فصبرنا على أذاها وقلنا سحابة صيف عمّا قليل تفسح.
فإذا نحن بها قد أمطرتنا برداً كالشعور. لكنها من شعور العذاب. لا من
الشعور العذاب. فأيقنا بالبلاء. وسلمنا لأسباب القضاء. فما مرت

إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ . وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ
 الرُّبْحَى . وَالْمَاءُ قَدْ عَمَّرَ الْقِيَمَانَ وَالرُّبْحَى . فَبَادَرْنَا إِلَى حِصْنِ الْقَرْيَةِ
 لِأَيِّدِنَ مِنَ السَّيْلِ بِأَفْنِيتِهَا . وَعَايِدِنَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَنْبِيتِهَا . وَأَثَوْنَا قَدْ
 صَنْدَلٌ كَأَفُورِيهَا مَاءُ الْوَبْلِ . وَعَلَفَ طِرَازِيهَا طِينُ الْوَحْلِ . وَنَحْنُ مُحَمَّدُ
 اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ . وَإِنْ قَدَدْنَا بِيَاضَ الْأَكْمَامِ وَالْأَرْدَانَ .
 فَلَمَّا سَلَّ سَيْفُ الصُّبْحِ مِنْ غَمْدِ الظَّلَامِ . وَصُرِفَ بِوَالِي الصَّخْوِ عَامِلُ
 النِّعَامِ . رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ نُوسِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا رَفْضًا . وَنَتَّخِذَ
 الْإِرْتِحَالَ عَنْهَا فَرَضًا . فَمَا زِلْنَا نَطْوِي الصَّحَارِي أَرْضًا فَأَرْضًا . إِلَى أَنْ
 وَاقِنَا الْمُسْتَقَرَّ رَكْضًا . فَلَمَّا نَفَضْنَا غِبَارَ ذَلِكَ الْمَسِيرِ . الَّذِي جَمَعْنَا فِي
 رَبْقَةِ الْأَسِيرِ . وَأَفْضَيْنَا إِلَى سَاحَةِ التَّسِيرِ . بَعْدَ مَا أَصْبْنَا بِالْأَمْرِ
 الْعَسِيرِ . وَتَذَاكُرْنَا مَا لَقِينَا مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ . فِي قَطْعِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ
 وَطَيِّ تِلْكَ الشَّقَّةِ . أَخَذَ الْأَمِيرُ السَّيِّدُ الْقَلَمَ فَمَلَقَ هَذِهِ الْأَيَّاتَ أَرْجَاؤًا :

دَهْتَنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ بَغِيثٍ عَلَى أَفْقِهِ مُسِيلِ
 وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَذَاهُ عَلَى خَطَرِ هَائِلِ مُغْضِلِ
 فَمِنْ لَا يَنْدِي بِفَنَاءِ الْجِدَارِ وَإِوٍ إِلَى نَفَقِ مَهْمَلِ
 وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُنَادِي الْغَرِيقَ هُنَاكَ وَمِنْ صَارِخِ مَعُولِ
 وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السُّقُوفِ يَدْمَعُ مِنَ الْوُجْدِ لَمْ يَهْمَلِ
 كَانَ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى يَيْسًا مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبَلِّدِ
 وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ فَأَذْبَرَ كُلُّهُ عَنِ الْقَبْلِ

فَيَقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ وَمَا يَلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ يَجْمَلُ
فَيْنَ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا وَمَنْ مَعْلَمٍ عَادَكَ الْجَمَلُ
كَفَانَا بَلِيَّتَهُ رَبُّنَا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ

لابن حجة الحموي يصف حماة ويتشوق إليها

١٩٥

يَا صَادِقَ الْأَنْفَاسِ يَا أَهْلَ الذِّكَا
يَا لَسْمَةَ الْخَيْرِ الَّذِي مِنْ طَيْبِهِ
وَإِذَا تَسَمَّتْ الشَّدَا وَتَعَطَّرَتْ
عَرَجَ عَلَيَّ وَادِي حِمَاةٍ بِسُحْرَةٍ
وَأَجْمَلُ لَنَا فِي طَيِّ بُرْدِكَ لَشْرَهُ
وَأَسْرُعُ إِلَيَّ وَدَاوِي فِي مِصْرِهِ
لِلَّهِ ذَاكَ السَّفْحُ وَالْوَادِي الَّذِي
وَأَنْعَمُ بِمِصْرٍ نِسْبَةً لَكِنْ أَرَى
أَرْضَ رَضَعَتْ بِهَا ثَدْيِي شَيْبَتِي
يَا سَاكِنِي مَعْنَى حِمَاةٍ وَحَقِّكُمْ
وَمَهَالِكِ الْجُرْمَانِ تَمْنَعُ عَبْدَكُمْ
وَإِذَا أَشْتَهَيْتُ السَّيْرَ تَمَحَّوْ دِيَارَكُمْ
وَقَدْ أَلْتَفْتُ إِلَيْكَ يَا دَهْرِي بَطُو
قَرَّرْتُ لِي طَوْلَ الشَّتَاتِ وَظَيْفَةَ
وَأَسْرَتِي لَكِنْ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ
يَا طَاهِرَ الْأَذْيَالِ كَمْ لَكَ مِنْ نَبَا
تَتَشَقُّ الْأَخْبَارَ عَنْ تِلْكَ الرَّبِّي
مِنْكَ الذُّيُولُ وَطَبْتُ يَا رِيحَ الصَّبَا
مُتَمِّمًا مِنْهُ صَعِيدًا طَيْبًا
فَيَغَيِّرُ ذَاكَ الطَّيِّبُ لَنْ تَطَّيَّبَا
قَلْبًا عَلَيَّ نَارَ الْعِبَادِ مُقَلَّبَا
مَا زَالَ رَوْضُ الْأَنْسِ فِيهِ مُخْصَبَا
وَادِي حِمَاةٍ وَلُطْفُهُ لِي أَنْسَابَا
وَمَزَجْتُ لَذَائِي بِكَاسَاتِ الصَّبَا
مِنْ بَعْدِكُمْ مَا ذُقْتُ عَيْشًا طَيْبَا
مِنْ أَنْ نِيَالَ مِنَ التَّلَاقِي مَطْلَبَا
قَرَأَ النَّوَى لِي فِي الْأَوَاخِرِ مِنْ سَبَا
لِ تَعَبِي وَيَحِقُّ لِي أَنْ أَعْتَبَا
وَجَعَلَتْ دَمْعِي فِي الْخُدُودِ مَرْتَبَا
يَا دَهْرُ كُنْ فِي مَخْلَصِي مُتَسَبِّبَا

فَمَحَمَّدٌ وَمَدِينَةٌ قَدْ حَلَّهَا لَمْ أَلْقَ غَيْرَهَا لِقَلْبِي مَطْلَبًا

وصف الخيل

١٩٦ أَهْدَى عَبْدُ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْمَأْمُونِ فَرَسًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ
بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِفَرَسٍ يَلْحَقُ الْأَرَابَ فِي الصَّعْدَاءِ . وَيَجَاوِزُ
الطُّبَاءَ فِي الْأَسْتَوَاءِ . وَيَسْبِقُ فِي الْحُدُورِ جَرِي الْمَاءِ كَمَا قَالَ تَابَّطَشْرًا :
وَيَسْبِقُ وَقَدْ رَجَّحَ مِنْ حَيْثُ نَتَجَّى بِمُخْتَرَقٍ مِنْ شِدَّةِ الْمَتَدَارِكِ
جَمَعَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ وَزَادَ فِيهِ فَقَالَ يَصِفُ
فَرَسًا : هُوَ حَسَنُ الْقَمِيصِ . جَيِّدُ الْفُصُوصِ . وَثِيْقُ الْقَصَبِ . نَقِيٌّ
الْعَصَبِ . يَبْصُرُ بِأَذْيِهِ . وَيَتَّبِعُ بِيَدَيْهِ . وَيُدَاخِلُ بِرِجْلَيْهِ . كَأَنَّهُ
مَوْجٌ فِي لَجَّةٍ أَوْ سَيْلٌ فِي حُدُورٍ . يَنْهَابُ الْمَشْيَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ . وَيَلْحَقُ
الْأَرَابَ فِي الصَّعْدَاءِ . وَيَجَاوِزُ جَوَارِي الطُّبَاءِ فِي الْأَسْتَوَاءِ . وَيَسْبِقُ
فِي الْحُدُورِ جَرِي الْمَاءِ . إِنْ عَطَفَ جَارًا . وَإِنْ أُرْسِلَ طَارًا . وَإِنْ كَلَّفَ
السَّيْرَ أَمَعًا وَسَارًا . وَإِنْ حُسِسَ صَفَنًا . وَإِنْ أُسْتُوقِفَ قَطَنًا . وَإِنْ
رَمَى أَبْنًا . قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

مَا مُثْرَبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ مَلَانَ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلَهُوُقِ
بِحَوَافِرِ حُفْرٍ وَصَلْبِ أَصْلَبِ وَأَشَاعِرِ شُعْرِ وَحَلْقِ أَخْلُقِ
ذُو أَوْلَقٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَإِنَّمَا مِنْ صِحَّةِ إِفْرَاطِ ذَاكَ الْأَوْلَقِ
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسْتَهُ مِنْ سُنْدُسٍ رُدِّ وَمِنْ إِسْتَبْرَقِ
إِمْلِيسُهُ إِمْلِيدُهُ لَوْ عَلَّقَتْ فِي صَهْوَتَيْهِ الْعَيْنِ لَمْ تَتَعَلَّقِ

مُسَوَّدٌ شَطْرِيٍّ مِثْلَ مَا أَسْوَدَ الدَّجِي مَبِيضٌ شَطْرِيٍّ كَأَبْيَضِ المَهْرَقِ
 ١٩٧ وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفِ النَّهْرَوَالِيِّ لِأَبِي دُلْفٍ وَكَانَ لَهُ قَرَسٌ
 أَذْهَمٌ يُسَمِّيهِ غُرَابًا :

كَمْ كَمْ تَجَرَّعَهُ المُنُونِ وَيَسْلَمُ
 مِنْ كُلِّ مَنبِتِ شَعْرَةٍ مِنْ جِلْدِهِ
 مَا تُدْرِكُ الأَزْوَاحُ أَدْنَى جَرِيهِ
 رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الأَيْسِنَةِ أَشْقَرًا
 وَكَأَنَّمَا عَقَدَ التُّجُومَ بِطَرْفِهِ
 لَوْ يَسْتَطِيعُ شَكَا إِلَيْكَ لَهُ القَمُّ
 خَطُّ نَيْمِهِ الحُسَامُ المُخْدَمُ
 حَتَّى يَفُوتَ الرِّيحَ وَهُوَ مُقَدَّمُ
 وَاللَّوْنُ أَذْهَمٌ حِينَ ضَرَجَهُ الدَّمُ
 وَكَأَنَّمَا يَمْرَى البَجْرَةَ مُلْجِمُ

١٩٨ قال أبو نصر بن عمر التميمي السعدي وكان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك
 وجودة المعنى طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء وله في سيف الدولة بن حمدان
 غرر القصائد ونخب المدايح وكان قد أعطاه فرساً أدم أغرً مجلاً فكتب إليه :

يَا أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِي أَخْلَقَهُ
 قَدْ جَاءَ نَا الطَّرْفِ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ
 يَحْتَلُّ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مُجْجَلٍ
 فَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّاحُ جَبِينَهُ
 مُتَمَهِّلاً وَالبَرْقُ مِنْ أَسْمَانِهِ
 يَمَا كَانَتْ النِّيرانُ تُكْمِنُ حَرَّهَا
 لَا تَعْلُقُ الأَلْحَاطُ فِي أَعْطَافِهِ
 لَا يُكْمِلُ الطَّرْفُ المُحَاسِنُ كُلَّهَا
 مِنْ خَلْقِهِ وَرَوَاؤُهُ مِنْ رَأْيِهِ
 هَادِيهِ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَانِهِ
 مَاءُ الدِّيَاجِي قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ
 فَأَقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
 مُتَبَرِّقَةً وَأَلْحَسَنُ مِنْ أَكْفَائِهِ
 لَوْ كَانَ لِلنِّيرانِ بَعْضُ ذِكَايِهِ
 إِلا إِذَا كَفَّكَتْ مِنْ غُلَاوَانِهِ
 حَتَّى يَكُونَ الطَّرْفُ مِنْ أَسْرَانِهِ

١٩٩ قَالَ آخِرُ فِي وَصْفِ قَرَسٍ :

لَهُ زَهُوْطَاوُوسٍ وَخَطْرُ حَمَامَةٍ وَتَدْوِيمُ بَارٍ وَأَنْقِضَاضُ عُقَابٍ
 وَوَثْبُ ظِيٍّ وَأَنْجَمَالُ نَعَامَةٍ وَإِهْذَابُ سَيْدٍ وَأَنْسِيَابُ حُبَابٍ
 وَصَوْلَةٌ صَرْغَامٍ وَرَوْغُ نَمَالَةٍ وَحَلْظُ قَطَايِمِيٍّ وَحَذْرُ غُرَابٍ
 وَجَدَلُ عِنَانٍ وَأَنْثَاءُ ذُوَالَةِ وَوَقْدُ ضِرَامٍ وَأَنْصِيَاعُ شِهَابٍ
 وَهَيْجُ أَخِي شَوْلٍ وَتَدْفِيقُ جِيَالٍ وَإِيْمَاضُ بَرْقٍ وَالْتِمَاعُ سَرَابٍ
 وَإِعْصَافُ رِيحٍ وَأَهْتِرَازُ بَرَاغَةٍ وَدَرَّةٌ تَوَهُ وَأَنْجِيَابُ سَحَابٍ

٢٠٠ وصف بركار لابي الفتح كشاجم وكان استهده من صاحب

جُدِّي بِيَرْكَارِكِ الَّذِي صَنَعَتْ فِيهِ يَدَا قَيْنِهِ الْأَعَاجِيبَا
 مَلْتَمِمْ الشُّعْبَتَيْنِ مُعْتَدِلٌ مَا شِينَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عَيْبَا
 أَوْثِقَ مِسْمَارُهُ وَعُغِبَ عَنْ نَوَاطِرِ النَّاقِدِينَ تَعْيِيبَا
 فَعَيْنٌ مَنْ يَجْتَلِيهِ يُحْسَبُهُ فِي قَالِبِ الْإِعْتِدَالِ مَصْبُوبَا
 قَدْ ضَمَّ قَطْرِيَهُ مُحْكَمًا لِهَمَّا ضَمَّ حُبِّيَ إِلَيْهِ مَحْبُوبَا
 يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مُبْصَرُهُ مَا زَادَهُ بِالْبَنَانِ تَقْلِيلَا
 ذُو مُقَلَّةٍ بِصِيرَةٍ مُذْهَبَةٍ لَمْ تَأَلُهُ رِقَّةٌ وَتَهْذِيبَا
 يَنْظُرُ مِنْهَا إِلَى الصَّوَابِ قَمَا بِهِ يَزَالُ الصَّوَابُ مَطْلُوبَا
 لَوْلَاهُ مَا صَحَّ خَطُّ دَائِرَةٍ وَلَا وَجَدْنَا الْحِسَابَ مُحْسُوبَا
 أَلْحَقْتُ فِيهِ فَإِنْ عَدَلَتْ إِلَى سِوَاهُ كَانَ الْحِسَابُ تَقْرِيبَا
 لَوْ عَيْنُ أَقْلِيدُسٍ بِهِ بَصُرَتْ خَرَّ لَهُ بِالسُّجُودِ مَكْنُوبَا
 فَابْتَعَهُ وَأَجْنَبَهُ لِي بِمِسْطَرَةٍ تَلَقَّ أَلْتَنَا بِالْعَلَاءِ مُحْجُوبَا

٢٠١ ولاي الفتح يصف أسطربا

وَمُسْتَدِيرٌ كَجُزْمِ الْبَدْرِ مَسْطُوحٌ عَنْ كُلِّ رَايَةٍ إِلَّا شَكَالَ مَصْفُوحٌ
 صُلْبٌ يُدَارُ عَلَى قُطْبٍ يُثَبُّهُ تَمْتَالُ طَرْفِي بِشُكْمِ الْخَذَقِ مَكْبُوحٌ
 مِلءُ الْبَنَانِ وَقَدْ أَوْقَتْ صَفَائِحُهُ عَلَى الْأَقَالِيمِ مِنْ أَقْطَارِهَا الْفُجْحُ
 تُقْبِي بِهِ السَّبْعَةَ الْأَفْلَاكَ مُخَدَّقَةٌ بِالْمَاءِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِينَ وَالرَّيْحُ
 تُنِيكَ عَنْ طَالِعِ الْأَبْرَاجِ هَيْئَتُهُ بِالشَّمْسِ طَوْرًا وَطَوْرًا بِالْمَصَابِيحِ
 وَإِنْ مَضَتْ سَاعَةٌ أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ عَرَفْتَ ذَلِكَ يَعْلَمُ فِيهِ مَشْرُوحٌ
 وَإِنْ تَعَرَّضَ فِي وَقْتٍ يُقَدِّرُهُ لَكَ الشَّكُّكَ جَلَاهُ بِتَضْحِيحِ
 مُبَيَّنٌّ فِي قِيَاسَاتِ الطُّلُوعِ بِهِ بَيْنَ الْمَشَائِمِ مِنْهَا وَالْمَتَاجِيحِ
 لَهُ عَلَى الظَّهْرِ عَيْنَا حِكْمَةٍ يَهْمَا بِحَوِي الضِّيَاءِ وَيَجْنِبُهُ مِنَ اللُّوحِ
 وَفِي الدَّوَارِ مِنْ أَشْكَالِهِ حِكْمٌ تُنْفِخُ الْعُقْلَ مِنْهَا أَيُّ تَنْفِيحِ
 لَا يَسْتَقِيلُ لِمَا فِيهِ بِمَعْرِفَةٍ إِلَّا الْحَصِيفُ اللَّطِيفُ الْخَسِيفُ وَالرُّوحُ
 حَتَّى تَرَى الْعَيْبَ فِيهِ وَهُوَ مُنْعَلِقٌ أَلَا أَبْوَابٌ عَمَّنْ سِوَاهُ جَدَّ مَفْتُوحُ
 تَمِيحَةُ الذِّهْنِ وَالتَّفَكِيرِ صَوْرَهُ ذَوُو الْعُقُولِ لِصِحِيحَاتِ الْمَرَاجِيحِ

٢٠٢ قال احمد صني الدين بن صالح بن ابي الرجال يصف روضة صنعاء

رَوْضَةٌ قَدْ صَبَا لَهَا السَّعْدُ شَوْقًا قَدْ صَفَا لَيْلَهَا وَطَابَ الْمُقِيلُ
 جَوْهَا تَجَسَّجُ وَفِيهَا نَسِيمٌ كُلُّ غَضَنِ إِلَى لِقَائِهِ يَمِيلُ
 صَحَّ سَكَّانُهَا جَمِيعًا مِنَ الدَّاءِ وَجَنَمُ النَّسِيمِ فِيهَا عَلِيلُ
 إِلَيْهِ يَا مَاءَ نَهْرِهَا الْعَذْبُ صَلِيلٌ حَبْدًا يَا زَلَالَ مِنْكَ الصَّلِيلُ

إليه يَأُورِقُهَا الْمُرِنَةَ عَنِّي حَيَاةُ النُّفُوسِ مِنْكَ الْهَدِيلُ
 رَوْضَ صَنَعَاءَ قُتَّتْ طَبْعًا وَوَصْفًا فَكَثِيرُ الثَّنَاءِ فِيكَ قَلِيلُ
 تَهَ عَلَى الشَّعْبِ شَعْبُ بَوَانَ وَالْحَجْرُ فَعَلَى مَا تَقُولُ قَامَ الدَّلِيلُ
 نَهْرٌ دَافِقٌ وَجَوْ قَنِيقُ زَهْرٌ فَاتِقٌ وَظِلٌّ ظَلِيلُ
 وَتَمَارٌ قِطَافُهَا دَانِيَاتُ يَجْتَنِيهَا قَصِيرِنَا وَالطَّوِيلُ
 لَسْتُ أُنْسَى اِتِّعَاشَ شُحْرِ وَرِغْضِنِ طَرَبًا وَالْقَضِيبُ مِنْهُ يَمِيلُ
 وَعَلَى رَأْسِ دَوْحَةٍ خَاطَبَ الْوَرَقَ وَدَمَعُ الْفُضُونِ طَلَا يَسِيلُ
 وَلِسَانُ الرُّعُودِ يَهْتَفُ بِالسُّحْبِ فَكَانَ أَحْفِيفَ مِنْهَا الثَّقِيلُ
 وَقَمَّ السُّحْبُ بِاسْمٍ عَن بَرُوقِ مُسْتَطِيرٍ شُعَاعِهَا مُسْتَطِيلُ
 وَزَهْوَرُ الرَّبِّي تَعَجُّبٌ مِنْ ذَا شَاخِصًا طَرَفُهَا اَللَّيْحُ الْجَمِيلُ
 فِيهِ لِي رِفْقَةٌ رِقَاقُ الْحَوَاشِي كَادَ لَيْنَ الطَّبَاعِ مِنْهُمْ يَسِيلُ
 أَرِيحِيُونَ لَوْ تَسَوَّهْمُ النَّفْسَ جَادُوا فَلَيْسَ مِنْهُمْ بِخَيْلُ
 تَهَادَى مِنَ الْعُلُومِ كُؤُوسًا طَيِّبَاتٍ مِرَاجِحًا زَنْجِيلُ
 طَابَ لِي رَأْدُهَا وَطَابَ صُحَاهَا كَيْفَ اسْتَحَارَهَا وَكَيْفَ الْأَصِيلُ
 ٢٠٣ قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ عِزِّ الْقُضَاةِ يَصِفُ شُمُوعًا
 وَزَهْرًا شُمُوعٌ إِنْ مَدَدْنَ بَنَانَهَا لَتَحْمُوسُ طُورَ اللَّيْلِ نَابَتْ عَنِ الْبَدْرِ
 وَفِيهِنَّ كَافُورِيَّةٌ خَلَّتْ أَنَهَا عَمُودٌ صَبَاحٌ فَوْقَهُ كَوْكَبُ الْفَجْرِ
 وَصَفْرَاءُ تَحْكِي شَاحِبًا شَابَ رَأْسُهُ قَادِمُهَا تَجْرِي عَلَى صَبْعَةِ الْعَمْرِ
 وَخَضْرَاءُ يَدُورُ وَقَدْهَا فَوْقَ خَدِّهَا كَتَرَجِسَةٍ تَزْهُو عَلَى الْفُضْنِ النَّصْرِ

فَلَاغْرُو أَنْ يَحْكِي الْأَزَاهِرَ حُسْنَهَا أَلَيْسَ جَنَاهَا أَنْخَلُ قَدَمًا مِنْ الزَّهْرِ
 ٢٠٤ قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَرَجَانِيُّ يَصِفُ السَّمْعَةَ وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهَا كُلَّ
 الْإِحْسَانِ وَأَسْتَفْرَقَ كُلَّ الصِّفَاتِ:

نَمَتْ بِأَسْرَارِ لَيْلٍ كَانَتْ يُخْفِيهَا وَأَطْلَعَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا
 قَلْبٌ لَهَا لَمْ يَرَعْنَا وَهُوَ مُكْتَمٌ الْأَتْرَى فِيهِ نَارًا مِنْ تَرَاقِيهَا
 غَرِيقَةٌ فِي دُمُوعٍ وَهِيَ تُحْرِقُهَا أَنْفَاسُهَا بِدَوَامٍ مِنْ تَلْظِيهَا
 تَنَفَّسَتْ نَفْسَ الْمُهْجُورِ إِذْ ذَكَرَتْ عَهْدَ الْحَلِيطِ فَبَاتَ الْوَجْدُ يَذُكِّيهَا
 يُخْشِي عَلَيْهَا الرَّدَى مَهْمَا أَلَمَّ بِهَا نَسِيمُ رِيحٍ إِذَا وَافَى يُخْفِيهَا
 قَدْ أَثْمَرَتْ وَرَدَّةً حَمْرَاءَ طَالِعَةٍ تُجْنِي عَلَى الْكُفِّ إِنْ أَهْوَيْتَ تُجْنِيهَا
 وَرَدُّ تَشَاكُ بِهَ الْأَيْدِيِّ إِذَا قَطَفَتْ وَمَا عَلَى غَضَبِهَا شَوْكٌ يُوقِيهَا
 صَفْرٌ عَلَانُهَا حَمْرٌ عَمَائِمُهَا سُودٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ لَيَالِيهَا

صفة ترهة على نهر سرقسطة

٢٠٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ: ذَكَرَ صَاحِبُ قَلَائِدِ الْعَيَانِ مَا هَذَا مَعْنَاهُ:
 إِنَّ الْمُسْتَعِينَ بِاللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُؤْتَمِنِ بْنِ هُوْدِ الْجَدَائِمِيِّ صَاحِبَ سَرَقُسْطَةَ
 وَالشُّغُورِ رَكِبَ نَهْرَ سَرَقُسْطَةَ يَوْمًا لِيَقْتَدِيَ بَعْضَ مَعَاقِلِهِ الْمُنْتَظِمَةَ بِمَجْدِ
 سَاحِلِهِ . وَهُوَ نَهْرٌ رَقٌّ مَآوُهُ وَرَاقٌ . وَأَزْرَى عَلَى نَيْلٍ مِصْرَ وَدِجْلَةَ
 وَالْعِرَاقَ . وَقَدْ أَكْتَفَتْهُ الْبَسَاتِينُ مِنْ جَانِبَيْهِ وَأَلْقَتْ ظِلَالَهَا عَلَيْهِ . فَمَا
 تَكَادُ عَيْنُ الشَّمْسِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ . هَذَا عَلَى اتِّسَاعِ عَرْضِهِ . وَبَعْدَ سَطْحِ
 الْمَاءِ مِنْ أَرْضِهِ . وَقَدْ تَوَسَّطَ زَوْرُقُهُ زَوَارِقَ حَاشِيَتِهِ تَوَسَّطَ الْبَدْرِ لِلْهَالَةِ .

وَأَحَاطَتْ بِهِ إِحَاطَةُ الطَّفَاوَةِ لِلغَزَالَةِ . وَقَدْ أَعْدُوا مِنْ مَكَائِدِ الصَّيْدِ مَا
 اسْتَخْرَجَ ذَخَائِرَ الْمَاءِ . وَلَخَافَ حَتَّى حَوَتْ السَّمَاءُ . وَأَهْلَةُ الْهَالَاتِ طَالِعَةٌ
 مِنَ الْمَوْجِ فِي سَحَابٍ . وَقَانِصَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْمَاءِ كُلِّ طَائِرَةٍ كَالسَّهَابِ .
 فَلَا تَرَى إِلَّا صُيُودًا كَصَيْدِ الصَّوَارِمِ . وَقُدُودٍ الْهَازِمِ . فَقَالَ الْوَزِيرُ
 أَبُو الْفَضْلِ بْنِ حَسْدَايَ وَالطَّرْبُ قَدْ اسْتَهْوَاهُ . وَبَدِيعُ ذَلِكَ الْمُرَايَ
 اسْتَرَقَّ هَوَاهُ :

لِلَّهِ يَوْمٌ أُنِيقُ وَاصِحُّ الْعُرْرِ مَفْضُضٌ مُذْهَبُ الْأَصَالِ وَالْبَكْرِ
 كَأَنَّمَا الدَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أَعْتَبْنَا فِيهِ بَعْتِي وَأَبْدَى صَفْحَ مُعْتَدِرِ
 نَسِيرٌ فِي زَوْرَقٍ حَفَّ السَّفِينِ بِهِ مِنْ جَانِبِهِ يَنْظُومٍ وَمُتَثَرِ
 مَدَّ الشَّرَاعُ بِهِ نَشْرًا عَلَى مَلِكٍ بَدَّ الْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ الْأَخْرِ
 هُوَ الْإِمَامُ الْهَمَامُ الْمُسْتَعِينُ حَوَى عَلَيَاءَ مُؤْتَمِنٍ فِي هَدْيِ مُقْتَدِرِ
 تَحْوِي السَّفِينَةَ مِنْهُ آيَةٌ عَجَبًا بَحْرٌ تَجَمَّعَ حَتَّى صَارَ فِي نَهْرِ
 تَنَارٌ مِنْ قَعْرِهِ الْبَيْنَانُ مُضَعِدَةٌ صَيْدًا كَمَا ظَفِرَ الْعَوَاصُ بِالْدُرِّ

صفة الليل

٢٠٦ قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ لِأَنَّهُ يَا بَنِي أَجْعَلْ نَظْرَكَ فِي الْعِلْمِ لَيْلًا .
 فَإِنَّ الْقَلْبَ فِي الصَّدْرِ كَالطَّيْرِ يَنْشِيرُ بِالنَّهَارِ وَيَعُودُ إِلَى وَكْرِهِ فِي
 اللَّيْلِ . فَهُوَ فِي اللَّيْلِ سَاكِنٌ مَا أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ وَعَاهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 فِي اللَّيْلِ تَحْمُ الْأُذْهَانَ وَتَقَطِّعُ الْأَشْغَالَ . وَيَصِيحُّ النَّظْرُ وَتَوَلَّفُ
 الْحِكْمَةَ وَتَدْرُ الْخَوَاطِرُ . وَيَتَسَّعُ جَمَالَ الْقَلْبِ . وَاللَّيْلُ آخَرَى فِي

مَذْهَبِ الْفِكْرِ . وَأَخَى لِعَمَلِ الْبِرِّ . وَأَعَوَّنُ عَلَى صَدَقَةِ السَّرِّ . وَأَصْحٌ
 لِتِلَاوَةِ الذِّكْرِ . وَأَرْبَابُ الْأَمْرِ يَخْتَارُونَ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ لِرِيَاضَةِ
 النَّفْسِ . وَسِيَاسَةِ التَّقْدِيرِ فِي دَفْعِ الْمَلِمْ . وَإِمْضَاءِ الْمَهْمِ . وَإِنْشَاءِ
 الْكُتُبِ وَنَظْمِ الشُّعْرِ وَتَصْحِيحِ الْمَعَانِي . وَإِظْهَارِ الْحُجْجِ وَإِصَابَةِ غَرَضِ
 الْكَلَامِ . وَتَثْرِيهِ مِنَ الْأَفْهَامِ . وَفِي اللَّيْلِ تَتَرَاوَرُّ الْأَحْبَابُ . لَا
 يَطْرُقُ فِيهِ خَيْرٌ قَاطِعٌ . وَلَا سُفْلٌ مَانِعٌ .

٢٠٧ سَأَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ : كَيْفَ كَانَ سَيْرُكَ .
 فَقَالَ : بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ عَصَفَتْ رِيحٌ شَدِيدٌ ظَلَمَ أَوْهَا . أَطْبَقَ
 مَمَاطُهَا وَطَبَّقَ مَحَابِهَا . وَتَمَلَّقَ رَبَانَهَا . فَبَقِيَتْ نُحْرٌ نَحْمًا كَالْأَشْعَرِ إِنْ تَقَدَّمَ
 نُحْرٌ . وَإِنْ تَأَخَّرَ عَقِرَ . لَا أَسْمَعُ لَوْ أَلْحَى هَمْسًا . وَلَا لِنَاجِحِ جِرْسًا . تَدَلَّتْ
 عَلَيَّ غُيُومُهَا . وَتَوَارَتْ عَنِّي نُجُومُهَا . فَلَا أَهْتَدِي بِنَجْمِ طَالِعٍ . وَلَا يَعْلَمُ
 لَامِعٍ . أَقْطَعُ مَحْجَةً . وَأَهْطِ مَحْجَةً . فِي دَيْمُومَةٍ قَفْرٍ . بَعِيدَةِ الْقَفْرِ . قَالَ رِيحٌ
 تُخَطِّفُنِي . وَالشُّوْكَ يُخَطِّطُنِي . فِي رِيحٍ عَاصِفٍ . وَبَرَقٍ خَاطِفٍ . قَدْ
 أَوْحَشَنِي إِكَامُهَا . وَقَطَعَنِي سِلَاطُهَا . فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ
 مَعَارِجِي . وَسُدَّتْ مَخَارِجِي . إِذْ بَدَأَ نَجْمُ لَاحِجٍ . وَبَيَاضٌ وَاضِحٌ . عَرَّجَتْ
 إِلَى إِكَامِ مَجْرٍ ذَبِيلُهُ فَإِذَا أَنَا بِمَصَابِيحِكُمْ هَذِهِ قَهَرَتْ الْعَيْنَ . وَانْكَشَفَ
 الرِّينُ فَقَالَ هِشَامُ : لِلَّهِ دَرَكٌ . مَا أَحْسَنَ وَصَفَكَ (سِرَّ اللَّيَالِ لِابْنِ مَنْظُورٍ)

صفة عاصفة

٢٠٨ ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ عَاصِفَةً حَدَثَتْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ قَالَ : كَانَ

فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ التَّاسِعِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ أَتَى عَارِضٌ فِيهِ ظُلُمَاتٌ
 مُتَكَثِفَةٌ . وَرُوقٌ حَاطِقَةٌ . وَرِيَّاحٌ عَاصِفَةٌ . فَقَوِيَ أَهْوِيَّتُهَا . وَاشْتَدَّ
 هُبُوبُهَا . فَتَدَافَعَتْ لَهَا أَعِنَّةُ مُطْلَقَاتٍ . وَارْتَفَعَتْ لَهَا صَوَائِقُ مُصْعِقَاتٍ .
 فَرَجَفَتْ لَهَا الْجُدْرَانُ وَأَصْطَفَقَتْ . وَتَلَاقَتْ عَلَى بُعْدِهَا وَاعْتَمَتَتْ . وَنَارٌ
 بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَجَاجٌ فَقِيلَ : لَعَلَّ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ أَطْبَقَتْ . وَتَحَسَّبُ
 أَنَّ جَهَنَّمَ قَدْ سَالَ مِنْهَا وَاِدٍ . وَعَدَا مِنْهَا عَادٍ . وَزَادَ عَصْفُ الرِّيَّاحِ إِلَى
 أَنْ انْطَفَأَتْ سُرُجُ النُّجُومِ . وَمَزَقَتْ أَدِيمَ السَّمَاءِ وَحَمَّتْ مَا فَوْقَهُ مِنْ
 الرُّقُومِ . لَا عَاصِمٌ مِنَ الْخَطْفِ لِلْأَبْصَارِ . وَلَا مُلْجَأٌ مِنَ الْخُطْبِ إِلَّا مَعَاقِلُ
 الْأَسْتِقْفَارِ . وَفَرَّ النَّاسُ نِسَاءً وَرِجَالًا . وَنَفَرُوا مِنْ دُورِهِمْ خِفَافًا وَثِقَالًا .
 لَا يَسْتَطِيعُونَ جِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَأَعْتَصَمُوا بِالْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ .
 وَأَذْعَنُوا لِلنَّازِلَةِ بِأَعْتَاقِ خَاضِعَةٍ . وَوَجَّهَ عَانِيَةٌ . وَنَفَسَ عَنِ الْأَهْلِ
 وَالْمَالِ سَالِيَةٌ . يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفِ خَفِيٍّ . وَيَتَوَقَّعُونَ أَيَّ خَطْبٍ
 جَلِيٍّ . قَدْ انْقَطَعَتْ مِنَ الْحَيَاةِ عَلْفُهُمْ . وَغَمَّتْ عَنِ النَّجَاةِ طُرُقُهُمْ .
 وَوَقَعَتْ الْفِكْرَةَ فِيأَهُمْ عَلَيْهِ قَادِمُونَ . وَقَامُوا إِلَى صَلَاتِهِمْ وَوَدُّوا أَنْ
 لَوْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ هُمْ عَلَيْهَا دَائِمُونَ . إِلَى أَنْ أَدْنَى اللَّهُ فِي الرُّكُودِ .
 وَأَسْعَفَ الْهَاجِدِينَ بِالْعُجُودِ . وَأَصْبَحَ كُلُّ يُسَلِّمٌ عَلَى رَفِيقِهِ . وَبَيْنِيهِ
 يُسَلِّمَةٌ طَرِيقِهِ . وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ بُعِثَ بَعْدَ النَّفْخَةِ . وَأَفَاقَ بَعْدَ الصَّيْحَةِ
 وَالصَّرْحَةِ . وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ رَدَّ لَهُ الْكُرَّةَ . وَآدَبَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَأْخُذُهُ عَلَى
 الْغُرَّةِ . وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ . بِأَنَّهَا كُسِرَتْ الْمَرَاكِبُ فِي الْبِحَارِ . وَالْأَشْجَارُ

فِي الْقَارِ . وَأَتَلَّتْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ السُّفَارِ . وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَفَلَمَ يَنْفَعُهُ
الْفِرَارُ (حسن المحاضرة للسوطي)

صفة انكسار العدو

٢٠٩ وَصَفَ سُلَيْمَانُ الْحَلَبِيُّ الْعَدُوَّ بِالْخَوَرِ وَالْوَهْنِ فِي قِتَالِهِ وَمَا
يُظْهِرُونَهُ مِنَ الرَّهَجِ بِالْحُرْكَةِ وَإِعْدَادِ الْأَهْبَةِ وَالْإِحْتِشَادِ . قَالَ :
وَأَمَّا رَهَجُ الْعَدُوِّ الْمُخْذُولِ بِالْحُرْكَةِ وَرَمِي الصِّيتِ بِهَا فَإِنْ عُدَّتْهُ الصِّيَاحُ .
وَقُوَّةَ الْجَبَانِ فِي الْقَوْلِ وَالْقَوْلُ يَذْهَبُ فِي الرِّيَاحِ . وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مَا
أَقْدَمُوا إِلَّا وَكَانَ أَحَدُ سِلَاحِهِمُ الْمَرْبَ . وَلَا طِمَعُوا فِي التَّجَاحِ فَكَانَ
لَهُمْ فِي غَيْرِ النَّجَاةِ أَرْبُ بِيَالُغُونَ فِي الْإِحْتِشَادِ وَالْجَازِرُ لَا يَهْوُلُهُ
كَثْرَةُ النِّعَمِ . وَيَسْتَكْتَرُونَ مِنَ السَّوَادِ وَجُنُودٍ مَنْ لَا يَنْفَعُ أَشْبَهُ
شَيْءٍ بِالْعَدَمِ . فَهَوْتُهُمْ ضَعِيفَةٌ . وَوَطَأَتُهُمْ خَفِيفَةٌ . وَثَبَاتُهُمْ أَقْصَرُ مِنْ
حَلِّ الْعَقَالِ . وَصَبْرُهُمْ أَسْرَعُ مِنَ الظِّلِّ فِي الْإِتْقَالِ . وَخِيُولُهُمْ لَا
تُطِيعُ أَمْرَ أَعْتَبَهَا إِلَّا فِي الْفِرَارِ . فَإِنْ طِمَعُوا فِي الْفِتَاءِ فَسَرُّدُهُمْ
كِلَامٌ سُيُوفِنَا كَأَقْسَامِ الْكَلَامِ الثَّلَاثَةِ هَزِيمًا وَأَسِيرًا وَصَرِيحًا

وصف ابن سليمان الحلبي غلبة على التتار

٢١٠ (قَالَ) إِنْ التَّتَارُ اسْتَجَدُّوا بِكُلِّ طَائِفَةٍ وَأَقْدَمُوا عَلَى الْبِلَادِ
الْإِسْلَامِيَّةِ بِنُفُوسِ طَامِعَةٍ . وَقُلُوبِ خَائِفَةٍ . وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَامُوا
مُدَّةً يَشْتَرُونَ الْمُخَادَعَةَ بِالْمُوَادَعَةِ . وَيَسْرُونَ الْمُصَارَمَةَ . فِي الْمَسْأَلَةِ .
وَحِينَ تَيْسَرُ مَرَادُهُمْ . وَتَكْمَلُ احْتِشَادُهُمْ . اسْتَدْرَجْنَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ .

وَأَسْتَجْرِبَانَهُمْ لِيُقْرَبُوا فِي الْقَتْلِ مِنْ مَضَاجِعِهِمْ . وَيَبْعُدُوا فِي الْهَرَبِ
 عَنْ مَوَاضِعِهِمْ . وَصَدَمْنَاَهُمْ بِقُوَّةِ اللَّهِ صَدْمَةً لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهَا قَبْلُ .
 وَحَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةَ الْجَاهِمِ طُوفَانُهَا إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَهَلْ يَعِصِمُ مِنْ
 أَمْرِ اللَّهِ جَبَلٌ . فَحَصَرْنَاَهُمْ فِي ذَلِكَ الْقَضَاءِ الْمُسْعِرِ . وَضَايَفْنَاَهُمْ
 كَمَا قَدْ رَأَى وَمَزَقْنَاَهُمْ كَمَا قَدْ سَمِعَ . وَأَنْزَلْنَاَهُمْ عَلَى حُكْمِ السِّيفِ
 الَّذِي نَهَلَ مِنْ دِمَائِهِمْ حَتَّى رَوَى وَأَكَلَ مِنْ لُحُومِهِمْ حَتَّى شَبِعَ .
 وَتَبِعَتْهُمْ جِيُوشُنَا الْمَنْصُورَةَ تَخَطَّفُهُمْ رِمَاحُهَا . وَتَلَقَّفُهُمْ صَفَاحُهَا .
 وَيَبِيدُهُمْ فِي الْفَلَوَاتِ رُعْبِهَا . وَيُفْرِقُهُمْ فِي الْقَقَارِ طَعْنُهَا الْمَتَدَارِكُ
 وَضَرْبِهَا . وَيَقْتُلُ مَنْ قَاتَ السُّيُوفَ مِنْهُمْ الْعَطَشُ وَالْجُوعُ . وَيُجَيِّلُ
 لِلْحَيِّ مِنْهُمْ أَنْ وَطَنَهُ كَالَّذِي نَبَأَ الَّتِي لَيْسَ لَلْمَيْتِ إِلَيْهَا رُجُوعُ . وَلَعَلَّهُ
 قَدْ رَأَى مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا وُصِفَ عَيَانًا . وَأَنْهُمْ مَا أَقْدَمُوا إِلَّا
 وَنَصَرْنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ . وَمَا سَاقَتْهُمْ الْأَطْنَاعُ فِي
 وَقْتِ مَا إِلَّا إِلَى حُوفِهِمْ . وَلَا عَادَ مِنْهُمْ قَطُّ فِي وَقْعَةٍ إِلَّا أَحَادُ تُخْبِرُ
 عَنْ مَصَارِعِ الْوُفِيِّهِمْ . وَلَقَدْ أَضَاعَ الْحَزْمُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَسْتَدِمَ نِعْمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِ بِطَاعَتِنَا الَّتِي كَانَ فِي مَهَادِ أَمْنِهَا وَوَهَادِ يَمِينِهَا . وَحِمَايَةِ عَفْوِهَا . وَبُرْدِ
 رَأْفَتِهَا الَّتِي كَدَّرَهَا بِالْمُخَالَفَةِ بَعْدَ صَفْوِهَا . يَصُونُ رَعَايَاهُ بِالطَّاعَةِ
 عَنِ الْقَتْلِ وَالْأَسَارِ . وَيُنَجِّي أَهْلَ مِلَّتِهِ بِالْحَذَرِ عَنِ الْحَرَكَاتِ الَّتِي مَا
 نَهَضُوا إِلَيْهَا إِلَّا وَجْرًا وَذُبُولَ الْحُسَارِ . وَلَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ
 لِسُيُوفِنَا الَّتِي كَانَ مِنْ سَطَوَاتِهَا فِي أَمَانٍ . وَوَقَّ بِمَا صَيَّنَ لَهُ التَّتَارُ مِنْ

نَصْرِهِ . وَقَدْ رَأَى مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ ذَلِكَ الضَّمانِ . وَجَرَّ بِنَفْسِهِ
 بِمُوالاةِ التَّارِ عَناءَ كَانَ عَنْهُ فِي غِنَى . وَأَوْقَعَ رُوحَهُ بِمُظَاهَرَةِ المَغُولِ
 فِي حَوْمَةِ السُّيُوفِ الَّتِي تَخَطَّفَتْ أَوْلِياءَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا . وَأَقْتَحَمَ
 بِنَفْسِهِ مَوارِدَ هَلالِكِ سَلَبَتْ رِداءَ الأَمْنِ عَن مَنكِبِيهِ . وَأَعْتَرَهُ هُوَ
 وَقَوْمُهُ بِما زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ مِنْ غُرُورِهِ فَنَكَّصَ عَلى عَيبِيهِ . وَعَادَ كَيْدُهُ
 فِي نَجْرِهِ . بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضَ لِلوُقُوفِ بَينَ نَابِ الأَسَدِ وَظَفرِهِ . وَهُوَ
 يَعلَمُ أَنَّ مَعَ ذَلِكَ زَعَمَى لَهُ حُقوقَ طاعَةِ أَسلافِهِ الَّتِي ماتوا عَلَیْها .
 وَتَحَفَّظَ لَهُ خِدمَةَ آباءِهِ الَّتِي بَدَلُوا نَفوسَهُمْ وَنَفالِسَهُمْ فِي التَّوَصُّلِ
 إِلَیْها . وَالسُّيُوفُ الآنَ مُضغِيَةٌ إِلى جِوابِهِ لِتُكفَّ إِِنْ أَبْصَرَ سَبيلَ
 الرِّشادِ . أَوْ تَعَوَّضَ بِرُؤوسِ حَمايَتِهِ وَكَمائِهِ عَنِ الأَعْمادِ . إِِنْ أَصَرَ عَلى
 العِنادِ وَالخَيرُ يَكُونُ (حَسَنَ التَّوَسُّلِ إِلى صِناعَةِ التَّرسَلِ)

ذكر دار الوزير الصاحب بن عباد باصهان

٢١١ جَرى الشُّعراءُ بِحَضْرَةِ الصَّاحِبِ بنِ عَبادٍ فِي مَيدانِ أَقْترَاحِهِ
 فِي ذِكرِ الدَّارِ الَّتِي بَنَها بِأَصحَبانَ وَأَنقَلَّ إِلَیْها . وَأَقْترَحَ عَلى أَصحابِهِ
 وَصَفَها فَقَالَ الأَسْتاذُ أَبُو العَباسِ الضَّبيُّ :

دَارُ الوِزارَةِ مَمْدُودُ سُرادِئِها وَلاحِقُ بِدَرى الجِوزاءِ لِأَحيثُها
 وَالأَرْضُ قَدْ وَاصَلَتْ غِظَ السَّماءِ بِها فَقطَرُها أَذْمَعُ تَجْري سَوابِقُها
 تَوَدُّ لَوِ أَنَّها مِنْ أَرْضِ عَرَصَتِها وَأَنَّ أَجْمَها فِيها طَوابِقُها
 تَفَرَّعَتْ شَرَفاتِ فِي مَنكِبِها بِرَدِّها عَنها كَليلَ العَينِ رَاقِبُها

مِثْلُ الْعَدَارَى وَقَدُّشَدَّتْ مَنَاطِقُهَا وَتَوَجَّتْ بِأَكَالِيلٍ مَفَارِقُهَا
 دَارُ الْأَمِيرِ الَّتِي هَدَيْتَ وَزِيرَتَهَا أَهَدَتْ لَهَا وَشَحَا رَأَقَتْ نَمَارِقُهَا
 تَزْهَى بِهَا مِثْلَ مَا تَزْهَى بِسَيِّدِنَا مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ الَّتِي مَوَّنَ طَارِقُهَا
 هَدَيْتَ الْمُعَالِي الَّتِي اغْتَضَى الزَّمَانُ بِهَا وَافْتَكَّ مَنَسُوقَةَ وَاللَّهُ نَاسِقُهَا
 إِنَّ الْعَمَائِمَ قَدْ آتَتْ مُعَاهِدَةَ لَا زَائِلَتَهَا وَلَا زَالَتْ تُعَانِقُهَا
 لِإَرْضِهَا كُلِّ مَا جَادَتْ مَوَاهِبُهَا وَفِي دِيَارِ أَعَادِيهَا صَوَاعِقُهَا

٢١٢ وَمِنْهَا قَصِيدَةُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ صَاحِبِ الْبُرَيْدِ أَوْلَاهَا :

دَارُ عَلِيٍّ الْعَزِيزِ وَالْتَأْيِيدِ مَبْنَاهَا وَلِلْمَكَارِمِ وَالْعُلَمَاءِ مَعْنَاهَا
 دَارُ تَبَاهِي بِهَا الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا طُرًّا وَكَمْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَمَنَّاهَا
 فَالْبَيْنُ أَقْبَلَ مَقْرُونًا يَمْنَاهَا وَالْبَسْرُ أَصْبَحَ مَقْرُونًا يَبْسِرَاهَا
 مِنْ قَوْفِهَا شَرَفَاتٌ طَالَ أَدْنَاهَا يَدُ الثَّرِيَاءِ قَفْلٌ لِي كَيْفَ اقْصَاهَا
 كَانَتْهَا غَلْمَةٌ مُضْطَفَّةٌ لَيْسَتْ بِيضَ الْغَلَائِلِ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
 أَنْظَرُ إِلَى الْفَيْءِ الْخَضْرَاءِ مُذْهَبَةٌ كَانَتْهَا الشَّمْسُ أَعْطَتْهَا حُمَاهَا
 لَمَّا بَنَى النَّاسُ فِي دُنْيَاكَ دُورَهُمْ بَنَيْتَ فِي دَارِكَ الْغُرَاءِ دُنْيَاهَا

٢١٣ وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ بْنِ الْمُتَمِيمِ :

هِيَ الدَّارُ قَدَعَمَ الْأَقَالِمَ نُورُهَا فَلَوْ قَدَّ . . . بَعْدَادُ كَانَتْ تَرُورُهَا
 وَلَوْ خَيْرَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ بَادَرَتْ إِلَيْهَا وَفِيهَا تَأَجُّهَا وَسَرِيرُهَا
 لَتَسَعَدَ فِيهَا يَوْمَ حَانَ حُضُورُهَا وَتَشْهَدُ دُنْيَا لَا يُخَافُ غُرُورُهَا
 فَمَا جَمَلَتْ عَيْنَ الزَّمَانِ بِمِثْلِهَا وَلَا خَالَ رَأَى أَنْ يَحْيَى نَظِيرُهَا

يَقُولُ الْأَوَّلَى قَدْ فُوجُوا بِدُخُولِهَا وَحَيْرَهُمْ تَحْيِيرُهَا وَحَيْرُهَا
 فِي كُلِّ قَصْرِ غَادَةٌ وَحَيِّبُهَا وَفِي كُلِّ بَيْتٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا
 وَقَالَ لَهَا اللَّهُ الْعَلِيُّ صِفَاتُهُ سَأَحْمِيكَ مَا ضَمَّ اللَّيَالِي كُرُورُهَا
 أَهْنِيكَ بِالْعُمَرَانِ وَالْعَمْرُ دَائِمٌ لِيَابِنِكَ مَا أَفْنَى الدُّهُورُ مَرُورُهَا
 وَقَدْ أَسْجَلَتْ عَلَيْكَ عُمْدَةٌ مُلْكُهَا وَخُطَّتْ بِأَعْلَامِ السُّعُودِ سُطُورُهَا
 وَدَارَتْ لَهَا الْأَفْلَاكُ كَيْفَ أَدْرَتْهَا وَدَأَتْ إِلَى أَنْ قِيلَ أَنْتَ مُدِيرُهَا
 وَهَآكَ آبَنَةُ الْفِكْرِ الَّتِي قَدْ خَطَبَتْهَا وَقُدِّمَ مِنْ قَبْلِ الزَّمَانِ مُوَرُّهَا
 فَإِنْ كَانَ لِلدَّارِ الَّتِي قَدْ بَنَيْتَهَا نَظِيرٌ فَبِي عَرْضِ الْقَرِيضِ نَظِيرُهَا
 وَالْأَجْرَزْتُ الدَّلِيلَ فِي سَاحَةِ الْعُلَى وَقُلْتُ الْقَوَافِي قَدْ أُعِيدَ جَرِيرُهَا

ذكر عبد الرحمن وغزواته

٢١٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : تَوَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْقَمَرُ
 الْأَزْهَرُ وَالْأَسَدُ الْعَضَنَقِيُّ الْأَيْمُونُ النَّعِيَّةُ الْخَمُودُ الضَّرْبِيَّةُ سَيِّدُ الْخُلَفَاءِ
 وَأَتَمُّ النَّجَبَاءِ . صَبِيحَةَ هَيْلَالِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ (قُلْتُ فِيهِ :)

بَدَأَ الْهَيْلَالُ جَدِيدًا وَالْمَلِكُ غَضُّ جَدِيدٌ

بِأَنْعَمَةِ اللَّهِ زَيْدِي مَا كَانَ فِيهِ مَزِيدٌ

قَتُولَى الْمَلِكِ وَهِيَ جِمْرَةٌ مُحْتَدِمٌ . وَنَارٌ تَضْطَرُّمٌ . وَشِعَاقٌ وَنَفَاقٌ
 فَأَخَذَ نِيرَانَهَا . وَسَكَنَ زَلَّالَهَا . وَأَفْتَحَهَا عَوْدًا كَمَا أَفْتَحَهَا بَدَأٌ . سَمِيَهُ عَبْدُ
 الرَّحْمَانِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْعَارِ غَزَوَاتِهِ كُلِّهَا أَشْعَارٌ قَدْ جَالَتْ
 فِي الْأَمْصَارِ . وَشَرَدَتْ فِي الْبُلْدَانِ حَتَّى أَتَهَمَتْ وَأُنْجِدَتْ وَأَعْرَقَتْ .

وَكَانَ أَوَّلَ غَزَاةٍ غَزَاهَا الْغَزَاةُ الْمَعْرُوفَةُ بِغَزَاةِ الْمُتَنَوِّنِ أَمْتَحَ بِهَا سَبْعِينَ
 حِصْنًا قَدْ نَكَبَتْ عَنْهَا الطَّوَائِفُ . وَأَعَيْتَ عَلَى الْخِلَافِ . (وَفِيهَا أَقُولُ :)
 قَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَا جَا وَالنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا
 وَقَدْ تَرَيْتَ الدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا كَأَنَّمَا أَلْبَسْتُ وَشِيًّا وَدِيَابِجًا
 يَا ابْنَ الْخِلَافِ إِنَّ الْمُرْنَ لَوَعَلِمْتَ نَدَاكَ مَا كَانَ مِنْهَا أَلْمَاءُ مَجَاجًا
 وَالْحَرْبُ لَوَعَلِمْتَ بِأَسَا تَصُولُ بِهِ مَا هَيَّجَتْ مِنْ جِبَالِ الدِّينِ أَهْيَا جَا
 وَأَصْبَحَ النَّصْرُ مَمْقُودًا بِالْوِيَةِ تَطْوِي الْمَرَاحِلَ بَهْجِيرًا وَإِدْلَا جَا
 أَدْخَلْتَ فِي قُبَّةِ الْإِسْلَامِ مَارِقَةً أَخْرَجْتَهَا مِنْ دِيَارِ الْجُورِ إِخْرَا جَا
 يُجْحَلُ تُشْرِقُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ كَأَنَّ بَحْرَ يَقْدِفُ بِالْأَمْوَاجِ أَمْوَاجًا
 يَقُودُهُ الْبَدْرُ يَسْرِي فِي كَوَاكِبِهِ عَرَمَ مَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ رَجْرَا جَا
 تَرُوقُ فِيهِ بُرُوقُ الْمَوْتِ لِامِعَةِ وَيَسْمَعُونَ بِهِ لِلرَّعْدِ أَهْرَا جَا
 غَادَرْتَ فِي عِفْرَتِي جِيَانَ مَلْحَمَةً أَبَكَيْتَ مِنْهَا بَارِضَ الْغَدْرِ أَعْلَا جَا
 فِي نِصْفِ شَهْرٍ تَرَكْتَ الْأَرْضَ سَاكِمَةً مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ فِيهَا الطُّبْرُ قَدْ مَا جَا
 تَمْلَأُكَ الْأَرْضُ عَدْلًا مِثْلَ مَا مَلَأْتَ جُورًا وَتُوضِعُ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهَا جَا
 يَا بَدْرَ ظَلَمْتَهَا يَا تَمَسَّ صُجْبَتَهَا يَا لَيْثَ حَوَمْتَهَا إِنْ هَانِجُ هَا جَا
 إِنَّ الْخِلَافَةَ لَنْ تَرْضَى وَلَا رَضِيَتْ حَتَّى عَقَدْتَ لَهَا فِي رَأْسِكَ التَّلَا جَا
 وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ هَذِهِ الْغَزَاةِ يَلْمُكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَلَهُ
 غَزَاةُ مَرْتَشِ أَخْتِ بَدْرٍ وَحَيْنٍ وَلَهُ غَزَاةُ جِيَانَ وَفِيهَا قُلْتُ فِي أَرْجُوزِي :
 ثُمَّ أَنْتَحَى جِيَانَ فِي غَزَوَاتِهِ بِعَسْكَرٍ يَسْعَدُ مِنْ هَمَاتِهِ

وَأَفْتَحَ الْخُصُونَ حِصْنًا حِصْنًا وَأَوْسَعَ النَّاسَ جَمِيعًا أَمْنَا
 وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَتَعَى جَيَانًا فَلَمْ يَدْعُ بِأَرْضِهَا شَيْطَانًا
 فَأَصْبَحَ النَّاسُ جَمِيعًا أُمَّةً قَدْ عَقَدَ الْإِلَالَ لَهُمْ وَالِدِمَّةَ
 وَلَمْ يَدْعُ مِنْ جَنِّهَا مَرِيدًا بِهَا وَلَا مِنْ إِنْهَاءِ عَيْدَا
 إِلَّا كَسَاهُ الذَّلَّ وَالصَّغَارَا وَعَمَّهُ وَأَهْلَهُ دَمَارَا
 فَأَقْبَلَ الْعُلُجُ لَهُمْ مُفِيثَا يَوْمَ الْحَمِيسِ مُسْرِعَا حَيْثَا
 بَيْنَ يَدَيْهِ الرَّجُلُ وَالْفَوَارِسُ وَحَوْلَهُ الصُّلْبَانُ وَالنَّوَاقِسُ
 وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُزِيلَ الْعَسْكَرَا عَنْ جَانِبِ الْحِصْنِ الَّذِي قَدُّمَرَا
 فَأَعْتَاقَهُ بَدْرٌ يَمُنُّ لَدَيْهِ مُسْتَبْصِرَا فِي رَحْفِهِ إِلَيْهِ
 حَتَّى اتَّقَتْ مَيْمَنَهُ بِمَيْسِرِهِ وَأَعْتَلَّتِ الْأَرْوَاحُ عِنْدَ الْحَجْرَةِ
 فَفُتِلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا فَاشِيَا وَأَدْبَرَ الْعُلُجُ ذَمِيمًا خَاسِيَا
 فَأَشْرَعَتْ بَيْنَهُمُ الرِّمَاحُ وَقَدْ عَلَا التَّكْبِيرُ وَالصَّيْحُ
 وَفَارَقَتْ أَعْمَادَهَا السُّيُوفُ وَفَرَّتْ أَفْوَاهُهَا الْخُوفُ
 وَاتَّقَتِ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَانْعَمَسُوا فِي غَمْرَةِ الْقِتَالِ
 فِي مَوْقِفٍ زَاعَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ وَقَصُرَتْ فِي طُولِهِ الْأَعْمَارُ
 فَأَنْقَضَتِ الْعُقْبَانُ وَالسَّلَالِقَهُ رَهَقًا عَلَى مُقَدَّمِ الْجَلَالِقَهُ
 عِقْبَانُ مَوْتٍ مَخْطَفُ الْأَرْوَاحَا وَتَشِيَعُ السُّيُوفُ وَالرِّمَاحَا
 فَأَنْهَزِمَ الْأَعْدَاءُ عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ هُنَاكَ
 فَأَتَّصَلَ الْفَتْحُ بِفَتْحِ ثَانٍ وَالنَّصْرُ بِالنَّصْرِ مِنَ الرَّحْمَانِ

الباب الثالث عشر
في المرثي

٢١٥ قَالَتِ الْقَارِعَةُ الْمُرِيَّةُ تَرَى لَهَا مَا مَسْعُودَ بْنِ شَدَّادٍ:

يَا عَيْنِ جُودِي لِمَسْعُودِ بْنِ شَدَّادٍ بِكُلِّ ذِي عِبْرَاتٍ سَجَّوهُ بَادِي
شَهَادُ أَنْدِيَّةٍ رَفَاعُ أَيْبِيَّةِ شَدَّادُ الْوَيْبَةِ فَتَّاحُ أَسْدَادِ
تَحَارُ رَاغِيَةٍ قَتَالُ طَاغِيَةٍ حَلَالُ رَايِيَةِ فُكَّاكُ أَفْيَادِ
فَوَالِ مُحْكَمَةِ نَقَاضِ مُبْرَمَةٍ فَرَّاجُ مُبْهَمَةِ حَبَّاسِ أَوْرَادِ
حَلَالُ مُمَوَّعَةِ حَمَالِ مُغْضَلَةٍ قَرَّاعُ مُفْطَعَةِ طَلَّاعِ أَنْجَادِ
جَمَاعُ كُلِّ خِصَالِ الْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا زَيْنُ الْقَرِينِ وَخَطْلُ الظَّالِمِ الْعَادِي
أَبَا زُرَّارَةَ لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فِتَى يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتِ وَأَعْوَادِ

قال ابو مالك يري ابا نصر والده لما قتل

٢١٦

زَالَ عَنَّا السُّرُورُ إِذْ زَلَّتْ عَنَّا وَازْدَهَانَا بِكَأُونَا وَالْعَوِيلُ
وَرَأَيْنَا الْقَرِيبَ مِنَّا بَعِيدًا وَجَفَانَا صَدِيقُنَا وَأَحْلِيلُ
وَرَمَانَا الْعَدُوَّ فِي كُلِّ وَجْهِ وَتَجَنَّى عَلَيَّ الْعَزِيزُ الدَّلِيلُ
يَا أَبَا النَّضْرِ سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا عِشْتُ سِوَا وَذَلِكَ مِنِّي قَلِيلُ
حَمَلْتُ نَعْسَكَ الْمَلَأَيْكَهُ الْأَبْرَارُ إِذْ مَا لَنَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
غَيْرَ أَنِّي كَذَّبْتُكَ الْوَدَّ لَمْ تَقْطُرْ جُفُونِي دَمًا وَأَنْتَ قَتِيلُ
رَضِيتَ مُقَلَّتِي بِإِرْسَالِ دَمْعِي وَعَلَى مِثْلِكَ النُّفُوسُ تَسِيلُ

أَسْوَاكَ الَّذِي أُجُودُ عَلَيْهِ بِدَيْيِ إِيَّتِي إِذَا لَبَّخِلُ
عَثْرَ الدَّهْرِ فِيكَ عَثْرَةَ سَوْءٍ لَمْ يُقِلْ مِثْلَهَا الْمُعِينُ الْمُقِيلُ
قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بِالْحَيَاةِ فَإِنَّا بَعْدَهُ فِي التُّرَابِ صَرَخَى حُلُولُ
حُفْرَةٍ حَشْوَهَا وَفَاءٌ وَحِلْمٌ وَنَدَى فَاصِلٌ وَلَبُّ أَصِيلُ
وَعَفَافٌ عَمَّا يَشِينُ وَحِلْمٌ رَاجِحُ الْوِزْنِ بِالرَّوَاسِي يَمِيلُ
وَبِتَانُ يَمِينِهَا غَيْرُ جَعْدٍ وَجَبِينُ صَلَتْ وَخَذُّ أَسِيلُ
وَأَمْرُوهُ أَشْرَقَتْ صَفِيحَةُ خَدَيْهِ عَلَيْهِ بِشَاشَةٌ وَقَبُولُ

تُوْفِي وَادِّ اعْرَابِي فِي يَوْمِ عِيدِ قَتَالِ بَيْتِهِ

٢١٧

لَيْسَ الرَّجَالُ جَدِيدُهُمْ فِي عِيدِهِمْ وَلَيْسَتْ حُزْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ جَدِيدًا
أَيْسُرُنِي عِيدٌ وَلَمْ أَرْ وَجْهَهُ فِيهِ إِلَّا بُعْدًا لِذَلِكَ عِيدًا
فَارَقْتُهُ وَبَقِيَتْ أَخْلُدُ بَعْدَهُ لَا كَانَ ذَاكَ بَقَاً وَلَا تَحْلِيدًا
مَنْ لَمْ يَمُتْ جِزْعًا لَفَقْدِ حَبِيْبِهِ فَهَوَ الْخَوْنُ مُوَدَّةً وَعَهْوَدًا
مُتَمَعِّحٌ حَبِيْبِكَ إِنْ قَدَّرْتَ وَلَا تَعِشْ مِنْ بَعْدِهِ ذَا لَوْعَةٍ مَكْمُودًا
مَا أُمُّ خَشْفٍ قَدْ مَلَأَ أَحْشَاءَهَا حَذْرًا عَلَيْهِ وَجَفْنَهَا تَسْهِدًا
إِنْ نَامَ لَمْ تَنْجِعْ وَطَافَتْ حَوْلَهُ قَسِيْتُ مَكْلُوءِهَا مَرْصُودًا
مِنِّي بِأَوْجَعٍ إِذْ رَأَيْتُ نَوَائِحًا لِأَبِي الْحُسَيْنِ وَقَدْ لَطَنَ خُدُودًا
وَلَقَدْ عَدِمْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ جِلَادَتِي لَمَّا رَأَيْتُ جَمَالَكَ الْمُتَقُودًا
كُنْتُ الْجَلِيدَ عَلَى الرِّزَايَا كُلِّهَا وَعَلَى فِرَاقِكَ لَمْ أَجِدْ تَحْلِيدًا
وَلَيْنَ بَقِيَتْ وَمَا هَلَكْتُ فَإِنْ لِي أَجَلًا وَإِنْ لَمْ أَحْصِهِ مَعْدُودًا

لَا مَوْتَ لِي إِلَّا إِذَا الْأَجَلَ أَنْقَضَى فَهُنَاكَ لَا أَتَجَاوَزُ الْمُحْدُودَا
 حُزْنِي عَلَيْكَ بِقَدْرِ حُجْبِكَ لَا أَرَى يَوْمًا عَلَى هَذَا وَذَاكَ مَزِيدَا
 مَا هَدَّرُ كُنْفِي بِالسِّنِينَ وَإِنَّمَا أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ بِالْأَسَى مَهْدُودَا
 يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ لَكَ وَالِدَا وَكَذَلِكَ أَنْتَ لَمْ تَكُنْ مَوْلُودَا
 فَلَقَدْ شَقِيتُ وَرُبَّمَا شَقِيَ الْقَتَى يَفْرَاقُ مَنْ يَهْوَى وَكَانَ سَعِيدَا
 مِنْ دَمٍ جَفْنَا بِأَخْلَا بِدُمُوعِهِ فَعَلَيْكَ جَفْنِي لَمْ يَزَلْ مَحْمُودَا
 فَلَا نَظْمَنَ مَرَاثِيَا مَشْهُورَةً تُسَيِّ الْأَنَامَ كَثِيرًا وَوَلِيدَا
 وَجَمِيعَ مَنْ نَظَّمَ الْقَرِيضَ مَفَارِقَا وَلِدَا لَهُ أَوْ صَاحِبًا مَفْقُودَا

لابن حسن التهامي يرثي ولده الصغير

٢١٨

حُكْمُ الْمُنْيَةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
 بَيْنَا يُرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يُرَى خَيْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
 طُبِعَتْ عَلَى كَدْرِ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَكْثَادِ وَالْأَقْدَارِ
 وَمُكَلَّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جُدُودَةَ نَارِ
 وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارِ
 فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمُنْيَةُ يَفْظَةٌ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خِيَالُ سَارِ
 وَالنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ أَوَّابَتْ مُنْقَادَةً بِأَزْمَةِ الْأَقْدَارِ
 فَاقْضُوا مَا رَبَّيْكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَقَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
 وَتَرَكَضُوا خَيْلَ الشَّبَابِ وَحَادِرُوا أَنْ تُسْتَرَدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ
 فَالْدَهْرُ يُجَدِّعُ بِالْمُنَى وَيُنْعِصُ هُنَا وَيَهْدِمُ مَا بَنَى بِبَوَارِ

لَيْسَ الزَّمَانُ وَإِنْ حَرَصْتَ مُسَلِّمًا
يَا كَوَكِبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عَمْرُهُ
وَهَالِكِ أَيَّامٍ مَضَى لَمْ يَسْتَدِرْ
عَجَلِ الْحُسُوفِ إِلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ
فَكَانَ قَلْبِي قَبْرَهُ وَكَانَهُ
أَبْكِيهِ ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَدِرًا لَهُ
جَاوَزْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ
وَلَقَدْ جَرَيْتُ كَمَا جَرَيْتُ لِغَايَةِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوْلُ مَنْطِقِي
حُتِقُ الزَّمَانِ عِدَاوَةٌ الْأَحْرَارِ
وَكَذَا تَكُونُ كَوَاكِبُ الْأَنْجَارِ
بَدْرًا وَلَمْ يُمْهَلْ لَوْقَتِ سَرَارِ
فَحَاهُ قَبْلَ مَظْنَةِ الْإِبْدَارِ
فِي طَيْهِ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ
وَقَفْتَ حِينَ تَرَكْتَ الْأَمَّ دَارِ
شَتَانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي
قَبْلَعْتَهَا وَأَبُوكَ فِي الْمِضَارِ
وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضَارِي

رثاء اعرابية لابنها

٢١٩

يَا عَمْرُو مَالِي عَنْكَ مِنْ صَبْرٍ
لِلَّهِ يَا عَمْرُو وَأَيَّ قَتِي
أَخُو التُّرَابِ عَلَى مَفَارِقِهِ
حِينَ اسْتَوَى وَعَلَا الشَّبَابُ بِهِ
وَرَجَا أَقَارِبُهُ مَنْافِعُهُ
وَأَهْمُهُ هَمِّي فَسَاوَرَهُ
رَيْتُهُ دَهْرًا أَفْقُهُ
حَتَّى إِذَا التَّمِيلُ أَمَكَّنِي
وَجَعَلْتُ مِنْ شَغْفِي أَنْقَلُهُ
يَا عَمْرُو يَا أَسْفِي عَلَى عَمْرُو
كَفَنْتُ يَوْمَ وُضِعَتْ فِي الْقَبْرِ
وَعَلَى غَضَارَةِ وَجْهِهِ النَّضْرِ
وَبَدَا مُنِيرِ الْوَجْهِ كَالْبَدْرِ
وَرَأَوْا شَمَائِلَ سَيِّدِ عَمْرِ
وَعَدَامَعَ الْعَادِينَ فِي السَّفْرِ
فِي الْبَيْسِ أَعْدُوهُ وَفِي الْعَسْرِ
فِيهِ قُبَيْلٌ تَلَا حَقَّ الثُّغْرِ
فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَنَافِي غَيْرِ

أَدْعُ الْمَزَارِعَ وَالْحُصُونَ بِهِ وَأَجِلُهُ فِي الْمَهْمَةِ الْقَمَرِ
مَا زِلْتُ أَصْعَدُهُ وَأَحْدَرُهُ مِنْ قُتْرِ مَوْمَاةٍ إِلَى قُتْرِ
هَرَبًا بِهِ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ حَيْثُ انْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أَدْرِي
إِذْ رَاعَنِي صَوْتُ هَيْبَتِهِ بِهِ وَذُعِرْتُ مِنْهُ أَيَّمَا ذُعُرِ
وَإِذَا مَنِيَّتُهُ تُسَاوِرُهُ قَدْ كَدَحَتْ فِي الْوَجْهِ وَالنَّخْرِ
وَإِذَا لَهُ عَلَقٌ وَحَشْرَجَةٌ يَمَا يُجِشُّ بِهِ مِنَ الصَّدْرِ
وَالْمَوْتُ يَمِضُهُ وَيَبْسِطُهُ كَأَثْوَابِ عِنْدِ الطِّيِّ وَالنَّشْرِ
فَقَضَى وَأَيُّ قَتَى فُجِعَتْ بِهِ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ عَنِ الْقَدْرِ
لَوْ قِيلَ تَقْدِيرُهُ بَدَلْتُ لَهُ مَا لِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ وَفْرِ
أَوْ كُنْتُ مُقَدِّرًا عَلَى عُمْرِي آثَرُهُ بِالشَّطْرِ مِنْ عُمْرِي
قَدْ كُنْتُ ذَا قَفَرٍ لَهُ فَعَدَا وَرَمَى عَلَيَّ وَقَدْ رَأَى قَفْرِي
لَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ مَتَعِي بِأَبْنِي وَشَدَّ بِأَزْرِي
بُنِيَتْ عَلَيْكَ بُنَى أَحْوَجَ مَا كُنَّا إِلَيْكَ صَفَاحُ الصَّخْرِ
لَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا عُمْرِي إِمَّا مَضَيْتَ فَفَنَنْ بِالْإِثْرِ
هُدْيِ سَبِيلِ النَّاسِ كُلِّهِمْ لَا بُدَّ سَأَلِكُمَا عَلَى سَفْرِ

رثاء مشاعير العرب

٢٢ قال عبد الله بن همام السلولي يرثي بعض امرأ بني حرب

تَعَزَّوْا يَا بَنِي حَرْبٍ بِصَبْرِ فَمَنْ هَذَا الَّذِي دَجَّوْا جُلُودَا
لَقَدْ وَارَى قَلْبِي بَكْمُ بَنَانَا وَحَزَمًا لَا كِفَاءَ لَهُ وَجُودَا

وَجَدَنَاهُ بَغِيضًا فِي الْأَعَادِي حَيْبًا فِي رَعِيَّتِهِ حَمِيدًا
 أَمِينًا مُؤْمِنًا لَمْ يَبْقُضْ أَمْرًا فَيُوجَدُ غَيْبُهُ إِلَّا رَشِيدًا
 فَقَدْ أَضْحَى الْعَدُوَّ رَخِيًّا بِالْ وَقَدْ أَضْحَى التَّقِيَّ بِهِ عَمِيدًا
 فَمَاعِضَ اللَّهِ أَهْلَ الدِّينِ مِنْكُمْ وَرَدَّ لَكُمْ خِلَافَتَكُمْ جَدِيدًا
 مُجَانِبَةً الْعِخَاقِ وَكُلِّ نَحْسٍ مُقَارِبَةً الْإِيْمَانِ وَالسُّعُودَا
 خِلَافَةً رَبِّهِمْ كُونُوا عَلَيْهَا كَمَا كُنْتُمْ عَنَابَسَةَ أُسُودَا
 يُعَلِّمُهَا الْكُهُولُ اللَّزْدَ حَتَّى تَدَلَّ بِهَا الْأَكْفُ وَتَسْتَعِيدَا
 إِذَا مَا بَانَ ذُو ثِقَةٍ بَلْوَتُمْ أَخَا ثِقَةٍ بِهَا صَنَعًا مُجِيدًا
 تَلَقَّهَا يَزِيدُ عَنْ أَبِيهِ فَخَذَهَا يَا مُعَاوِيَةَ عَنْ يَزِيدَا
 فَإِنْ دُنِيَاكُمْ بِكُمْ أَطْمَأَنَّتْ فَأَوْلُوا أَهْلَهَا خُلُقًا شَدِيدَا
 وَإِنْ شَغِبَتْ عَلَيْكُمْ فَأَعْصِبُوهَا عِصَابًا يَسْتَدِرُّ بِهَا شَدِيدَا
 وَإِنْ لَأَنْتَ لَكُمْ فَتَلَقُّوهَا وَلَا تَرْمُوا بِهَا الْفَرَضَ الْبَعِيدَا

قال الشيخ بن عمرو السلي يرفي منصور بن زياد

يَا حُفْرَةَ الْمَلِكِ الْمُؤْمَلِ رِفْدُهُ مَا فِي تَرَاكٍ مِنَ النَّدَى وَالْحَبِيرِ
 لَا زِلْتِ فِي ظِلِّينِ ظِلِّ سَحَابَةٍ وَطَفَاءَ دَانِيَةٍ وَظِلِّ حُبُورِ
 وَسَقَى الْوَلِيَّ عَلَى الْعِهَادِ عِرَاصَ مَا وَالْإَلِكِ مِنْ قَبْرِ وَمِنْ مَقْبُورِ
 يَا يَوْمَ مَنْصُورٍ أُنْجَتِ جَمِي النَّدَى وَفَجَعَتْهُ بَوْلِيهِ الْمَذْكُورِ
 يَا يَوْمَهُ أُعْرِيَتْ رَاحِلَةُ النَّدَى مِنْ رَبِّهَا وَحَرَمَتْ كُلَّ قَفِيرِ
 ذَلَّتْ بِمَضْرَعِهِ الْمَكَارِمُ وَالنَّدَى وَذَبَابُ كُلِّ مُهْنِدٍ مَا ثُورِ

أَفْكَ نَجُومِ بَنِي زِيَادٍ بَعْدَ مَا
لَوْلَا بَقَاؤُهُ مُحَمَّدٍ لَتَصَدَّعَتْ
أَبْقَى مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ صِفَاتُهَا
أَصْبَحَتْ مَعْجُورًا بِخُفْرَتِكَ الَّتِي
بَلَيْتَ عِظَامَكَ وَالصَّفَاحُ جَدِيدَةٌ
إِنْ كُنْتَ سَاكِنَ حُفْرَةٍ فَلَقَدْ تَرَى

لمران بن أبي حفصة في معن بن زائدة

٢٢٢

مَضَى لِسَيْلِهِ مَعْنٌ وَأَبْقَى
كَأَنَّ الشَّمْسَ يَوْمَ أُصِيبَ مَعْنٌ
هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَانَتْ زَارُ
وَعَظَلَتْ الشُّغُورُ لِقَدِّ مَعْنٍ
وَأَظْلَمَتِ الْعِرَاقُ وَأَوْرَثَتْهَا
وَوَظَلَ الشَّامُ يَرْجِفُ جَانِبَاهُ
وَكَادَتْ مِنْ تِهَامَةٍ كُلُّ أَرْضٍ
فَإِنْ يَغْلُ الْبِلَادَ لَهُ خُشُوعٌ
أَصَابَ الْمَوْتَ يَوْمَ أَصَابَ مَعْنًا
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ
وَلَمْ يَكُ طَالِبٌ لِلْعُرْفِ يَنْوِي
مَضَى مِنْ كَانَ يَحْمِلُ كُلُّ عِبَاءِ

مَكَارِمَ لَنْ تَبِيدَ وَلَنْ تَنَالَ
مِنَ الْإِظْلَامِ مُلْبَسَةٌ جَلَالًا
تَهْدُ مِنَ الْعَدُوِّ بِهِ الْجِبَالَ
وَقَدْ يُزَوِّي بِهَا الْأَسْلَ النَّهَالَ
مُصِيبَتُهُ الْمَجْلَلَةُ أَعْتِلَالًا
لِرُكْنِ الْعِرَاقِ وَهِيَ قَالَا
وَمِنْ نَجْدٍ تَزُولُ غَدَاةَ زَالَا
فَقَدْ كَانَتْ تَطُولُ بِهِ اخْتِيَالَا
مِنَ الْأَحْيَاءِ أَكْرَمَهُمْ فَعَالَا
إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالَا
إِلَى غَيْرِ ابْنِ زَائِدَةَ أَرْحَمَالَا
وَيَسْبِقُ فَضْلُ نَائِلِهِ السُّوَالَا

وَمَا عَمَدَ الْوُفُودُ لِئَسْلَ مَعْنٍ وَلَا حَطُّوا بِسَاحَتِهِ الرِّجَالَ
 وَلَا بَلَّغَتْ أَكْفُ ذَوِي الْعَطَايَا يَمِينًا مِنْ يَدَيْهِ وَلَا شِمَالًا
 وَمَا كَانَتْ تَجْفُ لَهُ حِيَاضُ مِنْ الْمَعْرُوفِ مُتْرَعَةً سِجَالًا
 فَلَيْتَ الشَّامِتِينَ بِهِ قَدَوُهُ وَلَيْتَ الْعُمَرَ مَدَّ لَهُ قَطَالًا
 وَلَمْ يَكْ كَنْزُهُ ذَهَابًا وَلَكِنْ سُيُوفَ الْهِنْدِ وَالسَّمْرِ الصِّقَالًا
 وَذُخْرًا مِنْ مَحَامِدِ بَاقِيَاتِ وَفَضْلَ تُقَى بِهِ التَّفْضِيلِ نَالًا
 مَضَى لِسَبِيلِهِ مَنْ كُنْتَ تَرْجُو بِهِ عَثْرَاتِ دَهْرِكَ أَنْ تُقَالَ
 فَلَسْتُ بِمَالِكِ عِبْرَاتِ عَيْنِ أَبْتِ يَدْمُوعِهَا إِلَّا أَنْهَمَالَ
 فَهَفُ أَبِي عَلِيكَ إِذِ الْتَمَيْيِ عَدَوْا شُعْمًا وَقَدْ أَضْحَوْا سِلَالًا
 وَهَفُ أَبِي عَلِيكَ إِذِ الْقَوَافِي لِمُتَدِحِهَا ذَهَبَتْ ضَالَالًا
 أَقْنَا بِالْيَمَامَةِ إِذِ يَنْسَنَا مُقَامًا لَا زُيْدُ لَهَا زِيَالًا
 وَقُلْنَا أَيْنَ تَرْحَلُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالًا
 سَيَذْكُرُكَ الْخَلِيفَةُ غَيْرَ قَالِ إِذَا هُوَ فِي الْأُمُورِ بِلَا الرِّجَالِ
 وَلَا يَنْسَى وَقَائِعَكَ اللَّوَاتِي عَلَى أَعْدَائِهِ جُعِلَتْ وَبَالًا
 حَبَاكَ أَخُو أُمَيَّةَ بِالرَّائِي مَعَ الْمُدْحِ الَّذِي قَدْ كَانَ قَالًا
 وَأَلْقَى رَحْلَهُ أَسْفًا وَوَالِي يَمِينًا لَا يَشُدُّ لَهُ جِبَالًا

رثاء بني برمك لسليمان بن برمك

٢٣٣

أَصْبَتْ بِسَادَةِ كَانُوا عِيُونًا بِهِمْ نَسَقَى إِذَا انْقَطَعَ النِّعَامُ
 فَكَلَّتْ فِي الْفَوَادِ ضَرِيمُ نَارِ وَلِلْعِبْرَاتِ مِنْ عَيْنِي النِّجَامُ

عَلَى الْمَعْرُوفِ وَالْذُّنْيَا جَمِيعًا
 جَزَعْتُ عَلَيْكَ يَا فَضْلُ بْنُ يَحْيَى
 هَوَتْ بِكَ أَنْجُمُ الْمَعْرُوفِ فِينَا
 وَلَمْ أَرِ قَبْلَ قَتْلِكَ يَا ابْنَ يَحْيَى
 بَرِينَ الْحَادِثَاتِ لَهُ سِهَامًا
 لِيَهِنَ الْحَاسِدِينَ بِأَنَّ يَحْيَى
 وَأَنَّ الْفَضْلَ بَعْدَ رِدَائِهِ عَزِي
 وَقَدْ آلَيْتُ مُعْتَذِرًا بِنَذِيرِ
 بِأَنَّ لَا ذُقْتُ بَعْدَكُمْ مُدَامًا
 أَلَّهُوْا بَعْدَكُمْ وَأَقْرَبْنَا
 وَكَيْفَ يَطِيبُ لِي عَيْشٌ وَفَضْلُ
 وَجَعْفَرُ ثَاوِيًا بِالْحَيْسِرِ أَبْلَتْ
 أَمْرُهُ بِهِ فَيَغْلِبُنِي بُكَائِي
 أَقُولُ وَهَتْ مُنْتَصِبًا لَدَيْهِ
 أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا خَوْفُ وَاشِ
 لَطَفْنَا رُكْنَ جِذْعِكَ وَأَسْتَلَمْنَا
 وَدَوْلَةَ آلِ بَرْمَكٍ السَّلَامُ
 وَمَنْ يَجْزَعُ عَلَيْكَ فَلَا يَلَامُ
 وَعَزَّ بِفَقْدِكَ الْقَوْمُ اللَّسَامُ
 حُسَامًا قَدَّهُ السَّيْفُ الْحُسَامُ
 فَعَالَتُهُ الْحَوَادِثُ وَالسَّهَامُ
 أَسِيرٌ لَا يَضِيمُ وَيُسْتَضَامُ
 غَدَاً وَرِدَاؤُهُ ذَالٌ وَلَا مَ
 وَلِي فِيمَا نَذَرْتُ بِهِ أَعْتَرَامُ
 وَمَوْتِي أَنْ يُفَارِقَنِي الْمَدَامُ
 عَلَيَّ اللَّهُوْا بَعْدَكُمْ حَرَامُ
 أَسِيرٌ ذُونَهُ الْبَلَدُ الشَّامُ
 مَحَاسِنُهُ السَّمَامُ وَالْقَتَامُ
 وَلَكِنَّ الْبُكَاءَ لَهُ ائْتَمَامُ
 إِلَى أَنْ كَادَ يَفْضِحُنِي الْقِيَامُ
 وَعَيْنٌ لِلْخَلِيقَةِ لَا تَنَامُ
 كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجْرِ اسْتِلامُ

٢٢٤ قال محمد بن محمد التوماني يروي الامام محمد المعروف بابن دقين العبيد

سَيَطُولُ بَعْدَكَ فِي الطَّلُولِ وَقُوْفِي
 أُرْوِي الثَّرَى مِنْ مَدْمَعِي الْمَذْرُوفِ
 لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِيكَ حَتْفَكَ فِدْيَةً
 لَقَدِيتَ مِنْ عَلَمَانِنَا بِالْوَفِ

أَوْ كَانَ مِنْ حَمْرِ الْمَنَايَا مَانِعٌ
 يَاطِلِي الْمَعْرُوفِ أَيْنَ مَصِيرِكُمْ
 الْمَشْتَرِي الْعَلِيًّا بِأَعْلَى قِيَمَةٍ
 مَا عَنَّفَ الْجُلَسَاءَ قَطُّ وَنَفْسُهُ
 يَا مُرْشِدَ الْفَتَيَانِ إِذَا مَا أَشْكَتُ
 مَنْ لِلضَّعِيفِ يُعِينُهُ أَنِّي أَنِّي
 مَنْ لِلْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ كَافِلٌ
 أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي تَقَى وَعِبَادَةٍ
 وَسَجَّتَ فِي بَحْرِ الْعُلُومِ مُكَابِدًا
 وَبَدَلْتَ سَارِمًا مَا حَوَيْتَ وَلَمْ تَدَعِ
 يَا تَمَسُّ مَا لَكَ تَطْلَعِينَ أَلَمْ تَرِي
 لَهْفِي عَلَى حَبْرٍ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ
 كَانَ الْخَفِيفَ عَلَى تَقِيٍّ مُؤْمِنٍ
 عَمَّ الْمَصَابُ بِهَ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا
 بُشْرَاكَ يَا ابْنَ عَلِيٍّ الْعَالِيِ الذَّرَى
 وَلَقَدْ زَلَّتْ عَلَى كَرِيمٍ غَافِرٍ
 مَنَّكَ سَمْرُقْنَا وَيَبِضُ سَيْوِفِ
 مَاتَ الْقَتَى الْمَعْرُوفُ بِالْمَعْرُوفِ
 مِنْ غَيْرِ مَا بَحْسٍ وَلَا تَطْفِيفِ
 لَمْ يُخْلَهَا يَوْمًا مِنَ التَّنْفِيفِ
 طُرُقُ الصَّوَابِ وَمُنْجِدُ الْمَلْهُوفِ
 مُسْتَصْرَخًا يَا غَوْثَ كُلِّ ضَعِيفِ
 يَرْجُوهُ فِي شَتَاةٍ وَمَصِيفِ
 وَإِفَادَةٍ لِلْعِلْمِ أَوْ تَصْنِيفِ
 أَمْوَاجَهُ وَالنَّاسُ ذَوْنُ سَيْوِفِ
 لَكَ مِنْ تَلِيدِ فِي الْعُلَا وَطَرِيفِ
 تَمَسُّ الْمَعَارِفِ غَيْبَتْ بِكُفُوفِ
 قَدْ كَانَ مَرْجُوًّا إِيكُلَ مُحِيفِ
 لَكِنَّ عَلَى الْفُجَّارِ غَيْرَ خَفِيفِ
 لَمَّا أَلَمَّ وَخَصَّ كُلَّ حَنِيفِ
 إِذِ بَتَّ صَيْفًا عِنْدَ خَيْرِ مُضِيفِ
 بِالنَّازِلِينَ كَمَا عَلِمْتَ رَوْوِفِ

٢٢٥ للحافظ بن حجر في رثاء الحافظ الامام الكبير زين الدين العراقي

مُصَابٌ لَمْ يُنَسِّنْ لِلْخِثَاقِ
 فَرَوْضُ الْعِلْمِ بَعْدَ الزَّهْوِ ذَاوِ
 أَصَارَ الدَّمْعَ جَارًا لِلْمَاقِ
 وَرَوْحُ الْفَضْلِ قَدْ بَلَغَ التَّرَاقِ

قَطَافَ بَارِضٍ مِصْرٍ كُلِّ عِلْمٍ بِكَأْسِ الْحَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ سَاقِي
 فَيَا أَهْلَ الشَّامِ وَمِصْرَ فَأَبْكُوا عَلَى عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْمِرَاقِي
 عَلَى الْجَبْرِ الَّذِي شَهِدَتْ قُرُومٌ لَهُ بِالْإِنْفِرَادِ عَلَى اتِّفَاقِ
 وَمَنْ فَتَحَتْ لَهُ قِدَمًا عُلُومٌ عَدَّتْ عَنْ غَيْرِهِ ذَاتَ انْتِفَاقِ
 وَمَنْ سَبَّحَتْ عَامًا لَمْ يُجَارَى وَلَا طَمِعَ الْمَجَارِي فِي اللَّحَاقِ
 فَأَصْبَحَ بِالْكَرَامَةِ فِي أَصْطَبَاحِ وَبِالتَّخْفِ الْكَرِيمَةِ فِي انْتِصَابِ
 فَيَا أَسْفَا وَيَا حُزْنَا عَلَيْهِ أَرْقُ مِنَ التَّسْمِيَةِ الرِّقَاقِ
 وَيَا أَسْفَا لِتَشِيدَاتِ عِلْمٍ تَوَلَّتْ بَعْدَهُ ذَاتَ انْطِلاقِ
 عَلَيْهِ سَلَامٌ رَبِّي كُلِّ حِينٍ يُبَلِّغُهُ الرِّضَا فِيمَا يُبَلِّقِي
 وَأَسْقَتْ لِحَدِّهِ سَجْبُ النُّوَادِي إِذَا انْهَمَّتْ هَمَّتْ ذَاتَ انْطِبَاقِ
 وَزَانَتْ رِيئَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَحِيَّاتٌ إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِ

٢٢٦ للبرهان القيراطي يرثي جمال الدين عبد الرحيم شيخ الشافعية

نَعَمْ قِيضَتْ رُوحُ الْعُلَى وَالْفَضَائِلِ بَمَوْتِ جَمَالِ الدِّينِ صَدْرِ الْأَفْضَالِ
 تَعَطَّلَ مِنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ مَكَانُهُ وَغَيَّبَ عَنْهُ فَاضِلُ أَيِّ فَاضِلِ
 أَحَقًّا وَجُوهُ أَلْفِهِ زَالَ جَاهِلُهَا وَحَطَّتْ أَعَالِي هَضْبِهَا لِلْأَسَافِلِ
 قِفُوا خَبَرُونَا مَنْ يَشُومُ مَقَامَهُ وَيُؤْفِضُ فِي مِيدَانِ كُلِّ مُنَاضِلِ
 قِفُوا خَبَرُونَا هَلْ لَهُ مِنْ مُشَابِهِ قِفُوا خَبَرُونَا هَلْ لَهُ مِنْ مُمَائِلِ
 فَأَعْظَمَ بِحَبْرِ كَانِ لِلْعِلْمِ سَاعِيًا بِعِزِّهِ صَحِيحِ لَيْسَ بِالْمُتَكَايِلِ
 وَأَعْظَمَ بِهِ يَوْمَ الْجِدَالِ مُنَاطِرًا إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَكَانًا لِقَائِلِ

وَأَسَافُهُ فِي التَّجْتِ قَاطِعَةُ الطُّبَا
 يَقُومُ بِإِيضَاحِ أَسْأَلِ مُرْشِدًا
 لَهُ قَدَمٌ فِي الْفَقْهِ سَابِقَةُ الْخَطَا
 تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَاهُ فِيهِ مَرَاتِبًا
 فَكَمْ كَانَ يُبَدِي فِيهِ كُلَّ غَرِيبَةٍ
 أَحَلَّ جَمَالَ الدِّينِ فِي الْخُلْدِ رَبُّهُ
 وَحَيَاهُ بِالرَّيْحَانِ وَالرُّوحِ وَالرِّضَا
 لَعَدَّ كَانَ فِي الْأَعْمَالِ وَالْعِلْمِ مُخْلِصًا
 فَلَهْنِي لِأَمْدَاحِ عَلَيْهِ تَحَوَّلَتْ
 يُسَاعِدُنِي فِيهِ الْحَمَامُ بِسُجُوهَا
 صَرَفَتْ فِيهِ كَثْرَ صَبْرِي وَأَدْمَعِي
 وَمَا نَحْنُ إِلَّا رَكْبٌ مَوْتٍ إِلَى الْبَلِي
 قَطَعْنَا إِلَى نَحْوِ الْقُبُورِ مَرَاجِلًا
 وَهَذَا سَبِيلُ الْعَالَمِينَ جَمِيعِهِمْ

٢٢٧ لها، الدين زهير يثني فتح

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا قَبْرَ عُمَانَ
 وَمَا زَالَ مِنْهَا لِعَلَى تَرْبِكَ الْحَيَا
 لَعَدَّ خُنْتَهُ فِي الْوُدِّ إِذْ عِشْتُ بَعْدَهُ
 وَعَهْدِي بِصَبْرِي فِي الْخَطُوبِ يُطِيعُنِي
 وَحَيَاكَ عَنِّي كُلُّ رُوحٍ وَرَّيْحَانِ
 يُغَادِيكَ مِنْهُ كُلُّ أَوْطَفِ هَتَانِ
 وَمَا كَانَ فِي وَدِّ الصَّدِيقِ بِحَيَّوَانِ
 فَمَا لِي أَرَاهُ الْيَوْمَ أَظْهَرَ عِصْيَانِي

فَيَا نَا وَيَا قَدْ طَبَّ اللَّهُ ذِكْرَهُ
 وَجَدْتَ الَّذِي أَسْلَاكَ عَنِّي وَإِنِّي
 لَقَدْ دَفَنْتَ الْأَقْوَامُ يَوْمَ وَقَاتِهِ
 يُوَاجِهْنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ خِيَالَهُ
 وَأَقْسَمُ لَوْ نَادَيْتُهُ وَهُوَ مَيِّتٌ
 هَنِيئًا لَهُ قَدْ طَابَ حَيًّا وَمَيِّتًا
 صَدِيقِي الَّذِي إِذْ مَاتَ مَوْتٌ مُنْجِحْتِي
 وَكَانَ أُنَيْسِي مُذْ حَظَيْتُ بِغُرْبِهِ
 وَقَدْ كَانَ أَسْلَانِي عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 كَرِيمٌ أَلْحِيًّا بِاسِمٍ مُتَهَلِّلٌ
 يُنْزِلُ لِمَنْ يَرْجُوهُ مِنْ غَيْرِ مَنْنَةٍ
 فَكُنْتُ حَبِيبًا وَأَبْتَلَيْتَ بِغُرْبِهِ
 هُوَ الْمَوْتُ مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِصَاحِبِ
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ بَعْدَ رَاحِلٍ
 فَأَضْحَى وَطِيبُ الدِّكْرِ عُمرُ لَهُ ثَانٍ
 وَحَقِّكَ مَا حَدَّثْتُ نَفْسِي بِسُلْوَانٍ
 بَقِيَّةَ مَعْرُوفٍ وَخَيْرٍ وَإِحْسَانٍ
 كَمَا كُنْتُ أَلْقَاهُ قَدِيمًا وَيَلْقَانِي
 لَجَاؤِي تَحْتَ التُّرَابِ وَلَبَانِي
 فَمَا كَانَ مُحْتَاجًا لِتَطْيِيبِ أَكْفَانِي
 فَمَا لِي لَا أَبْكِيهِ وَالرُّزْءُ رُزَانٍ
 وَكُنْتُ كَأَنِّي بَيْنَ أَهْلِي وَأَوْطَانِي
 وَلَا أَحَدٌ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ أَسْلَانِي
 مَتَى جِئْتَهُ لَمْ تَلْقُهُ غَيْرَ جَدْلَانٍ
 فَإِنْ قُلْتَ مَنَّانٌ قُضِلَ غَيْرَ مَنَّانٍ
 وَحَسْبُكَ مِنْ هُدَيْنٍ أَمْرَانِ مُرَّانٍ
 وَهَيْهَاتَ إِنْسَانٌ يَمُوتُ لِإِنْسَانٍ
 إِلَى الْعَالَمِ الْبَاقِي مِنَ الْعَالَمِ الْفَاقِي

مرثية أبي الحسن الأنباري للوزير أبي طاهر

٢٣٨ لما استمرت الحرب بين عز الدولة بن بويه وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة
 بوزير عز الدولة أبي طاهر محمد بن بقیة فسلبه وشهره وطمع راسه برنس . ثم طرحه للفيلة
 فقتله . ثم صلبه عند داره بباب الطاق وعمره نيف وخمسون سنة . ولما صلب رثاه أبو الحسن
 محمد بن عمران يعقوب الأنباري أحد المدول ببغداد جده القصيدة العزراء . فلما وقف عليها
 عضد الدولة قال : وددت لو اني المصلوب وتكون هذه القصيدة في

عَلُوِّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ
 كَانَ النَّاسُ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا
 كَمَا أَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا
 مَدَدَتْ يَدَيْكَ لِمُحْوِهِمْ اخْتِفَاءً
 وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ
 أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَعَاذُوا
 لِعَظَمِكَ فِي النُّفُوسِ بَقِيَتْ رُحَى
 وَتَوَقَّدُ حَوْلَكَ النَّيْرَانُ لَيْلًا
 رَكِبَتْ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلِ زَيْدٍ
 وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأْسٍ
 وَلَمْ أَرِ قَبْلَ جَذَعِكَ قَطُّ جِذْعًا
 أَسَأَتْ إِلَى النَّوَابِ فَاسْتَنَارَتْ
 وَكُنْتَ تُجِيرُ مِنْ صَرْفِ اللَّيَالِي
 وَصَبْرَ دَهْرِكَ الْإِحْسَانَ فِيهِ
 وَكُنْتَ لِمَعَشَرٍ سَعْدًا فَلَمَّا
 غَلِيلُ بَاطِنِ لَكَ فِي فُؤَادِي
 وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامِ
 مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَائِي
 وَلَكِنِّي أَصْبِرُ عَنْكَ نَفْسِي
 لِحَقِّ تِلْكَ إِحْدَى الْعَمَجَزَاتِ
 وَفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ
 وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ
 كَمَدَّ هُمَا إِلَيْهِم بِالْهَيْبَاتِ
 يَضُمُّ عَمَلًا مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ
 عَنِ الْأَكْفَانِ تَوْبَ السَّافِيَاتِ
 بُحْرَاسٍ وَحُقَاطِ ثِقَاتِ
 كَذَلِكَ كُنْتُ أَيَّامَ الْحَيَاةِ
 عَلَاهَا فِي السِّنِينَ الْمَاضِيَاتِ
 تَبَاعَدُ عَنْكَ تَعْيِيرَ الْعُدَاةِ
 تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ
 فَأَنْتَ قَتِيلٌ نَارِ النَّائِبَاتِ
 فَصَارَ مُطَالِبًا لَكَ بِالْبَرَاتِ
 إِلَيْنَا مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ
 مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بِالْمُنْحَسَاتِ
 يُخَفِّفُ بِالدُّمُوعِ الْجَارِيَاتِ
 بِفِرْضِكَ وَالْحَقُوقِ الْوَاجِبَاتِ
 وَنَحْتُ بِهَا خِلَافَ النَّائِحَاتِ
 مَخَافَةَ أَنْ أَعَدَّ مِنْ الْجَنَّاتِ

وَمَالِكٌ تَرْبَةٌ فَأَقُولُ تُسَقَى لِأَنَّكَ نَصَبٌ هَطَلِ الْمَهَابِلَاتِ
عَلَيْكَ نَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَتَرَى بِرَحْمَاتِ غَوَادِ رَائِحَاتِ
وَقَالَ فِيهِ حِينَ أُزِيلَ عَنِ الصَّلِيبِ :

لَمْ يُلْحَمُوا بِكَ عَارًا إِذْ صُلِبْتَ بَلَى بَادُوا بِإِيْمَتِكَ ثُمَّ اسْتَرَجَعُوا نَدْمًا
وَأَيَقِنُوا أَنَّهُمْ فِي فِعْلِهِمْ غَلَطُوا وَأَنَّهُمْ نَصَبُوا مِنْ سُودِدِ عِلْمَا
فَأَسْتَرْجَمُوكَ وَوَارُوا مِنِكَ طُودَ عُلَا بِدَفْنِهِ دَفَنُوا الْإِفْضَالَ وَالْكَرْمَا
لَنْ يَلَيْتَ فَلَا يَبْلَى نَدَاكَ وَلَا تَنَسَى وَكَمْ هَالِكٌ يُنْسَى إِذَا قَدَمَا
تَقَالِمُ النَّاسُ حُسْنَ الذِّكْرِ فَيْكَ كَمَا تَرَكْتَ مَالِكَ بَيْنَ النَّاسِ مُقْتَسَمَا
٢٢٩ قَالَ الْعُقَيْلِيُّ يَرْثِي صَدِيقَهُ صُلب :

لَعَمْرِي لَنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَدَّبٍ طَوِيلِ تُعْفِكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَشْتُ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُبْرَزًا وَعُوفِيَتْ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَنْغَةِ الْقَبْرِ
وَأَفَلَتْ مِنْ ضَيْقِ التُّرَابِ وَعَمِهِ وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ
فَمَا تَشْتَفِي عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكََا عَلَيْكَ وَلَوْ أَنِّي بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ
فَطُوبَى لِمَنْ يَبْكِي أَخَاهُ مُجَاهِرًا وَلَكِنِّي أَنْبِي لِقْدِكَ فِي سِرِّي

٢٣٠ قال مصعب بن عبد الله الزبيري يري اسحاق الموصلي

أَتَدْرِي لِمَنْ تَبْكِي الْعِيُونَ الدَّوَارِفُ وَيَنْهَلُ مِنْهَا وَاصِفٌ ثُمَّ وَاصِفُ
نَعَمْ لِأَمْرِي لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ مُفِيدٌ لِعِلْمٍ أَوْ صَدِيقٌ مَلَاظِفُ
تَجَهَّزْ إِسْحَاقُ إِلَى اللَّهِ عَادِيًا فَلِلَّهِ مَا صَمَّتْ عَلَيْهِ اللَّفَافُ
وَمَا حَمَلَ النَّعْسَ الْمَرْجِي عَشِيَّةً إِلَى الْقَبْرِ إِلَّا دَانِعُ الْعَيْنِ لِأَهْفُ

صَدُّورُهُمْ مَرَضَى عَلَيْهِ عَمِيدَةٌ
 تَرَى كُلَّ مَحْزُونٍ تُفِيضُ جُفُونَهُ
 حُرِيَّتَ جِزَاءِ الْمُحْسِنِينَ مُضَاعَفًا
 فَكَمْ لَكَ فِينَا مِنْ خَلَائِقَ جَزَلَةٍ
 هِيَ الشَّهْدُ أَوْ أَحَلَى إِلَيْنَا حَلَاوَةَ
 ذَهَبَتْ وَخَلَّتِ الصِّدِيقَ بَعُولَةً
 بَكَتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَتَكَرَّتْ
 فَمَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتُ أَعْتَرِي
 هِيَ الدَّارُ إِلَّا أَنَّهُا قَدْ تَحَشَّعَتْ
 وَبَانَ الْجَمَالُ وَانْقَعَالَ كِلَاهُمَا
 حَلَّتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَكَأَنَّمَا
 يَسُرُّ الَّذِي فِيهَا إِذَا مَا بَدَأَ لَهُ
 يَمَا كَانَ مَيْمُونًا عَلَى كُلِّ صَاحِبٍ
 سَرِيحٌ إِلَى إِخْوَانِهِ بِرِضَانِهِ
 لَهَا أَرْمَةٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَرَقَازِفُ
 دُمُوعًا عَلَى الْحَدِيدِ وَأَلْوَجُهُ شَاسِفُ
 كَمَا كَانَ جَدَّوَالِكَ النَّدَى الْمُتَضَاعِفُ
 سَبَقَتْ بِهَا مِنْهَا حَدِيثٌ وَسَالِفُ
 مِنَ الشَّهْدِ لَمْ يَمْزُجْ بِهِ الْمَاءُ غَارِفُ
 بِهِ أَسْفُ مِنْ حُزْنِهِ مُتَرَادِفُ
 مَعَالِمُ مِنْ آفَاتِهَا وَمَعَارِفُ
 وَإِنِّي بِهَا لَوْلَا أَفْتَادِيكَ غَارِفُ
 وَأَظْلَمَ مِنْهَا جَانِبٌ وَهُوَ كَاسِفُ
 مِنَ الدَّارِ وَأَسْتَتَّ عَلَيْهَا الْعَوَاصِفُ
 بِعَاقِبَةٍ لَمْ يَغْنِ فِي الدَّارِ طَارِفُ
 وَيَقْتَرُ مِنْهَا ضَاحِكًا وَهُوَ وَاقِفُ
 يُعِينُ عَلَى مَا نَابَهُ وَيُكَافِفُ
 وَعَنْ كُلِّ مَا سَاءَ الْأَخْلَاءُ صَادِفُ

رثاء الخلفاء والملوك

للشاهي يرثي المتوكل

٢٣١

لَا حُزْنَ إِلَّا أَرَاهُ دُونَ مَا أَجِدُ
 هَلَّا أَتَاهُ مُعَادِيهِ مُجَاهِرَةً
 فَحَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَلِكِ مُنْجِدِلًا
 وَهَلْ كَمَنْ قَدَّمَتْ عَيْنَايَ مُفْتَقِدُ
 وَالْحَرْبُ تُسْعَرُ وَالْأَبْطَالُ تَطْرُدُ
 لَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا أَنْقَضَى الْأَمْدُ

قَدْ كَانَ أَنْصَارُهُ يَحْمُونَ حَوَازَتَهُ
 وَأَصْبَحَ النَّاسُ فَوْضَى يَعْجُونَ لَهُ
 عَلْتِكَ أَسْيَافُ مَنْ لَادُونَهُ أَحَدٌ
 صَحَبَتْ نِسَاؤُكَ بَعْدَ الْعَزَّيْحِينَ رَأَتْ
 أَضْحَى شَهِيدُ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوْعِظَةٌ
 فَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ نِعْمَتَكُمْ
 قَوْمُهُمْ الْجِذْمُ وَالْأَنْسَابُ تَجْمَعُكُمْ

من مرثية ابن عبدون الفهري للملك بني الافطس

٢٣٢

الْأَدْهَرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ
 فَلَا تَتْرَنُكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتَهَا
 تَسْرُ بِالْشَيْءِ لَيْكِنَ كَيْ تَعْرِيه
 كَمْ دَوْلَةٍ وَايَّتْ بِالنَّصْرِ خِدْمَتَهَا
 هَوَتْ بَدَارًا وَفَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ
 وَأَسْتَرَجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ
 وَمَا أَقَالَتْ ذَوِي الْهَيْبَاتِ مِنْ يَمِينِ
 وَمَزَقَتْ سَبَأً فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ
 وَخَضِبَتْ شَيْبَ عُمَانَ دَمَا وَخَطَتْ
 وَأَوْتَقَتْ فِي عَرَاهَا كُلَّ مُعْتَمِدِ
 وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمِنِ

فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ
 فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهْرِ
 كَالْأَيْمِ نَارِ إِلَى الْجَانِي مِنَ الزَّهْرِ
 لَمْ تُبْقِ مِنْهَا وَاسِلَ ذِكْرَكَ عَنْ خَبْرِ
 وَكَانَ عَضْبَاعِلَى الْأَمْلاكِ ذَا أَثَرِ
 وَلَمْ تَدْعُ لِبَنِي يُونَانَ مِنْ أَثَرِ
 وَلَا أَجَارَتْ ذَوِي الْعَالِيَاتِ مِنْ مُضَرِ
 فَمَا التَّقَى رَائِحٌ مِنْهَا يُبْتَكِرِ
 إِلَى الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْ عُمَرِ
 وَأَشْرَقَتْ بِقِذَاهَا كُلَّ مُقْتَدِرِ
 وَأَسْلَمَتْ كُلَّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرِ

سُخِّقًا لِيَوْمِكُمْ يَوْمًا وَلَا حَمَلَتْ
 مِنَ الْأَسِيرَةِ أَوْ مِنَ الْأَغْنَةِ أَوْ
 مِنَ الْبِرَاعَةِ أَوْ مِنَ الْبِرَاعَةِ أَوْ
 أَوْ دَفَعُ كَارِثَةً أَوْ قَمَعَ آزِفَةً
 وَبِئْسَ السَّمْحُ وَبِئْسَ النَّاسُ لَوْ سَلِمَا
 سَقَتْ تَرَى الْفَضْلَ وَالْمَبَاسِ هَامِيَةً
 وَمَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطِيبُهُ
 أَيْنَ الْجَلَالُ الَّذِي عَمَّتْ مَهَابَتُهُ
 أَيْنَ الْإِبَاءُ الَّذِي أَرْسَوْا قَوَاعِدَهُ
 أَيْنَ الْوَفَاءُ فَقَدْ أَصْفَوْا شَرَانِعَهُ
 عَلَى الْفَضَائِلِ إِلَّا الصَّبْرَ بَعْدَهُمْ
 يَرْجُو عَسَى وَلَهُ فِي اخْتِهَا طَمَعُ

ابن النبيه يرثي ولد الناصر احمد امير المؤمنين

٢٣٣

النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَحَيْلِ الطِّرَادِ
 وَاللَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى دَارِهِ
 وَالْمَوْتُ نَقَادٌ عَلَى كَفِّهِ
 وَالْمَرَّةُ كَالظِّلِّ وَلَا بُدَّ أَنْ
 لَا تَضُحُ الْأَرْوَاحُ إِلَّا إِذَا
 أَرَعَمَتْ يَا مَوْتُ أَنْوْفَ الْفَنَاءِ
 فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الْجَوَادُ
 الْإِمْنُ اسْتَصْلَحَ مِنْ ذِي الْعِبَادِ
 جَوَاهِرُ يَخْتَارُ مِنْهَا الْجِيَادُ
 بَدُولَ ذَلِكَ الظِّلُّ بَعْدَ امْتِدَادِ
 سَرَى إِلَى الْأَجْسَادِ هَذَا الْقَسَادُ
 وَدُسْتُ أَعْنَاقَ السُّيُوفِ الْجِدَادُ

كَيْفَ تَحْرَمْتَ عَلِيًّا وَمَا أَتَجَدُّهُ كُلُّ طَوِيلِ الْجَمَادِ
 تَجَلُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي مِنْ خَوْفِهِ يُرْعَدُ قَلْبُ الْجَمَادِ
 مُصِيبَةٌ أَذَكْتَ قُلُوبَ الْوَرَى كَأَنَّمَا فِي كُلِّ قَلْبٍ زِنَادُ
 نَارِزَةٌ جَلَّتْ مِنْ أَجْلِهَا سَنَ بُوِ الْعَبَّاسِ لُبْسُ السَّوَادِ
 مَائِمَةٌ فِي الْأَرْضِ لِكِنِّهَا عُرْسٌ عَلَى السَّبْعِ الطِّبَاقِ الشِّدَادِ
 طَرَقَتْ يَا مَوْتَ كَرِيمًا فَلَمْ يَفْتَعِ بِغَيْرِ النَّفْسِ لِلضَّيْفِ زَادِ
 قَصَفْتَهُ مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى غَضْنَا فَشَلَّتْ يَدُ أَهْلِ الْقَسَادِ
 يَا تَالِكَ السَّبْطَيْنِ خَلَقْتَنِي أَهِيمٌ مِنْ هَمِّي فِي كُلِّ وَادِ
 يَا نَائِمًا فِي عَمْرَاتِ الرَّدَى كَلَّتْ أَحْقَابِي بِمِيلِ السَّهَادِ
 وَيَا صَبِيحَ التُّرْبِ أَفْلَقْتَنِي كَأَنَّمَا قَرَشِي شَوْكُ الْقَتَادِ
 دَفِنْتَ فِي التُّرْبِ وَلَوْ أَنْصَفُوا مَا كُنْتُ إِلَّا فِي صَمِيمِ الْفَوَادِ
 لَوْ لَمْ تَكُنْ أَسَخَنْتَ عَيْنِي سَقَتْ مَثَوَاكَ عَيْنَايَ كَصُوبِ الْهَادِ

لاي بكر بن عبد الصمد يرثي الخليفة المعتمد بالله

٢٣٤

مَلِكِ الْمُلُوكِ أَسْمِعْ فَأَنَادِي
 أَمَ قَدْ عَدْتِكَ عَنِ السَّمَاعِ عَوَادِي
 لَمَّا خَلَّتْ مِنْكَ الْفُضُورُ وَلَمْ تَكُنْ
 فِيهَا كَمَا قَدْ كُنْتَ فِي الْأَعْيَادِ
 أَقْبَلْتُ فِي هَذَا التَّرَى لَكَ خَاضِعًا
 وَتَحَذْتُ قَبْرَكَ مَوْضِعَ الْإِنشَادِ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ تُبَدِّدَ أَدْمِعِي
 نِيرَانُ حُزْنٍ أَضْرِمَتْ بِفَوَادِي
 فَإِذَا يَدْمِعِي كَلَّمَا أَجْرِيئُهُ
 زَادَتْ عَلَيَّ حَرَارَةَ الْأَكْبَادِ
 فَالْعَيْنُ فِي التَّسْكَابِ وَالتَّهْتَانِ وَالْأَحْشَاءُ فِي الْإِحْرَاقِ وَالْإِيْقَادِ

يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ أَهَكَذَا
 أَفْقَدْتَ عَيْنِي مِذْقَدْتَ إِنَارَةَ
 مَا كَانَ ظَنِّي قَبْلَ مَوْتِكَ أَنْ أَرُ
 أَلْمُضَبَّةَ السَّمَاءِ تَحْتَ ضَرْبِهِ
 عَهْدِي بِمَلِكٍ وَهُوَ طَلَقُ صَاحِكُ
 أَيَّامٍ يَحْتَقُ حَوْلَكَ الرِّايَاتُ قَوْ
 وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالزَّمَانُ مَبْشَرُ
 وَالْحَيْلُ تَمْرُحُ وَالْفَوَارِسُ تَنْحِي
 يُعْمَى ضِيَاءُ النَّيِّرِ الْوَقَادِ
 لِحَجَابِهَا فِي ظُلْمَةٍ وَسَوَادِ
 قَبْرًا يَضُمُّ شَوَاحِجَ الْأَطْوَادِ
 وَالْبَجْرُ ذُو أَلْتِيَارِ وَالْأَزْبَادِ
 مُتَهَلِّلُ الصَّفَحَاتِ لِلْفُصَادِ
 قَ كِتَابِ الرُّؤَسَاءِ وَالْأَجْنَادِ
 بِمَمَالِكٍ قَدْ أَدْعَنْتَ وَبِلَادِ
 بَيْنَ الصُّورِ وَالْقَنَا الْمِيَادِ

للصفي أبي السعود يرثي السلطان سليمان

٢٣٥

أَصَوْتُ صَاعِقَةٍ أَمْ نَفْحَةُ الصُّورِ
 أَصَابَ مِنْهَا الْوَرَى دَهِيَاءَ دَاهِيَةٍ
 تَصَدَّعَتْ قَلْبُ الْأَطْوَادِ وَارْتَعَدَتْ
 أَتَى بِوَجْهِ نَهَارٍ لَا ضِيَاءَ لَهُ
 أَمْ ذَلِكَ نَعْيُ سُلَيْمَانَ الزَّمَانَ وَمَنْ
 مَدَارِ سُلْطَنَةِ الدُّنْيَا وَمَرَكَزِهَا
 مُعَلِّي مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ مُظْهِرِهَا
 وَحُسْنِ رَأْيٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْصَرِفِ
 بِآيَةِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مُتَمَثِّلِ
 مُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُجْتَهِدِ
 فَالْأَرْضُ قَدْ مَلَّتْ مِنْ نَفْسِ نَاقُورِ
 وَذَاقَ مِنْهَا الْبِرَايَا صَعْقَةَ الطُّورِ
 كَأَنَّهَا قَلْبُ مَرْغُوبٍ وَمَذْعُورِ
 كَأَنَّهُ غَارَةٌ شَتَّتْ بِدَيْجُورِ
 قَضَتْ أَوَامِرُهُ فِي كُلِّ مَأْمُورِ
 خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَفَاقِ مَذْكَورِ
 فِي الْعَالَمِينَ بِسَعْيِ مِنْهُ مَشْكَورِ
 وَصَدَقَ عَزْمٌ عَلَى الْأَلْطَافِ مَقْصُورِ
 بِغَايَةِ الْفِسْطِ وَالْإِنْصَافِ مَوْفُورِ
 مُؤَيَّدٍ مِنْ جَنَابِ الْقُدْسِ مَنْصُورِ

بِرَأْيِهِ رُفِعَتْ لِلنَّجْدِ خَافِقَةٌ تَحْوِي عَلَى عِلْمٍ بِالنَّصْرِ مَنُشُورِ
 وَعَسْكَرٍ مَلَأَ الْأَفَاقَ مَحْتَشِدِ مِنْ كُلِّ قَطْرِ مِنَ الْأَقْطَارِ مَحْشُورِ
 يَا نَفْسُ مَا لَكَ فِي الدُّنْيَا مُخْلَفَةٌ مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهِ عَنْ هَذِهِ الدُّورِ
 وَكَيْفَ تَمْسِينَ فَوْقَ الْأَرْضِ غَافِلَةٌ أَلَيْسَ جُثْمَانُهُ فِيهَا بِمَقْبُورِ
 حَقٌّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ أَسَى لَكِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ غَيْرٌ مَقْدُورِ
 يَا نَفْسُ فَاتَّبِعِي لَا تَهْلِكِي أَسْفَا فَأَنْتِ مَنْظُومَةٌ فِي سَبِيلِكَ مَعْدُورِ
 إِذْ لَسْتِ مَأْمُورَةٌ بِالْمُسْتَحِيلِ وَلَا بِمَا سَوَى بَذَلٍ مَجْهُودِ وَمَيْسُورِ
 إِنَّ الْمُنَايَا وَإِنْ عَمَّتْ مُحْرَمَةٌ عَلَى شَهِيدٍ جَمِيلِ الْحَالِ مَبْرُورِ
 إِبْتِغَاءَ سُلْطَنَةِ الْعُمَى بِسُلْطَنَةِ الدُّنْيَا فَاعْظِمِي بَرِيحَ غَيْرِ مَحْضُورِ
 بَلْ حَارَ كِلَيْهِمَا إِذْ حَلَّ مَنَزَلُهُ مَنْ لَمْ يُغَايِرْهُ فِي أَمْرٍ وَمَأْمُورِ
 فَإِنَّهُ عَيْنُهُ فِي كُلِّ مَأْثَرَةٍ وَكُلِّ أَمْرٍ عَظِيمِ الشَّانِ مَأْثُورِ
 أَضْحَى بِمُضَيِّعِهِ الدُّنْيَا بِرَمْتِهَا مَا كَانَ مِنْ مَجْهَلٍ مِنْهَا وَمَعْمُورِ
 سُجَّانٌ مِنْ مَلِكٍ جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ عَنِ الْيَبَانِ بِمَنْظُومٍ وَمَنْشُورِ
 لَا زَالَ أَحْكَامُهُ بِالْعَدْلِ جَارِيَةً بَيْنَ الْبَرِيَّةِ حَتَّى نَفْحَةِ الصُّورِ

لابي البقاء صالح بن شريف الرندي يرثي الاندلس

٣٣٦

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَاتَ نَفْصَانُ فَلَا يُغَرِّبُ طَيْبُ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
 هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُولُ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
 وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
 يَزِقُّ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِقَةٍ إِذَا نَبَتْ مَشْرِيفَاتُ وَخُرْصَانُ

وَيَتَضَيُّ كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ
أَيُّ الْمُلُوكِ ذُووُ التَّيْجَانِ مِنْ يَمِينِ
وَأَيُّ مَا شَادَهُ شَدَادُ فِي إِرَمِ
وَأَيُّ مَا حَارَهُ قَارُونَ مِنْ ذَهَبِ
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
وَصَادَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مُلْكٍ
دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دَارَا وَقَاتَلَهُ
كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبُ
فَجَاءَ الذَّهْرُ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ
وَالْحَوَادِثُ سُلُوكٌ يُسَهِّلُهَا
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتَرَّتْ
فَأَسْأَلُ بِلْتَسِيَّةَ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةِ
وَأَيُّ قُرْطَبَةَ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمْ
وَأَيُّ جِمْحُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُرِّهِ
قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ أَسْفِ
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كُنَائِسَ مَا

كَانَ ابْنُ ذِي يَزْنَ وَالْعَمِدُ عَمْدَانُ
وَأَيُّ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتَيْجَانُ
وَأَيُّ مَا سَاسَهُ فِي الْقُرْسِ سَاسَانُ
وَأَيُّ عَادُ وَشَدَادُ وَفَحْطَانُ
حَتَّى قَضَوْا فَكَانَ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانُ
وَأَمَّ كَسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيُونُ
يَوْمًا وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ
وَلِلزَّمَانِ مَسْرَاتٌ وَأَحْزَانُ
وَمَا لِمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوكُ
هُوَ لَهُ أَحَدٌ وَانْهَدَّ شِهْلَانُ
حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
وَأَيُّ شَاطِبَةُ أَمَّ أَيْنَ جِيَانُ
مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَاضُ وَمَلَانُ
عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ
كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هِيَانُ
قَدْ أَقْفَرَتْ وَهَلَا بِالْكَفْرِ عُمْرَانُ
فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصَلْبَانُ

حَتَّى الْحَارِبِ بُكِّي وَهِيَ جَامِدَةٌ حَتَّى النَّسِيرِ تَرْتِي وَهِيَ عِيدَانُ
 يَا عَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالدَّهْرِ يَمُظَانُ
 وَمَاشِيًا مَرِحًا يُلْهِهِ مَوْطِنُهُ أَبْعَدَ خَمِصِ تَعْرِ الْمَرْءِ أَوْطَانُ
 تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْتَ مَا تَقَدَّمَهَا وَمَا لَهَا مَعَ طُولِ الدَّهْرِ نَسِيَانُ
 يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ
 وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرَهَفَةً كَأَنَّهَا فِي ظِلَامِ التَّقَعِ نِيرَانُ
 وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَاةٍ لَهُمْ يَا وَطَنَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ
 أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أُنْدَلُسِ فَقَدْ سَرَى بِمُحْدِثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
 كَمْ يَسْتَعِيثُ صُنَادِيدُ الرِّجَالِ وَهُمْ قَتَلِي وَأَسْرَى قَمَا يَهْتَرُ إِنْسَانُ
 مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ
 أَلَا نُفُوسٌ آيَاتٌ لَهَا هِمُّ أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ
 يَا مَنْ لِدَلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمْ أَحَالَ حَالَهُمْ جَوْرٌ وَطُغْيَانُ
 بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ
 فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الذَّلِّ أَلْوَانُ
 وَلَوْ رَأَيْتُ بَعْكَاهُمْ عِنْدَ تَبِعِهِمْ لَهَا لَكَ الْأَمْرُ وَأَسْتَهْوَتَكَ أَخْرَانُ
 يَا رَبُّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حَيْلَ بَيْنَهُمَا كَمَا تُفَرِّقُ أَرْوَاحَ وَأَبْدَانُ
 وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ صَلَّتْ كَأَنَّهَا هِيَ يَا قُوْتُ وَمَرْجَانُ
 يَقُودُهَا الْعُلُجُ عِنْدَ السَّبْيِ مُكْرَهَةً وَالْعَيْنُ بِأَكْيَةِ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ
 لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمْدٍ إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

الباب الرابع عشر في النفس

٢٣٧ قال المهليل:

إِنَّا بِنُوبِ تَغْلِبِ شَمِّ مَعَاطِسُنَا
قَوْمٌ إِذَا عَاهَدُوا وَفَوَّوْا وَإِنْ عَقَدُوا
وَإِنْ دَعَوْتَهُمْ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ
لَا يَرْقُدُونَ عَلَيَّ وَتَرَى يَكُونُ لَهُمْ
بِيضُ الْوُجُوهِ إِذَا مَا أَفْرَعَ الْبَلَدُ
شَدُّوا وَإِنْ شَهِدُوا يَوْمَ الْوَعْدِ اجْتَهَدُوا
جَاءُوا سِرَاعًا وَإِنْ قَامَ الْحَنَى قَعَدُوا
وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وَتَرَى الْعِدَى رَقَدُوا

٢٣٨ قال الحصين بن الحمام المري:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبِقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ
فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كُلُّوْمَنَا
نُفَلِقُ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعِزَّةٍ
لِنَفْسِي حَيَاةٌ مِثْلُ أَنْ أَتَقَدَّمَ
وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطُرُ الدَّمَا
عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

٢٣٩ قال الطيرمач بن حكيم:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّيَامِ وَلَا تَرَى
إِذَا مَا رَأَيْتَنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ
مَلَأَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَهَا
أَكُلُ أَمْرِي أَنِّي أَبَاهُ مُقَصِّرًا
إِذَا ذَكَرْتَ مَسْعَاهُ وَالِدِهِ أَضْطَنَى
بَيْضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرِي غَيْرَ طَائِلِ
شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
وَبَيْنِي فَغَلَّ الْعَارِفِ الْعَتَجَاهِلِ
مِنَ الصُّبْحِ فِي عَيْنِهِ كَفَّةٌ حَابِلِ
مُعَادٍ لِأَهْلِ الْمَكْرَمَاتِ الْأَوَائِلِ
وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَمِّ أَهْلِ الْفَضَائِلِ

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَائِلِ
 ٢٤٠ قَالَ الْأَدِيبُ الْأَبُورْدِيُّ فِي الْفَخْرِ:

عَجِبْتُ لِمَنْ بَيْنِي مَدَايٍ وَقَدْ رَأَى مَسَاجِدَ ذَيْلِي فَوْقَ هَامِ الْفَرَاقِدِ
 وَبِي تَسَبُّ فِي الْحَمِي عَالٍ يَفَاعُهُ رَجِيبُ مَسَارِي الْعَرَقِ زَاكِي الْمَحَافِدِ
 وَفِيَّ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي لَوْ ذَكَرْتُهُ كَفَانِي أَنْ أَزْهِيَ بِجِدِّ وَوَالِدِ
 وَرِثْنَا الْعُلَى وَهِيَ الَّتِي خُلِقَتْ لَنَا وَنَحْنُ خُلِقْنَا لِلْعُلَى وَالْمَحَامِدِ
 أَبَا فَا بَا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَكَذَا إِلَى آدَمٍ لَمْ يَنْمَأْ غَيْرُ مَا جِدِ
 ٢٤١ وَقَالَ أَيْضًا:

لَوَيْتُ عَلَى الرَّفْعِ الرَّذِينِيَّ مِعْصَمًا وَرَزَتْ أَلْعَدَى وَالْحَرْبُ فَاغِرَةٌ فَمَا
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي أَلَيْنُ عَرِيكِي لَهُمْ إِذْ تَوَسَّطْتُ الْخِصَامَةَ مُعْدِمًا
 أَمَا عَلِمُوا أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُفْتَرًا أُرْوِي مِنَ الْقَرْنِ الْحُسَامَ الْمُصَيَّمَا
 وَيَشْرِقُ وَجْهِي حِينَ يُنْسَبُ وَالِدِي وَتَلَقَى عَلَيْهِ لِلسَيَادَةِ مِيسَمًا
 وَإِنْ ذَكَرُوا آبَاءَهُمْ فَوْجُوهُمْ نُشِبَهَا قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا
 وَلَلْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ أَبِي ذِي دَنَاءَةٍ إِذَا هَزَّ لِلْفَخْرِ أَبْنَهُ عَادَ مُفْحَمًا
 مَتَى حَصَلَتْ أَسَابِقُ قَيْسٍ وَخِنْدِفِ قَلِي مِنْ رَوَائِبِهِنَّ أَشْرَفُ مُنْتَمِي
 وَإِنْ نُشِرَتْ مِنْهَا صَحِيفَةٌ نَاسِبٌ رَأَيْتَ بُدُورًا مِنْ جُدُودِي وَأَنْجَمًا
 لَهُمْ أَوْجُهُ عِنْدَ الْفَخَارِ بَرِينَهَا عَرَانِينَ مَا سَمَّتْ هَوَانًا وَمَرْنَمًا
 لِيَقْصِدَ مَسَّ الضَّنْفَنِ فِينَا يَذْرَعُهُ وَلَا يَسْتَثِرُ مِنَّا بِوَادِيهِ ضَيْعَمًا
 فَإِنَّ الْمَنَاجِينَ يَضْمُرْنَ غَلَّةً لِيَلْعَنَنَّ مِنْ أَطْرَافِ أَرْمَاحِنَا الدَّمَ

٢٤٢ وَقَالَ أَيْضًا مُتَحَمِّسًا :

النَّاسُ مِنْ حَوَالِي وَالذَّهْرُ مِنْ خَدَمِي
وَاللِّبَانُ لِسَانِي وَالنَّدَى خَضَلُ
وَالنَّسْرُ يَتَّبِعُ سَنَفِي حِينَ يَلْحَظُهُ
فَأَيْنَ مِثْلُ أَبِي فِي الْعَرَبِ قَاطِبَةٌ
لَوْ صِغَتْ الْأَرْضُ لِي دُونَ الْوَرَى ذَهَابًا
وَعَن قَلِيلٍ أَرَى فِي مَازِقِ حَرَجٍ
وَالْبَيْضُ مُرْدَقَةٌ تَبْدُو خَلَاطَهَا
فَالْحَجْدُ فِي صَهَوَاتِ الْخَيْلِ مَطْلَبُهُ

وَقَمَّةُ النَّجْمِ عِنْدِي مَوْطِي ۚ أَلْقَدَمُ
بِهِ يَدِي وَالْعَلَى يُخَلِّقُنْ مِنْ شَيْبِي
وَالذَّهْرُ يُشِدُّ مَا يَهْمِي بِهِ قَلْبِي
وَمَنْ كَحَالِي فِي صِيَابَةِ النَّجْمِ
لَمْ تَرْضَهَا لِرَجِي نَائِلٌ هَمِي
بِهِ تُشَامُ السُّرُجِيَّاتُ فِي الْقَمَمِ
فِي مَسَلِكٍ وَحَلٍ مِنْ عِبْرَةِ وَدَمِ
وَالْعَزُّ فِي ظُبَةِ الصَّمْصَمَةِ الْخَدِيمِ

٢٤٣ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ فِي صِبَاهُ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ التَّنَوُّخِيِّينَ :

فُضَاعَةٌ تَعْلَمُ أَيَّ الْقَتَى الَّذِي أَدَخَرْتُ لِرُفُوفِ الزَّمَانِ
وَمَجْدِي يَدُلُّ بَنِي خَيْدِفِ
أَنَا ابْنُ الْإِقْدَاءِ أَنَا ابْنُ السُّنَاءِ
أَنَا ابْنُ الْفَيَّافِي أَنَا ابْنُ الْقَوَافِي
طَوِيلُ التَّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ
حَدِيدُ الْحِفَاطِ حَدِيدُ الْحِفَاطِ
يُسَاقُ سَنَفِي مَنْيَا الْعِبَادِ
يَرَى حِدَهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ
سَاجِعُهُ حَكْمًا فِي النَّفُوسِ

الَّذِي أَدَخَرْتُ لِرُفُوفِ الزَّمَانِ
عَلَى أَنْ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِي
أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ
أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرَّعَانِ
طَوِيلُ الْقِنَاةِ طَوِيلُ السِّنَانِ
حَدِيدُ الْحُسَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ
إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ
إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي
وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَذَانِي

٢٤٤ قال عترة يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب ويقتح بقله :

لَا يَحْمِلُ الْحُجْدُ مَنْ تَعَلَّوْهُ الرُّبُّ وَلَا يَنَالُ الْعَلَىٰ مَنْ طَبَعَهُ الْعَضْبُ
لِلَّهِ دَرُّ بَنِي عَبَسَ لَقَدْ نَسَلُوا مِنْ الْأَكَارِمِ مَا قَدْ تَسَلُّ الْعَرَبُ
قَدْ كُنْتُ فِيهَا مَضَىٰ أَرْعَىٰ جِهَالَهُمْ وَالْيَوْمَ أَحْيَىٰ جِهَالَهُمْ كُلَّمَا نَكَبُوا
لَنْ يَعْبُوا سَوَادِي فَهَوِيَ لِي نَسَبُ يَوْمَ الْتَزَالُ إِذَا مَا قَاتَنِي النَّسَبُ
إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ يَا نِعْمَانُ أَنَّ يَدِي قَصِيرَةٌ عَنْكَ فَالْأَيَّامُ تَقْلَبُ
إِنَّ الْأَفَاعِي وَإِنْ لَأَنْتَ مَلَامِسُهَا عِنْدَ التَّقْلِبِ فِي أَنْبِيَائِهَا الْعَطْبُ
الْيَوْمَ تَعْلَمُ يَا نِعْمَانُ أَيُّ فَتَىٰ يَلْقَىٰ أَخَاكَ الَّذِي قَدَّغَرَهُ الْعَضْبُ
فَتَىٰ يَخُوضُ غُبَارَ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا وَيَثْنِي وَيَسْنَانُ الرَّمْحِ مُحْتَضِبُ
إِنْ سَلَّ صَارِمُهُ سَأَلَتْ مَضَارِبُهُ وَأَشْرَقَ الْجَوْ وَأَنْشَقَتْ لَهُ الْحُجْبُ
وَأَحْيَلِ شَهْدِي أَيُّ أَكْفَكُمَهَا وَالطَّعْنُ مِثْلَ شِرَارِ النَّارِ يَلْتَهَبُ
إِذَا التَّقِيْتُ الْأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ الْمَغْرُورِ يَنْتَهَبُ
لِي النَّفُوسُ وَالطَّيْرِ اللَّحُومُ وَالسُّوْحُشُ الْعِظَامُ وَاللَّحْيَالَةُ السَّلْبُ
لَا أَبْعَدُ اللَّهُ عَنِّي غَطَارِقَةً إِنْسَاءً إِذَا زَلُّوا جِنًّا إِذَا رَكَبُوا
أَسْوَدُ عَابٍ وَلَكِنْ لَا نِيُوبَ لَهُمْ إِلَّا الْأَسِنَّةُ وَالْهِنْدِيَّةُ الْقَضْبُ
تَمْدُو بِهِمْ أَعْوَجِيَّاتٌ مُضْمَرَةٌ مِثْلَ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْقَبُ
مَا زِلْتُ أَلْقَىٰ صُدُورَ الْحَيْلِ مُنْدَفِقًا بِالطَّعْنِ حَتَّىٰ يَصْجِحَ السَّرْجُ وَاللَّبُّ
فَالْعَمَىٰ لَوْ كَانَ فِي أَجْفَانِهِمْ نَظْرُوا وَأَحْرَسُ لَوْ كَانَ فِي أَفْوَاهِهِمْ خَطْبُوا
وَالنَّعْمُ يَوْمَ طَرَادِ الْحَيْلِ يَشْهَدُ لِي وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ وَالْأَقْلَامُ وَالْحُجْبُ

٢٤٥ وَقَالَ فِي إِعَارَتِهِ عَلَى بَنِي حَرِيقَةَ :

حَكْمٌ سُوفَكَ فِي رِقَابِ الْمَذَلِّ وَإِذَا تَرَلْتَ بِدَارِ ذَلٍّ فَارْحَلْ
وَإِذَا أَلْبَانُ نَهَاكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ خَوْفًا عَلَيْكَ مِنْ أَرْحَامِ الْمُجْهَلِ
فَأَعْصِ مَقَالَتَهُ وَلَا تَحْفَلْ بِهَا وَأَقْدِمْ إِذَا حَقَّ اللَّقَاءُ فِي الْأَوَّلِ
وَآخِرَ لِنَفْسِكَ مَنْزِلًا تَعْلُو بِهِ أَوُمْتُ كَرِيمًا تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
إِنْ كُنْتُ فِي عَدَدِ الْعَبِيدِ فَهَمِّتِي فَوْقَ الثَّرِيَا وَالسَّمَاءِ الْأَعْزَلِ
أَوْ أَنْكَرْتَ فُرْسَانَ عَبَسَ نِسْبَتِي فَسِنَانُ رُحْمِي وَالْحَسَامُ يُقْرَأُ لِي
وَبِذَائِلِي وَمَهْدِي نَلْتُ الْعُلَى لَا بِالْقِرَابَةِ وَالْعَبِيدِ الْأَنْزَلِ
وَرَمَيْتُ مَهْرِي فِي الْعَجَاجِ فَخَاضَهُ وَالنَّارُ تُقَدِّحُ مِنْ شِقَارِ الْأَنْصَلِ
خَاضَ الْعَجَاجُ مُجْبَلًا حَتَّى إِذَا شَهَدَ الْوَقِيعَةَ عَادَ غَيْرَ مُجْبَلِ
وَلَقَدْ نَكَبْتُ بَنِي حَرِيقَةَ نَكَبَةً لَمَّا طَغَنَتْ صَحِيمَ قَلْبِ الْأَخِيلِ
وَقَتَلْتُ فَارِسَهُمْ رَيْبَةَ عَنُودَ وَالْهَيْذَبَانَ وَجَارِ بْنَ مُهْلِ
لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ بَلْ فَاسْقِنِي بِالْعِزِّ كَأْسَ الْخَنْظَلِ
مَاءَ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمَ وَجَهَنَّمَ بِالْعِزِّ أَطِيبُ مَنْزِلِ
وَقَالَ أَيْضًا :

٢٤٦
الْيَوْمَ أَسْرَهَا حَرْبًا تَدِلُّ لَهَا كُلُّ الْجَبَابِرَةِ الْمَاضِينَ فِي الْحُطْبِ
وَأَتْرَكَ الدَّمَ يُجْرِي مِنْ غَلَا صِحْمِهِمْ إِذَا عَلَوْتُ رُؤُوسَ الْقَوْمِ بِالْقُضْبِ
كَمْ سَيِّدٍ إِذْ رَأَى بِي حِينَ أَطْلَبُهُ أَلْقَى السَّلَاحَ وَغَرَّ النَّفْسَ لِلْهَرَبِ
أَنَا السُّجَاعُ لِنَارِ الْحَرْبِ أَضْرَمَهَا وَأَرْتَمِي الْقَوْمَ بِالْإِرْقَامِ وَالْمَطَبِ

وَالْمَوْتُ يَفْرَعُ مِنِّي فِي الْهَيَاجِ إِذَا
 وَرَاحَتِي فِي لِقَاءِ الْأَبْطَالِ إِنْ طَعَمْتُ
 كَمْ قَسَطَلْ خُضَّتْهُ لَمْ أَخْشَ غَائِلَةً
 لَا فَعَلَنْ فِعَالًا لَا مِثَالَ لَهَا
 وَأَصْطَلِيهَا يَمِينًا وَالْبِجَارُ دَمٌ
 وَأَجْعَلُ الْجَوَّ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ إِذَا
 وَلَيْسَ لِي مُؤْنَسٌ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ
 إِلَّا الْجَوَادُ وَسَيْفِي يَسْتَكْبِي عَضِي

٢٤٧ روى أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان عبد الملك بن مروان في مسره مع أهل بيته وولده وخاصته فقال لهم: ليقبل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر ولينصل رأي تفضيله. فأنشدوا وفضلوا. فقال بعضهم: النابغة. وقال بعضهم: الأعشى. فلما فرغوا قال: أشعر من هؤلاء الذي يقول. وأنشد لمن بن أوس:

وَذِي رَجْمٍ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضَنْغِهِ
 يُحَاوِلُ رُغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ
 فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أَعْضُ عَيْنًا عَلَى قَدِّي
 وَإِنْ أَنْتَصِرْ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَأْسِي
 صَبْرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 وَبَادَرْتُ مِنْهُ النَّأْيَ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ
 وَيَشْتُمُّ عِرْضِي فِي مَعِينِي جَاهِدًا
 إِذَا سُمْتُهُ وَصَلَ الْقَرَابَةَ سَامِي
 وَإِنْ أَدَعُهُ لِلنَّصْفِ يَأْبَ إِجَابَتِي

يَجْلِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ جَلْمٌ
 وَكَلِمَاتِي عِنْدِي أَنْ يُجَلَّ بِهَ الرُّغْمُ
 وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمٌ
 سِهَامَ عَدُوٍّ يُسْتَهَاضُ بِهِ الْعِظْمُ
 وَمَا يَسْتَوِي حَرْبَ الْأَقَارِبِ وَالسَّلَامُ
 عَلَى سَهْمِهِ مَا كَانَ يُمْكِنُهُ السَّهْمُ
 وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتْمٌ
 قَطِيعَتَهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِثْمُ
 وَيَدْعُ حِكْمَهُ جَائِرٌ غَيْرُهُ الْحُكْمُ

رِعَايَتَهَا حَقٌّ وَتَعَطُّيَهَا ظَلَمٌ
 بِوَسْمِ شَتَارٍ لَا يُشَابِهُهُ وَسْمٌ
 وَلَيْسَ الَّذِي بَيْنِي كَمَنْ شَانَهُ الْهَدْمُ
 وَأَكْرَهُ جَهْدِي أَنْ يُخَالِطَهُ الْعَدْمُ
 عَلَيْهِ كَمَا تَخْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ
 لِتُدْنِيَهُ مِنِّي الْقَرَابَةُ وَالرَّحْمُ
 وَكَطَمِي عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ الْكَطْمُ
 وَقَدْ كَانَ ذَا ضِعْفٍ يَصُوبُهُ الْحَزْمُ
 يَرْفِقِي أحيانًا وَقَدْ يَرْفَعُ الشَّلْمُ
 بِحِلْمِي كَمَا يَشْفِي بِأَدْوِيَةِ سَقْمِ
 فَأَصْبَحَ بَعْدَ الْحَرْبِ وَهُوَ لَنَا سَامُ

فَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ وَالرَّحْمِ الَّتِي
 إِذَا لَمَلَاهُ بَارِقٌ وَخَطَمْتُهُ
 وَيَسْعَى إِذَا أَبْنِي لِهَدْمِ مَصَالِحِي
 يَوَدُّ لَوْ أَنِّي مُعْدِمٌ ذُو خِصَاصَةٍ
 فَمَا زِلْتُ فِي لَيْبِي لَهُ وَتَعَطُّي
 وَخَفْضِي لَهُ مِنِّي الْجِنَاحَ تَأَلَّمَا
 وَصَبْرِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْهُ تَرِيبِي
 لِأَسْتَبَلَّ عَنْهُ الضِّعْفَ حَتَّى سَلَّمْتُهُ
 رَأَيْتُ أَنْسِلَامًا بَيْنَنَا فَرَقْتُهُ
 وَأَبْرَأْتُ غِلَّ الصَّدْرِ مِنْهُ تَوَسَّمَا
 فَأَطْفَأَتْ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 ٢٤٨ قَالَ عَنَّتْرَةٌ :

وَأَصْبُو إِلَى طَعْنِ الرِّمَاحِ اللَّوَابِعِ
 وَدَارَتْ عَلَى رَأْسِي سِهَامُ الْمَصَابِعِ
 حُدَاةُ الْمَنَائِيَا وَأَرْتِهَاجُ الْمَوَاكِبِ
 كَجَحْجَحِ الدُّجْحِيِّ مِنْ وَقَعِ أَيْدِي السَّلَاحِ
 وَتَمْتَضُ فِيهَا كَالنُّجُومِ التَّوَابِعِ
 كَلَمَعُ بُرُوقٍ فِي ظِلَامِ الْغِيَابِ
 وَنَيْلُ الْأَمَانِي وَارْتِفَاعُ الْمَرَاتِبِ

أَجْنُ إِلَى ضَرْبِ السُّيُوفِ الْقَوَاصِعِ
 وَأَشْتَاقُ كَأَسَاتِ الْمُنُونِ إِذَا صَفَتْ
 وَيَطْرِبُ بَيْنِي وَالْحَيْلُ تُعْتَرُّ بِالْقَنَا
 وَضَرْبُ وَطْنٍ تَحْتَ ظِلِّ عِجَاجَةٍ
 تَطِيرُ رُؤُوسُ الْقَوْمِ تَحْتَ ظِلَالِمَا
 وَتَلْمَعُ فِيهَا الْبَيْضُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعُلَى

لِمَنْ يَلْتَقِي أَبْطَالَهَا وَسَرَاتَهَا
 وَيَبْنِي بِمَجْدِ السِّيفِ مَجْدًا مُشِيدًا
 وَمَنْ لَمْ يَرَوْي رُحْمَهُ مِنْ دَمِ الْعِدَى
 يُعْطِي الْقَنَا الْخَطِيءَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ
 يَعِيشُ كَمَا عَاشَ الذَّلِيلُ بِنُصَّةِ
 لَضَائِلُ عَزْمٍ لَا تُبَاعُ لِضَارِعٍ
 رَزَتْ بِهَا دَهْرًا عَلَى كُلِّ حَادِثٍ
 ذَا كَذَبِ الْبَرْقِ اللَّمُوعِ لِشَائِمٍ
 ٢٤٥ قَالَ أَبُو بَجِيرٍ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ

سَلْحِي تَغْلِبُ عَنْ بَكْرِ وَوَقَعْتَهُمْ
 فَأَقْبَلُوا بِجَنَاحِهِمْ يَلْمُهُمَا
 فَأَصْبَحُوا تَمَّ صَفْوًا دُونَ بِيضِهِمْ
 وَأَيَقِنُوا أَنَّ شَيْبَانًا وَإِخْوَتَهُمْ
 وَيَشْكُرُ وَبَنُو عَجَلٍ وَإِخْوَتَهُمْ
 ثُمَّ التَّقِينَا وَنَارُ الْحَرْبِ سَاطِعَةٌ
 طَوْرًا نُدِيرُ رَحَانًا ثُمَّ نَطْحُهُمْ
 حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ دَارَتْ أَجْفَاوَاهِرًا
 قَرُّوا إِلَى النَّمْرِ مِنَّا وَهُوَ عَمَّهُمْ
 نَحْنُ الْقَوَارِسُ نَعْشَى النَّاسَ كُلَّهُمْ
 بِالْخِنِوِ إِذْ خَسِرُوا جِهْرًا وَأَمَارَشِدُوا
 مِنَّا جَنَاحَانِ عِنْدَ الصُّبْحِ فَأَطْرَدُوا
 وَأَبْرَقُوا سَاعَةً مِنْ بَعْدِ مَا رَعَدُوا
 قَيْسًا وَذُهْلًا وَتَيْمَ اللَّاتِ قَدَرَصَدُوا
 بَنُو حَنِيفَةَ لَا يُحْصَى لَهُمْ عَدَدُ
 وَسَمَّيْرِ الْعَوَالِي بَيْنَنَا قِصْدُ
 طَحْنَا وَطَوْرًا نُلَاقِيهِمْ فَجَتَدُ
 عَنَا وَخَلَّوْا عَنِ الْأَمْوَالِ وَانْجَرَدُوا
 فَمَا وَفَى النَّمْرُ إِذْ طَارُوا وَهُمْ مُرْدُ
 وَنَقُلُ النَّاسِ حَتَّى يُوحِشَ الْبَلَدُ

لَقَدْ صَبَّحْنَاهُمُ بِالْبَيْضِ صَافِيَةً عِنْدَ الْلِقَاءِ وَحَرُّ الْمَوْتِ يَتَمَدُّ
وَأَحْيَلُ تَعْلَمُ أَنِّي مِنْ قَوَارِسِهَا يَوْمَ الطَّعَانِ وَقَلْبُ النَّاسِ يَرْتَمِدُ
وَقَدْ حَلَفْتُ بَيْمِنَا لَا أَصْلِحُهُمْ مَا دَامَ مِنَّا وَمِنْهُمْ فِي الْمَلَأِ أَحَدُ
٢٥٠ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي الزَّوَايِدِ يَفْتَخِرُ:

هَلَّا سَأَلْتَ مَنَازِلًا بِفِزَارِ عَمَّنْ عَهَدْتُ بِهِ مِنَ الْأَحْرَارِ
عُدِّي رَجَالِكِ وَأَتَمِّعِي يَا هَذِهِ عَنِّي مَقَالَةَ عَالِمٍ مِفْخَارِ
سَاعَدْتُ سُودَاتِ لَنَا وَمَكَارِمَا وَأَبْوَةٌ لَيْسَتْ عَلَيَّ بِعَارِ
قَيْسُ وَخِنْدِفُ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا وَالْعَمُّ بَعْدَ رَيْبَةَ بْنِ زَارِ
مَنْ مِثْلُ فَارِسِنَا دُرَيْدِ فَارِسَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَعَانِقِي وَكَرَارِ
وَبَنُو زِيَادٍ مِنْ لِقَوْمِكَ مِثْلَهُمْ أَوْ مِثْلُ عُنْتَرَةَ الْهَزْبِ الضَّارِي
وَأَلْحِي مِنْ سَعْدِ ذُوَابَةَ قَوْمِهِمْ وَالْفَخْرُ مِنْهُمْ وَالسَّنَامُ الْوَارِي
وَالْمَلِئِيعُونَ مِنَ الْعَدُوِّ ذِمَارَهُمْ وَالْمُدْرِكُونَ عَدُوَّهُمْ بِالثَّارِ
وَبَنُو سُلَيْمٍ نِزْكَلُ مِنْ عَادَاهُمْ وَحَيَا الْعَفَاةَ وَمَعْقِلُ الْفَرَارِ
لَيْسُوا بِأَنْكَاسٍ إِذَا حَاسَتَهُمُ الْمَوْتُ الْعُدَاةُ وَصَمَّمُوا لِمُعَارِ
٢٥١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ

أَعَاذِلُ عُدَّتِي بِأَنِّي وَرَجِحِي وَكُلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ الْقِيَادِ
أَعَاذِلُ إِنَّمَا أَفْنَى شِبَابِي إِجَابَتِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْأَبْطَالِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ التَّجَادِ
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي وَيَفْنَى بَعْدَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

وَمِنْ عَجَبِ عَجَبٍ لَهُ حَدِيثٌ بَدِيعٌ لَيْسَ مِنْ بَدِيعِ السَّدَادِ
 تَمَنَّى أَنْ يَلْفِقَنِي فَيْسٌ وَوَدِدْتُ وَأَيْنَا مِنِّي وَوَادِي
 تَمَنَّا فِي وَسَائِفِي قَيْصِي كَأَنَّ قَبْرَهَا حَدَقُ الْجُرَادِ
 وَسَيْفُ ابْنِ ذِي قَيْعَانَ عِنْدِي تَخَيَّرَ نَصْلُهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
 فَلَوْ لَأَقْتَنِي لِلْقَيْتِ لَيْثًا هَضُورًا ذَا ظَبَا وَشَبَا حِدَادِ
 وَلَا اسْتَيْقَنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَصَرَحَ شَحْمٌ قَلْبِكَ عَنْ سَوَادِ
 أُرِيدُ جَبَاهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ
 ١٥٢ أَنشَدَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ لِجَاتِمِ الطَّائِي :

وَعَادِلَةٌ هَبَّتْ بَلِيلُ تَلُومِي وَقَدْ غَابَ عَيْسُوقُ الثَّرِيَا فَعَرَدَا
 تَلُومٌ عَلَى إِعْطَائِي أَمَالٍ ضَلَّةً إِذَا ضَنَّ بِالْمَالِ التَّخِيلُ وَصَرَدَا
 تَقُولُ أَلَا أَمْسِكُ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَرَى أَمَالًا عِنْدَ الْمُمْسِكِينَ مُعْبَدَا
 ذَرِينِي وَحَالِي إِنْ مَالِكَ وَإِفْرُ وَكُلُّ أَمْرِي جَارٍ عَلَى مَا تَعُودَا
 أَعَادِلِ لَا أَلُوكِ إِلَّا خَلِيقِي فَلَا تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانِكَ مِبْرَدَا
 ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعَرِضِي جَنَّةً بَقِيَ أَمَالٌ عَرِضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
 أَرِينِي جَوَادِمَاتٍ هَزَلًا لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بِخَيْلًا مُخْلَدَا
 وَإِلَّا فَكُفِّي بَعْضَ لَوْمِكَ وَأَجْعَلِي إِلَى رَأْيِي مَنْ تَلْحِينُ رَأْيِكَ مُسْنَدَا
 أَلَمْ تُعَلِّمِي أَنِّي إِذَا الضَّيْفُ نَابَنِي وَعَزَّ الْهَرَى أَقْرِي السَّدِيفُ السَّرْهَدَا
 أَسْوَدُ سَادَاتِ الْعَشِيرَةِ عَارِقًا وَمِنْ دُونَ قَوْمِي فِي الشَّدَا نِدْمُذُودَا
 وَأَلْفَى لِأَعْرَاضِ الْعَشِيرَةِ حَافِظًا وَحَمَّهِمْ حَتَّى أَكُونَ الْمُسُودَا

يَقُولُونَ لِي أَهَلَكْتَ مَالَكَ فَأَقْتَصِدْ وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ سَيِّدًا
كُلُوا الْآنَ مِنْ رِزْقِ إِلَهِهِ وَاسْبِرُوا
سَاءَ ذَخْرٌ مِنْ مَالِي دِلَاصًا وَسَائِحًا
وَذَلِكَ يَكْفِينِي مِنَ الْمَالِ كُلِّهِ
٢٥٣ وَأَنْشَدَهُ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ :

مَهْلًا نَوَارُ أَقْبَلِي اللَّسُومَ وَالْعَدْلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلِكَةً
مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْبَحْرَ وَالْجَبَلَا
إِنَّ الْجَوَادَ بَرَى فِي مَالِهِ سُبَلَا
سُوهُ الثَّنَاءِ وَيَحْوِي الْوَارِثَ الْإِبِلَا
إِذَا مَا مَاتَ يَتَّبِعُهُ
فَأَصْدُقَ حَدِيثِكَ إِنْ الْمَرْءُ يَتَّبِعُهُ
لَيْتَ الْبَحْرُ يَرَاهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ
لَا تَعْدِلِينِي عَلَى مَالٍ وَصَلَتْ بِهِ
يَسْمَعِي الْقَتَى وَجَمَامُ الْمَوْتِ يُذْرِكُهُ
إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنِّي سَوْفَ يُذْرِكُنِي

لصفي الدين الحلبي

٢٥٤

سَلِي الرِّمَاحِ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالِنَا
وَسَائِلِي الْعَرَبِ وَالْأَثْرَاكَ مَا فَعَلْتُمْ
وَأَسْتَشْهَدِي أَلْبِيضَ هَلْ خَابَ الرَّجَائِفُنَا
فِي أَرْضِ قَبْرِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَيْدِنَا
عَمَّا زُومُوا وَلَا جَابَتْ مَسَاعِينَا
دَنَا الْأَعَادِي كَمَا كَانُوا يَدِينُونَا
يَا يَوْمَ وَقَعَةَ زُورَاءَ الْعِرَاقِ وَقَدْ

بِصْمَرٍ مَا رَبَطَهَا مُسَوِّمَةً
 وَفَتِيَّةٍ إِنْ نَقَلَ أَصْغَوْا مَسَامِعَهُمْ
 قَوْمٌ إِذَا اسْتَخْصِمُوا كَانُوا فِرَاعِنَةً
 تَدْرَعُوا الْعَقْلَ جِلْبَابًا فَإِنْ حَمِيَتْ
 إِذَا أَدْعَوْا جَاءَتْ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً
 إِنْ الزَّرَارِيذُ لَمَّا قَامَ قَانِئَهَا
 ظَنَّتْ تَأْتِي الْبُرْزَةَ الشُّهْبِ عَنْ جَزَعٍ
 ذَلُّوا بِأَسْيَافِهَا طُولَ الزَّمَانِ قَدْ
 لَمْ يُغْنِهِمْ مَا لَنَا عَنْ نَهْبِ أَنْفُسِنَا
 نَمُّ أُنْتِنَا وَقَدْ ظَلَّتْ صَوَارِمُنَا
 وَلِلدَّمَاءِ عَلَى أَثْوَابِنَا عَلَقُ
 إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرَفًا
 بِيضُ صَنَائِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا
 لَا يَظْهَرُ الْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مَنِي
 إِلَّا لِنَغْزُو بِهَا مَنْ بَاتَ يَغْزُونَا
 لِقَوْلِنَا أَوْ دَعَوْنَاهُمْ أَجَابُونَا
 يَوْمًا وَإِنْ حُكِّمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
 نَارُ الْوَعْيِ خِلَّتْهُمْ فِيهَا مَجَانِينَا
 وَإِنْ دَعَوْا قَالَتِ الْأَيَّامُ آمِينَا
 تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
 وَمَا دَرَّتْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَهْوِينَا
 تَحْكُمُوا أَظْهَرُوا أَحْقَادَهُمْ فِينَا
 كَانَتْهُمْ فِي أَمَانٍ مِنْ تَقَاضِينَا
 مَيْسُ مَحْجَبًا وَتَهْتَرُ الْقَنَا لِينَا
 بَشْرِهِ عَنْ عَيْدِ الْمَيْسِكِ يُغْنِينَا
 أَنْ تَبْتَدِي بِالْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا
 خُضْرُ مَرَابِئِنَا حَمْرُ مَوَاضِينَا
 وَلَوْ رَأَيْنَا الْمُنَايَا فِي أَمَانِينَا

قصيدة السمور في الفخر

٢٥٥

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدَنْسْ مِنَ اللَّوْمِ عِرْضَهُ
 وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْجِلْ عَلَى النَّفْسِ صَمِيمًا
 تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
 وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
 فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
 فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ التَّكْثَارِ سَبِيلٌ
 قُلْتُ لَهَا إِنْ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
 شَبَابُ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولُ

وَمَا ضَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
 لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مِنْ نُجَيْرِهِ
 رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ
 هُوَ الْأَبْلَقُ الْقَرْدُ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ
 وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَةً
 يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَانَنَا لَنَا
 وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ
 تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَاتِ نَفْسُنَا
 صَفَوْنَا وَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرْنَا
 عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطْنَا
 فَخْنُ كَمَاءِ الْمُرْنِ مَا فِي نِصَابِنَا
 وَنُكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ
 إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ
 وَمَا أَخِجِدَتْ نَارُ لَنَا دُونَ طَارِقِ
 وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا
 وَأَسَافِنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
 مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تَسْلَ نِصَالَهَا
 سَلَى إِنْ جَهَلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنَّهُمْ
 فَإِنَّ بَنِي الدِّيَانِ قُطِبَ لِقَوْمِهِمْ
 عَزِيدٌ وَجَارٌ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
 مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
 إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يَسَالُ طَوِيلُ
 يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطْوِلُ
 إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَالُ
 وَتَكْرَهُهُ أَجْلَهُمْ قَطْوِلُ
 وَلَا طَلَّ يَوْمًا حَيْثُ كَانَ قَبِيلُ
 وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَاتِ بَسِيلُ
 إِنَاثُ أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَفُجُولُ
 لَوْ قَتِ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ زُولُ
 كَهَامٌ وَلَا فِينَا يَمْدُ بَجِيلُ
 وَلَا يُكْرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
 قَوْلٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَمَوْلُ
 وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ زَبِيلُ
 لَهَا غُرٌّ مَعْلُومَةٌ وَفُجُولُ
 بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ
 فَتَعَمَّدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ
 فَلَيْسَ سِوَاهُ عَالِمٌ وَجَهْلُولُ
 تَدُورُ رِحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَفُجُولُ

البابُ الخامس عشر في المراسلات

مراسلات بين الملوك والامراء

كتاب ابي القاسم الحريزي الى الوزير سعد الملك يستغيثه على
العرب الذين غزوا مدينة البصرة

٢٥٦ لو اطلع مولانا على ما فاجأ البصرة واهلها من الفتك والقهر .
والتهب والاسر . الى ما منوا به من الشتات . واقضاح الحشرات .
واحتراق المساكين والحانات . وانتشار الفساد . الى قرى السواد .
لراى منظرًا يخرق الالكباد . ويكي العين الجماد . وقد اشرفت
البصرة على العفاء . والحاق بالصخر آء . وان يورخ انه رأسها في هذه
الدولة الفراء . اذ كان توالى عليها من الأحداث . في هذه السنين
الثلاث . ما يدمر عمر البلدان ولم يهد مثله في سالف الزمان . فان
انعم وعجل النظر للرعية . بترتيب النجدة القوية . وانسقاط معامله
الذرب . في الهرب من العرب . ولاخفاء بما في نفيس الكرب من القرب

وكتب اليه يشكره واصحب كتابه بقصيدة

٢٥٧ دعا العبد للنجاس القلاني دامت جدوده سعيدة . وسعوده
جديدة . وعلياؤه محسودة . واعدائه محسودة . دعاء من يقرب
ياصداره . على بعد داره . ويقتصر عليه ساعاته . مع قصور مسعاته .

وَشُكْرُهُ لِلْإِنَّمَاءِ الَّذِي أَوْصَلَهُ إِلَى التَّحْمِيلِ وَالتَّامِيلِ . وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ
التَّوْبِيهِ وَالتَّوْبِيلِ . شَكَرَ مَنْ أَطْلَقَ مِنْ أَسْرِهِ . وَأَذِيقَ طَعْمَ الْبَسْرِ بَدَ
عُسْرِهِ . وَلَوْ نَهَضَتْ بِهِ الْقَدَمَانِ . وَأَسْعَدَهُ عَوْنُ الزَّمَانِ . لَقَدِمَ اعْتِمَادَ
الْبَابِ الْمُغْمُورِ . وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ إِسْرَاعُ الْعَبْدِ الْمَأْمُورِ . لِيُؤَدِّيَ بَعْضَ حُقُوقِ
الْإِحْسَانِ . وَيَتَلَوَّصُحَفَ الشُّكْرِ بِاللِّسَانِ . لَكِنَّ أُنَى يَنْهَضُ الْمُقْعَدُ . وَمَنْ
لَهُ إِنْ يَضَعِدَ فَيَسْعَدُ . وَلَمَّا قَصُرَتْ خُطْوَةُ الْعَبْدِ وَحُرِمَ حُضُوعَةُ الْقَصْدِ .
وَلَزِمَهُ مَعَ وُضُوحِ الْعُذْرِ . أَنْ يُفْصِحَ عَنِ الشُّكْرِ . حُكْمٌ بِمَا يُثْبِتُ عَنْ فِكْرِهِ
الرَّيْضِ . وَيَشْهَدُ بِطَعِ طَبْعِهِ فِي الْقَرِيضِ . وَلَوْلَا أَنَّ الْهُدْيَةَ عَلَى
حَسَبِ مُهْدِيهَا . وَبِهِ تَعَلَّقَ مَسَاوِيهَا . لَمَا قَدَّرَ أَنْ يَهْدِيَ الْوَرَقَ إِلَى الشَّجَرِ .
وَيُبَيِّضُ شِعْرًا كِيَاضَ الشَّعْرِ . هَذَا عَلَى أَنْ ذَنْبَ الْمُتَعَرِّفِ مَغْفُورٌ .
وَالْمُجْتَهِدِ وَإِنْ أَخْطَأَ مَعْدُورٌ . وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَلْحَقَ بِمَنْ نَيْتُهُ خَيْرٌ مِنْ
عَمَلِهِ . لِيَبْلُغَ قَاصِيَةَ أَمَلِهِ . وَاللَّارَاءَ الْعَلِيَّةَ فِي تَشْرِيفِ خِدْمَتِهِ
بِالْإِسْتِعْرَاضِ . وَصَوْنِ مِدْحَتِهِ عَنِ الْإِعْتِرَاضِ . وَتَأْهِيلِهِ مِنْ مَرَايَا
الْإِيْجَابِ وَالْجَوَابِ . بِمَا يُمَيِّزُهُ عَلَى الْأَحْزَابِ . مَزِيدُ الْعُلُوِّ (لِلْحَرِيرِيِّ)

نسخة كتاب من نائب الشام الى نائب حلب يخبره بوفاة الملك الصالح

٢٥٨ إِنَّ الْمَرْسُومَ الشَّرِيفَ زَادَهُ اللَّهُ شَرَفًا وَرَدَّ عَلَى الْمَمْلُوكِ
يَتَّصِنُ خَيْرِينَ . هَذَا سَاءٌ وَهَذَا سَرٌّ . وَهَذَا عَقُّ الْقُلُوبِ وَهَذَا بَرٌّ . وَهَذَا
ضَرُّ الْجَوَانِحِ وَهَذَا نَفْعٌ أَضْعَافَ مَا ضَرَّ . أَمَّا الْأَوَّلُ فِيمَا قَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
وَقَدَّرَهُ مِنْ وَفَاةِ أَسْتَاذِنَا السُّلْطَانِ السَّعِيدِ . وَابْنِ أَسْتَاذِنَا السُّلْطَانِ

السَّعِيدِ الشَّهِيدِ . الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَصَرَ اللَّهُ شَبَابَهُ . وَأَسْقَى عَهْدَ الرِّضْوَانِ
عَهْدَهُ وَتُرَابَهُ . يَمْرُضُ كَمَا سَمِعَ مَوْلَانَا لَمْ تَنْفَعِ فِيهِ الْأَدْوِيَّةُ وَالرُّقَى .
وَعَرَضَ اسْتَوَى عَلَى ذَلِكَ الْجَوْهَرِ الْفَرِيدِ فَتَرَكَهُ بَعْدَ حَرَكَةِ الْفِئَاءِ
لِقَى . وَارِدَ خُطْبٍ لَمْ تَزِدْهُ الْبُرُوجُ الْمَشِيدَةَ وَالْجُنُودُ الْمَجِيدَةَ

وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَجِبَةَ قَبْلَنَا وَأَعْيَادَ وَاهِ الْوَتِ كُلِّ طَيْبٍ
وَأَمَّا الثَّانِي فِيمَا حَبَاهُ اللَّهُ وَهَنَاهُ مِنْ جُلُوسِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْأَعْظَمِ
الْمَلِكِ الْكَامِلِ سَيْفِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ أَبِي التُّنُوحِ شَعْبَانَ أَخِيهِ خَلَدَ اللَّهُ
مُلْكَهُ عَلَى سَرِيرِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ . سُلْطَانًا عَادِلًا وَمَلِكًا نَشَأَ فِي أَفْقِ
الْمَلِكِ هَلَالًا إِلَى أَنْ ظَهَرَ كَامِلًا . وَسَيِّمًا تَخَضَعُ لِعِزَّتِهِ رِقَابُ مَلُوكِ الْغَرْبِ
وَالشَّرْقِ . وَمُتَوَجِّا يَظْهَرُ بِإِشْرَاقِ جَيْدِهِ مَا بَيْنَ الْمَلُوكِ مِنَ الْفُرْقِ . وَإِنَّ
كَلِمَةَ الْإِجْمَاعِ انْتَقَدَتْ عَلَى مُلْكِهِ الرَّفِيعِ . وَإِنَّ الْعِزَّاءَ الْمُتَضَبِّ
يَجِيءُ بِالْهِنَاءِ السَّرِيعِ . وَإِنَّ الطَّلْعَةَ الشَّرِيفَةَ قَدْ أَطْلَعَتْ فِي أَفْقِ
الْمَلِكِ الْمَرْجَبِ هَلَالِ شَعْبَانَ فِي رَبِيعِ . فَسَرَّتِ السَّرَائِرَ وَضُرِبَتْ بَعْدَ
ضُرُوبِ الْهِنَاءِ نُوبُ الْبِشَائِرِ . وَأَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَالْمَدُنُ زِينَتَهَا
مِنْ كُلِّ زَاهٍ وَزَاهِرٍ . سَجَعَتِ الْخُطْبَاءُ بِالْإِسْمِ الشَّرِيفِ فَكَادَتْ أَنْ
تُورِقَ أَعْوَادُ الْمُنَائِرِ . وَظَهَرَتْ بِالْإِبْتِهَاجِ حَتَّى عَلَى وُجُوهِ الدَّرَاهِمِ .
وَالدَّنَانِيرِ أَمَازُ . وَأَصْبَحَتْ أَيْدِي الرِّجَاءِ بِهَا مَلِيَّةً . وَتَسَابَقَتْ
الْأَلْسُنُ بِمُحْمَدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ جَعَلَ هَذَا الْبَيْتَ الشَّرِيفَ مُجُومَ سَمَاءِ
كَلَّمَ غَابَ كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُ بَهِيَّةٍ . وَجَهَزَ الْمَمْلُوكُ الْإِنْقَالَ

الشريف المختص مولانا ليأخذ حظه من هذبه البشري . وينشرها من
 طي البروج مع نجات الروض تترى . قطع الرعايا من فضل الهناء
 إلى أحسن المطامح . ورضون عن باقي الزمان وماضيه فيصفونه
 يكامل وصف وينون عليه بصلاح . والله تعالى يملأه البشر أوطارا
 وأوطانا . ويسر الدين والدنيا أبدا بتلاوة هذا البيت الشريف . ويجمل
 لهما سلطانا آخره : وأحمد لله وحده (الكتز المدفون للسيوطي)

لابي بكر الخوارزمي الى والي بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة

٢٥٩ ورد علي كتاب الفقيه بعد تراخ كان إليه وحرص عليه . وبعد
 أن أقرخته على الدهر . وحلت فيه ربة الغراء والصبر . ولم أذر
 بأيهما أنا أشد سرورا بالكتاب وهو أيسر وأصل . أم بحامله وهو
 أجل حامل . فلان ولدي قد أقطمت له من قراني فلذة على أنني لو
 درسته حتى تحقى الأقلام . وينفى الكلام . وتحصر الأفهام والأوهام .
 ثم لفته العلم لثمة . وسبكت له الأدب فقرة . وألمته جوامع
 الكلم . وأفرغت في خاطره آداب العرب والعجم . وخرجت له من
 حد الإفهام . إلى حد الإلهام . لكننت فيه عن قضاء حق من حقوق
 الفقيه قاصرا . ولكان وقوعي دون أدنى مواجبه علي ظاهرا . ولكن
 الإقرار عذر قوي . كما أن الإنكار ذنب طوي . وقد كان هذا
 الولد أدبيا مجتملا . فصار بحمد الله تعالى أدبيا مفضلا . وكان أغر فصار
 أغر مجتملا . وأزجو أن الله يحيي به ماثر سلفه الصالحين . ويعلي به

مَنَازِلِ آبَائِهِ الْأَوَّلِينَ. فَيَكُونُ أَوْلَهُمْ عِلْمًا وَأَدَبًا. وَهُوَ آخِرُهُمْ مِيلَادًا وَنَسَبًا

في الأشواق وحسن التواصل

كتب ابو النصر العتيبي كاتب السلطان محمود الى صديق له

٢٦٠ هَذَا يَوْمٌ قَدْ رَقَّتْ غَلَابِلُ صَحْوِهِ وَهَبَّتْ شَمَائِلُ خَيْرِهِ .
وَصَحَّكَتْ تُنُورُ رِيَاضِهِ . وَأَطْرَدَ وَرُودُ النَّسِيمِ فَوْقَ حِيَاضِهِ . وَفَاحَتْ
مَجَامِرُ الْأَزْهَارِ . وَانْتَثَرَتْ فَلَانِدُ الْأَغْصَانِ مِنْ فَرَايِدِ الْأَنْوَارِ . وَقَامَ
خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ . عَلَى مَنَابِرِ الْأَشْجَارِ . وَدَارَتْ أَفْلاكُ الْأَيْدِي بِشُمُوسِ
الرَّاحِ . فِي بُرُوجِ الْأَقْدَاحِ . فَجَبَّحَتِ الْقُوَّةُ الَّتِي زَانَ اللَّهُ بِهَا طَبْعَكَ .
وَالْمُرُوءَةُ الَّتِي قَصَرَ عَلَيْهَا أَصْلُكَ . وَقَرَعَتْكَ . إِلَّا مَا تَفَضَّلْتَ عَلَيْنَا بِالْحُضُورِ .
وَتَطَمَّتْ لَنَا بِكَ عُقُودُ السُّرُورِ (حلبة الكميث للنواجي)

كتب الشيخ البسطامي الى بعض السادة

٢٦١ أَمَا بَعْدُ فَالْعَبْدُ الْكَلِيمُ . يُنْهِي إِلَى السَّيِّدِ الرَّجِيمِ . مِنْ شَوْقِهِ
الَّذِي مَلَكَ قِيَادَهُ . وَعَمَرَ بِقَوَائِدِهِ فُؤَادَهُ . وَمَا بَرِحَ الْعَبْدُ يَدْعُو لِمَوْلَانَا
فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ . وَيُنْشِرُ عَلَى بَسَاطِ إِحْسَانِهِ جَوْهَرَ شُكْرِهِ . وَيَشْهَقُ
إِلَيْهِ تَشَوُّقَ السَّاهِرِ إِلَى الْمَنَامِ . وَيَهْدِيهِ مِنْ ثَنَائِهِ أَحْسَنَ مِنْ ضَحِكِ
الرَّزْمَرِ لِبُكَاءِ الْعَمَامِ :

وَالرُّوضُ يَبْدُو زَهْرَهَا مُتَبَسِّمًا فَكَأَنَّهُ لِبُكَاءِ الْعَمَامِ قَدِ اشْتَقَى
وَقَدْ سَطَرَتْ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةُ مَظْهَرًا مِنْ إِحْسَانِ مَوْلَانَا مَا لَا يَحْتَقِ .
وَذَا كِرَامِينَ تَفَضَّلَاتِهِ مَا تَعَجُّزُ عَنْهُ الْأَلْسُنُ وَصَفًا . الْمَسْئُولُ مِنْ صَدَقَاتِهِ

حُسْنُ الْوَصِيَّةِ يُوَفِّدُ سَلَامِهِ . وَوَارِدِ كَلَامِهِ . فَإِنَّ الْعَبْدَ يَرَى لَهُ
 حَقًّا فِي أَوَّلِ رِسَالَتِهِ إِلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ . وَيُؤَثِّرُهُ لَوْ قُوعِ
 عَيْنِهِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ الْوَسِيمِ . وَكَانَ يُوَدُّ أَنْ لَوْ كَانَ مَكَانَ هَذَا
 الْكِتَابِ . وَسَاعَدَتِ الْأَيَّامُ عَلَى زِيَارَةِ ذَلِكَ الْجَنَابِ . فَإِنَّ رُؤْيَكُمْ بِمَا
 تَبْتَهَجُ بِهَا الْخَوَاطِرُ . وَتَتَمَتُّ بِهَا الْقُلُوبُ أُنْعِمَاشَ الرُّوضِ إِذَا بَاكَرْتَهُ
 الْقِيَوْمَ الْخَوَاطِرُ . لَا زَالَ مَوْلَانَا وَافِرَ الْإِحْسَانِ . مُتَرِيًّا بِأَحْسَنِ مَنَاقِبِ
 الْإِنْسَانِ (مناهج التوسل لعبد الرحمن البسطامي)

كتب ابو عبد الرحمن محمد بن طاهر الى صاحب قلبيرة يستدعي منه اقلاما

٢٦٢ قَدْ عَدِمْتَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ بِهَذَا الْقَطْرِ الْأَقْلَامُ . وَبِهَا
 يَشْخَصُ الْكَلَامُ . وَهِيَ حَلِيَّةُ الْبَيَانِ . وَرَجْحَانُ اللَّسَانِ . عَلَيْهَا تَفْرَعُ
 شِعَابُ الْفِكْرِ . وَذِكْرُهَا مُنْزَلٌ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ . وَمَنَابِتُهَا بَلْدُكُ . وَبِيَدِكَ
 فِيهَا يَدُكَ . وَأُرِيدُ أَنْ تَرْتَادَ لِي مِنْهَا سَبْعَةٌ كَعَدَدِ الْأَقَالِمِ . حَسَنَةٌ
 الْقَلَمِ . فَضِيَّةُ الْأَدِيمِ . وَلَا يُعْتَمَدُ مِنْهَا إِلَّا صَلِيحُهَا . الطُّوَالُ أَنَا بِيَدِهَا . وَإِذَا
 أَسْتَمَدْتُ مِنْ أَنْعَاسِهَا . وَأَفَاكَ الشُّكْرُ مِنْ أَنْفَاسِهَا (قلاند العقيان)

كتب ابو بكر الخولاني الى كاتب

٢٦٣ إِعْتَدَرَ سَيِّدِي مِنْ صَبْرِ الْكِتَابِ وَأَخْتَصَّارِهِ . قَهْدَ أَعْنَاهُ اللَّهُ
 تَعَالَى عَنْ تَكْلُفِهِ مِنْ أَعْتِدَارِهِ . وَإِنَّمَا الصَّغِيرُ مَا صَغُرَ قَدْرُهُ . لَا مَا صَغُرَ
 حُجْمُهُ . فَأَمَّا مَا أَقَادَ . وَجَاوَزَ الْمُرَادَ . فَلَيْسَ بِصَغِيرٍ . بَلْ أَكْبَرُ مِنْ كَبِيرٍ .
 وَأَمَّا شُكْرُهُ لِي عَلَى تَفْضِيلِي لِكَلَامِهِ . فَإِنِّي مِنْ هَذَا بَعْدُ فِي مَيْدَانِ

عَرِيضٌ مَدِيدٌ . وَفِي شَوَاطِئِ بَعِيدٍ . لَمْ أَبْلُغْ عَشْرَ عَشْرِهِ . وَلَمْ أَقْضِ مِنْهُ
 أَيْسَرَ لَيْسَرِهِ . وَاحْتَقُ أَيُّ وَإِنْ اجْتَهَدْتُ فَأَتِي غَيْرُ بَالِغٍ مِنْهُ مَا فِي ضَمْنِ
 النِّبَةِ . وَلَا آتٍ عَلَى مَا فِي أَلْهَمَةِ وَالْأُمْنِيَةِ . وَلِكِنِّي سَأَقِفُ عَقْلِي أَنْتَهَاءَ
 الطَّاقَةِ . وَأَحْمِلُ مُجْهُودِي أَقْصَى الْغَايَةِ . وَالْتِمَادُحُ بَيْنَنَا بَعْدَ الْحَالِ
 الَّتِي عَثَمْتُ حَتَّى أَخْلَقْتُ . وَقَدُمْتُ حَتَّى هَرَمْتُ . فَصَلِّ لِأُجْتَنَّبَ إِلَيْهِ
 وَلَا يُرَجَّعُ عَلَيْهِ . وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجْعَلَ أَخُوْتَنَا مُتَّصِلَةً فِي الدُّنْيَا
 بِأَخُوْتِنَا يَوْمَ الدِّينِ . فَإِنَّ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ

في العتاب واللوم والاعتذار

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى تلميذه له

٢٦٤ إِنْ كُنْتَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَا تَرَانَا مَوْضِعًا لِلزِّيَارَةِ . فَتَحْنُ فِي مَوْضِعِ
 الْأَسْتِرَادَةِ . وَإِنْ كُنْتَ تَعْتَمِدُ أَنَّكَ قَدْ اسْتَوْفَيْتَ مَا كَانَ لَدُنْيَا .
 فَسَقَطَ حَقُّنَا عَنْكَ وَبَقِيَ حَقُّكَ عَلَيْنَا . فَقَدْ يَزُورُ الصَّحِيحُ الطَّيِّبُ بَعْدَ
 خُرُوجِهِ مِنْ دَائِهِ . وَأَسْتَعْنَاهُ عَنْ دَوَائِهِ . وَقَدْ تَجَنَّزَ الرَّعِيَّةُ عَلَى بَابِ
 الْأَمِيرِ الْمَعْرُولِ فَتَجَمَّلَ لَهُ وَلَا تَعْيَرُهُ عَزْلُهُ . وَلَوْ لَمْ تَرُدَّنَا إِلَّا لِتَرْبِنَا
 رُجْحَانِكَ . كَمَا طَلَّمَا رَأَيْنَا نَقْصَانَكَ لَكُنَّا ذَلِكَ فِعْلًا صَانِبًا . وَفِي
 الْقِيَاسِ وَاجِبًا

٢٦٥ لما أراد الملك الناصر مبايعة ابنه أبي مروان اتخذ لذلك صنيعاً في قصر الزهراء . وأرسل
 فاستدعى وجوه مملكتيه . فلم يتخلف من بينهم إلا أبو ابراهيم من أكابر علماء المالكية . فأمر
 الخليفة ولي العهد بالكتاب اليه والتغيب له فكتب اليه رقعة نحتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَفِظَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاكَ وَسَدَّدَكَ

وَرَعَاكَ . لَمَّا امْتَحَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلَايَ وَسَيِّدِي أَبَقَاهُ اللَّهُ الْأَوْلِيَاءَ
الَّذِينَ يَسْتَعِدُّ بِهِمْ وَجَدَكَ مُتَقَدِّمًا فِي الْوَلَايَةِ مُتَأَخِّرًا عَنِ الصَّلَاةِ . عَلَى
أَنَّهُ قَدْ أَنْذَرَكَ اللَّهُ خُصُوصًا لِلْمُشَارَكَةِ فِي السُّرُورِ الَّذِي كَانَ
عِنْدَهُ لَا أَعَدَّمَهُ اللَّهُ تَوَالِي الْمَسْرَةِ . ثُمَّ أَنْذَرْتَ مِنْ قَبْلِ إِبْلَاعِي فِي
التَّكْرَمَةِ فَكَانَ مِنْكَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ التَّخَلُّفِ مَا ضَاقَتْ عَلَيْكَ فِيهِ
الْمُعْذِرَةُ . وَأَسْتَبْلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِنْكَارِهِ وَمُعَايَنَتِكَ عَلَيْهِ فَأَعَيْتَ
عَلَيْكَ عَنْكَ الْحُجَّةَ . فَمَرَّفَنِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مَا الْعُذْرُ الَّذِي أَوْجَبَ
تَوَقُّفَكَ عَنْ إِبْجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَمُشَاهَدَةِ السُّرُورِ الَّذِي سُرَّ بِهِ وَرَغِبَ
الْمُشَارَكَةَ فِيهِ . لِنَعْرِفَهُ أَبَقَاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فَتَسْكُنَ نَفْسُهُ الْعَزِيزَةُ إِلَيْهِ

٢٦٦ (فَأَجَابَهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ) سَلَامٌ عَلَى الْأَمِيرِ سَيِّدِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ
قَرَأْتُ أُنْبَى اللَّهِ الْأَمِيرِ سَيِّدِي هَذَا الْكِتَابَ وَفَهَّمْتُهُ . وَلَمْ يَكُنْ تَوَقُّفِي
لِنَفْسِي إِنَّمَا كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدِنَا . لِعِلْمِي بِمَنْهَجِهِ وَسُكُونِي إِلَى
تَعَوُّاهُ وَأَقْفَانِيهِ لِأَنَّهُ سَلَفَهُ الطَّيِّبُ فَإِنَّهُمْ يَسْتَبِقُونَ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ بَقِيَّةً
لَا يَمْتَنِعُونَهَا بِمَا يَشِينُهَا وَلَا بِمَا يُفْضُ مِنْهَا وَيُطْرَقُ إِلَى تَقْيِصِهَا . يَسْتَعِدُّونَ
بِهَا لِلدِّينِيَّةِ وَيَتَرْتَبُونَ بِهَا عِنْدَ رِعَايَاهُمْ وَمَنْ يَقْدُ عَلَيْهِمْ مِنْ قُضَاةِهِمْ .
فَلِهَذَا تَخَلَّفْتُ وَلِعِلْمِي بِمَنْهَجِهِ تَوَقَّفْتُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . (الْمَقْرِي)

٢٦٧ قال السيد عباس بن علي الموسوي المكي في صدر كتاب ارسل به الى الأمير ناصر
في بندر الخا شاكياً عليه صاحب السبار وهو اذ ذاك في البندر المذكور:

قُلْ لِلْأَمِيرِ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ مَا هَكَذَا شَرَطُ جَارِ الْجَنْبِ بِالْجَارِ

قَدْ اسْتَجَرْتُ بِكُمْ مِنْ كَافِرٍ دَنِسٍ قَطْرٍ عَلِيظٍ لِعَيْنِ نَسْلِ كَفَّارٍ
يُعْطِي السَّبَّارَ إِلَى مَنْ يَشْتَهِي وَأَنَا يُعْطِي سِبَّارِي بِإِقْتَارٍ وَإِعْسَارٍ
وَالغَيْرُ يُعْطِيهِ مَا يَهْوَاهُ خَاطِرُهُ مِنْ الطَّعَامِ وَمِنْ بَرٍّ وَدِينَارٍ
لَوْ أَنَّ لِي غَيْرَ هَذَا الرِّزْقِ مَا نَظَرْتُ عَيْنِي لَهُ قَطْرًا فِي سِرِّي وَإِجْهَارِي
لَكِنْ مَوْلَايَ يَذْرِي أَنَّ لَيْسَ لَنَا سِوَى السَّبَّارِ الَّذِي يَأْتِي بِمِقْدَارِ
فَكَيْفَ تَفْعَلُ عَنَّا يَا أَمِيرُ وَقَدْ أَوْصَى الْمَلِيكَ بِأَوْحَالِقِ الْبَارِي
فَأَنْظُرْ بَيْنَ كِرَامٍ فِي جَوَاهِرِهِمْ وَلَا تَكُنْ لِي لَتَرِيفٍ وَتَذْكَارِ
وَلَا تَدْعِنِي أَقْلَ مَا قِيلَ مِنْ قِدَمِ بَيْتَاغِدَا مَثَلًا بَيْنَ الْمَلَا جَارِي
الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

لعمر بن بحر الجاحظ في الاعتذار

٢٦٨ أَمَا بَعْدُ فَنِعْمَ الْبَدِيلُ مِنَ الزَّلَّةِ الْإِعْتِدَارُ . وَيَسَّ الْعَوْضُ مِنْ
التَّوْبَةِ الْإِضْرَارُ . فَإِنَّهُ لَا عَوْضَ مِنْ إِخَابِكَ . وَلَا خَلْفَ مِنْ حُسْنِ
رَأْيِكَ . وَقَدْ ائْتَمَّتْ مِنِّي فِي زَلَّتِي بِجَهَائِكَ . فَأَطْلُقْ أَسِيرَ تَشَوُّقِي
إِلَى لِقَائِكَ . فَإِنِّي بِعَمْرٍو بِلُؤْغِ حِلْمِكَ وَغَايَةِ عَفْوِكَ صَنَيْتُ لِنَفْسِي
الْمَقْوَمَ مِنْ زَلَّتِي عِنْدَكَ . (أَمَا بَعْدُ) فَقَدْ مَسَّنِي مِنَ الْأَلَمِ مَا لَمْ يَشْفِهِ غَيْرُ
مُواصَلَتِكَ مَعَ حَبْسِكَ الْإِعْتِدَارَ مِنْ هَفْوَتِكَ . وَلَكِنْ ذَنْبِكَ تَعْتَرُهُ
مَوَدَّتُكَ فَأَمْنُنْ عَلَيْنَا بِصِلَتِكَ تَكُنْ بَدَلًا مِنْ مَسَاءَتِكَ . وَعَوْضًا مِنْ
هَفْوَتِكَ . (أَمَا بَعْدُ) فَإِنِ أَوْلَى النَّاسِ عِنْدِي بِالصَّفْحِ مَنْ أَسْلَمَهُ إِلَى
مُلْكِكَ أَلْتِاسُ رِضَاكَ مِنْ غَيْرِ مَقْدَرَةٍ مِنْكَ عَلَيْهِ (لابن عبد ربه)

كتب أبو بكر الخوارزمي الى تلميذه له قطع في مجلس وكابر واخاط

٢٦٩ بَلِّغْنِي أَنْكَ نَاطَرْتُ . فَلَمَّا تَوَجَّهْتَ عَلَيَّ الْحُجَّةُ كَارَتْ . وَمَا
وَضِعْ نِيرُ الْحَقِّ عَلَى عُنُقِكَ صَجِرَتْ وَتَضَا جَرَتْ . وَقَدْ كُنْتَ أَحْسَبُ أَنْكَ
أَعْرَفُ بِالْحَقِّ مِنْ أَنْ تَعْتَهُ . وَأَهْيَبُ لِلْحَبَابِ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ مِنْ أَنْ
تَشْفَهُ . كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الصَّخْرِ نَاطِقٌ بِالْحُجْرِ . وَأَنَّ وَجْهَ الظُّلَمِ
مُبْرَقِعٌ بِالْفَيْحِ . وَأَنَّكَ إِذَا اسْتَدْرَكْتَ عَلَى نَقْدِ الصَّيَارِفَةِ . وَتَبَّعْتَ
خَطَأَ الْحُكَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ . فَقَدْ طَرَقْتَ إِلَى عَيْنِكَ لِمَا يَبُكُ . وَتَصَرْتَ
عَدُوَّكَ عَلَى صَاحِبِكَ . وَقَدْ عَجَّيْتُ مِنْ حُسْنِ ظَنِّكَ بِكَ . وَأَنْتَ إِنْسَانٌ
وَاللَّهُ أَسْتَعَانُ

في المدح

كتاب البسطامي الى بعض الاصحاب

٢٧٠ وَصَلَ شَرِيفُ الْكِتَابِ . مِنْ رَجِيمِ الْجَنَابِ . أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ .
وَرَادَ إِقْبَالَهُ وَسَيَادَتَهُ . وَهُوَ بَدِيعُ الْمَمَانِي . رَفِيعُ الْمُبَانِي . بِجَلِيِّ الرَّوْضِ
مَسْطُورٍ . وَالْوَشِيِّ مَشُورٍ . بِمِخْطِ كَالنَّارِ أَوْ أَزْهَرِ . وَلَقَطِ كَالدَّرِ
أَوْ أَنْوَرِ . وَصَلَ فَأَوْصَلَ أَنْسَا كَانَ بَعِيدًا . وَمَمْلَأَ قَلْبًا كَانَ الشُّوقُ إِلَيْهِ
عَمِيدًا . فَأَمَّا مَا أَعَارَنِي مِنْ فَضَائِلِهِ الْعَلِيَّةِ . وَقَوَائِصِهِ الْجَلِيَّةِ . الَّتِي هُوَ
مَوْسِمٌ بِجَلَّتِيهَا . وَمُتَمِّمٌ لِبُحْتِيهَا . فَهُوَ بِلِ بَصَالِحِ الدَّعَاءِ . وَقَفَائِحِ الْحَمْدِ
وَالْتِنَاءِ . أَدَامَ اللَّهُ لِدَيْدِ خِطَابِهِ بِالزُّلَالِ . وَجَدِيدِ كِتَابِهِ بِالنُّوَالِ

٢٧١ من لطائف القاضي محمد بن أحمد قوله مجاوبا محمد بن خليل السمرجني الجداوي
أزهر الربا أهديت أم لؤلؤ المعقد أم الزهر جاءت في بديع من السرد

أم الروض لا فالروض ماء وتربة
 أم السمات العاطرات تارجت
 وما هي إلا بنت فكر فريدة
 نفانس أفكار أتت لم أجد لها
 ودر قريض رمت إدراك شأوه
 حل صانها من حاز كل فضيلة
 أخوال أدب الفرض الذي جمعت به
 أديب أريب ألمي هذب
 له خلق أزهي من الروض بايما
 لأنفاسه في الطرس أي تضوع
 فله ما أهديت يا بدر من يد
 أياد توالت منك عجلي كأنها
 وإني في عجزتي من الشكر سائل
 بمالك في سمي وطرفي وخاطري
 فوادك في قلبي الذ من المنى
 قدم زينة الأداب بدر كمالها
 وعشب وذاشي بجمل عن الحد
 بأعقب من منك قتيق ومن ند
 بنجتر من وشي البلاغة في برد
 جزاء سيوى الشكر المكمل بالحمد
 فقصر عنه في تطلبه كدي
 بها قد حل لي جيد المكارم والمجد
 المحاسن حتى صار يعرف بالفردي
 ذكي سجاياه تجمل عن الحد
 وذهن دقيق الفكر أمضى من الحد
 تصعد منه دائما عقب الند
 وكم لك أيضا قبلها من يد عندي
 شرار أطارته الألف على الزند
 مساحتي فيما أعيد وما أبدي
 من الصيت والمرأى المعظم والود
 وذكرك أحلى في لساني من الشهد
 ودرة تاج العصر واسطة العقد

٢٧٢ قال شرف المدرسين المفتي عبد الرحمان بن عيسى من قصيدة في صدر كتاب أرسل
 يد إلى الشيخ أبي العباس أحمد المقرئ المغربي عالم فارس وخطيبه مراجعاً:

واني لَنَا رَوْضٌ نَضِيرٌ أتوقُ لَسَامِيَّ عَنْ نَظِيرِ

فَفَضَّضْتُهُ فَرَأَيْتَهُ فِي الْحُسْنِ كَالدَّرِّ النَّبِيرِ
 وَتَشَقَّتْ مِنْ رِيَاءِهِ مَا يَسْتَوْعَلِي نَشْرَ الْعَمِيرِ
 فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ تَهْتَرُ فِي يَوْمِ مَطِيرِ
 أَزْهَارُهَا كَكَوَاكِبِ قَدْ زَيْلَتْ فَلَكَ الْأَثِيرِ
 وَآفِي فَكَأَدَ الْقَلْبُ مِنْ قَرَطِ السُّرُورِ بِهِ يَطِيرِ
 إِذْ جَاءَنَا مِنْ جَهَنَّمَ عِلْمٌ مَعَارِفُهُ كَثِيرِ
 عَلاَمَةٍ لَمْ يُلَفَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ لَهُ نَظِيرِ
 إِنْ جَالَ فِي التَّفْسِيرِ فَالتَّفْسِيرُ أَعْرَهُ يَسِيرِ
 وَإِنْ أَنْتَهَى لِلنَّحْوِ وَصَحَّحَهُ بِتَسْهِيلِ الْعَسِيرِ
 وَإِلَيْهِ فِي قَنْ الْبَلَاءِ عَ كُلِّ مَسْئُولٍ يُشِيرِ
 وَإِذَا تَعَانَى الشُّعْرَ قُلْتَ هُوَ الْفَرَزْدَقُ أَمْ جَرِيدِ
 يَأْمَنُ إِلَيْهِ الْمُتَهَيُّ فِي كُلِّ قَنْ وَالْمَصِيرِ
 إِسْلَمَ وَدَمٌ مَا دَامَتْ أَلْ أَفْلاكُ فِينَا تَسْتَدِيرِ

في الشكر والتهنئة

فصل لابي الفضل الميكالي الى بعض اخوانه في الشكر

٢٧٣ إِذَا لَمْ يُوْتِ الزُّرَّ فِي شُكْرِ الْمُنْعِمِ إِلَّا مِنْ عِظَمِ قَدْرِ الْإِنْعَامِ
 وَالْإِضْطِطَاعِ . وَأَسْتَفْرَاقِهِ مِنْهُ قُوَى الْأَسْتِقْلَالِ وَالْإِضْطِطَاعِ . فَلَيْسَ عَلَيْهِ
 فِي الْفُصُورِ عَنْ كُنْهِ وَاجِبِهِ عَنَبٌ . وَلَا تَلَحُّهُ فِيهِ نَقِصَةٌ وَلَا عَيْبٌ .
 وَلَئِنْ ظَهَرَ عَجْزِي عَنْ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنِّي أَحْمِلُ عَلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ

لَا يُعْزِزُهُ حَمَلُهُ . وَلَا يُؤَدُّهُ نِقْلُهُ . وَلَا يَزُكُّ الشُّكْرُ إِلَّا لَدَيْهِ . وَلَا تُعْرَفُ
الرَّغْبَةُ إِلَّا إِلَيْهِ . وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لِعَجْدِ يُقِيمُ أَعْلَامَهُ وَفَضْلُ يَفْضِي ذِمَامَهُ .
وَعَرَفَ يُثَبِّتُ أَقْسَامَهُ . وَوَلِيَّ يُوَالِي إِكْرَامَهُ . وَعَدُوَّ يُدِيمُ قَمَعَهُ وَإِرْغَامَهُ

لابن العميد الى عضد الدولة مهتنة بولدين

٢٧٤ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ دَامَ عِزُّهُ وَتَأْيِيدُهُ .
وَعُلُوُّهُ وَتَهْمِيدُهُ . وَبَسْطَتُهُ وَتَوَطُّيدُهُ . وَظَاهَرَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدُهُ .
وَهَنَاءَهُ مَا أَحْتَظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ . مِنْ تَوَافُرِ الْأَعْدَادِ وَتَكَثُرِ
الْأَمْدَادِ . وَتَثْمَرِ الْأَوْلَادِ . وَأَرَاهُ مِنَ النَّجَابَةِ فِي النَّيْنِ وَالْأَسْبَاطِ مَا
أَرَاهُ مِنَ الْكُرَمِ فِي الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ . وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرْقَةٍ .
وَنَفْسِهِ مِنْ مَسْرُوقَةٍ . حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ سَهْلِهِ . وَيَسْتَعْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ .
وَيَسْتَوِي مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ . وَعَرَفَهُ اللَّهُ السَّمَادَةَ فِيمَا بَشَّرَ عَبْدَهُ مِنْ
طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا أَنْبَعَا مِنْ نُورِهِ وَأَسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ . وَحَقًّا لِسِرِّيهِ .
وَجَمَلِ وَقَدَمَاهُمَا مُتَلَانَيْنِ . وَوَرُودَهُمَا تَوَآمِينَ . بِشِيرِينَ بِنْتَظَاهِرِ النِّعَمِ .
وَتَوَافُرِ الْقِسَمِ . وَمُؤَذِّنِينَ بِرَأْدِ بَيْنِ يَجْمَعُهُمْ مُخْرَقُ الْقَضَاءِ .
وَيُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أَفُقَ الْمَلَاءِ . وَيُنْتَهِي بِهِمْ أَمْدُ النَّوَاءِ . إِلَى غَايَةِ
تَفُوتِ غَايَةِ الْإِحْصَاءِ . وَلَا زَالَتِ السُّبُلُ غَايِرَةً . وَالنَّاهِلُ غَايِرَةً .
يَصَفَّاحِ صَادِرِهِمْ بِالْبَشْرِ وَأَمْلِهِمْ بِالنَّيْلِ الْقَاصِدِ

ولبعضهم في التهئة بالقدم من سفر

٢٧٥ أَهْنِي سَيِّدِي وَنَفْسِي بِمَا يَسِّرَ اللَّهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا . وَأَشْكُرُ

اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا قَائِمًا . غَيْبَةُ الْمَكَارِمِ مَثْرُونَةٌ بِغَيْبَتِكَ . وَأَوْبَةُ
النِّعَمِ مَوْضُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ . فَوَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُدُومَكَ مِنَ الْكِرَامَةِ
بِأَضْعَافٍ مَاقَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ السَّلَامَةِ . هُنَا اللَّهُ إِيَابَكَ . وَبَلَّغَكَ
مَحَابَبَكَ . مَا زِلْتُ بِالتَّيَّةِ مُسَافِرًا . وَبِأَفْعَالِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ لَكَ مُلَاقِيًا .
إِلَى أَنْ جَمَعَ اللَّهُ سَمَلَ سُرُورِي بِأَوْبَتِكَ . وَسَكَنَ نَافِرَ قَلْبِي بِعَوْدَتِكَ .
فَأَسْعَدَكَ اللَّهُ بِتَهْدِيمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ فِيهَا مُقَابَلًا وَبِالْأَمَانِي ظَافِرًا .
وَلَا أَوْحَشَ مِنْكَ أَوْطَانَ الْفَضْلِ وَرَبَاعَ الْمَجْدِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الخوارزمي الى وزير صاحب خوارزم بعد محتو يهنئه

٢٧٦ فَهَيْمَتْ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مِنَ تَوْبَةِ الدَّهْرِ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبِهِ . وَخُطِبَتْهُ
لِسُلْمِهِ بَعْدَ حَرَبِهِ . فَأَنْشَعَتْ ضَبَابُهُ الْخَيْخَةَ . وَهَكَذَا تَكُونُ أَحْوَالُ
الْمُقْبِلِينَ . فَإِنَّ الْأَيَّامَ إِذَا غَلِطْتَ فَحَجَّتْ عَلَيْهِمْ . رَجَعَتْ فَأَعْتَدَتْ
إِلَيْهِمْ . وَالزَّمَانَ إِذَا حَارَبَهُمْ خَطَأً سَأَلَهُمْ عَمْدًا . فَيَسْتَوْفُونَ فِي الْحَالَيْنِ
أَجْرَ الْخَيْخَةِ . وَزِيَادَةَ بِشُكْرِ النِّعْمَةِ . وَالْآنَ عَرِفَ الشَّيْخُ بِحَقِيقَتِهِ .
وَوُزِنَ بِرِزْتِهِ . وَوَقَفَ السُّلْطَانُ وَالرَّعِيَّةُ عَلَى تَفْصِيلِهِ وَجَمَلَتِهِ . هَذَا
وَقَدْ صَقَلَتْ هَذِهِ الْفِئْرَةُ خَلَائِقَ الشَّيْخِ بِالْتِمَارِ . وَوَضَعَتْ فِي
يَدِهِ مِرَاةَ النَّظَرِ فِي الْمَوَاقِبِ . وَهَدَبَتْ أَفْعَالَهُ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ .
وَعَسَلَتْ عَنْهُ وَضَرَّ كُلِّي عَيْبٍ . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ .
وَمَخْصُوصًا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ . وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ عَمَلَهَا فِي التَّعْلِيمِ . وَخَاصَّتْهَا فِي
بَابِ التَّنْبِيهِ وَالتَّقْوِيمِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ إِلَى ذَلِكَ الْأَمِيرِ جَمَالَهُ

وبهائه . وعمرَ بابهُ وفناءه . وسرَّ شيمتهُ وأولياؤه . وعمَّ حسدتهُ
وأعدائه . ولم يفجئه بالعلق النفيس الذي لا يشتري بالأثمان . ولا
يوزن بالميزان . ولا يكال بالقفزان . ولا يرى مثله في هذا الزمان .
كالم يدر في سائر الأزمان . ثم الحمد لله الذي حول كُتبي من التعزية
إلى التهنئة وأخرج القاضي من ميدان الصبر . إلى ميدان الشكر

في التعزية

لاي قاسم في التعزية

٢٧٧ تَرَامِي إِلَيْنَا خَبْرُ مَصَابِكِ بِفُلَانٍ . فَخَلَصَ إِلَيْنَا مِنَ الْإِعْتِمَامِ بِهِ مَا
يَحْضُرُ فِي مِثْلِهِ مِنْ أَطْعَامِ وَوَفَى وَخَدَمٍ وَوَالِي . وَعَلِمْنَا أَنَّ لِقَدِّكَ مِثْلَهُ
لَوْعَةٌ . وَالْمِصَابِ بِهِ لَدَعَةٌ . فَأَثَرْنَا كِتَابَنَا هَذَا إِلَيْكَ فِي تَعْزِيَتِكَ
عَلَى يَقِينِنَا بِأَنَّ عَمَلَكَ يُغْنِي عَنْ عِظَمِكَ . وَيَهْدِي إِلَى الْأَوَّلَى بِشِيمَتِكَ
وَالْأَزِيدِ فِي رُبَّتِكَ . فَلْيَحْسُنْ أَعْرَكَ اللَّهُ صَبْرَكَ عَلَى مَا أَخَذَهُ مِنْكَ
وَشُكْرَكَ لِمَا أَبْقَى لَكَ وَلِتَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِكَ مَا وَفَّرَ لَكَ مِنْ ثَوَابِ
الصَّابِرِينَ . وَأَجْزَلَ مِنْ ذُخْرِ الْمُحْسِنِينَ

لاي الفضل البيكالي من كتاب تعزية بالامير ناصر الدين

٢٧٨ أَقْدَارُ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ لَمْ تَرَلْ تَخْتَلِفُ بَيْنَ مَكْرُوهٍ وَمَحْبُوبٍ .
وَتَتَصَرَّفُ بَيْنَ مَوْهُوبٍ وَمَسْلُوبٍ . قَادِيَةٌ أَحْكَامُهَا مَرَّةً بِالْمِصَابِ
وَالثَوَابِ . وَرَاحَةٌ أَقْسَامُهَا تَارَةً بِالْمِطْيَايَا وَالرَّقَائِبِ . وَلَكِنْ أَحْسَنُهَا
فِي الْعِيُونِ أَثَرًا . وَأَطْيَبُهَا فِي الْأَسْمَاعِ خَبْرًا . وَأَحْرَاهَا بِأَنَّ تُكْسَبَ

الْهَلُوبَ عَزَاءً وَتَصَبْرًا . مَا إِذَا أَنْطَوَى نُشْرًا . وَإِذَا انْكَسَرَ جَبْرًا .
 وَإِذَا أَخَذَ يَبْدَ رَدِّ بَأْخَرِي . وَإِذَا وَهَبَ بِيْمَنِي سَلْبَ بَيْسَرِي .
 كَالْمُصِيبَةِ بِفُلَانٍ الَّتِي قَرَحَتْ الْأَكْبَادَ . وَأَوْهَنْتِ الْأَعْضَادَ . وَسَوَدَّتْ
 وَجُوهُ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي . وَصَوَّرَتْ الْأَيَّامَ فِي صُورِ اللَّيَالِي .
 وَعَادَرَتْ الْمُجَدَّ وَهُوَ يَلْبَسُ حِدَادَهُ . وَالْعَدْلَ وَهُوَ يَبْكِي عِمَادَهُ . حَتَّى
 إِذَا كَادَ الْيَأْسُ يَنْلُبُ الرَّجَاءَ . وَرَدَّ الظُّنُونِ مُظْلَمَةَ النَّوَاحِي وَالْأَرْجَاءَ .
 قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ مَنْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأَهْوَاءُ . وَرَضِيَتْ
 بِهِ الدَّهْمَاءُ . فَآسَى بِهِ حَادِثَ الْكَلِمِ . وَسَدَّ بِمَكَانِهِ عَظِيمَ الثَّلَمِ . وَرَدَّ
 الْأَمَالَ وَالنَّفُوسَ قَدْ اسْتَبَدَلَتْ بِالْحَيْرَةِ قُوَّةً وَأَبْتَدَارًا . وَصَارَتْ
 لِلدَّوْلَةِ الْمُبَارَكَةِ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا

كتب بديع الزمان الى ابن أخته يعزبه بأخيه

٢٧٩ قَدْ وَرَدَ كِتَابُكَ بِمَا صَمَّنتُهُ مِنْ تَطَاهُرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ .
 وَعَلَى أَبِيكَ فَسَكَنْتُ إِلَى ذَلِكَ . مِنْ حَالِكَ . وَسَأَلْتُ اللَّهَ بِقَاءِكَ .
 وَأَنْ يَرْزُقَنِي لِقَاءِكَ . وَذَكَرْتُ مُصَابِكَ بِأَخِيكَ فَكَأَنَّمَا فَتَتَّعَضُدِي .
 وَطَعَنْتَ فِي كَيْدِي . فَقَدْ كُنْتُ مُعْتَضِدًا بِمَكَانِهِ . وَالْقَدْرُ جَارُ
 لِشَانِهِ . وَكَذَا الْمُرَّةُ يَدِيرُ . وَالْقَضَاءُ يُدِيرُ . وَالْأَمَالَ تُقْسِمُ . وَالْأَجَالَ
 تَبْسِمُ . وَاللَّهُ يَجْعَلُهُ قَرَطًا وَلَا يُرِينِي فِيكَ سُوءَ الْإِبْدَاءِ وَأَنْتَ أَيْدِكَ
 اللَّهُ وَارِثُ عُمْرِهِ . وَسِدَادُ نَفْرِهِ . وَنِعْمَ الْعَوْضُ بِقَاوِكَ . وَأَبُوكَ سَيِّدِي
 أَيْدُهُ اللَّهُ وَالْهَمَّةُ الْجَمِيلُ . وَهُوَ الصَّبْرُ . وَآتَاهُ الْجَزِيلُ . وَهُوَ الْأَجْرُ .

وَأَمَّتَهُ بِكَ طَوِيلًا . فَمَا سَوَتْ بَدِيلًا . وَالسَّلَامُ

وكتب الخوارزمي الى الملك لما أصيب بانه عن خوارزم شاه

٢٨٠ كَبْتُ وَأَنَا مُقَسَّمٌ بَيْنَ فَرَحَةٍ وَرَحَةٍ . وَمُرَدَّدٌ بَيْنَ مِحْنَةٍ
وَمِنْحَةٍ . أَشْكُو حَلِيلَ الرَّزِيَّةِ . وَأَشْكُرُ جَزِيلَ الْعَطِيَّةِ وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
لِلْأَمِيرِ الْمَاضِي الْغُفْرَانَ وَالرَّحْمَةَ . وَلِلْأَمِيرِ السَّيِّدِ التَّائِيدِ وَالنِّعْمَةَ . فَإِنَّ
الْمُصِيبَةَ بِالْمَاضِي وَإِنْ كَانَتْ تَسْتَوْعِبُ الصَّبْرَ . فَإِنَّ الْمَوْهَبَةَ فِي الْبَاقِي
تَسْتَفِيدُ الشُّكْرَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَرَ . ثُمَّ جَبَرَ . وَسَلَبَ . ثُمَّ وَهَبَ .
وَأَبْتَلَى . ثُمَّ أَوْلَى . وَأَخَذَ ثُمَّ أَعْطَى . كَتَبَ عَلَى الْمَشْرِقِ خَاصَّةً . بَلَّ
عَلَى الدُّنْيَا كَافَّةً . أَنْ تَطْمَسَ آثَارُهَا . وَتُظْلَمَ أَقْفَارُهَا . وَتَهَبَّ رِيحُ
الْخَرَابِ عَلَيْهَا . وَتَنْظُرَ عَيْنُ الْكِدَالِ إِلَيْهَا . حَتَّى ذَبَلَتْ شَجَرَةُ الْمَمْلَكَةِ .
وَوَهَنَ رُكْنُ الْمِلَّةِ . وَطَرَفَ نَاطِرُ الدَّوْلَةِ . وَأَتَنَّمَّ جَانِبُ الدَّعْوَةِ . ثُمَّ
أَسْتَدْرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ خَلْقَهُ . فَرَدَّ إِلَى الْأَمِيرِ حَقَّهُ . وَقَرَّتِ الدَّوْلَةُ
فِي قَرَارِهَا . وَعَادَتِ النِّعْمَةُ إِلَى نِصَابِهَا . وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَطْلَعِهَا .
وَوُضِعَتِ الرِّئَاسَةُ فِي مَوْضِعِهَا . فَأَنَا الْآنَ بَيْنَ شِكَايَةِ الْأَيَّامِ وَشُكْرِهَا
وَبَيْنَ حَرْبِ الدَّهْرِ وَسَلْمِهِ . أَبْكِي وَأَنَا ضَاحِكٌ وَأَضْحَكُ وَأَنَا بَاكِي
الْعَيْنِ . إِلَّا أَنَّ الضَّحِكَ عَلَيَّ أَغْلَبُ . وَالقَرَحَ إِلَيَّ مِنَ النِّعَمِ أَقْرَبُ . لِأَنَّ
الْمُصِيبَةَ مَاضِيَةً . وَالنِّعْمَةَ بَاقِيَةً . رَجِمَ اللَّهُ الْمَاضِي رَحْمَةً تَهْوُنُ عَلَيْنَا
مِصْرَعَهُ . وَتَبْرُدُ لَهُ مَضْجَعَهُ . وَتُضَاعِفُ حَسَنَاتِهِ . وَتَمْحُو سَيِّئَاتِهِ . وَأَعَانَ
الْأَمِيرَ عَلَى رِعَايَةِ مَا اسْتَرْعَاهُ . وَاللَّهْمَ شُكْرَ مَا أَعْطَاهُ . وَتَوَلَّاهُ فِيمَا وُلَّاهُ .

وَوَالَاهُ جَزِيلَ مَا أَوْلَاهُ . وَآيِدَ بِالْهَيْبَةِ سُلْطَانَهُ . وَبَيَّتَ بِالْبَقَاءِ أَرْكَانَهُ .
 وَكَتَبَ إِلَى أَبِي طَاهِرٍ وَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْيَاسِ بَكْرَمَانَ

٢٨١ كَتَبْتُ وَلَمَّا اتَّصَلَ بِي خَبَرُ الْمُصِيبَةِ لَمْ أَمْلِكْ مِنْ قَلْبِي إِلَّا مَا
 شَغَلْتُهُ بِهَا . وَلَا مِنْ عَيْنِي إِلَّا مَا بَكَيْتُ بِهِ لَهَا . وَرَزَلَ بِي مَا يَنْزِلُ مِنْ
 قَارَعِهِ الزَّمَانُ عَنْ وَاحِدِهِ وَنَارَعَهُ الْمَوْتُ فِي بَعْضِ نَفْسِهِ . وَزَلَ عَنْ يَدِهِ
 الذُّخْرُ الَّذِي أَدَّخَرَهُ لِصُرُوفِ الزَّمَانِ . وَسَلَبَ السَّيْفَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ
 يُعِدُّهُ لِلْقَاءِ الْأَقْرَانِ . ثُمَّ تَجَمَّزْتُ مَوْعُودَ اللَّهِ تَعَالَى بِالصَّبْرِ وَالْفِرَاقِ .
 وَلَقَدْ كَانَتْ الْمُصِيبَةُ بِفُلَانٍ جِرَاحَةً لَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا الصَّبْرُ . وَخُسْرَانًا
 لَا جَبْرَ لَهُ إِلَّا الْأَجْرُ . فَهَا أَنَا آيِدُ اللَّهِ تَعَالَى الشَّيْخَ جَرِيحُ يَدِ الدَّهْرِ وَلَا
 طَيِّبَ لِيِنْ جِرْحِهِ . وَسَلَبَ يَدِ الْمَوْتِ وَلَا ضَامِنَ لِيِنْ أَجْرَحَهُ . وَقَدْ
 دَفَنْتُ يَدِي بِيَدِي . وَبَكَيْتُ عَلَى عَيْنِي بِعَيْنِي . وَأَفْرَدْتُ فِي نَفْسِي
 عَنْ نَفْسِي وَالرِّزْيَةَ بِمِثْلِ فَلَانٍ رِزَايَا . كَمَا أَنَّ الْعَطِيَّةَ كَانَتْ بِبَقَائِهِ
 عَطَايَا . وَلَكِنْ لَا كَثِيرَ مِنَ الْمَصَائِبِ مَعَ التَّأْدِبِ بِأَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى . كَمَا
 لَا قَلِيلَ مِنَ الْمَوَاهِبِ مَعَ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى . رَحِمَ اللَّهُ فَلَانًا الْجَامِعَ
 لِحَايَسِنِ الْأَدَابِ . الشَّيْخَ حَلَمًا وَإِنْ كَانَ غَضَّ الشَّبَابِ . فَلَقَدْ أَخْضَرَ
 وَهُوَ فِتْيُ السِّنِّ . وَاهْتَصَرَ وَهُوَ رَطْبُ الْغُضَنِ . وَكُشُوفُ الْبَدْرِ عِنْدَ
 تَمَامِهِ أَوْقَعُ . وَكَسْرُ الْعُودِ عِنْدَ اعْتِدَالِهِ أَوْجَعُ :

إِنَّ الْقَلِيْعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاصِرًا لِأَشَدِّ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلًا



الباب السادس عشر في التراجم

فقهاء المسلمين وخطباؤهم

ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هجرية) (١١١٧ - ١٢٠١ مسيحية)

٢٨٢ هو ابو الفرج عبد الرحمن الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ . كان علامة عصره وامام وقته في الحديث وصناعة الوعظ . صنّف في فنون عديدة منها زاد المسير في علم التفسير اربعة اجزاء . اثنى فيه باشياء غريبة . وله في الحديث تصانيف كثيرة وله المنتظم في التاريخ وهو كبير . وله الموضوعات في اربعة اجزاء . ذكر فيها كل حديث موضوع . وكثبه اكثر من ان تُعدّ . وكتب بخطه شيئا كثيرا والناس يُقالون في ذلك حتى يقولوا انه جمعت الكرايس التي كتبها وحسبت مدة عمره . وقُسمت الكرايس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كرايس . وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل (لابن خلكان)

السهروردي (٥٣٩ - ٦٣٢ هـ) (١١٤٥ - ١٢٣٤ م)

٢٨٣ هو أبو حفص عمر بن محمد البكري الملقب شهاب الدين السهروردي . كان فقيها شافعي المذهب شيئا صالحا ورعا كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة . وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة . ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله . وصحب عمه أبا القيب وعنه اخذ التصوف والوعظ وانحدر الى البصرة الى الشيخ أبي محمد بن عبد وداي غيرهم من الشيوخ . وحصل طرقا صالحا من الفقه والخلاف وقرأ الأدب وعقد مجلس الوعظ سنين . وكان شيخ الشيوخ ببغداد وكان له مجلس وعظ وبي وعظه قبول كثير . وله تأليف حسنة منها كتاب عوارف المعارف وهو اشهرها . ورأيت جماعة ممن حضر مجلسه وقعدوا في خلوته ونسليكه كجاري عادة الصوفية . فكانوا يحكون غرائب مما يطرأ عليهم فيما مما يجردونه من الاحوال الحارقة . وكان ارباب الطريق من مشايخ عصره يكتبون اليه من البلاد صورة فتاوى يسألونه عن شيء من احوالهم سمعت ان بعضهم كتب اليه : يا سيدي ان تركت العمل أخذت الى البطالة وان عملت داخلني العجب فاجبا اولي . فكتب جوابه : اعمل واستغفر الله تعالى من العجب . وله من هذا شيء كثير . وذكر في كتاب عوارف المعارف ابياتا لطيفة منها قوله فيه تعالى : ان تأملتكم فكلي عيون أو تدكرتكم فكلي قلوب

(٥) قد أخلصنا هذا الجزء عن ذكر الشعراء . وذلك ابتغاء ان نغرد لهم بابا في الجزء التالي

جَلالُ الدِّينِ السُّيوطيُّ (٨٤٩ - ٩١١ هـ) (١٤٤٥ - ١٥٠٥ م)

٢٨٤ هو الإمام عبد الرحمان بن الكمال الحَضْرِيّ العالم العلامة الفقيه الهدّث الحافظ المفسر الاصولي الأديب الحدّثي . أخذ عن جماعة من علماء وقته ودرس الفلسفة والرياضيات فصار أوسع نظراً وأطول بآناً من مشاهير فضلاء عصره . وكتب في كل مسألة مصنفاً باقوالها وأدلتها الثقلية والقياسية . منها المقامات الطيبة وائيس المجلس وحسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة وبلغت مصنفاته نحواً من اربعائة مصنّف . هذا وقد انتهت اليه الرئاسة بمصر وكانت الطلبة تشد إليه الرحال من كل بلدة وتقاطر اليه من كل صقع اذ كان مبرّزاً من أهل النظر والمناظرة واليه كانت الرحلة من الغرب والأندلس واضحي ركننا من اركان الاسلام

أبو الفتح السَّمهرستانيُّ (٤٦٧ - ٥٤٨ هـ) (١٠٧٤ - ١١٥٣ م)

٢٨٥ كان اماماً مبرّزاً فقيهاً وبرع في الفقه وتفرّد فيه . وصنّف كتاب تحاية الاقدام في علم الكلام . وكتاب الملل والنحل . وتلخيص الاقسام لمذاهب الانام . وكان كثير الحفظ حسن المحاورة يعظ الناس ويدخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وأقام جاً ثلاث سنين وظهر له قبول كثير عند العوام . وله شعر قليل منه قوله :

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها وسيرتُ طرقي بين تلك المعالم
فلم أراَ الاَ واضعاً كفَّ حائري على دَقِّي او قارِعاً سنَّ نادِم

مَوْقِقُ الدِّينِ عَبْدِ اللّطيفِ (٥٥٧ - ٦٢٩ هـ) (١١٦١ - ١٢٣١ م)

٢٨٦ هو الشّيخ الإمام الفاضل موقِقُ الدين البغدادي . كان مشهوراً بالعلوم متعلّماً بالفصائل ملجج المبالغة . كثير التصنيف وكان مشهراً في النحو واللغة عارفاً بعلم الكلام والطب . متطرقاً من العلوم العقلية فكان في صباه اشغلّه والده بالأدب فلم يعرف اللعب والهوى ولم يُخل وقتاً من اوقاته النظر في الكتب والتصنيف والكتابة وكان لكثرة ما يرى في نفسه يستنقص فضلاء زمانه . ومصنفاته عديدة تنيف على المائة والسّتين . ورحل الى دمشق واجتمع بتاج الدين الكندي وجرى بينها مباحثات وكان الكندي شيقاً جيداً ذكياً مثرياً له جانب من السلطان لكنه كان مُحبباً بنفسه فظهر الله عليه عبد اللطيف . ثم توجه الى زيارة القدس بظاهر عكاً ودخل مصر ثم عاد الى القدس ثانية بعد ان هادن صلاح الدين الفريجي . فدخل على السلطان ورأى به ملكاً عظيماً بلاً المين روعةً والقلوب محبةً . ولما حضره وجد مجلسه حافظاً باهل العلم يتذاكرون باصناف العلوم . وصلاح الدين يحسن الاستماع والمشاركة . فاكرم صلاح الدين شواهه وميّن له راتباً لكل شهر . الى ان مات صلاح الدين فانقل عبد اللطيف الى مصر . فكان في النهار يُقرئ الناس بالجامع الأزهر وكان في الليل يشغل حل نفسه . فصنّف كتاب الافادة والاعتبار في

الامور المعانية في ارض مصر. ثم عاد راجعاً الى بغداد وبها كانت وفاته (لاين ابي أصيبة)

الغزالي (٤٥١ - ٥٥٥ هـ) (١٠٥٨ - ١١١١ م)

٢٨٧ هو الامام حجة الاسلام ابو حامد محمد الغزالي لم تر العيون مثله لساناً وبيانا وخاطراً وذكاءً وعلماً وعملاً. فاق اقرانه من تلامذة الحرمين وصار في ايام امام الحرمين مفيداً مصنفًا و الامام يتبحر به. وكان مجلس نظام الملك مجمع الفضلاء. فوقع لأبي حامد في مجلسه ملاقاته الغول ومناظرة المحصور في فنون العلوم فاقبل نظام الملك عليه. وانتشر ذكره في الآفاق فرسم له تدريس المدرسة النظامية ببغداد. وصنف كتباً لم يصنف مثلها. ثم حج وترك الدنيا واختار الزهد والعبادة وبالغ في تحديب الأخلاق. ودخل بلاد الشام وصنف كتباً كثيرة لم يسبق الي مثلها في عدة فنون منها المنخل في علم الجدال. والتبر المسبوك. واحياء علوم الدين. وهو من أنفس الكتب وأجملها وهو كتاب لا يستغني عنه طالب الآخرة. ثم عاد الى خراسان مواظباً على العبادات الى ان انتقل الى جوار الحق بطوس عن اربع وخمسين سنة (للقزويني)

المأوردي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ) (٩٧٤ - ١٠٥٩ م)

٢٨٨ هو علي ابن حبيب الامام الجليل القدر الرفيع الشأن أبو الحسن الماوردي صاحب الحاوي والافتاح في الفقه وأدب الدنيا والدين والاحكام السلطانية وقانون الوزارة وسياسة الملك وغير ذلك. وكان اماماً جليلاً رفيع الشأن له اليد الباسطة في المذهب والتفنن التام في سائر العلوم. قال الشيخ أبو اسحاق: درس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة. وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير واصول الدين والادب وجعل عليه القضاء ببلدان كثيرة. وقال ابن خيران: كان رجلاً عظيم القدر متقدماً عند السلطان أحد الائمة. له التصانيف الحسان في كل فن. ومن كلام الماوردي الدال على دينه ومجاهدته لنفسه ما ذكره في كتاب أدب الدنيا والدين فقال: ومما انذرك به من حالتي اني صنف في البيوع كتاباً جمعت له ما استطعت من كتب الناس. واجهدت فيه نفسي وكدرت فيه خاطري حتى اذا تحددت واستكمل وكدت أعجب به. وتصورت اني اشد الناس اضطراباً بعلمي حضرتي وانا في مجلسي اعرابيان فسألاني عن بيع عقدها في البداية على شروط تضررت اربع مسائل لم اعرف شيء منها جواباً. فاطرقت مفكراً وبخالي وحالها متبهاً. فقالا: أما عندك فيما سألتك عنه جواب وانت زعيم هذه الجماعة. قلت: لا. فقالا: اجمالك. وانصرفا ثم أتيا من قد يتقدم في العلم كثير من اصحابي. فسألاه فاجابهما مسرعاً بما اقعها فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلل لهما قياد النفس وانخفض بها جناح العجب (٥)

(٥) ومنهم ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥ هـ) قاضي القضاة بشيراز وله الكتاب الموسوم بانوار التنزيل. ومنهم ابو عبد الله البخاري (٥٢٥٦ هـ) صاحب الجامع الصحيح تفرد في علم الرواية والحديث

أدباء المسلمين :

أَفْتَحُ بْنُ خَاقَانَ (٤٨٠ - ٥٣٥ هـ) (١٠٨٧ - ١١٤٠ م)

٢٨٩ هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الأشبلي له عدة تصانيف منها كتاب فرائد العيان وقد جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة . وتكلم على ترجمة كل واحد منهم باحسن عبارة والطف اشارة . وله أيضاً كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس . وهو ثلاث نسخ كبرى وصغرى ووسطى . وهو كتاب كثير الفائدة وكلامه فيه يدل على غزارة فضله وسعة مادته . وكان كثير الأسفار سريع التنقلات . وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : كان ابن خاقان خلع المذار في دنياه . لكن كلامه في تأليفه كالسحر الحلال . والماء الزلال . قُتل ذبحاً في مسكنه بفندق من حاضرة مراکش صدر سنة خمس وثلاثين وخمسة . وان الذي أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين وهو أخو أبي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي أُلّف له أبو نصر المذكور فرائد العيان وقد ذكره في خطبة الكتاب (لابن خلكان)

ابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ) (٨٦١ - ٩٤٠ م)

٢٩٠ هو الفقيه العالم أبو عمر أحمد بن عبد ربه عالم ساد بالعلم برأس . واقتبس من الحظوة ما اقتبس . وشهر بالأندلس حتى سار الى المشرق ذكره . واستطار شرر الذكاء فكره . وكانت له عناية بالعلم وثقة ورواية له منسفة . وأما الأدب فهو كان حجةً وبه غمرت الافهام لجته . مع صيانة وورع . وديانة ورد ماء هافكرج . وله التأليف المشهور الذي سماه بالمقد . وسماه عن عشرات التقد . لانه أبرزه مثقف القناة . مرهف الشبابة . تقصر عنه ثواب الألباب . وتبصر السمر منه في كل باب . وله شعر انتهى منتهاه . وتجاوزهاك الاحسان وسماه . وكان ابن عبد ربه من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس . وكتابه العقد الفريد من الكتب المستعنة حوى من كل معنى شبي وكل نادرة غريبة (فتح الطيب للمقري)

أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ) (٨٩٧ - ٩٦٧ م)

٢٩١ هو علي بن الحسين القرشي الأموي الكاتب صاحب كتاب الأغاني . وجدّه مروان آخر خلفاء بني أمية . وهو أصبهاني الأصل بنديادي المنشأ . كان من اعبان ادبائها وأفراد مصنفها . وكان عالماً بابام الناس والانساب والسير . كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار ما لم يرق قط من يحفظ مثله . ويحفظ دون ذلك من علوم أخر منها اللغة والنحو وتب من الطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . وله شعر يجمع اقتسان العلماء واحسان الظرفاء

والشعراء . وله المصنّفات المستحلّمة منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على انه لم يعمل في بابه مثله . يقال انه جمعه في خمسين سنة وحمله الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاه ألف دينار واعتذر اليه . وحكي عن صاحب بن عباد انه كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالها . فلما وصل اليه كتاب الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناءً به عنها . ومنها كتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب الحانات وآداب الغزاة . وحصل له ببلاد الأندلس كتب صنّفها لبني أميّة ملوك الأندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سرّاً وجاءه الانعام منهم سرّاً . ومن ذلك كتاب أيام العرب الف وسبعائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف في ما أثر العرب ومثالبها وغير ذلك . وكان منقطعاً الى الوزير المهلبى وله فيه مدائح منها قوله :

ولمّا اتبعنا لائذين بظلمه أعان وما عني ومن وما منّا
وردنا عليه مقترين فراشنا وردنا نداءً مجديين فاخصبنا (لاين خلّكان)

بديعُ الزّمانِ (٣٥٣ - ٥٣٩٨) (٩٦٤ - ١٠٠٨ م)

٢٩٢ هو أبو الفضل احمد بن الحسين الصمذاني مفرج همدان ونادرة الفلك وبكر عطارد وفريد الدهر وغرّة العصر . ومن لم يلف نظيره في ذكاء القرينة وسرعة الخاطر وشرف الطبع . وصفاء الذهن وقوة النفس . ولم يدرك قرينه في ظرف النثر وبلغه وغرر النظم ونكته . ولم يرو ان أحداً بلغ مبلغه من لبّ الأدب وسره . وجاءه بمثل اعجازه وسحره . فانه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ولقبه بالبديع يدل على قدره . فنه انه كان يُنشد القصيدة لم يسمها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً . فيحفظها كلها ويوردها الى آخرها لا يخزم حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظراً واحدة خفيفة ثم يعيدها عن ظهر قلبه . هذا ويسردها سرّاً . وكان يقترح عليه عمل قصيدة وانشاء رسالة في معنى غريب وباب بديع . فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب ما فيها . وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بأخر سطوره ثم هلمّ جرّاً الى الأوّل ويخرجه كحسن شيء والمجهر . ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من انشائه . فيقرأ من النظم والنثر والنظم . ويعطي القوافي الكثيرة فيصل جمل الأبيات الرشيقه . ويقترح عليه كل عروض من النظم والنثر فيرتجمه في اسرع من الطرف على ريق لا يلمه ونفس لا يقطعهُ . وكلامه كله عفو الساعه ويفض اليد ومسارقة القلم ومجازاة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة خفيف الروح حس العشرة ناصع الطرف . عظيم الخلق شريف النفس . كريم العهد خالص الود . حلو الصداقة مرّ العداوة . فارق همدان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقبّل الشيبه غضّ الحدانة . وقد درس على أبي الحسين ابن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده . واستنفد علمه وورد حضرة صاحب أبي القاسم بن عباد .

فتزود من غارها وحسن آكارها . وولي نسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . فشر بها بزه وأظهر طرزه وأمل اربعمائة مقامة نخلها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها . وضعتها ما تشتهي الانفس من لفظ انيق . قريب المأخذ . بعيد المرام . وجميع رشيق المطلع والمقطع كصنيع الحام . وجذر يروق فيملك القلوب وهزل يشوق فيسمر العقول . ثم ألقى عصاه جبراة فعاش فيها عيشة راضية . وحين بلغ أشده وأراني على اربعين سنة ناداه الله قلباه وفارق دنياه . فقامت نوادب الأدب وانثلم حد القلم . وبكاه الفضائل والأفاضل . ورثاه الأكارم مع المكارم . على انه أمات من لم يمت ذكره . ولقد خلد من بقي على الأيام نظمه ونثره (البيتمة للثعالي)

أبو منصور الثعالي (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) (٩٦١ - ١٠٣٨ م)

٢٩٣ هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالي النيسابوري كان في وقته راعي تلمات العلم . وجامع اشات النثر والنظم . وراس المؤلفين في زمانه . واما المصنفين بحكم قرآنه . وسار ذكره سير المثل . وضربت اليه أباط الابل . وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب . طلوع النجم في الغياض . تأليفه أشهر مواضع . واجر مطالع . وأكثر راو لها وجامع . من ان يستوفيا حد أو وصف . او يوفي حقوقها نظم أو رصف . وذكر له طرفا من النثر وتورد شيئا من نظمه . فن ذلك ما كتبه الى الأمير أبي الفضل الميكالي :

لك في المفاسر معجزات جمّة أبدأ لفبرك في الوري لم تجمع

بحران بحر في البلاغة شابه شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي

وترثل الصابي يزين علوه خط ابن مقلة ذو الهل الأرفع

شكرا فكم من فقرة لك كالغني وافي الكريم بعد فقر مدقع

واذا تفتق نور شعرك ناضرا فالحسن بين مرصع ومرصع

أرجت فرسان الكلام ورضت انراس البديع وأنت امجد مبدع

ونفشت في فص الرمان بدائعا ترري بأثار الربيع المرصع

وله من التأليف بيضة الدهر . في محاسن أهل مصر . وهو أكبر كتبه واحسنها واجمعها .

وفيا بقول ابو الفتح نصر الله بن قلاص الشاعر الاسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمه أباكرا أفكار قديمه

ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سُميت اليتيمه

وله أيضا كتاب فقه اللغة وسير البلاغة وسر البراعة . ومونس الوحيد في المحاضرات .

جمع فيها أشعار الناس وأخبارهم . وفيها دلالة على كثرة اطلاعه (الذخيرة لابن بسام)

الحريري (٤٤٦ - ٥١٦ هـ) (١٠٥٤ - ١١٢٢ م)

٢٩٤ هو أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري الحرابي صاحب المقامات . كان احد

ثمّة عصره ودرّيق الحظوة الثامنة في عمل المقامات . واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها ومن عرفها حق معرفتها استدلّ بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادّته . وكان سبب وضعه لها ما حكاه ولده ابو القاسم عبد الله قال : كان ابي جالساً في مسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه اهبه السفر . رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة . فسألته الجماعة من اين الشيخ . فقال : من سروج . فاستقبلوه عن كنيته فقال : ابو زيد . فعمل ابي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والأربعون وعزاها الى ابي زيد المذكور واشتهرت . فبلغ خبرها الوزير شرف الدين ابا نصر انوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها أعجبت وأشار على والدي ان يضم اليها غيرها . فانما خمسين مقامة . والى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقوله : فإشار من اشارته حكم . وطاعته غنم . الى ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع . وان لم يدرك القطاع شأ الصليح . وقد اعنى بشرحها خلق كثير فتم من طول ومنهم من اخصر . ورأيت في بعض الجامع ان الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها اربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد وادعاها فلم يصدق في ذلك جماعة من ادياء بغداد . وقالوا : اها ليست من تصنيفه بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت اوراقه اليه فادعاها . فاستداهه الوزير الى الديوان واقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عينها . فاخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كبيراً فلم يفتح الله عليه شيء من ذلك . فقام وهو مخجلان فقال فيه ابو القاسم علي بن أفلح :

شيخ لنا من ربيعة الفرس يتنف عشونهُ من الصّوس
انطقهُ الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالحرّس

وكان الحريري يزعم انه من ربيعة الفرس . وكان مولداً يتنف لحية عند الفكرة وكان يسكن في مشان البصرة . فلما رجع الى بلده عمل عشر مقامات آخر وسيّر من واعتذر من عيه وحصره في الديوان بما لحقه من الهابة . وللحريري تأليف حسان منها درة الفواص في اوهام الخواص . ومنها ملحّة الاعراب المتظومة في النحر وله أيضاً شرحها . وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات . وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً . ويحكى انه كان ديمياً قبيح المنظر . فجهّاه شخص غريب بزوره وأخذ عنه شيئاً فلما رآه استرى شكله ففهم الحريري ذلك منه . فلما التمس منه ان يجلي عليه قال له اكتب :

ما أنت أول ساغرّة فمرّ ورائد اعجبتُ خضرة الدمن

فاختر لنفسك غيري التي رجل مثل المعبدّي فاسمع بي ولا ترفني

فجّل الرجل منه وانصرف . وتوفي الحريري بالبصرة (لابن خلسكان)

الشَّريشيُّ (٥٥٧ - ٦١٩ هـ) (١١٦٣ - ١٢٢٢ م)

٢٩٥ هو الكمال أبو العباس أحمد من أهل شريش . وله تأليف افاد بما حشد فيها منها جمع مشاهير قصائد العرب وشروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب ما لا يكف به . لم يترك منها فائدة إلا استخرجها . ولا فريدة إلا استدرجها . ولا نكتة إلا علّقها . ولا غريبة إلا استحقّها . فجماعة شرحه يعني عن كل شرح . وكان الشريشي يقرئ العربية وأخذ عنه جماعة وأقام في بَنَسِيْم ثم رحل الى إشبيلية وانتقل الى المشرق . وكانت وفاته بشريش بلده
ابن أبي الرندقة الطرطوشي (٤٥١ - ٥٢٠ هـ) (١٠٥٩ - ١١٢٦ م)

٢٩٦ هو الفقيه العالم ابو بكر الفهري الطرطوشي صاحب سراج الملوك وكفى هذا الكتاب دليلاً على فضله . وكان زاهداً عبداً متورطاً متقللاً من الدنيا قولاً للحق . وكان يقول : اذا عرض لك امر دنيا وأخرى فبادر بأمر الأخرى يحصل لك امر الدنيا . وصحب بسرّ قسطة القاضي أبا الوليد وأخذ عنه مسائل في الحساب والفرائض . وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشبيلية ثم رحل الى المشرق سنة ست وسبعين واربعمائة . ودخل بغداد والبصرة فتنقّه هنالك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسبع بالبصرة من أبي علي التستري . وسكن الشام مدة ودرس بها وكان راضياً باليسر . قال الصفدي في ترجمة الطرطوشي : ان الأفضل ابن أمير الجيوش انزله في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرمه . فلما قُتِل الأفضل ولي بعده المأمون بن البطاحي فآكرم الشيخ أكراماً كثيراً وله ألف الشيخ سراج الملوك . ومن تأليفه مختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف . وتوفي بالاسكندرية وشهرته تنفي عن الاطناب فيه . وحكي انه كتب على سراج الملوك الذي أهده لولي الأمر بمصر :

الناس يمدون على قدمي كنتي اهدي على قدمي
 يمدون ما يعني واهدي الذي يبقى على الايام والدهر (اللقري)

بهاء الدين العاملي (٩٥٣ - ١٠٣١ هـ) (١٥٤٧ - ١٦٢٢ م)

٢٩٧ الشيخ العلامة اللوزي جاء الدين بن حسين العاملي هو معلم الاثمة الاحلام . وسيد طاه الاسلام . ومجر العلم المتلاطمة أمواجه . وغفل الفضل الناتجة لديه أفراداً وأزواجه . وطود المعارف الراسخ . وفضاؤها الذي لا تحده فرائض . وجوادها الذي لا يؤمل له لحاق . وبدرها الذي لا يعترده محاق . اليه انتهت رئاسة المذهب والملة . وبه قامت قواطع البراهين والأدلة . جمع فنون العلم فانعقد عليه الاجماع وتقرّد بصنوف الفضل فيهر التواضع والاسماع . فما من فن إلا وله فيه القدم العملى . والمورد العذب الحلى . ان قال لم يدع قولاً لقاتل . أو طال لم يأت غيره بطائل . ومن مصنفاته التفسير المسمى بالعروة الوثقى والزبدة في الاصول وخلاصة الحساب

والخلافة والكتشول فيه كل نادرة من علوم شتى وتشرح الافلاك وغير ذلك من الرسائل المختصرة والفوائد المحررة . وكان مولده بقزوين ثم خرج من بلده وتقلت به الاسفار الى ان وصل الى اصفهان . فوصل خبره الى سلطانها شاه عباس فطلبه لرئاسة العلماء . فوليا وعظم قدره وارفع شأنه ثم دخل مصر . وامتدح جما الاستاذ ابا الحسن البكري بقصيدة مطلعها :

يا مصر سقيا لك من جنة فطورتها يانعة دانية

ثم قدم القدس وازم فناء المسجد الأقصى . وكان متسماً بلس السياح مؤنساً بالوحشة دون اليناس . ثم أقبل الى حلب ورجع الى اصفهان فتوفي فيها (لاحمد المنيني)

أبو إسحاق القيرواني (٣٩٠ - ٤٥٣ هـ) (١٠٠٠ - ١٠٦١ م)

٢٩٨ هو ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري القيرواني الشاعر المشهور . له ديوان شعر وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب جمع فيه كل غريبة في ثلاثة اجزاء . وكتاب المصون في سر الهوى المكنون . في مجلد واحد فيه نفع وآداب . ذكره ابن الرشيقي في كتابه الانموذج وحكى شيئاً من أخباره وأحواله وأنشد جملة من اشعاره وقال : كان شأن القيروان يمتعون عنده ويأخذون عنه . ورأس عندهم وشرف لديهم . وسارت تأليفاته واثالث عليه (صلوات من الجهات . وتوفي ابو اسحاق المذكور بقرى وان

أهل الرواية واللغة من المسلمين

الأصمعي (١٢٣ - ٢١٦ هـ) (٧٤١ - ٨٣١ م)

٢٩٩ هو أبو سعيد عبد الملك الباهلي من أبناء عدنان . وكان عالماً عارفاً بشاعر العرب وآثارها . كثير التطوف في البوادي لاقتباس علومها وتلقي اخبارها . فهو صاحب غرائب الأسماء . وعجائب الأخبار . وقدوة الفضلاء . وقبلة الابداء . قد استولى على الغايات في حفظ اللغات وضبط العلوم الأدبيات . صاحب دين متين . وعقل رصين . وكان خاصاً بالرشيد آخذاً صلواته . وله من التصانيف كتاب خلق الانسان وكتاب الأجناس وكتاب الانواء وكتاب الخليل وكتاب الانشاء وكتاب الأمثال وكتاب التوادر وكتاب النبات وغير ذلك وكان هارون الرشيد قد استخلصه لمجلسه . واجازته علي أبو يوسف القاضي بمجوائز كثيرة وعمر نيقاً وتسعين سنة ورثاه الحسن بن مالك :

لا درّ درّ نبات الأرض اذ تجمعت
بالأصمعي لقد ابتقت لنا أسفا
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى
في الناس منه ولا من علمه خلفا

سيبويه (١٢١ - ١٦١ هـ) (٧٣٩ - ٧٧٨ م)

٣٠٠ هو أبو بشر عمرو الحارثي وسيبويه لقب ومعناه بالفارسية راحة التفاح . وكان من

أهل فارس ومنشأه بالبصرة . وكان اعلم المتقدمين والمتأخرين بال نحو كان أخذه عن الخليل . ولم يوضع فيه مثل كتابه . قال الجاحظ : اردت الخروج الى محمد بن عبد الملك ففكرت في شي اهديه له فلم اجد شيئاً أشرف من كتاب سيويه . فقال : والله ما اهديت ابي شيئاً أحب الي منة . وكان يقال بالبصرة : قرأ فلان الكتاب . فيعلم انه كتاب سيويه . وكان ابو العباس المبرد اذا أراد ان يقرأ عليه كتاب سيويه يقول له : هل ركبت البحر . تعظيماً لكتاب سيويه واستصعاباً لما فيه . وكان أبو عثمان المازني يقول : من أراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيويه فليستغ . ولما ورد سيويه الى بغداد من البصرة والكسائي يومئذ يعلم الأيمن بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا . وجرى مجلس يطول شرحه . وزعم الكسائي ان العرب تقول : كنت اظن الزنبور اشد لسعاً من الخلة فاذا هو اياها فقال سيويه : ليس المثل كذا بل : فاذا هو هي . وتناجرا طويلاً وأتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شي . من كلام أهل الحضرة وكان الأيمن شديد العناية بالكسائي لكونه معلماً . فاستدعى عربيًا وسأله . فقال كما قال سيويه . فقال له يريد ان تقول كما قال الكسائي . فقال : ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانه ما يسبق الا الى الصواب . فقررروا معه ان شخصاً يقول : قال سيويه كذا . وقال الكسائي كذا . فالصواب مع من منها . فيقول العربي : مع الكسائي . فقال : هذا يمكن . ثم عقد لهما المجلس واجتمع ائمة هذا الشأن وحضر العربي وقيل له ذلك فقال : الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب . فلم سيويه اتهم تحاملوا عليه وتعصبوا للكسائي فخرج من بغداد وقد حمل في نفسه ما جرى عليه وقصد فارس فتوفي بشيراز (ملخص عن تزهة الألباء وابن خلدان)

سِيَّاحُ الْمُسْلِمِينَ

ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٧ هـ) (١٣٠٤ - ١٣٧٦ م)

٣٠١ هو أبو عبد الله بن ابراهيم اللواتي الطنجي الملقب بشمس الدين ابن بطوطة . وهو الذي طاف الارض معتبراً . وطوى الأمصار محتبراً . وباحث في رِق الامم . وسير سير العرب والعجم . ثم ألقى عصا التسيار بمحاضرة فاس العليا وكان مولده بطنجية سنة ثلاث وسبعائة . وكان خروجه من موطنه عام خمسة وعشرين وسبعائة وله من العمر ثنتان وعشرون سنة . فاخذ يتقلب في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه . واتصل بملكها لذلك المهمد وهو قهر ورجوه . وكان له منه مكان واستعمله بمحنة القضاء بمذهب المالكية في عمله . ثم ساه في الأقطار الصينية والتتريه واواسط افريقية في بلاد السودان وفي الأندلس . ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عثمان من ملوك بني مرين . وكان يجدد عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض . ويأتي من أحواله ما يستغربه السامعون . فقصه أبو عثمان من احسانه الخليل وامتانه الحفي الخليل .

ما أنساه الماضي بالحال . وأغناه عن طول الترحال . فانفذ اليه الملك الاشارة بان يعلي على محمد بن جزري الكليبي ما شاهده في رحلته من الأمصار . وما علق بحفظه من نوادر الأخبار . فاملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر . وبهجة السامع . والنواظر . من كل غريبة أفاد باجتماعها . وعجيبه أطرف بانحائها . فامتثل ابن جزري ما أمر به . فضم أطراف ما أملاه ابن بطوطة في تصنيف جاء على فوائده مشتملاً . وليل مقاصده مكملًا . فوسمه بحفة النظار . في غراب الأمصار ومحباب الأسفار (لابن جزري)

ابن جبير (٥٤٠ - ٦١٤ هـ) (١١٤٥ - ١٢١٧ م)

٣٠٢ هو أبو الحسين الكتاني صاحب الرحلة . ولد ببلنسية وعُني بالأدب فبلغ النفاية فيه وتقدم في صناعة القريض والكتابة . ومن شعره قوله وقد دخل الى بغداد فاقطع غصناً نضيراً من احد بساتينها فذوى في يده :

لا تعترّب عن وطني واذكر تصاريف النوى
أما ترى النصنّ اذا ما فارق الأصل ذوى
وقوله يخاطب من أهدى له موراً :

يا مهدي الموزيتقى وميمه لك فاه
وزابه عن قريب لمن يصاديك تاه

ثم رحل الى دمشق ودخل بغداد وانكفأ راجعاً الى المغرب وكان انفصاله من غرناطة ثانية بقصد الرحلة الشرقيّة سنة ٥٧٨ . ونزل البر الاسكندري وتجوّل في البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة ورحلته مشهورة بأيدي الناس وكانت وفاته بالاسكندرية

ابن سعيد (٦١٠ - ٦٧٣ هـ) (١٢١٤ - ١٢٧٥ م)

٣٠٣ هو أبو الحسن نور الدين بن سعيد الأديب الرحالة الطرقة العجيب الشأن في التجوّل في الأنظار ومداخله الاعيان . المتتمتع بالخرائن العلمية . وتقييد الفوائد المشرقيّة والمغربيّة . أخذ من اعلام اشبيلية وتأليفه كثيرة منها المرقصات والمطربات وموضوعان غريبان في اسفاره الى المغرب والمشرق . وتماطى نظم الشعر في حدّ من الشيبه يُجيب فيه من ذلك قوله في صفة نصير:

كأما النهر صلحة كتبت أسطرها والنسيم ينشها
لما ابانت عن حسن منظرها مالت عليها النصوصن ترقوها

وقال باقتراح الملك الصالح صاحب حمص ان يكتب بالذهب على نقاعة عنبر قدمها لابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصريّة :

انالون الشياب والخال اهدى ت لمن قدكسا الزمان شبابا

ملك العالمين نعيم بني أدم وب لا زال في المعالي مهابا
جئت ملائ من التناء عليه من شكوري احسانه والثواب
لست ممن له خطاب ولكن قد كفاني اربح عرفي خطابا

ثم قفل الى مصر ولقي جلاء الدين زهيراً وجمال الدين بن مطروح . ثم تحول الى دمشق
ودخل على السلطان المعظم وحضر مجلس خلوته . ودخل الموصل وبغداد ورجل الى البصرة
ودخل أرجان ثم عاد الى المغرب . وصنف في رحلته مجموعاً سماه بالنعمة المسكية . وأصل
بجندمة الأمير ابي عبد الله المستصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته الى ان توفي بتونس

فلاسفة الاسلام واطباؤهم

(ابن رشد ٥٩٥ هـ ١١٩٨ م) (الرازي ٣١١ هـ ٩٢٣ م)

٣٠٤ ابن رشد هو أبو الوليد المالكي وزير دهره وعظيمه وفيلسوف عصره وحكيمة .
وكان عالماً بالرازي متفنناً العلوم تولى رئاسة الفتاوى في مراکش ثم استوطن إشبيلية فاشتهر
بالتقدم في علم الأول حتى فاق أهل زمانه وطارد ذكره الى اقطار الاندلس والمغرب فاستداه
سلطان مراکش الى حاضرتيه ولقي عنده حظوة وشظله بالصلات والمكارم وكانت وفاته في
مراکش وله تأليف جليلة عزيزة الوجود منها الكليات في الطب وتعريب مصنفات
ارسطاطاليس وتلخيصها . وأما الرازي فهو ابو بكر بن زكريا المشهور اقبل في شيبته على دراسة
كتب الطب والفلسفة والكيمياء قرأها قراءة رجل متمقّب على مؤلفها فبلغ من معرفة
غوايرها الغاية واضعى امام وقته في الطب وعلوم الأوائل والشار اليه في ذلك العصر نشد اليه
الرجال لاخذها عنه وصنّف فيها الكتب النافعة فن ذلك كتاب الحاوي وهو عمدة الاطباء في
القل منه الرجوع اليه عند الاختلاف . ومنها كتاب في اثبات صناعة الكيمياء وتصانيف كثيرة
كلها يحتاج اليها . ودبر الرازي مارستان الرّي وبغداد في أيام المكنتي وعي في آخر عمره

ابن زهر ٥٠٧ - ٥٩٥ هـ (١١١٤ - ١١٩٨ م)

٣٠٥ كان من أهل بيت كظم علماء رساء حكام وزراء فالوا المراتب العلية وتقدّموا عند
الملوك ونفذت أوامرم . قال الحافظ : وكان ابن زهر بكان من اللغة مكين . ومورد من الطب
عذب معين كان يحفظ شعر ذني الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الإشراف على جميع أقوال
أهل الطب والمنتزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة الأموال والنسب . ومن
شعره قوله : ولي واحد مثل فرخ القطا صغير تحفّ قلبي لديه
نأت عنه داري فيا وحشنا لذاك الشقيص وذاك الوجيبه
تسوقني وتشرقته فيكي على وابكي عليه

لقد تمب الشوق ما بيننا
 وله وقد شاخ وغلب عليه الشيب :
 فأنكرت مقلتي كل ما رأنا
 وكنت أعهدهُ من قبل ذاك فتي
 متى ترحل عن هذا المكان متى
 ان الذي أنكرته مقلتك أتي
 صارت سلسي تنادي اليوم يا أبنا
 كانت سلسي تنادي يا أخي وقد
 وأوصى أنه إذا مات يكتب على قبره هذه الأبيات وفيها إشارة الى طبعه ومعاجته للناس وهي :
 تأمل بحمك يا واقفاً
 ولاحظ مكاناً دُفَعنا اليه
 تراب الضريح على وجنتي
 كأي لم أمس يوماً عليه
 أدوي الأنام حذار النون
 وما انا قد صرت رهناً لدية
 ونوفي مستحناً بملّة بين كتفيه بمدينة قرطبة (لابن خلكان)

ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) (٩٨٠ - ١٠٣٧ م)

٣٠٦ هو أبو علي الحسين بن سينا الشيخ الرئيس حكى عن نفسه قال : ان أبي كان رجلاً من بلخ . ثم انتقلنا الى بخارى في أيام نوح بن منصور واحضرت معلم القرآن والأدب . فكملمت العشر من العمر . وقد أتيت على القرآن وطلى كثير من الأدب حتى كان يقضى مني العجب . ثم جاء الى بخارى ابو عبد الله الناطلي وكان يدعي الفلسفة فانزله أبي دارنا رجاء تعلية منه . فقرأت ظواهر المنطق عليه واما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت اقرأ الكتب على نفسي واطالع الشروح وكذلك كتاب اقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه . ثم توليت حل الكتاب بأسره . ثم انتقلت الى الجسطي وفارقي الناطلي ثم رغبت في علم الطب وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيه وتمهدت المرضي فانفتح علي من ابواب المعالجات القبسة من التجربة ما لا يوصف . وانا في هذا الوقت من ابناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على القراءة سنة ونصفاً وكلما كنت اتخير في مسألة أو لم اكن اظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت الى الصلاة وابتلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المنطق والمتعسر . وكنت ارجع بالليل الى داري واطع السراج بين يدي واشتغل بالقراءة والكتابة . فبها علمني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قرح من الشراب ريثا تعود الي قوتي . ثم ارجع الى القراءة ومتى أخذني ادنى نوم احلم بتلك المسائل باعياها . حتى ان كثيراً منها انفتح لي وجوهها في المنام . ولم أزل كذلك حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدت الى العلم الالهي وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فاكنت افهم ما فيه والتبس علي غرض واضع . حتى اعدت قراءته اربعين مرة وصار لي محفوظاً وانا مع ذلك لا اتهمه .

وأيست من نفسي. وقلت: هذا كتاب لا سبيل الى فهمه. واذا انا يوماً حضرت وقت العصر في سوق الوراقين ويبد دلال مجلد ينادي عليه. فعرضه علي فرددته رد متبرم معتقد ان لا فائدة في هذا العلم. فقال لي: اشتر مني هذا فانه رخيص ابيك بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج الى ثمنه فاشترينه فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في اغراض كتاب ما بعد الطبيعة. فرجعت الى بيتي وأسرت قراءته فانفتح علي في الوقت اغراض ذلك الكتاب بسبب انه قد صار لي على ظهر القلب. وفرحت بذلك وتصدقت بشيء على الفقراء شكرًا لله تعالى. فلما بلغت ثلثي عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ولكنه اليوم معي انضج والآن فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء. ثم مات والدي وتصرفت لي لأحوال وتقلدت شيئاً من اعمال السلطان. وودعتني الضرورة الى الازمجال من بخاري والانتقال عنها الى جرجان. وكان قصدي الأمير قابوس. فاتفق في اثناء هذا أخذ قابوس وجسه وموته. ثم مضيت الى دهستان ومرضت جاً مرضاً صعباً وعدت الى جرجان (اه). قال أبو عبيد الجوزجاني: وصنف ابن سينا جرجان أول القانون ويختصر المجسطي وغير ذلك. ثم انتقل الى الري وأصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة. ثم خرج الى قزوین ومنها الى همدان فأصل بخدمة كربانويه وتولى النظر في اسباجا. ثم سأله تغلذ الوزارة فتقلدها ثم اتفق تشویش المسكر عليه واشناقهم منه على انفسهم. فكسوا داره وأخذوه الى الحبس وأخذوا جميع ما كان يملكه. وساموا الامير شمس الدولة قتله. فامنع منه وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاهم. فتواری الشيخ في دار بعض اصدقائه اربعين يوماً فعاد الأمير طلبه وقلده الوزارة ثانياً. ولما توفي شمس الدولة وبويع ابنه طلبوا ان يستوزر الشيخ فأبى عليهم وتواری في دار أبي غالب المطار. وهناك أتى على جميع الطبيعيات والاهبات ما خلا كتابي الحيوان والنبات من كتاب الشفاء. وكاتب ملاء الدولة سرّاً يطلب المسير اليه فأحسه تاج الملك بمكاتبته وانكر عليه ذلك. وحث في طلبه فدل عليه بعض أعدائه فاخذوه وأدوه الى قلعة يقال لها بردوان وانشأ هناك قصيدة منها:

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

وبقي فيها أربعة أشهر ثم اخرجوه وحملوه الى همدان. ثم خرج منها متكرراً وانا واخوه وغللمان معه في زي الصوفية. الى ان وصلنا الى اصفهان فصادف في مجلس علاء الدولة الأكرام والاعزاز الذي يستحقه مثله وصنف هناك كتباً كثيرة. وكان سبب موته قولنج عرض له. وكان يتكسر ويبرأ كل وقت ثم قصد علاء الدولة همدان وسار معه الشيخ. فعاودته في الطريق تلك العلة الى ان وصل الى همدان. وعلم ان قوته قد سقطت واحا لا تقى بدفع المرض. فاهمل مداواته لنفسه وأخذ يقول المدبر الذي كان يدبرني قد عجز عن التدبير. والآن فلا تنفع المعالجة وبقي على هذا أياماً ثم انتقل الى جوار ربه ودفن جسده. وفيه قال بعضهم:

ما نفع الرئيس من حكمه الطَّبَّ ولا حكمه على التبرات
 ما شفاء الشفاء من ألم الموت ولا نجاه كتاب النجا
 وكفر الغزالي ابن سينا في اصول . منها قوله لأجساد لا تحترق وانما الثابت والمعاقب هي
 الارواح وقوله يقدم العالم واعتقاد هذا كفر صريح (لابي الفرج الملقبي)

مؤرخو المسلمين

ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) (١١٥٩ - ١٢٣٣ م)

٣٠٧ أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الحزري الملقب عز الدين . وُلِدَ بالخزيرة ونشأ حاتم ساراكى الموصل مع والده وأخويه . وسكن الموصل وسمع حيا من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ومن في طبقته . وقدم بغداد مرارا حاجا ورسولا من صاحب الموصل . ثم رحل الى الشام والقدس وسبع هناك من جماعة . ثم عاد الى الموصل ولزم بيته منقطعا الى التوفد على النظر في العلم والتصنيف . وكان يتهبجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها . وكان إماما في حفظ الحديث ومعرفة وما يتعلق به وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة . وخيرا بانساب العرب واياهم ووقائعهم واخبارهم . صنّف في التاريخ كتابا كبيرا أسماه الكامل ابتداء فيه من أول الزمان الى آخر سنة ثمان وعشرين وستائة . وهو من خيار التواريخ واختصر كتاب الانساب لابي سعد عبد الكريم السمعاني . واستدرك عليه فيه مواضع ونبه على اغلاط . وزاد اشياء اهملها . وهو كتاب مفيد جدا وأكثر ما يوجد اليوم بأيدي الناس هذا المختصر . وله كتاب اخبار الصحابة في ست مجلدات كبار . وأقام بجلب بصورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم اتا بك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب وكانت فيها وفاته (لابن خلكان)

ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م)

٣٠٨ هو محمد بن عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي قاضي القضاة ونسب سلفه الى وائل بن حجر من عرب اليمن . وكانوا نزلاء اشيلية فنصد الحادثة بالاندلس انتقلوا منها عن نباهة وشهرة واستقرؤا بتونس . واما المترجم به فهو رجل فاضل حسن الخلق . جم الفضائل باهر الحاصل . رفيع القدر ظاهر الحياء . اصبل المجد وقور المجلس . خاصي الزمي عالي الصمة . عزوف عن الضمب صعب المقادة . قوي الجاش طامح لفتن الرئاسة . خاطب للخط متقدم في فنون عقلية وثقلية . متعدد المزايا سديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور . بارع الخط مفرى بالجملة . جواد حسن المشرة مبذول المشاركة . مقيم لرمع التبعين ما كلف على رمي خلال الاصلة . مفر من مفاخر التجوم المغربية . قرأ القرآن ببلده . وتأدب بابيه وانصرف من اقرقية منشبه

بعد ان تعلق بالخدمة السلطانية على الحدائق واقامت لرسم العلامة بحكم الاستقامة عام ثلاثة وخمسين وسبعائة . وعرف فضله وخطبه السلطان منفق سوق العلم والادب أبو عنان فارس ابن علي بن عثمان واستحضره بمجلس المذاكرة . فعرف حقه وأوجب فضله واستعمله على الكتابة اوائل عام ستمة وخمسين . ثم عظم عليه حمل الحاصبة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأني وشغوفه بثقوب الفهم وجودة الادراك . فاغروا به السلطان . فاصابته شدة تخلصه منها اجله الى ان افضى الأمر الى السعيد ولده . فاعتبه قيم الملك لحسنه وأعادته الى رسمه وذلك الدولة الى السلطان أبي سالم وكان له به الاتصال قبل تسويع الهنة بما أكسده حظوته . فقلده ديوان الانشاء مطلق الجرايات محرر السهام نبيه الرتبة الى آخر أيامه . ولما اقلت الدولة مقاديرها بعده الى الوزير عمر بن عبد الله مدبر الأمر وله اليه وسيلة وفي حليته شركة وعنده حتى رابعه تقصيره مما ارتقى اليه أمه نساء ما بينها بما آل الى انفصاله عن الباب المريني . وورد على الأندلس في أول ربيع الأول عام أربعة وستين وسبعائة . واهتم له السلطان وأركب خاصته لتلقيه واكرم وفادته . وخلع عليه وأجلسه بمجلسه . ولم يدخر عنه برأ ومواكفة ومراكمية ومطابفة . وله التاريخ الكبير الذي سماه ديوان العبر وكتتاب المبتدا والخبر في تاريخ العرب واليهيم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . وقد عرف في آخره بنفسه وأطال وذكر انه لما كان بالأندلس وحظي عند السلطان أبي عبد الله شمر من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض فقوض الرحال ولم يرض من الإقامة بجال . ولعب بكرته صولجة الاقدار . حتى حل بالقاهرة المعزية واتخذها خيرا دار . وتولى ما قضاها القضاة . ثم قدم على عمرك . فآكرمه غاية الاكرام وأعادته الى الديار المصرية . وقد كان ابن خلدون هذا من مجانب الزمان . وله من النظم والنثر ما يزري بقود الجمان . مع الحسة العلية . والتبحر في العلوم الثقيلة والعقيلة . وكانت وفاته بالقاهرة . قال الحاج خليفة : ومقدمة ابن خلدون المشهورة هي الكتاب الاول من تاريخه المذكور آنفا وهي في العمران وما يعرض له . ولابن خلدون نظم رائق منه قوله حتى بعض الوزراء :
هنتا بصوم لا عداه قبول
وشرى بيد انت فيه منيل
وهنتها من عزة وسعادة
تتابع اعوامها وفصول
سقى الله دهر انت انسان عينه
ولامس ربما في حماك تحول
فصرك ما بين الليالي مواسم
لها غرر وضاحة وحول (للمقري)

أبو القداء (٦٧٢ - ٧٣٢ هـ) (١٢٧٣ - ١٣٣١ م)

٣٠٩ اساعيل بن علي بن شاذي الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء صاحب حماة برع في الفقه والاصول والعربية والتاريخ والادب وصار من جملة امراء دمشق الى ان كان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك وبالغ في خدمته الى ان وعده الملك الناصر محمد بسلطنة حماة

ثم قام بوعدة بعد مدة وجعل ابا القداء سلطاناً على حماة . واحضره الى القاهرة فآكرمه وأركبه بشعار السلطنة وشى الامراء والاكابر في خدمته حتى شى الأمير ارغون النائب بالديار المصرية . وقام له الملك الناصر بكل ما يحتاج اليه من التشرىف والانعامات على وجوه الدولة والحبول بقماش الذهب وغير ذلك ولقبه بالملك الصالح وأمره بالتوجه الى محل سلطنته بجدة . فخرج اليها من ديار مصر بتجمل زائد وعظمة على عادة الملوك . فوصلها في جمادى الاخرة سنة عشر وسبعائة . ثم عن قليل غير السلطان لقبه ولقبه بالملك المؤيد وذلك لما حج معه في سنة تسع عشرة وسبعائة . وعاد معه الى القاهرة واذن له ان يطلب باسمه بجدة واعمالها على ما كان عليه سلفه من ملوك حماة . وكان الملك المؤيد في كل قليل يتوجه من حماة الى القاهرة ومعه أنواع من الهدايا والتحف للملك الناصر محمد بن قلاوون ويعود الى محل سلطنته . ثم في كل قليل يتحف الملك الناصر بالاشياء الطريفة الغريبة . قال بعضهم في وصفه : هو الملك الجليل . وامام تلة ظليل . عالم تتحقق بالنصر اعلامه . وطاسكم تجرى لمصالح الرعية أقلامه . بيته مشيد . وملكه مؤيد . وصدرة للطلالين مشروح . وبابه لأرباب الفضائل مفتوح . كان جواداً سخياً . باسلاً كياً . ومدوحاً محموداً . منتاباً مقصوداً . ذا تدبير وسياسة وحشمة ورياسة . وفضل ومكارم . وحلم ومراحم وعدل وانصاف . ومعروف وأوقاف . يجب أهل العلم والأدب . ويفيض عليهم سخائب القرب والقرب . زاحم جسمته النجوم . وشارك في عدة من العلوم . وألف تاريخاً كثير الفوائد . ونظم الحاوي نظماً يسخر بالنعوذ والقلائد . وله مصنفات مروفة . وقرىض به قراضة ذهبه موصوفة . باشر النيابة ثم السلطنة بجدة مدة طويلة . واسدى الى سكان حماها ما استوجب به شكر مناقبه الجميلة

وكان له نظم ونثر وتصانيف كثيرة . وكتاب تقويم البلدان هذبة وجدوله . وكتاب الموازين . وكانت وفاته بجدة ودفن في تربته المروفة بانثائه عن ستين سنة . وراثه محمد بن نيابة المصري بعدة مرات أشهرها قوله :

ما للتدى لا يلى صوت داعيه	اظن ان ابن شاذ قام ناعيه
ما للرجاء قد استدت مذاهبه	وللزمان قد اسودت نواحيه
ما لي أرى الملك قد قضت موافقه	ما لي أرى الوفد قد فاضت مآقيه
نعى المؤيد ناعيه فبا أسفاً	للغيث كيف غدت عنأ غواديه
واروعتاً لصباح من رزبه	اظن ان صباح الحشر ثابيه
واحمرناه لنظي في مداحه	كيف استحال لنظي في مرائيه
ابكيه بالدر من جفني ومن كليي	والبحر أحسن ما بالدر ابكيه
اروي بدمي ترى ملك له شيم	قد كان يذكرها الصادي قترويه

أذبل ماء جفوني بعده أسفاً
 جار من الدمع لا ينفك يطلقه
 ومهجة كلما فاهت بلوعتها
 ليت المؤيد لا زادت عوارفه
 لبت الأصغر يُفدى الاكبرون جا
 ماء وجي الذي قد كان بحميه
 من كان يطلق بالانام جاريه
 قالت رزية مولاه لها ايه
 فزاد قلبي المعنى من تَلَطَّبِه
 فكانت الشهب في الآفاق تقديوه

الطَّبْرِيُّ (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) (٨٢٩ - ٩٢٣ م)

٣١٠ ابو جعفر محمد بن جرير صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير. كان احد ائمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. وكان بصيراً عارفاً بأيام الناس. وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها لم يقلد فيه أحدًا. واستوطن الطبري بغداد وأقام فيها حتى توفي. وكان اسمر الى الامة اعين نجيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان ذكر له ابو اسحاق الشيرازي شعراً:

إذا أعسرت لم يعلم شقيقي واستغني فيستنخي صديقي
 حياتي حافظ لي ماء وجي ورفقي في مطالتي رفيقي
 ولو اني سمحت ببذل نفسي لكنت الى الفتي سهل الطريق

تقي الدين المقرئ (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ) (١٣٦٥ - ١٤٤٢ م)

٣١١ هو أحمد بن عبد الصمد الشيخ الامام العالم البارع عمدة المؤرخين وعين المحدثين تقي الدين المقرئ البليكي الأصل المصري الدار والوفاة. نشأ بالقاهرة وتفقّه على مذهب الحنفية. ثم تحول شافعيًا بعد مدة طويلة. وتفقّه وبرع وصنّف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم. وكان ضابطاً مؤرخاً منفتحاً معظماً في الدول. وولي حاسبة القاهرة أوّل ولايته من قبل الملك الظاهر برفوق عوضاً عن شمس الدين محمد الجبائي ثم عزل بالقاضي بدر الدين البينتابي ثم وليها عنه أيضاً وولي عدة وظائف دينية. وعرض عليه قضاء دمشق في أوائل الدولة الناصرية فأبى ان يقبل ذلك. وكان اماماً منفتحاً كتب الكتب الكثيرة مجلّه وانتقى اشياء وحصل القوائد. واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ وغيره. حتى صار به يضرب المثل. وكان له محاسن شتى ومحاضرة جيدة الى النهاية لاسيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك. وكان منقطعاً في داره ملازماً للعبادة قل ان يردد الى أحد الآ ضرورة. وقرأت عليه كثيراً من مصنفاته وكان يرجع الى قولي فيما اذكره له من الصواب ويفتر ما كتبه أوّلاً في مصنفاته. وانتفعت به واستفدت منه وكان كبير الكتابة والتصنيف. وصنّف كتباً كثيرة من ذلك إمتاع الأسياع في ستة مجلدات وهو كتاب نفيس وله كتاب

المهبر عن البشر ذكر فيه القبائل في اربعة مجلدات وعمل له مقدمة في مجلد . وكتاب السلوك في معرفة دول الملوك في عدة مجلدات يشتمل على ذكر ما وقع من الحوادث الى يوم وفاته . وله تاريخه الكبير المسمى في تراجم أهل مصر والواردين اليها ولو كمل هذا التاريخ تجاوز الثمانين مجلداً . وله كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار في عدة مجلدات وهو في غاية الحسن . وكتاب مجمع الفوائد ومنبع العوائد كمل منه نحو الثمانين مجلداً كالتذكرة وكتاب شذور العقود وكتاب الأوزان والاصيال الشرعية . وكتاب ازالة التيب والفاء في معرفة الحال في الفناء . وكتاب المقاصد السنية في الأجسام المعدنية . وله عدة تصانيف أخر ولم يزل ضابطاً حافظاً للوقائع والتاريخ الى ان توفي ودُفن بالقاهرة (المهمل الصافي لابي المحاسن)

الأواقدي (١٣٠ - ٢٠٧ هـ) (٧٤٧ - ٨٢٣ م)

٣١٢ أبو عبد الله محمد الواقدي المدني مولى بني هاشم . كان اماماً طالما له التصانيف في المنازى وغيرها . وله كتاب الردة ذكر فيه ارتداد العرب . ويُعزى اليه تاريخ فتوح الشام والجزيرة وغيرها . وتولى الواقدي القضاء بشري ببلاد وكان المأمون يكرم جانبه وببالغ في رعايته . ومن غريب ما أخبر الواقدي عن نفسه ما نصه قال : كان لي صديقان احدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فالتني ضابطة شديدة وحضر العيد . فقالت امرأتي : اما نحن في انفسنا فنصبر على البؤس والشدة . واما صديقاتنا هؤلاء فقد قطعوا قلبي لانهن يرذن صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو احتلت في شيء فصرفته في كسوتهم . (قال) فكتبت الى صديقي الهاشمي اسأله التوسمة علي بما حضر فوجهه الي كسبا محتوماً ذكر ان فيه الف درهم . فاستقر قراره حتى كتب الي الصديق الآخر يشكره مثل ما شكوت لي صاحبي الهاشمي . فوجهت اليه الكيس بخنسه وخرجت الى المسجد فاقمت فيه ليلتي مستحياً من امرأتي . فلما دخلت عليها استعصت ما كان مني ولم تستغي علي . فيينا انا كذلك اذ واني صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيتي . فقال لي : اصبر فني عما فعلته فيما وجهت به اليك . فمرفته المهبر على وجهه فقال لي : انك وجهت الي وما املك على الارض الا ما بثت به اليك . وكتبت الى صديقتنا اسأله المواساة فوجه كيسي بخاتي . قال الواقدي : فتواسينا الف درهم فيما بيننا . ونفى المهبر الى المأمون فدعا في فشرحت له المهبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد متأثري دينار وللرأة ألف دينار (٥)

(٥) وقد اشتهر ايضاً من المؤرخين المسلمين ابو الحسن المسعودي (٨٦٥ هـ) كان صاحب غرائب وبلغ وله عدة مصنفات منها ذخائر العلوم والتاريخ المسمى مروج الذهب . ومنهم ابن الوردي (٥٧٦٩ هـ) وكان متفتناً بالعلوم له تسمية تاريخ ابي الفداء وخريدة العجايب في تخطيط البلدان . ومنهم شهاب الدين التوريري (٥٧٣٣ هـ) صاحب خاية الأرب في فنون العرب

الباب السابع عشر في التاريخ

دولة العباسيين

ابتداء دولة بني عباس (٧٥٠) خلافة السفاح (٧٥٠ - ٧٥٤ م)

٣١٢ لما اضطرب حبلُ بني أمية انتقل الملكُ إلى آلِ عباسٍ. وأعلم أن الدولة العباسية كانت دولة ذات خُذعٍ ودَهاءٍ وعَدْرٍ. وكان قسمُ التحيلِ والتخادعةِ فيها أوفرَ من قسمِ القوةِ والشدةِ خصوصاً في أواخرِها. فإن المتأخرين منهم بطلوا قوَّةَ الشدةِ والتجدةِ وركنوا إلى الحيلِ والخُذعِ. إلا أنها كانت دولةً كثيرةَ المحاسنِ جمَّةَ المكارمِ أسواقِ العلومِ فيها قائمةٌ. وبضائعِ الآدابِ فيها نافعةٌ. وشعائرُ الدينِ فيها معظمةٌ. وأخباراتُ فيها دأيرةٌ. والدنيا عامرةٌ. والحرماتُ مرعيةٌ. والشعورُ محصنةٌ. حتى كانت أواخرها فانتشر الجبرُ واضطرب الأمرُ وأولُ من تولى الخِلافةَ منهم أبو العباس السفاح (١٣٣هـ). وكان كريماً وقوراً عاقلاً كاملاً كثيرَ الحياءِ حسنَ الأخلاقِ. ومحوّلُ السفاحِ من الحيرةِ إلى الأنبارِ. ولما استوثق له الأمرُ تبعَ بقايا بني أمية ورجالهم فوضع السيفَ فيهم وأغراه على قتلهم سديفَ الشاعرِ فأشدهُ وسليمان بن عبد الملك حاضرٌ في مجلسه مع سبعين رجلاً من بني أمية: لا يفرنك ما ترى من رجالٍ إن تحت الضلوعِ داءٌ دويًّا

فَضَعَ السِّيفَ وَأَرْفَعَ السُّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُومًا
فَأَلْتَمَتَ أَحَدَهُمْ إِلَى مَنْ بِيَانِهِ وَقَالَ : قَتَلْنَا الْعَبْدُ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ
السَّفَاحُ فَضُرِبُوا بِالسُّيُوفِ حَتَّى قَتَلُوا . وَبَسَطَ النُّطُوعَ عَلَيْهِمْ وَجَلَسَ
فَوَقَّعَهُمْ فَأَكَلَ الطَّعَامَ وَهُوَ يَسْمَعُ أَيْنَ بَعْضِهِمْ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا . وَبَالَغَ
بُنُو الْعَبَّاسِ فِي اسْتِئْصَالِ شَاقَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ حَتَّى نَبَشُوا قُبُورَهُمْ بِدِمَشْقَ
وَأَسْتَصَفَوْا أَمْوَالَ أَهْلِكِهِمْ . ثُمَّ لَمْ تَطُلْ مُدَّةُ السَّفَاحِ حَتَّى مَاتَ
بِالْأَنْبَارِ سَنَةَ مِئَةٍ وَسِتِّ وَثَلَاثِينَ . وَأَسْتُوزِرَ لَهُ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو
سَلْمَةَ الْخَلَّالُ وَكَانَ سَخِيحًا كَرِيمًا مَطْعَمًا كَثِيرَ الْبَذْلِ مَشْفُوقًا بِالتَّنُوقِ
بِالسَّلَاحِ وَالذُّوَابِ فَصِيحًا عَالِمًا بِالْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وَالسِّيَرِ وَالْجَدَلِ
وَالتَّفْسِيرِ حَاضِرَ الْحُجَّةِ ذَا يَسَارٍ وَمُرُوءَةٍ ظَاهِرَةٍ . فَلَمَّا بُوِيَغَ السَّفَاحُ
أَسْتُوزِرَهُ وَقُوِّضَ الْأُمُورُ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الدَّوَابِينَ وَكَلَّبَ وَزِيرَ آلِ
مُحَمَّدٍ . ثُمَّ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ وَكُتِبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ يُعَلِّمُهُ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ أَبُو سَلْمَةَ
مَنْ نَقَلَ الدَّلِيلَ عَنِ بَنِي عَبَّاسٍ . فَلَمَّا قَرَأَ أَبُو مُسْلِمٍ الْكِتَابَ فَطِنَ
لِغَرَضِ السَّفَاحِ فَأَرْسَلَ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ قَتَلُوا أَبَا سَلْمَةَ (للفخري)

(بو جعفر المنصور (٧٥٤ - ٧٧٥))

٣١٤ بُوِيَغَ فِي سَنَةِ مِئَةٍ وَسِتِّ وَثَلَاثِينَ . وَكَانَ الْمُنْصُورُ مِنْ عُظَمَاءِ
الْمُلُوكِ وَخَزَمَتِهِمْ وَعَمَلَاتِهِمْ وَذَوِي الْأَرَاءِ الصَّانِبَةِ مِنْهُمْ وَالتَّدْبِيرَاتِ
السَّدِيدَةِ . وَقُوْرًا شَدِيدَ الْوَقَارِ حَسَنَ الْخُلُقِ فِي الْحُلُومَةِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ
أَحْتِمَالًا لِمَا يَكُونُ مِنْ عَيْثٍ أَوْ مَزَاحٍ . وَكَانَ يَلْبَسُ الْحَشِينَ وَرَبَّمَا رَقَعَ

فِيصَهُ وَلَمْ يَكُنْ يَرَى فِي دَارِ الْمُنْصُورِ لَهُوً وَلَعِبًا. قَالَ زَيْدُ بْنُ هُبَيْرَةَ:
 مَا رَأَيْتُ رَجُلًا فِي حَرْبٍ أَوْ سَلِمَ أَمْكَرَ أَوْ أَنْكَرَ وَلَا أَشَدَّ تَقِيظًا مِنَ
 الْمُنْصُورِ. لَقَدْ حَاصَرَنِي تِسْعَةَ شُهُورٍ وَمَعِيَ فُرْسَانُ الْعَرَبِ فَجَهَدْنَا كُلَّ
 الْجَهْدِ حَتَّى نَنَالَ مِنْ عَسْكَرِهِ شَيْئًا فَمَا قَدَرْنَا لِشِدَّةِ ضَبْطِهِ لَهُ وَتَقِيظِهِ.
 وَرَتَّبَ الْقَوَاعِدَ وَأَقَامَ النَّامُوسَ. وَكَانَ مُجْتَازًا يُضْرَبُ بِسِجِّهِ الْأَمْثَالَ.
 فَسَمِّيَ لِجَلْدِهِ أَبَا الدَّوَانِقِ لِحَاسِبَةِ الْعَمَالِ وَالصَّنَاعِ عَلَى الدَّائِقِ وَالْحَبَّةِ.
 وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا حَازِمًا يُعْطَى فِي مَوْضِعِ الْعَطَاءِ وَيَمْنَعُ فِي
 مَوْضِعِ الْمَنَعِ. وَكَانَ الْمَنَعُ عَلَيْهِ أَغْلَبَ. وَلَمَّا بُويعَ لِلْمُنْصُورِ قَتَلَ أَبَا مُسْلِمٍ
 الْخُرَّاسَانِيَّ وَكَانَ سَبَبَ قَتْلِهِ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ كَانَ قَدِيمًا مِنْ أُمَّةِ الْحَجَّ مَعَ
 أَبِي جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ فَأَرْسَلَهُ لِقِتَالِ عَمْرِئِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ
 بَارِضَ نَصِييْنٍ. فَأَقْتَتَلَ هُوَ وَأَبُو مُسْلِمٍ عِدَّةً دَفُوعٍ حَتَّى أَنْهَزَمَ عَبْدُ
 اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَظَفَرَ بِعَسْكَرِهِ. فَكَتَبَ الْمُنْصُورُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ بِالْوِلَايَةِ
 عَلَى مِصْرَ وَالشَّامِ وَصَرَفَهُ عَنْ خُرَّاسَانَ. فَلَمْ يُجِبْ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى ذَلِكَ
 وَتَوَجَّهَ يُرِيدُ خُرَّاسَانَ. فَخَافَهُ أَبُو جَعْفَرِ الْمُنْصُورُ وَأَجْمَعَ الرَّأْيَ وَعَمِلَ
 الْمَكَايِدَ وَهَجَرَ النَّوْمَ إِلَى أَنْ ائْتَصَّصَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمُنْصُورِ أَقْبَلَ
 عَلَيْهِ يُعَاتِبُهُ وَيَذْكُرُ عَثْرَاتِهِ. فَجَعَلَ أَبُو مُسْلِمٍ يَتَعَدَّرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: قَتَلَنِي
 اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ. ثُمَّ أَوْعَزَ إِلَى حَرَسِهِ فَضَرَبُوهُ لِيُسَوِّفَهُمْ وَهُوَ يَصْرُخُ
 وَيَسْتَأْمِنُ وَيَقُولُ: اسْتَيْقِنِي لِعَدْوِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ لَهُ الْمُنْصُورُ:
 وَأَيُّ عَدُوٍّ إِلَيَّ أَعْدَى مِنْكَ. وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ ذَارِئِي وَتَدْبِيرِي وَحَزَمِي

وَرُوءٍ . وَكَانَ قَتَاكَ قَاسِيَ الْقَلْبِ سَوَطُهُ سَيْفُهُ . وَفِي عَهْدِهِ خَرَجَ
 الرَّائِدِيَّةُ وَكَانَ هُوَ لَا قَوْمًا مِنْ أَتْبَاعِ أَبِي مُسْلِمٍ يَقُولُونَ بِالتَّوَسُّخِ .
 فَجَبَسَ الْمَنْصُورُ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ مِنْهُمْ فَغَضِبَ الْبَاقُونَ وَاجْتَمَعُوا وَحَمَلُوا
 بَيْنَهُمْ نَفْسًا كَانَتْ فِي جَنَازَةٍ وَجَاءُوا إِلَى السَّيْحِنِ فَرَمُوا بِالنَّفْسِ وَأَخْرَجُوا
 أَصْحَابَهُمْ . وَحَمَلُوا عَلَى النَّاسِ فِي سِتِّمِائَةِ رَجُلٍ وَقَصَدُوا قَصْرَ الْمَنْصُورِ .
 فَخَرَجَ الْمَنْصُورُ مِنَ الْقَصْرِ مَاشِيًا وَجَاءَ مَعَهُ بَنُ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيُّ وَكَانَ
 مُسْتَحْفِيًا مِنَ الْمَنْصُورِ لِقِتَالِهِ مَعَ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَقَدْ اشْتَدَّ طَلَبُ الْمَنْصُورِ لَهُ .
 فَحَضَرَ عِنْدَهُ مُتَلَثِّمًا هَذَا الْيَوْمَ فَقَاتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَبَى بَلَاءً
 حَسَنًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ رَاكِبًا عَلَى بَعْلَةٍ وَجَلَمَهَا فِي يَدِ الرَّبِيعِ حَاجِبِهِ فَاتَى
 مَعَهُ وَقَالَ : نَعَمْ فَأَنَا أَحَقُّ بِهَذَا الْجِلَامِ فِي هَذَا الْوَقْتِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ :
 صَدَقَ . أَدْفَعِ الْجِلَامَ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى انْكَشَفَتِ الْحَالُ وَظَهَرَ
 بِالرَّائِدِيَّةِ فَأَسْتَنْسَبَهُ الْمَنْصُورُ فَقَالَ : طَلِبْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ بَنُ
 زَائِدَةَ . فَقَالَ : قَدْ أَمَنَكَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ وَمِثْلِكَ يُصْطَلَعُ
 وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَوَلَّاهُ الْيَمِينَ (*) (تاريخ ابن خلدون)

بناء مدينة بغداد

(٥) كان المنصور يكره أهل الكوفة ولا يأمن على نفسه منهم فبعثهم عن جوارهم وسار
 إلى مكان بغداد اليوم . وجمع من كان هناك من البطارقة فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحر
 والبرد والمطر والوحل والهوام . واستشارهم فاشاروا عليه بكناها وقالوا: تحببنا الميرة في السفن
 من الشام والرقعة ومصر والمغرب إلى المصرات . ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار
 بكر والروم والموصل في دجلة . ومن أرمينية وما اتصل بها في تامة حتى يتصل بالزاب .
 وانت بين خمار كالحقاد ولا تُبهر إلا على القناطر والجسور . وإذا قطعت لم يكن لمدوك مطمع

٣١٥ وَفِي أَيَّامِ الْمُنْصُورِ نَبَتِ الدَّوْلَةُ الْبُرْمَكِيَّةُ . وَكَانَ السَّقَّاحُ قَدِ اسْتَوَزَرَ بَعْدَ أَبِي سَلَمَةَ خَالِدَ بْنَ بَرْمَكٍ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . وَكَانَ خَالِدٌ فَاضِلاً جَلِيلاً كَرِيماً حَازِماً يَقِظاً خَفَّ عَلَى قَلْبِ الْخَلِيفَةِ وَكَانَ عَظِيمَ الْمُنْزَلَةِ عِنْدَهُ . فَكَثُرَ الْوَافِدُونَ عَلَى بَابِ خَالِدٍ وَمَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ وَأَنْجَحَهُ النَّاسُ . فَلَمَّا تَوَلَّى الْمُنْصُورُ الْخِلَافَةَ أَقْرَهُ عَلَى وَزَارَتِهِ وَآكْرَمَهُ وَأَسْتَشَارَهُ . وَكَانَتْ وَفَاةُ الْمُنْصُورِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ بِسِيرٍ مَيْمُونَةٍ عَلَى أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ بِالْحَجِّ . وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ سَنَةً . وَكَانَ طَوِيلاً أَسْمَرَ نَحِيفاً خَفِيفَ اللَّحْيَةِ رَحِبَ الْجَبْهَةِ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ لِسَانَانِ نَاطِقَانِ . صَارِماً مَهِيْباً ذَا جَبْرُوتٍ وَسَطْوَةٍ

وأنت متوسط بين البصرة والكوفة ووسط الموصل . قريب من البر والبحر والجبل . فشرع المنصور في عمارتها وأحضر الصنَّاعَ والفَعْلَةَ واختار من ذوي الفضل والعدالة والعفة والامانة والمعرفة بالهندسة منهم الحجاج بن ارطاة وأبو حنيفة الفقيه . وأمر بخرطها بالرماد فشككت ابوابها وفصلها وطاقها ونواحيها . وجعل على الرماد حب القطن فاضرم ناراً ثم نظر إليها وهي تشتعل ضرف رسمها وأمر ان تحفر الأُسُسَ على ذلك الرسم . ووضع يده أول لبنه وقال : بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها لمن يشاء من عبادي والعاقبة للمتقين . وجعل المدينة مدورة وجعل قصره وسطها ليكون الناس منه على حدٍ سواء . وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وجعل لها سورين والداخل أعلى من الخارج . وأخرج الاسواق الى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها . وجعل الطرق أربعين ذراعاً . وكان مقدار الفتحة عليها في المسجد والقصر والاسواق والفصلان والحناقي والابواب أربعة آلاف الف وثمانمائة الف وثلاثة وثلاثين الف درهم . وكان هناك موضع يُسَمَّى بغداد فسُمِّيت المدينة باسمه . ويقال الزوراء وكان موضعها يُسَمَّى الزوراء قديماً . ويقال مدينة المنصور ويقال دار السلام . وقيل انه لم يمت فيها خليفة قط . فمدينة المنصور هي بغداد القديمة وهذه بغداد التي هي بالجانب الشرقي استحدثت بعد ذلك

(لابن خلدون بتصرف)

محمد المهدي (٧٧٥ - ٧٨٥) وابنه موسى الهادي (٧٨٥ - ٧٨٦)

٣١٦ ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُهْدِيُّ بِاللَّهِ . بُوعِي لَهُ بِالْخِلاَفَةِ يَوْمَ وِفَاةِ
 أَبِيهِ الْمَنْصُورِ بِمَهْدِ مِنْهُ . وَأَوَّلُ مَنْ بَيْنَ تَغْرِيثِهِ وَتَهْنِئَتِهِ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ :
 عَيْنَايَ وَاحِدَةٌ تَرَى مَسْرُورَةً بِأَمِيرِهَا جُنْدِي وَأُخْرَى تَذْرِفُ
 تَبْكِي وَتَضْحَكُ تَارَةً وَيَسُوهَا مَا أَنْكَرْتَ وَيَسُرُّهَا مَا تَعْرِفُ
 فَيَسُوهَا مَوْتُ الْخَلِيفَةِ مُحْرَمًا وَيَسُرُّهَا أَنْ قَامَ هَذَا يَخْلِفُ
 مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَا رَأَيْتُ وَلَا أَرَى شِعْرًا أَسْرَحُهُ وَآخِرَ أَتْفُ
 هَذَا حَبَاهُ اللَّهُ فَضَلَ خِلاَفَةَ وَلِذَلِكَ جَنَّتْ النِّعَمُ تُخْرَفُ
 وَكَانَ الْمُهْدِيُّ شَهْمًا فَطِنًا كَرِيمًا شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ الْإِحَادِ وَالزُّنْدَقَةِ .
 لَا تَأْخُذُهُ فِي إِهْلَاكِهِمْ لَوْمَةٌ لِأَمٍّ . وَكَانَتْ أَيَّامُهُ شَدِيدَةً بِأَيَّامِ أَبِيهِ
 فِي الْقُتُوقِ وَالْحَوَادِثِ وَالْحَوَارِجِ . وَكَانَ يَجْلِسُ فِي كُلِّ وَقْتٍ لِرَدِّ
 الْمَظَالِمِ . وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةَ سِيرَ الْمُهْدِيُّ ابْنَ الرَّشِيدِ لِعَزْوِ
 الرُّومِ فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ خَلِيجَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَصَاحِبُ الرُّومِ وَقْتِدِ إِيْرِنِي
 أَمْرًا لَأَوْنَ الْمَلِكِ . وَذَلِكَ أَنَّ أَبْنَهَا كَانَ صَغِيرًا قَدْ هَلَكَ أَبُوهُ وَهُوَ فِي
 حُجْرٍهَا فَجَرَعَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَطَلَبَتِ الصَّلْحَ مِنَ الرَّشِيدِ فَجَرَى
 الصَّلْحَ بَيْنَهُمْ عَلَى الْقَدِيَّةِ . وَمَاتَ الْمُهْدِيُّ بِمَا سَبَدَانَ وَأَخْتَلَفَ فِي مَوْتِهِ
 وَلَمَّا تَوَفَّى الْمُهْدِيُّ كَانَ الرَّشِيدُ مَعَهُ فِي مَا سَبَدَانَ فَكَتَبَ إِلَى
 الْهَادِي يُعَلِّمُهُ بِوَفَاةِ الْمُهْدِيِّ وَالْبَيْعَةَ لَهُ . فَتَادَى بِالرَّحِيلِ إِلَى بَدَادٍ وَلَمَّا قَدِمَا
 اسْتَوَزَرَ الرَّبِيعُ بْنُ يُونُسَ . وَكَانَ الرَّبِيعُ جَلِيلًا نَبِيلًا مُنْفِذًا لِلْأُمُورِ

هَيِّبًا فَصِيحًا كَمَا حَارَمًا خَيْرًا بِالحِسَابِ وَالْأَعْمَالِ . حَادِقًا بِأُمُورِ
 الْمَلِكِ بَصِيرًا بِمَا يَأْتِي وَيَدْرُحِيًّا لِعَمَلِ الحَيْرِ . وَتَبَعَ الهَادِي الزَّنَادِقَةَ وَلمْ
 تَطُلْ مَدَنُهُ . وَسَبَّ وَقَاتَهُ أَنَّهُ لَمَّا وَلى الخِلافةَ كَانَتْ أُمُّهُ الحَيْرَانُ تُسْتَبِدُّ
 بِالْأُمُورِ دُونَهُ وَكَلِمَتُهُ يَوْمًا فِي أَمْرٍ لَمْ يَجِدْ إِلَى إِجَابَتِهَا سَبِيلًا . فَقَالَتْ :
 لَا بُدَّ مِنَ الإِجَابَةِ إِلَيْهِ . فَغَضِبَ الهَادِي وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَضِيَّتُهَا لَكَ .
 قَالَتْ : إِذَا لَأَسْأَلُكَ حَاجَةً أَبَدًا . قَالَ : لَا أَبَالِي . فَتَمَّتْ مُغْضَبَةً
 فَقَالَ : مَكَانَكَ . وَاللَّهِ لَنْ بَلَّغَنِي أَنَّهُ وَقَفَ فِي بَابِكَ أَحَدٌ مِنْ قَوَادِي
 لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ . مَا هَذِهِ المَوَاكِبُ الَّتِي تَعْدُو وَتَرُوحُ إِلَى بَابِكَ . أَمَا لَكَ
 مِغْزَلٌ يَشْتَلِكُ أَوْ مُصْحَفٌ يُدَبِّرُكَ أَوْ بَيْتٌ يَصُونُكَ . فَأَنْصَرَفَتْ وَهِيَ لَا
 تَعْقِلُ وَوَضَعَتْ جَوَارِيهَا عَلَيْهِ لَمَّا مَرَضَ فَقَتَلَنَّهُ بِالنِّعَمِ وَبِالجُلُوسِ عَلَى
 وَجْهِهِ فَمَاتَ . وَكَانَتْ خِلافتُهُ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ

هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩)

٣١٧ وَوَلِي بَعْدَ الهَادِي بِمَهْدٍ مِنْ أَبِيهِ أَخُوهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ الخَلِيفُ
 مِنَ العَبَّاسِيِّينَ سَنَةً سَبْعِينَ وَمِئَةً وَمَوْلِدُهُ فِي الرَّيِّ . وَأُمُّهُ الحَيْرَانُ
 أُمُّ الهَادِي وَفِيهَا قَالَ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ الشَّاعِرُ :

يَا حَيْرَانَ هَتَاكَ ثُمَّ هَنَّاكَ أَمْسَى يَسُوسُ العَالَمِينَ أَبْنَاكَ
 وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا أَدِيبًا كَثِيرَ العِبَادَةِ كَثِيرَ الحُجَّجِ . قَالَ فِيهِ شَاعِرٌ :
 مَنْ يَطْلُبُ لِقَاءَكَ أَوْ يُرَدُّهُ فِى الحَرَمَيْنِ أَوْ أَقْصَى الثُّغُورِ
 وَكَانَ يُصَلِّي فِي خِلافتِهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةٍ لَا يَتْرُكُهَا إِلَّا لِمَلَّةٍ .

وَيَصَدَّقُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ صُلْبِ بَالِهِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . وَيُحِبُّ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ
وَيُعْظِمُ حُرْمَاتِ الْإِسْلَامِ . وَمِنْ غَرِيبٍ مَا اتَّفَقَ لِهَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّ
أَخَاهُ مُوسَى الْهَادِي لَمَّا وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ سَأَلَ عَنْ خَاتَمِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ كَانَ
لِأَبِيهِ الْمُهَدِيِّ . فَبَلَغَهُ أَنَّ الرَّشِيدَ أَخَذَهُ فَطَلَبَهُ مِنْهُ فَأَمْتَعَ مِنْ إِنْطِغَابِهِ
فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِيهِ فَحَقَّقَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ . وَمَرَّ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ فَرَمَاهُ فِي
الدَّجَلَةِ . فَلَمَّا مَاتَ الْهَادِي وَوَلِيَ الرَّشِيدُ الْخِلَافَةَ أَتَى ذَلِكَ الْمَكَانَ
بَعِيْنِهِ وَمَعَهُ خَاتَمُ رِصَاصٍ . فَرَمَاهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فَأَمَرَ النُّطَاسِيْنَ
أَنْ يَلْتَمِسُوهُ فَعَاصُوا عَلَيْهِ فَاسْتَحْرَجُوا الْخَاتَمَ الْأَوَّلَ . فَسَرَّ بِهِ الرَّشِيدُ
وَعَدَّ ذَلِكَ مِنْ سَعَادَتِهِ وَإِبْقَاءِ مَلِكِهِ . وَكَانَ الرَّشِيدُ يُبْكِي عَلَى نَفْسِهِ
وَعَلَى إِسْرَافِهِ وَذُنُوبِهِ . وَكَانَ قَاضِيَهُ الْإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ . وَكَانَ يُعْظِمُهُ
كَثِيْرًا وَيُمَثِّلُ أَمْرَهُ . وَهُوَ مَنَاقِبُ لَا تُحْصَى وَمَحَاسِنُ لَا تُسْتَقْصَى وَهُوَ
أَخْبَارٌ فِي اللَّهِ وَاللَّذَاتِ سَأَمَحَهُ اللَّهُ . وَفِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ حَجَّ بِالنَّاسِ وَفَرَّقَ
مَالًا كَثِيْرًا . وَكَانَ حَجَّجَهُ مَا شَاءَ عَلَى اللَّبُودِ تُفْرَسُ لَهُ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ .
وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْ وَسَعِيْنِ وَمِائَةٍ بَاعَ الرَّشِيدُ لِعَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ بُولَايَةَ
الْمُهَدِيِّ بَعْدَ الْأَمِيْنِ وَوَلَاهُ خُرَاسَانَ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا إِلَى هَمْدَانَ وَلَقَبَهُ
الْمَأْمُونُ وَسَمَّاهُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبُرْمَكِيِّ . وَغَزَا الْمُسْلِمُونَ بِالصَّائِقَةِ
فَبَلَّغُوا أَفْسَسَ مَدِيْنَةَ أَصْحَابِ الْكُهْفِ . وَأَسْتَعْمَلَ الرَّشِيدُ حَمِيْدَ بْنَ
مَعْيُوبٍ عَلَى الْأَسَاطِيلِ يَمُنُّ بِسَوَاحِلِ الشَّامِ وَمِصْرَ إِلَى قُبْرَسَ فَهَزَمَ
وَحَرَّبَ وَسَبَى مِنْ أَهْلِهَا نَحْوًا مِنْ سَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفًا وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى الْوَاقِعَةِ

فَبِعُوا بِهَا . وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ خَلَعَتِ الرُّومُ إِبْرِيْنِي الْمَلِكَةَ
 وَمَلَكُوا نَيْقِفُورَ وَكَانَتْ إِبْرِيْنِي تُعْظِمُ الرَّشِيدَ وَتُجَاهِلُهُ وَتُدْرِعُ عَلَيْهِ الْهَدَايَا .
 فَلَمَّا تَوَلَّى نَيْقِفُورُ وَعَاثَ وَتَمَكَّنَ مِنْ مُلْكِهِ كَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ : مِنْ
 نَيْقِفُورَ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الرَّشِيدِ مَلِكِ الْعَرَبِ . أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَلِكَةَ
 إِبْرِيْنِي كَانَتْ وَضَعْتَكَ مَوْضِعَ الْمُلُوكِ وَوَضَعَتْ نَفْسَهَا مَوْضِعَ السُّوقَةِ .
 وَإِنِّي وَأَضَعُكَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَعَامِلٌ عَلَيَّ تَطْرُقُ بِأَلَدِكَ وَالنُّجُومِ
 عَلَيَّ أَمْصَارِكَ أَوْ تُؤَدِّي إِلَيَّ مَا كَانَتْ الْمَرَاةُ تُؤَدِّي إِلَيْكَ . وَالسَّلَامُ .
 فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهُ عَلَى الرَّشِيدِ اسْتَفْرَهُ الْغَضَبُ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نَيْقِفُورَ رَعِيمِ
 الرُّومِ . فَهَيْتُ كِتَابَكَ وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ دُونَ مَا تَسْمَعُهُ . ثُمَّ تَخَّصَّ مِنْ
 شَهْرِهِ ذَلِكَ يَوْمٌ بِأَلَدِ الرُّومِ فِي جَمْعٍ لَمْ يُسْمَعْ بِشَيْءٍ وَقَوَادٍ لِأَيُّجَارُونَ
 تَجَدَّةَ وَرَأْيَا . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ نَيْقِفُورَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رُحِبَتْ .
 وَجَدَ الرَّشِيدُ يَتَوَعَّلُ بِأَلَدِ الرُّومِ فَيَقْتُلُ وَيَنْعَمُ وَيَسْبِي وَيُخْرِبُ الْحِصُونَ
 وَيَقْبِي الْأَنْارَ حَتَّى آتَاخَ عَلَى هِرَقْلَةَ وَهِيَ مِنْ أَوْثِقِ حِصْنٍ وَأَعَزَّهُ جَانِبًا
 وَأَمْنَهُ رُكْنًا . فَحَصَرَ الرَّشِيدُ أَهْلَهَا وَعَمَّهُمْ وَأَحْلَحَ بِالْبَجَانِيْقِ وَالسَّهَامِ
 وَالرَّمَادَاتِ حَتَّى رَمَوْا سُورَهَا وَفَتَحَ الْأَهْلُ الْأَبْوَابَ مُسْتَأْمِنِينَ . وَفِي
 هَذِهِ السَّنَةِ ذَاتَهَا أَوْقَعَ الرَّشِيدُ بِالْبَرَامِكَةِ وَقَتَلَ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى وَكَتَبَ
 إِلَى الْعَمَالِ فِي جَمِيعِ النَّوَاحِي بِالْقَبْضِ عَلَى الْبَرَامِكَةِ وَاسْتَنْصَفِي مَا لَهُمْ (*)

(*) قال ابن خلدون : فانكبت البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتياض

وَفِي سَنَةِ اَثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ سَارَ الرَّشِيدُ مِنَ الرَّقَّةِ إِلَى بَدَدٍ يُرِيدُ
خُرَّاسَانَ لِحَرْبِ رَافِعِ بْنِ اللَّيْثِ وَكَانَ ظَهَرَ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مُخَالِفًا
لِلرَّشِيدِ بِسَمَرَقَنْدِهِ. وَلَمَّا صَارَ الْخَلِيفَةُ بَعْضَ الطَّرِيقِ ابْتَدَأَتْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَمَّا
بَلَغَ حَرَجَانَ فِي صَفَرٍ اشْتَدَّ مَرَضُهُ وَكَانَ مَعَهُ ابْنُهُ الْمَأْمُونُ فِي مَسِيرِهِ إِلَى
مَرُومَعِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَوَادِ وَسَارَ الرَّشِيدُ إِلَى طُوسَ فَمَاتَ وَدُفِنَ بِهَا
سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ
عُمُرُهُ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَانَ جَمِيلًا أَيْضًا جَدًّا قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ.
قَالَ النَّهْرَوَالِيُّ: أَعْلَمُ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقَّقُهُ الْعَاقِلُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ الْأَكْثَادِ وَأَنَّ

أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب البسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشركوه
في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه فعظمت آثارهم وبعثت بهم وعمرها مراتب
الدولة وخططها بالروساء من وُلدهم وصنائهم واحتازوها عن سوام من وزارة وكتابة وقيادة
وحماية وسيف وقلم. يقال انه كان بدار الرشيد من وُلدي يحيى بن خالد خمسة وعشرون
رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعوم عنها
بالراح لسكان أبيهم يحيى من كفالة هارون ولي عهد وخليفة. حتى شب في حجره ودرج من
عشيه وغلبه على امره وكان يدعو: يا أبت. فتوجه الإيثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة
منهم وانبسط الماء عندهم وانصرف نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم
الآمال. وتخطت اليهم من أقصى النجوم هدايا الملوك ونحف الامراء وتسربت الى خزائهم في
سبيل الترف والاستالة أموال الجباية. وأفاضوا في رجال الشيعة وعظما القراية (المطاء) وطورقوم
المين وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدم فكفوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفهم. وأسأوا
لعفاصم الجوائز والصلوات واستولوا على القرى والضبايع من الضواحي والامصار في سائر
الممالك حتى أسفروا البطانة وأحقدوا الخاصة وأغصوا أهل الرواية. فكشفت لهم وجوه
المنافسة والحسد ودبت الى مهادم الوثيرة من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو حنظلة
أخوال جعفري من أعظم الساعين عليهم لم تعطفهم لما وفر في نفوسهم من الحسد عواطف الرحيم
ولا وزعتهم أواصر القراية. وقارن ذلك عند مخدومهم نواشي الغيرة والاستكفاف من الحجر
والأنفة وكان من الحقود التي بعثها منهم صفائر الدالة واتى جم الإصرار على شأهم الى كبار المخالفة

أَخْفَ الْخَلْقِ بِلَاءٌ وَالْمَا الْفُقَرَاءُ . وَأَعْظَمَ النَّاسَ تَعَبًا وَهَمًّا وَعَمَاهُمْ الْمُلُوكُ
وَالْأُمَرَاءُ . فَأَرْضَ بِحَالِ قَضْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ طُورَكَ . إِنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ
مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً
وَأَتْسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنٍ بِحَيْثُ كَانَ يَقُولُ لِلسَّكَّابَةِ : أَمْطِرِي
حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّ خَرَّاجَ الْأَرْضِ الَّتِي تَمْطِرِينَ فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ
كَانَ أَتَعَبُهُمْ خَاطِرًا وَأَسْغَلَهُمْ قَلْبًا (لَايِي الفرج الملطبي وغيره بتصرف)
الامين بن الرشيد (٨٠٩ - ٨١٣)

٣١٨ إِنْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَيِّهِ . وَكَانَ الْأَمِينُ كَثِيرَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ
مُنْقَطِعًا إِلَى ذَلِكَ مُشْتَعِلًا بِهِ عَنْ تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ . فَأَقْبَلَ يَنْكُثُ عَهْدَ
الْمَأْمُونِ وَسَعَى بِخَلْعِهِ وَالْبَيْعَةِ لِأَنَّهُ مُوسَى . فَأَمَرَ لَهُ بِالْدُّعَاءِ عَلَى الْمَنَابِرِ
وَنَهَى عَنِ الدُّعَاءِ لِلْمَأْمُونِ . وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ مَا ضَرَبَ الْمَأْمُونُ مِنْ
الدَّرَاهِمِ وَالْدَّنَانِيرِ بِحُرَّاسَانَ فَنَمَى الشَّرُّ بَيْنَهُمَا . فَجَهَرَ الْمَأْمُونُ لِقِتَالِهِ طَاهِرَ
ابْنِ الْحُسَيْنِ وَهَرَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ فَسَارَا إِلَيْهِ وَحَاصَرَاهُ بِغَدَادَ . وَتَرَامَوْا
بِالْحِجَابِ وَأَقَامَ الْحِصَارَ مَدَّةَ سَنَةٍ فَتَضَاقَقَ الْأَمْرُ عَلَى الْأَمِينِ وَفَارَقَهُ
أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ . وَكَتَبَ طَاهِرٌ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ بَغْدَادَ سِرًّا يَعِدُهُمْ إِنْ
أَعَانُوهُ وَيَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي طَاعَتِهِ . فَأَجَابُوهُ وَصَرَّحُوا بِخَلْعِ
الْأَمِينِ فَجَاءَ الْأَمِينُ بِنَفْسِهِ وَرَكِبَ حَرَّاقَةَ أَعَدَّهَا لَهُ هَرَمَةُ . وَكَانَ وَعَدَهُ
بِالْأَمَانِ . فَلَمَّا صَارَ الْأَمِينُ فِي الْحَرَّاقَةِ خَرَجَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ طَاهِرِ
وَكَانُوا كُنُوزًا لَهُ . فَرَمُوا الْحَرَّاقَةَ بِالْحِجَارَةِ فَأَنْكَفَتَ يَمُنْ فِيهَا . فَشَقَّ

الأمينُ ثيابهَ وَسَجَّحَ إِلَى بُسْتَانٍ فَأَذْرَكَوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى طَاهِرٍ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ
جَمَاعَةً وَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِهِ فَأَحْتَرُوا رَأْسَهُ . فَأَمَرَ طَاهِرٌ بِنَصْبِهِ فَلَمَّا رَأَى
النَّاسُ سَكَنَتِ الْقِتْنَةُ . ثُمَّ جَهَّزَهُ طَاهِرٌ إِلَى الْمَأْمُونِ وَصَحْبَتُهُ خَاتَمُ
الْخِلَافَةِ . فَشَكَرَ الْمَأْمُونُ اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنَ الظَّفَرِ (للمديري)

عبد الله المأمون اخو الامين (٨١٣ - ٨٣٣)

٣١٩ يُوْبِعُ لَهُ الْبَيْعَةَ الْعَامَّةَ فِي بَغْدَادَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ وَمِائَةٍ .
وَكَانَ الْمَأْمُونُ مِنْ أَفْضَلِ الْخُلَفَاءِ وَعِلْمَانِهِمْ وَحُكْمَانِهِمْ وَحُلَمَانِهِمْ . أَمَّ
رِجَالَ بَنِي عَبَّاسٍ حَزْمًا وَعِزْمًا وَفِرَاسَةً وَفَهْمًا . وَكَانَ قَدْ أَخَذَ مِنْ
الْعُلُومِ بِقِسْطٍ . وَضَرَبَ فِيهَا بِسَنَمِهِ . وَتَأَدَّبَ وَتَفَقَّهَ وَبَرَعَ فِي فُنُونِ
التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ وَالنُّجُومِ وَالْمَاكِبَرِ اعْتَنَى بِالْفَلَسَفَةِ وَعُلُومِ الْأَوَّلِ .
وَهُوَ الَّذِي اسْتَخْرَجَ كِتَابَ أَفَلِيدُسَ وَأَمَرَ بِتَرْجُمَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ .
وَعَمَدَ الْمَجَالِسِ فِي خِلَافَتِهِ لِامْتِنَانِهِ فِي الْأَدْيَانِ وَالْمَقَالَاتِ . وَكَانَ
الْمَأْمُونُ عَظِيمَ الْعَفْوِ جَوَادًا بِالْمَالِ وَكَانَ يَقُولُ : لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا أُجِدُّ
فِي الْعَفْوِ مِنَ اللَّذَّةِ لَتَقَرَّبُوا إِلَيَّ بِالذُّنُوبِ وَكَانَ أَيْضًا مَلِيحَ الْوَجْهِ
مَرْبُوعًا طَوِيلَ اللَّحْيَةِ دِينًا عَارِفًا بِالْعِلْمِ فِيهِ دَهَاءٌ وَسِيَاسَةٌ . وَفِي أَيَّامِهِ
خَرَجَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْهَمْدِيِّ عَمَّهُ قَبَايِعَهُ بَعْضُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَخَطَعُوا
الْمَأْمُونُ فَجَدَّ الْمَأْمُونُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى بَغْدَادَ فَظَفَّرَ بِإِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يُؤَاخِذْهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ (*). ثُمَّ صَفَا الْمَلِكُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمَأْمُونِ وَسَكَنَتِ الْقِتْنُ

(*) راجع الوجه ٢٣٦ من الجزء الرابع حيث أوردنا هذا الخبر

وَقَامَ الْمَأْمُونُ بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ وَتَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ قِيَامَ حُرْمَاءِ الْمُلُوكِ
وَفُضِّلَهُمْ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّعْرِ وَدَخَلَ بِلَادَ الْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ وَأَقَامَ بِهَا
مُدَّةً طَوِيلَةً . ثُمَّ غَزَا الرُّومَ وَفَتَحَ فُتُوحَاتٍ كَثِيرَةً وَأَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا .
وَوُفِّيَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ
وَأَرْبَعِينَ سَنَةً . وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عِشْرِينَ سَنَةً وَدُفِنَ بِطَرَسُوسَ

العلوم في زمانه

٣٢٠ قَالَ الْقَاضِي صَاعِدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَنْدَلُسِيُّ : إِنَّ الْعَرَبَ فِي صَدْرِ
الْإِسْلَامِ لَمْ تُعْنِ بِشَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ إِلَّا بِلِقَائِهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ شَرِيْعَتِهَا
حَاشَا صِنَاعَةَ الطَّبِّ . فَلِنِهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً عِنْدَ أَفْرَادٍ مِنْهُمْ غَيْرِ مَنْكُورَةٍ
عِنْدَ جَمَاهِيرِهِمْ لِحَاجَةِ النَّاسِ طَرًّا إِلَيْهَا . فَهَذِهِ كَانَتْ حَالُ الْعَرَبِ فِي
الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ . فَلَمَّا أَدَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْهَاشِمِيَّةِ وَصَرَفَ الْمُلْكَ إِلَيْهِمْ
ثَابَتَ أَلْهَمُّ مِنْ غَفْلَتِهَا . وَهَبَّتِ الْعَطَنُ مِنْ مِيْتَتِهَا . فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عُنِيَ
مِنْهُمْ بِالْعُلُومِ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ . وَكَانَ مَعَ بَرَاعَتِهِ فِي
الْفِقْهِ كَلْفًا فِي عِلْمِ الْفَلَسَفَةِ وَخَاصَّةً فِي عِلْمِ النُّجُومِ . ثُمَّ لَمَّا أَفْضَتْ
الْخِلَافَةُ فِيهِمْ إِلَى الْخَلِيفَةِ السَّابِعِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
ثُمَّ مَا بَدَأَ بِهِ جَدُّهُ الْمَنْصُورُ فَأَقْبَلَ عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ فِي مَوَاضِعِهِ .
وَدَاخَلَ مُلُوكَ الرُّومِ وَسَأَلَهُمْ صِلَتُهُ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ . فَبَعَثُوا
إِلَيْهِ مِنْهَا مَا حَضَرَهُمْ . فَاسْتَجَادَ لَهَا مَهْرَةَ التَّرَاجِمَةِ وَكَلَّفَهُمْ إِحْكَامَ
تَرْجُمَتِهَا . فَتَرْجَمَتْ لَهُ عَلَى غَايَةِ مَا أَمْكَنَ ثُمَّ حَرَّصَ النَّاسَ عَلَى قِرَائَتِهَا

وَرَعِيَهُمْ فِي تَعْلِيمِهَا . فَكَانَ يَخْلُو بِالْحُكَمَاءِ وَيَأْتِسُ بِمُنَاطَرَتِهِمْ وَيَلْتَذُّ
بِمَذَاكَرَاتِهِمْ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ هُمْ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ وَنَجْتَهُ مِنْ
عِبَادِهِ . إِنَّهُمْ صَرَفُوا عِنَايَتَهُمْ إِلَى نَيْلِ فَضَائِلِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ وَرَهَدُوا
فِيمَا يَرْتَعِبُ فِيهِ الصِّينُ وَالْتَرَكُ . وَمَنْ زَرَعَ مِنْزَعَهُمْ مِنَ التَّنَافُسِ فِي دِقَّةِ
الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ . وَالتَّبَاهِي بِأَخْلَاقِ النَّفْسِ وَالتَّفَاخُرِ بِالْقُوَى . إِذْ عَلِمُوا
أَنَّ الْبِهَائِمَ تَشْرِكُهُمْ فِيهَا وَتَفْضَلُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا . فَلِهَذَا السَّبَبِ كَانَ
أَهْلُ الْعِلْمِ مَصَابِيحَ الدُّجَى وَسَادَةَ الْبَشَرِ وَأَوْحَشَتِ الدُّنْيَا لِقُدْرَتِهِمْ

اخروه المتصم بالله (٨٣٣-٨٤٢)

٣٢١ بُويعَ يَوْمَ وَقَاةِ الْمَأْمُونِ وَلَمَّا بُويعَ لَهُ تَشَبَّ الْجُنْدُ وَنَادَوْا بِاسْمِ
الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْعَبَّاسُ وَقَالَ لَهُمْ : قَدْ بَايَعْتُ عَمِّي
فَسَكُنُوا . وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ سَدِيدَ الرَّأْيِ يَحْمِلُ أَلْفَ رَظَلٍ وَيَمِشِي بِهَا .
وَأَنْتَشَأُ عَامِيًا يَكْتُبُ كِتَابَهُ مَفْشُوشَةً وَيَقْرَأُ قِرَاءَةً ضَعِيفَةً . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ
أَدْخَلَ الْأَتْرَاكَ الدَّوَابِينَ وَكَانَ يَتَشَبَّهُ بِمَلُوكِ الْأَعَاجِمِ . وَبَلَغَ عِلْمَانُهُ
الْأَتْرَاكَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا . وَأَلْبَسَهُمْ أَطْوَاقَ الذَّهَبِ وَالذَّبِيحِ . وَكَانُوا
يَطْرُدُونَ الْخَيْلَ فِي بَنَدَادِ فَصَاقَتِ بِهِمْ الْمَدِينَةَ وَتَأَذَى بِهِمُ النَّاسُ .
فَبَنَى الْمُعْتَصِمُ مَدِينَةَ سُرٍّ مَنْ رَأَى بِقُرْبِ بَنَدَادٍ وَأَتَقَلَ إِلَيْهَا سَنَةً
(٥٢٢هـ) . وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ خَرَجَ تَوْفِيلُ بْنُ مِيخَائِيلَ مَلِكُ
الرُّومِ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَأَوْقَعَ بِأَهْلِ زِبْطَةَ وَعَادَ إِلَى مَلْطَةِ وَغَيْرِهَا
فَأَسْتَبَاحَهَا قَتْلًا وَسَبِيًّا . فَاسْتَعْظَمَهُ الْمُعْتَصِمُ وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ عَمُورِيَةَ عَيْنُ

النصرانية وهي أشرف عندهم من قسطنطينية وأنه لم يتعرض أحد
إليها منذ كان الإسلام ججز إليها بما لا يماثله أحد من السلاح والآلة
والعدد. وجرى بين المسلمين والرؤم عليها قتال شديد أفضى إلى فتح
عمورية. فهدمت وأحرقت بعد أن حاصرها نحو شهرين فقتل من
الرؤم ثلاثين ألفاً وأسر ثلاثين ألفاً. وفي سنة سبع وعشرين تغيّر
المتصم على الأفشين فأمر بقتله وتوفي المتصم سنة ٢٢٧ وهو أغلظ
أحلفاء الذين ألزموا الناس القول بخلق القرآن وجبر علماء الإسلام
على ذلك وأذاقهم الهوان وأتمحن بذلك أحمد بن حنبل (الأي الفرج)

هارون الواثق (٨٤٢ - ٨٤٧) المتوكل على الله (٨٤٧ - ٨٦١)

٣٢٢ ثم ملك بعده ابنه هارون الواثق من أفاضل خلفائهم وكان
ليباً فطناً فصيحاً شاعراً. وكان يتشبه بالمامون في حركاته وسكناته.
ولما ولي الخلافة أحسن إلى بني عمه الطالبيين وبرهم. ولم يقع في
أيامه من الفتح الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر. وفي عهده غزا
المسلمون في البحر جزيرة صقلية وفتحوا مدينته مينة في عهد الملكة
تاودورا. وكانت ملكت بعد توفيل ملك الرؤم وأبنا ميخائيل بن
توفيل وهو صبي. ومات الواثق بداء الاستسقاء وكان عمره اثنتين
وثلاثين سنة. وكان أبيض مليحاً يعلوه أصفرار حسن اللحية. ثم ولي
بعده أخوه جعفر المتوكل على الله ويبيع له بالخلافة بسر من رأى. وله
من العمر ست وعشرون سنة. فمعد اليمعة لديه الثلاثة بولاية العهد

وَهُمُ الْمُتَصِرُ وَالْمُعْتَرُ وَالْمُوَيْدُ. وَفِي ثَمَانِي وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ أَنْتَهَى الرُّومُ إِلَى دِمْيَاطَ بِالْأَسَاطِيلِ فَأَحْرَقُوا وَسَبَّوْا وَسَارُوا إِلَى مِصْرَ وَرَجَعُوا وَلَمْ يَعْزِضْ لَهُمْ أَحَدٌ. وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ كَثُرَ الْمَالِكُ الْأَتْرَاكُ فِي بَغْدَادَ فَاسْتَوْلَوْا عَلَى الْمَمْلَكَةِ فَصَارَ بِيَدِهِمُ الْحُلُّ وَالْعَقْدُ وَالْوَلَايَةُ وَالنَّزْلُ إِلَى أَنْ حَمَلَهُمُ الطُّغْيَانُ عَلَى الْعُدْوَانِ. وَسَطَّوْا عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ وَكَانَ بَيْنَ الْمُتَوَكِّلِ وَابْنِهِ الْمُتَصِرِ مُبَايَعَةٌ. فَاتَّقَعَ مَعَ بَاغِرٍ قَائِدِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ أُنْسِهِ وَعِنْدَهُ الْوَزِيرُ الْقَفَّحُ بْنُ خَاقَانَ فَصَاحَ الْقَفَّحُ: وَيَلِكُمْ هَذَا سَيِّدُكُمْ. وَرَمَى بِنَفْسِهِ فَضَرَّ بِهِمَا بَاغِرٌ فَمَا تَجَمَّعَا تَمَّتْ أَخْبَارُ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ

المتصر بالله (٨٦١) المستعين بالله (٨٦٢) المعتز بالله (٨٦٦)

٣٢٣ ثم خلفه ابنه المتصر بالله ولم يبق بالخلافة لاستيلاء المالك الأتراك على المملكة فدسوا إلى طبيبه ليسمه ففسده بمضع مسموم فمات لسنه أشهر من مبايعته. ويحكى أنه بات ليلة في وعكبه وانته فزعا وهو يبكي فسأله أمه: ما يبكيك. قال: أفسدت ديني وديناي رأيت أبي السامة وهو يقول: قتلني يا محمد لأجل الخلافة والله لا تمتنع بها إلا أياما ثم مصيرك إلى النار. فاستمر موهورا من ذلك المنام فحاش بعد ذلك إلا أياما قليلا. ثم ملك بعده المستعين بالله وهو أحمد بن محمد بن المعتصم بابعة الأمراء وأكابر المالك ولم يؤثروا أحدا من ولد المتوكل لئلا يطالب بدمه. وكانت تلك الأيام أيام قتل وحروب وخروج خوارج. واعلم ان المستعين كان مستضعفا في رأيه وعقله وتدييره. وكانت ايامه شديدة الاضطراب ولم يكن فيه من الحصول المحمودة الا انه كان كريما وهويا خلع في سنة اثنتين وخمسين ثم قتل بعد ذلك. وملك بعده المعتز بالله وهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل بوبع بالخلافة سنة اثنتين وخمسين ومائتين عقب خلع المستعين وكان المعتز جميل الشخص حسن الصورة. ولم يكن بسيرة ورأيه وعقله بأس الا أن الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة. واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالأسير ان شاء وأبقوه وان شاء واخلعوه وان شاء وقتلوه. قيل انه لما جلس المعتز على سرير الخلافة قدم خواصه واحضروا النجبين وقالوا لهم: انظر واكرم بعيش

وكم يبقى في الخلافة . وكان بالجلس بعض الظرفاء فقال : انا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته . فقالوا له : فكم تقول انه يعيش وكم يملك . قال : مها أراد الأتراك . فلم يبق في المجلس إلا من ضحك . وفي سنة خمس وخمسين ومائتين صار الأتراك الى المعتز يطلبون أرزاقهم . فاطلمهم بمقيمهم . فلما رأوا انه لا يحصل منه شيء دخل اليه جماعة منهم فحرقوا برجله الى باب الحجيرة وضربوه بالدبابيس . ثم أدخلوه سرداباً وجصصوا عليه فأت (للنهر اوتي)

المهتدي بالله (٨٦٩) المعتمد على الله (٨٧٠) المعتضد بالله (٨٩٢)

٣٣٤ ثم ملك بعده المهتدي بالله وهو أبو عبد الله محمد بن الواثق . كان المهتدي من أحسن الخلفاء مذهباً . وأجملهم طريقة وسيرة وظهرهم ورياً وأكثرهم عبادة . كان يشبه بغير بن عبد العزيز ويقول : اني استحي ان يكون في بني أمية مثله ولا يكون مثله في بني العباس . وكان يجلس للظالم فيحكم حكماً برئضيه الناس وكان يتقلد في مأكوله وملبوسه . وكان المهتدي قد أطرح الملاهي وحرم الفناء والشراب ومنع اصحابه من الظلم والتعدي . وكان سبب موت المهتدي انه قتل بعض الموالى فشب عليه الأتراك وهاجروا وأخذوه أسيراً وعذبوه ليخلع نفسه فلم يفعل فقتلوه وهو ابن سبع وثلاثين سنة . ثم ملك بعده المعتمد على الله وكان مستضعفاً وكان أخوه الموفق طمحة الناصر هو الغالب على أموره . فللمعتمد الحنطة والسكة والتسي بامير المؤمنين ولأخيه طمحة الأمر والنهي وقود المساكين ومعاينة الأعداء ومراعاة الثغور وترتيب الوزراء والامراء . وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذاته . وفي أيامه خرج أحمد ابن طولون وظفر بجلب وانطاكية وبقية العواصم واستقل بمصر وأخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة أهلة . ثم توفي المعتمد وكان اسمر ربعة رقيقاً مدوراً الوجه مليح العينين صغير اللحية اسرع اليه الشيب منهكاً على اللهو والمسكرات . ثم ملك بعده المعتضد بن الموفق وكان شهياً عاقلاً فاضلاً حمدت سيرته ولي الدنيا خراب والثغور مهجمة فقام قياماً مرضياً حتى عمرت مملكته وكثرت الاموال وصُيِّطت الثغور . وكان قوي السياسة شديداً على أهل الفساد حساساً لمواد اطماع عساكره عن أذى الرعية . وكانت ايامه ايام فتوق وخوارج كثيرين منهم عمرو بن الليث الصفار . كان قد عظم شأنه ونجم أمره واستولى على أكثر بلاد العجم . فألقت عاقبته الى القيد والاسر والذل . فقام المعتضد في إصلاح الشعب من مملكته والعدل في رعيته حتى مات . وكان المعتضد سار الى الموصل قاصداً للاعراب والاكرد فوقع بهم وقتل منهم وخرج الى الجزيرة يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان فهدمها وظفر بحمدان ملكها . ومات سنة (٣٨٩) (للفرج)

المكتفي بالله (٩٠٢) المتندر بالله (٩٠٨) القاهر بالله (٩٣٢)

٣٣٥ أخذ للمكتفي أبوه اليمعة قبل موته بثلاثة أيام . وكان المكتفي من أفاضل الخلفاء وسيماً جميلاً بديع الحسن ذري اللون معتدل الطول وكان حسن العقيدة كارهاً لسفك الدماء .

وفي أيامه ظهر القرامطة وهم قوم من الحوارج خرجوا وقطعوا الدرب على الحاج واستأصلوا شائقيهم وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة. وسرح المكثفي اليهم جيوشاً كثيرة فوقع بهم وقتل بعض زعمائهم. وكانت خلافة المكثفي ست سنين. فانقص غصن شبابه القشيب. وبس عود جماله الضر الرطيب. فانقل من دار الفناء الى دار الجزاء والبقاء. ثم قام بالامر بعده أخوه أبو الفضل جعفر المقندر بويع له يوم وفاة أخيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وضعف دست الخلافة في أيامه. وكان المقندر سمحاً كثير الانفاق وولي الخلافة ثلاث مرات فنقلب الجند عليه واتفقوا على خلمه وعقدوا البيعة لأبي المباس بن المعتز. وكان ابن المعتز أكثر البأسين فضلاً وأدباً ومعرفة موسيقى وأشعر الشعراء مطلقاً في التشبهات المبكرة القريبة للرقصة التي لا يشق عبارته فيها أحد. فارسل المقندر وقبض على ابن المعتز وقتله في حبه واستقام الأمر للمقندر بعد الاضمحلال ولاح بدر فلاحه بعد الزوال وهذه ولايته الثانية. ثم جرت بين المقندر وبين مؤنس المظفر أمير الجيوش منافرة أدت الى خلع المقندر وببيعة أخيه القاهر. ثم أعيد المقندر ثالثة وحمله الجنود على أعناقهم الى دار الخلافة تجلس على السرير وصفح عن أخيه القاهر. ثم وقع بينه وبين مؤنس حرب فتوغل المقندر في المعركة فضره واحد من البربر فسقط الى الارض فقال لضاريه: ويحك انا الخليفة. فقال له: انت المظلوم وذبحه بالسيف. وفي أيامه نبعت الدولة الفاطمية بالمغرب. وولي أخوه القاهر بالله مكانه فابلى ان قهر القاهر المذكور وسُملت عيناه فجهل يستعطي في شوارع بغداد (للدديري).

الراضي بالله (٩٣٤) المتقي بالله (٩٤٠) المستكفي بالله (٩٤٤) المطيع لله (٩٤٦) ٣٢٦ وعقبه في الخلافة أبو المباس بن المقندر ولقبوه الراضي بالله. وفي أيامه ضعف امر الخلافة الباسية فكانت فارس في يد ابن بويه. والموصل وديار بكر في يد بني حمدان. ومصر والشام في يد الفاطميين. والأندلس في يد عبد الرحمان الاموي. فلم يبق في يد الراضي سوى بغداد وما والاها. فطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وعم الحراب. ثم تولى بعده ابو اسحاق أخوه ولقب المتقي بالله لم يكن له من السيرة ما يؤثر وقبض عليه توزون التركي وسمل عينيه سنة (٩٣٣). وبويع بعده لابن عمه المستكفي بالله واستمر في خلافته سنة واحدة وأسكته من أمرائه ممر الدولة بن بويه فسمل عينيه ووضعه الى المتقي بالله والقاهر بالله فصاروا ثلاثة اثافي العس. وولي الخلافة بعده ابن عمه المطيع لله سنة (٩٣٤). وفي أيامه قويت شوكة آل بويه وتم امره على ضعف الخلافة وطالت أيامه الى ان خلع نفسه

الطائع لله (٩٧٤) القادر بالله (٩٩١) القائم بامر الله (١٠٣١)

٣٢٧ وبويع تولده عبد الكريم في سنة (٩٦٣). ولقب الطائع لله وكان مغلوباً عليه من قبل أمرائه. وما كان له الا المنظمة الظاهرة. وكان شديد القوة. في خلقه حدة كريماً شجاعاً

بطلاً جرأداً سمحاً إلا أن يده كانت قصيرة مع ملوك بني بويه. فقبضوا عليه وابعأوا أبا العباس أحمد القادر بالله (٣٨١). وكان حسن الطريقة والسنت كثير الخبز والدين والمرور. وفي أيامه تراجع وقار الدولة العباسية ونى روتها وأخذت أمورهما في القوة. ومكث القادر في الخلافة مدة طويلة حتى أنافت خلافته على إحدى وأربعين سنة. وولي بعده بهمد منه ولده أبو جعفر ولقب القائم بالله وكان خيراً ديناً باهر الفضل إلا أنه مغلوب بيد أمرائه وطالت مدته مع ذلك. وفي أيامه انقضت دولة بني بويه وظهرت الدولة السلجوقية

المقتدي بالله (١٠٧٥) المستظهر بالله (١٠٩٤) المسترشد بالله (١١١٨)

٣٢٨ وتولى بعده بهمد منه حفيده أبو القاسم ولقب مقتدي بالله. وكان من نجباء بني عباس ديناً. ومن جملة صلاحه إن السلطان ملكشاه من آل سبكتكين قصد أن يظهر الخنف والحيف على الخليفة المذكور فأرسل إليه يقول له: أخرج من بغداد. فنظف به مقتدي فأبى. فاستمهله عشرة أيام فامهله. فصار الخليفة يصوم ويتضرع إلى الله فغذ دناؤه وهو مظلوم. فهلك السلطان ملكشاه قبل مضي عشرة أيام وعدت هذه كرامة للخليفة مقتدي. وكانت وفاته سنة (٦٨٧) هجراً. وتولى بعده ابنه أبو العباس ولقب المستظهر بالله وكان كريم الأخلاق سهل العريكة مهذب الخلال. وكان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق. ثم خلفه ابنه أبو منصور ولقب المسترشد بالله. وكان شجاعاً ديناً مقداماً ذار رأي ومهمة عالية فاجاب مجدي بني عباس. وخرج إلى قتال السلطان مسعود السلجوقي فاستظهر عليه وقتل المسترشد غيلة (لأبي الفرج)

الراشد (١١٣٥) المقتدي لأمرائه (١١٣٦) المستنجد بالله (١١٦٠)

٣٢٩ ثم قام بالأمر بعده ابنه الراشد ولم تطلب مدة خلافته تجهيز عسكرياً كثيراً للحاربة مسعود فدخل السلطان بغداد واستبد بتدبير الأمور وخلع الراشد وولى عمه أبا عبد الله ولقبه المقتدي لأمرائه. وكان طالما دمت الأخلاق خليقاً بالامارة كامل السؤدد بيده أزمة الأمور كان لا يجري في خلافته أمر وإن صغر الأتوقيمه. وجرت في أيامه فتن وحروب بينه وبين سلاطين العجم كانت الغلبة فيها له. وثار في أيامه العيارون والمفسدون فنقض بقسمهم أمم ضوض. ثم عقبه ابنه المستنجد وكان شهياً عارفاً بالأمور أزال المكوس والمظالم. وفي أيامه ضعفت دولة الفاطميين في مصر. وخنق المستنجد في الحمام أكابر دولته عقب مرضه صعبة

المستضيء بالله (١١٧٠) الناصر لدين الله (١١٨٠) الظاهر بالله (١٢٢٥)

٣٣٠ وتولى بعده ابنه أبو محمد ولقب المستضيء بالله. وكان حسن السيرة كريم النفس وكثير ثناء الخلق عليه لكنه لم يكن بسيرته بأس. ثم ملك بعده ابنه الناصر لدين الله وكان الناصر من أفاضل الخلفاء وأجانبهم. بصيراً بالأمور متوقفاً الذكاء والفضيلة. وطالت مدته وصفاً له الملك واحب مباشرة أحوال الرعية حتى كان يتمشى في الليل في دروب بغداد ليعرف

أخبار الرعية وما يدور بينهم . وفي أيامه كان ظهور صلاح الدين واستيلائه على مصر واستخلاصه بيت المقدس من أيدي الصاري الافرنج وازالة دولة الفاطميين . وتوفى مكانه بعد موت ابنه محمد الظاهر بامر الله ولم تطل أيامه ولم يجر فيها ما يُسطر لكنته اظهر العدل والاحسان . قيل انه فرّق بيلة عبد النحر على الفقراء مائة الف دينار . فلامه الوزير على ذلك فقال : دعني أفعل الخير فاني لأدري كم أعيش فلم يلبث ان توفاه الله واثابه على عمله الصالح

المستعصر بالله (١٢٢٦) المستعصم بالله (١٢٤٢) انتهاء للخلافة (١٢٥٨)

٣٣١ وتولى بعده ولده أبو جعفر ولقب المستعصر بالله كان المستعصر شهياً جواداً يباري الريح كرمًا وجوداً . وكانت هيأته وعطاياه أشهر من أن يدل عليها وأعظم من ان تحصى . وله الآثار الجليلية منها (وهي أعظمها) المستعصرية وهي أعظم من ان توصف وشهرتها تنفي عن وصفها . وكان المستعصر يقول : اني اخاف ان الله لا يثبني على ما اهبه وأعطيه لان الله تعالى يقول : لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وأنا والله لا فرق لعندي بين التراب والذهب . وكانت أيامه طيبة والدنيا في زمانه ساكنة والخيرات والاعمال طامرة . وفي أيامه فتحت إربل ومات المستعصر في سنة اربعين وستائة . وسلم على ابنه المستعصم بالله بالخلافة وهو آخر الخلفاء المباشين وكانت مدة دولتهم خمسمائة وأربعمائة وعشرين سنة . وكان المستعصم بالله مستضعف الراي قليل الخبرة واهي العزيمة . وكان وزيره ابن الملقى صدواً له يداريه في الظاهر وينافقه في الباطن . وكان تدبيره على ازالة الخلافة من بني العبّاس . فاذن للجند بالتفرق والذهاب أين شاءوا . وعظم العرج ببغداد . ووقعت الفتن فصار ابن الملقى يكتب هولاء كوكب التتر ويستخفه لقصده ببغداد ويخبره عن صورة أخذها وضعف الخليفة وانحلال العسكر . فزحف هولاء كوكب بمسكر جرّار الى بغداد والمتمص ومن معه في غفلة عنه لاخفاء ابن الملقى عنه سائر الأخبار . الى ان وصل الى بلاد العراق واستأصل من جأ قتلاً وأسراً . وتوجه الى بغداد وأرسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستيقظ الخليفة من نوم العرور . وندم على غفلته حيث لا ينفعه الندم . وجمع من قدر عليه وبرز لقتاله باربعين الف مقاتل . فقتبوا مع ترافيتهم على حدّ السيف من اقبال الفجر الى ادبار النهار الى ان عجزوا عن الاصطبار وولوا الأدبار بالإدبار . وأعقم التار . ووضعوا السيف فيهم . وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيام ما يُنيف على ثلاثمائة وسبعين الف نفس . وسبوا ورموا كتب مدارس ببغداد في نحر درجة فكانت ككثرتها جسراً يمرّون عليه ركاباً ومشاة . وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام . وأخذوا المستعصم وأولاده وجماعته وأتوا به الى هولاء كوكب فاستبقاه أياماً الى ان استصفي أمواله ودقائمه . ثم رمى رقاب أولاده وأتباعه وأمر ان يوضع الخليفة في غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت ففعل به ذلك سنة (١٢٥٨م) وانقطعت خلافة بني العبّاس وهم سبعة وثلاثون خليفة أو لهم السفاح وآخرهم المستعصم (للهروي) تمّ بحولوا تعالي

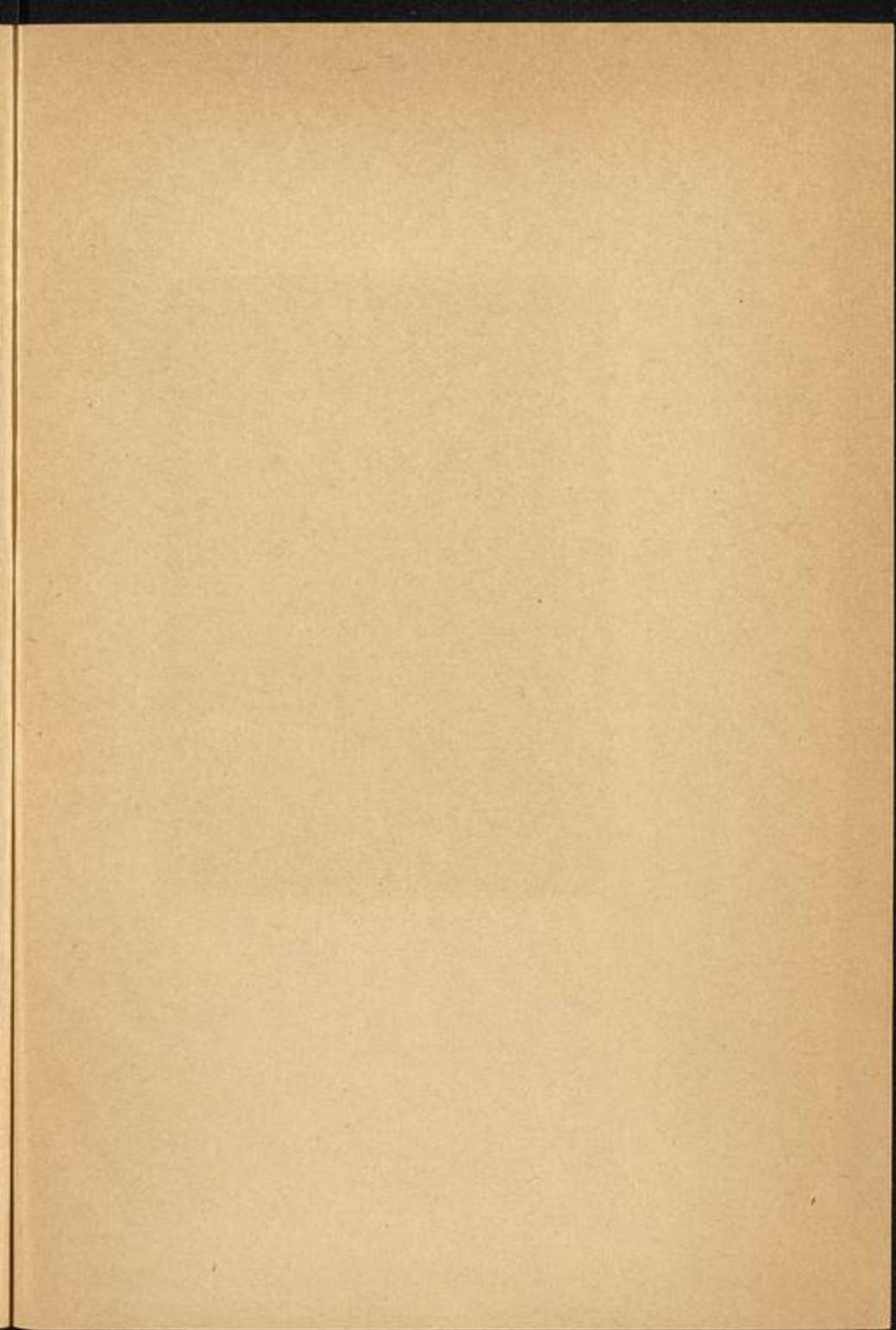
فهرس الجزء الخامس من كتاب مجاني الادب

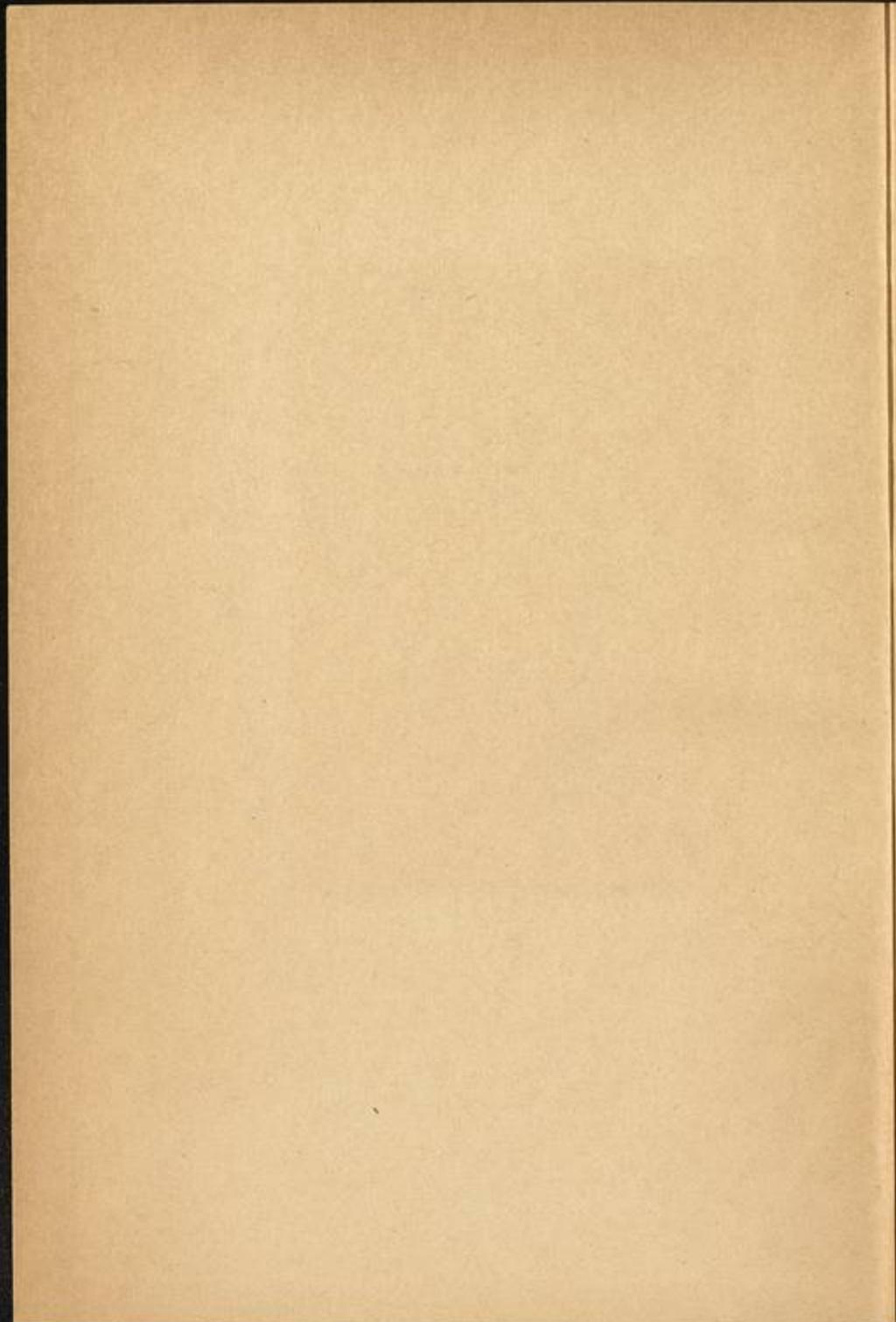
وجه	وجه
٥٩	الباب الأول في التدين
٧٤	عظمة الخائق وجبروته وصفاته
٧٤	قصيدة البطليموسي في التوحيد
٧٦	لابن ابي الصلت في الكالات الالوية
٧٧	وسيلة الله للبري
٧٩	قصيدة له في التوحيد
٨٢	قصيدة طلي في الابتهاال الى الله
٨٤	للبري في الرجاء والدعاء
٨٥	الباب الثاني في الحُطْب والمواعظ
٨٦	من كتاب اطواق الذهب لعبد المؤمن
٨٧	من ديوان خطب الفأس
٨٩	من ديوان خطب ابي زكريا الانصاري
٩١	من ديوان خطب ابن نباتة
٩١	خطبة لابن رندقة الطرطوشي
١٠١	لسان الدين الخطيب في ذم الكسل
١٠٦	خطب للثغفاه خطبة ابي بكر
١٠٨	خطبة لعلي بن ابي طالب
	خطبة عمر خطبة المهدي
	خطبة هارون الرشيد
	خطبة المأمون في الفطر
	خطبة قطري بن الفجاءة التميمي
	خطبة للصوم الكبير لرويل الدينوري
	ذكر السيدة مريم العذراء لابي الحلبي
	لعبد السائق (اي الصمود) له
	الباب الثالث في الامثال
	نخبة من امثال العرب للبداني
	من امثال المبداني وابن نباتة مع شرحها
	الباب الرابع في المقامات
	من مقامات الحضري المقامة الشعرية
	المقامة الوعظية
	مقامات بديع الزمان المقامة القريضية
	المقامة الحرجانية
	المقامة البصرية
	المقامة القرديّة
	المقامة العلية
	المقامة الملوكية
	المقامة البخارية
	الباب الخامس في المناظرة
	مناظرة الازهار للسويطي
	مناظرة بين فصول العام لابن حبيب
	البحر والبر
	النعمان عند كسرى
	الباب السادس في الحكايات واللطائف
	الاعرابي ومعن بن زائدة
	الشاعر المتعصب للجم
	البندبيجي والحمامة
	الفرزدق والاسير
	كتاب ابن التعاويذي الى الناصر
	الباب السابع في الفكاهات
	بذلة ابي دلامة
	الخطيفة والاصمعي

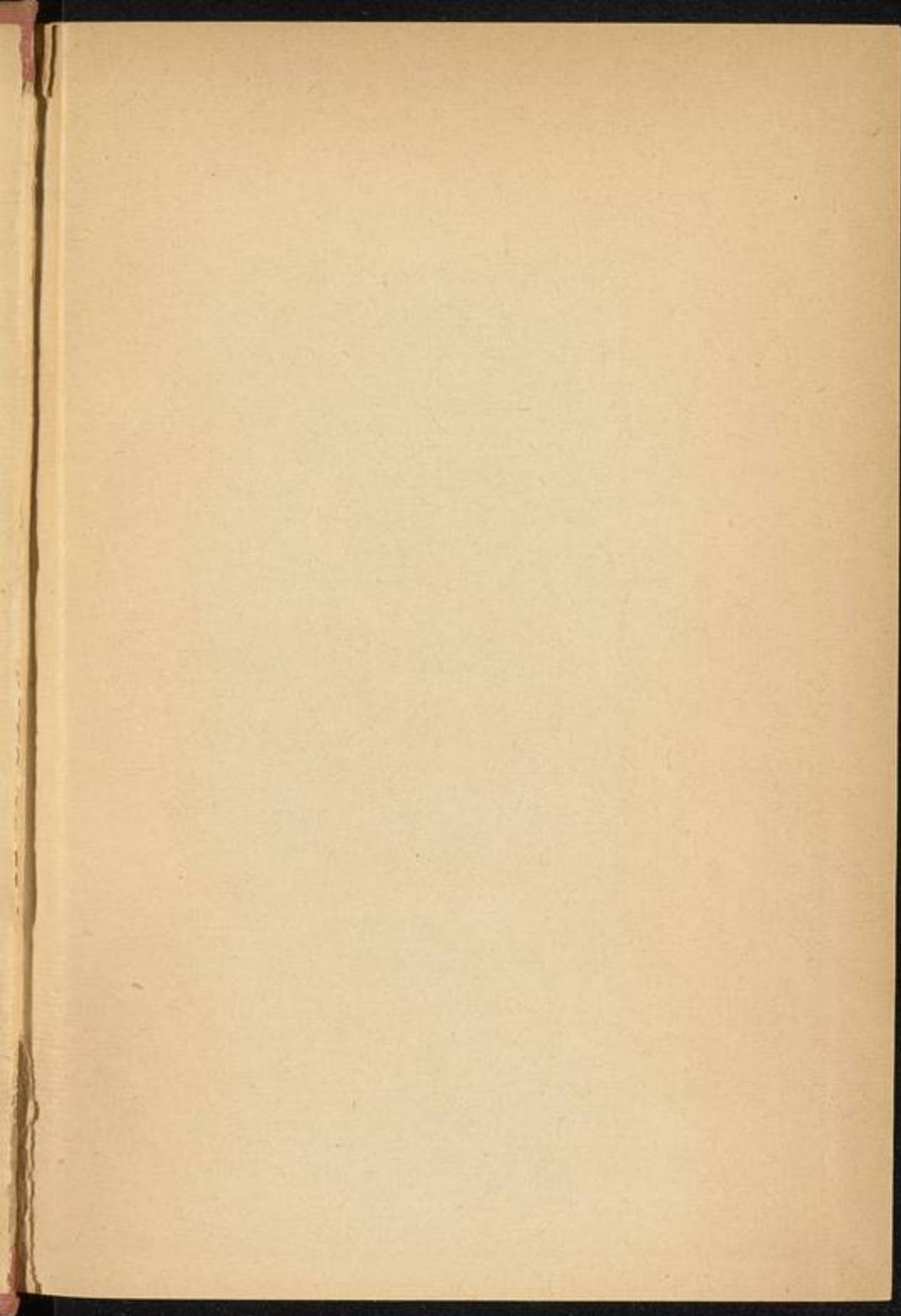
وجه	وجه	رثاء هرّ لابن العلاف
١٧٣	١٣٢	رثاء ديك لابن معمعة الحمصي
١٧٤	١٣٥	لساور الوراق في وصف وليمة
١٧٥	١٣٦	محمد بن بشير والشاة
١٧٨	١٣٨	الباب الثامن في المدح
١٨٠	١٤٠	خلف بن خليفة في قومه
١٨٢	١٤٠	محمد بن هاني في ابن غلبون
١٨٣	١٤١	اللتيني في شجاع بن محمد الطائي
١٨٥	١٤٢	جمالية ابن نباتة في ابن الشهاب محمود
١٨٦	١٤٣	لابن مطروح في عماد الدين
١٨٧	١٤٤	لابن الحسن القاضي في ابن اضحي
١٨٩	١٤٥	البيعتري في الفتح بن خاقان
١٩١	١٤٦	لابرهيم بن العباس في ابن سهل
١٩١	١٤٧	لمسرو بن مسعدة في ابي محمد التميمي
١٩٣	١٤٨	لابن المدبر في الوزير ابن طاهر
١٩٤	١٤٩	لعنتري في كسرى انوشروان
١٩٥	١٥٠	لشمس الدين القادري في السبوطي
٢٠٠	١٥١	مدح الختفاء مديح معاوية
٢٠٢	١٥٢	لكثير والاحوص في عمر بن عبد العزيز
٢٠٣	١٥٤	لابن عبد القدوس في هارون الرشيد
٢٠٤	١٥٥	لمحمد اليزيدي في المأمون
٢٠٦	١٥٦	لحسن بن الضحاك في المعتمد والواثق
٢٠٨	١٥٨	لابن عمار في المعتضد بالله العبادي
٢٠٩	١٦١	للبيعتري في التوكل
٢١١	١٦٢	لابن التيه في الناصري في موسى الاشرف
٢١٢	١٦٨	لابن عنين في الملك العادل
٢١٤	١٦٩	لابن مطروح في المستنصر بالله
٢١٤	١٧١	لابن الخطيب في الظافر
وجه	وجه	
١٧٣	١٣٢	لابن رشيد ممدوح امير المؤمنين عبد المؤمن ١٧٣
١٧٤	١٣٥	لابن صرد في السلطان ملكشاه
١٧٥	١٣٦	نخبة من قصائد ابي خلود في المسعود
١٧٨	١٣٨	لهبي الدين العليف في بايزيد
١٨٠	١٤٠	للنهر اولي في السلطان سليم
١٨٢	١٤٠	الباب التاسع في العجو
١٨٣	١٤١	هجو مكران
١٨٥	١٤٢	هجو طيلسان ابن حرب
١٨٦	١٤٣	للغزذق في هجو ابيس
١٨٧	١٤٤	هجو مغني للصكفي
١٨٩	١٤٥	هجو دار لابن الاعرج
١٩١	١٤٦	الباب العاشر في الزهريات
١٩١	١٤٧	زهريّة بديع الزمان زهريّة عنتر
١٩٣	١٤٨	زهريّة مقري الوحش
١٩٤	١٤٩	زهريّة ابن الوكيل
١٩٥	١٥٠	الباب الحادي عشر في السيف والقلم
٢٠٠	١٥١	وصف الشعر للناسي
٢٠٢	١٥٢	لابن الرشيق في الصناعة الشعرية
٢٠٣	١٥٤	جرير والغزذق والاختلط
٢٠٤	١٥٥	وصف التاريخ
٢٠٦	١٥٦	الباب الثاني عشر في الوصف
٢٠٨	١٥٨	وصف حمأة لابن حجة الحموي
٢٠٩	١٦١	وصف الخيل
٢١١	١٦٢	وصف بركار لابي الفتح كشاجم
٢١٢	١٦٨	وله في اسطرلاب وصف روضة صنعاء
٢١٤	١٦٩	صفة نزهة على بحر مسقط
٢١٤	١٧١	١٧١

وجه	وجه	٢١٥	صفة الليل صفة ماصفة
٢٧٥	في التعزية	٢١٨	صفة أنكسار العدو
٢٧٩	الباب السادس عشر في التراجم	٢٢٠	وصف دار الوزير الصاحب ابن عبّاد
٢٨٢	فقها. المسلمين	٢٢٢	ذكر عبد الرحمان وغزواته
٢٨٨	أديبا. المسلمين	٢٢٥	الباب الثالث عشر في الرثاء
٢٩٠	سُباح المسلمين	٢٢٧	رثاء التهامي في ولده
٢٩٣	فلاسفة الاسلام واطبأؤم	٢٢٩	رثاء مشاهير العرب رثاء ممن
٢٩٨	مؤرّخو المسلمين	٢٣٢	رثاء بني برمك لسليمان بن برمك
٢٩٨	الباب السابع عشر في التاريخ	٢٣٧	لاي الحسن الانباري في ابي طاهر
٢٩٨	دولة العبّاسيين	٢٤٠	رثاء الخلفاء والملوك للمهلي يربّي المتوكل
٢٩٩	خلافة السفّاح	٢٤١	لابن عبدون في بني افطس
٣٠١	ابو جعفر المنصور	٢٤٢	لابن التبيّه في ولد الناصر
٣٠١	بناء مدينة بغداد	٢٤٣	لابن عبد الصمد في المعتد
٣٠٣	محمد المهدي موسى الهادي	٢٤٤	لاي السعود في السلطان سليمان
٣٠٤	هارون الرشيد	٢٤٥	رثاء الإندلس لاي البقاء الرندي
٣٠٨	الامين بن الرشيد	٢٤٨	الباب الرابع عشر في الفخر
٣٠٩	عبد الله المأمون اخو الامين	٢٤٩	للأبيوردري في الفخر
٣١٠	المعلوم في زمانه	٢٥١	نخبة من اقوال عترة
٣١١	اخوه المعتصم بالله	٢٥٧	من اقوال الطائي في الفخر
٣١٢	هارون الواثق للمتوكل على الله	٢٥٨	لصفي الدين الحلي
٣١٣	المتصر بالله المستعين بالله المعتز بالله	٢٥٩	قصيدة السموعيل
٣١٤	المهتدي بالله المعتد على الله المعتضد بالله	٢٦١	الباب الخامس عشر في المراسلات
٣١٤	المكتفي بالله المتقدر بالله القاهر بالله	٢٦١	مراسلات بين الملوك والامراء
٣١٥	الراضي بالله المتقي المستكفي المطيع	٢٦٥	في الأشواق وحسن التواصل
٣١٥	الطائع لله القادر بالله القائم بامر الله	٢٦٧	في العتاب واللوم والاعتذار
٣١٦	المقتدي بالله المستظهر بالله المسترشد بالله	٢٧٠	في المدح
٣١٦	الراشد المقتفي بالله المستفيد بالله	٢٧٢	في الشكر والتهنئة
٣١٦	المستضيء بالله الناصر لدين الله الظاهر		
٣١٧	المستصبر بالله المستعصم بالله		
٣١٧	انتهاة الخلافة		

تمّ طبع هذا الكتاب في المطبعة
الكاثوليكية، بيروت، في الرابع
عشر من شهر شباط سنة ١٩٥٧







Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 043490349



المكتبة الشرقية - بيروت